مجموعة رسائل ابن عربي

التنزلات الليلية في الأحكام الإلهية

التنزلات الموصلية في أسرار

الطهارات والصلوات والأيام الأصلية

رد المتشابه إلى المحكم من الآيات والأحاديث

تأليف

الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر سيدي
محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي

دار الأسوة الأكرم

دار المحجة البيضاء

مجموعة رسائل ابن عربي

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

بيروت - لبنان - حارة حريك - ص. ب: ١٤/٥٤٧٩
ت: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

مجموعة رسائل ابن عربي

تأليف

الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر سيدي
محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي

المجلد الثاني

دار المحجة البيضاء　　　　دار الرسول الأكرم (ص)

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)
التنزلات الليلية
فـــي
الأحكام الالهيّة

- مقــدّمــة .
- مسائل وعددها ٥١ مسألة .
- من كنوز أهل اللّٰه .
- من رسالة نسب الخرقة .

- نقلتها من نسخة مخطوطة بمكتبة الأزهر الشريف أدامها الله عامرة بمنه وكرمه .

رقمها الخاص : ٩٦١ ، رقمها العام : ٣٣٥٩٥ ، تصوف .

وهي ضمن مجموعة .

يقول الله تبارك وتعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إن الله يدافع عن الَّذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾ .

صدق الله العظيم

بسم الله الرّحمن الرّحيم
الحمد لله ربّ العالمين

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم .

وبعـــد :

من المعروف أن التصوف هو : العمل بكتاب الله وسنة رسوله (ص) .

هذه قضية لا نزاع - عندنا - فيها ولا إشكال .

ومن المعروف أيضاً أن التصوف الأصيل شيء والدخيل شيء آخر .

قال الإمام الجنيد (رحمه الله تعالى ورضي عنه) عن التصوف :

«علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة» ا هـ .

وقـال أيضـاً : «الـطريق إلى الله مسـدود : إلاّ على المقتفين آثـار رسـول الله (ص)» ا هـ .

وقال سهل بن عبد الله التستري (رحمه الله ورضي عنه) :

«أصولنا سبعة :

١ - التمسك بكتاب الله .
٢ - والإقتداء برسول الله (ص) .
٣ - وأكل الحـــلال .
٤ - وكـف الأذى .

٥ ـ واجتناب المعاصي
٦ ـ والتـوبـة .
٧ ـ وأداء الحقوق» اهـ .

وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي (رضي الله عنـه وأرضاه).

«ليس هذا الطريق بالرهبانيّة ، ولا بأكل الشعيـر والنخالـة ، وإنما هـو بالصبـر على الأوامر ، واليقين في الهداية .

قـال تعالى : ﴿وجعلنـا منهم أئمّة يهـدون بأمـرنا لمـا صبروا وكـانوا بـآياتنـا يوقنون﴾» اهـ .

وقال أيضاً (رضي الله عنه) :

«مـا ثم كرامـة أعظم من كـرامة الإيمـان ، ومتـابعـة السنـة ، فمن أعـطيهمـا وجعل يشتاق إلى غيرهما ، فهو مفتر كذاب» .

ونحن معه في كل ما قال (رحمه الله تعالى) ، ولا نخالفه .

* * *

وقـول الشيـخ محمـود خـطاب السبكي في مقـدمـة كتـابـه «المنهــل العـذب المورود» لما سأله الشيخ حسونة النواوي عن التصوف ، قال ما لفظه :

«إن القلوب مملوءة بحب الـدنيـا ، فـلا محــل فـيهـا لـقبــول شـيء من التصوف» .

فيه الرد الكافي على كل مفتر كذاب .

وإذا كان ابن تيمية نفســه (رحمه الله تعـالى) قد أبـاح الوقف للصـوفية (رضي الله عنهم) .

فأما أن يكون قد حدث عنده عته فخالف نفسه .

وأمـا أن يكون هؤلاء المتيمـون : لم يفهموا مـا يقول الـرجل ، أو مـا يهدف إليه .

وأما أن ينبذوه أيضاً وراء ظهورهم : ابتاعاً لرأيهم .

وأما أن يريحونا من هذا الهراء الذي يذيعونه على الناس .

قـال صاحب كتـاب : «الاختيارات الفقهيـة ـ فقه حنبلي ـ [قـال ابن تيمية في الفتاوى : «ويصح الوقف على الصوفية .

فمن كـان جمـاعـاً للمـال ، ولم يتخلق بـالأخـلاق المحمـودة ، ولا تـأدب بـالآداب الشرعيـة ، وغلبت عليه الآداب الـوضيعـة ، أو كـان فـاسقـاً : لم يستحق شيئاً» . اهـ منه .

أمـا الدخيـل على التصوف ، وهـو الذي اخترعه بعض النـاس اليوم ، فليس من الإسلام .

فـإنّ الله تعالى أمـرنـا أن نعبـده بمـا أنـزل إلينـا في القـرآن والسنـة الشـريفـة وحسب ، وليس لنا أن نخترع شيئاً من عند أنفسنا ونسميه عبادة .

* * *

على أننا ننادي بأعلىٰ أصواتنا وأرفعها :

«إن التصـوف لا يصلح لـه إلاَّ صـدق الـدعـوة ، والإيمـان بهـا من عميق القلب . لأن الـدعـوة إلى الله بـالعـزم والقـوة الصـادقـة . إذ هـو القسم الثـالث من أقسام الحديث الشريف «أن تعبد الله كأنك تراه» .

* * *

نحن نعرف أن سيدنـا سلمان الفـارسي (رضي الله عنه وأرضـاه) كان من أعز أصحاب رسول الله (ص) .

وكـذلك سيّـدنا أبـو الدرداء (رضي الله عنـه وأرضاه) . وكـان قد آخى بينهمـا رسول الله (ص) .

ولمـا أنتقل رسـول الله (ص) إلى الرفيق الأعلىٰ وتـوزع أصحابـه في البلاد : سمـع سيّدنـا سلمان أن سيّـدنا أبـا الدرداء يعظ النـاس ـ وحق له ذلك ـ لأنه عـاصـر رسـول الله (ص) وعرف سنى[1] أحـواله ، فلم لا يعظ ، وهـو من هو بين الصحـابة الأجلاء ؟ .

ولكن التناصح بين المسلمين : حق واجب .

---

(١) بفتح السين المهملة وكسر النون الموحدة من فوق.

فأرسل إليه كتاباً هذا نصه :

«يا أخي ، بلغني أنك قعدت طبيباً تداوي المرضىٰ ، فانظر ، فإنّ كنت طبيباً : فتكلم ، فإن كلامك شفاء .

وإن كنت متطبباً ، فالله ، الله . لا تقتل مسلماً» ا هـ .

* * *

هذه الكلمة الطيبة التي قالها سيّدنا سلمان (رضي الله عنه) . نسوقها إلى مشايخ الطرق :

[إن كنتم كذلك ، أمناء على دينكم ، تحسنون القيام على خدمة الطريق بما يرضىٰ الله تعالىٰ ورسوله (ص) ويحفظ دينه ، فالحمد لله تعالىٰ .

ومن كان منكم لا يحسن الوضوء ، فليجتنب الدعوة ـ إلى طريق الله تعالىٰ ـ إلى من هو أولىٰ منه من أهل العلم والأمانة .

وإلاّ فحسابكم عند الله طويل ، ويومكم أسود من فحم جهنم] .

* * *

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه ، فبالروح يفديه .

هؤلاء القوم ـ وهم الصوفية ـ ابتلوا بالإتهامات الصعبة ، الشنيعة التي لا يرضاها الله ، ولا رسوله ، ولا المؤمنون .

قال جماعة : إن التصوف : لم يكن على عهد رسول الله (ص) ، وإنما وجد في القرون الآتية بعده عليه الصلاة والسلام .

وقال جماعة : إن التصوف : كلمة «يونانية» نقلها بعض المسلمين لما اختلطوا باليونان :

وقال جماعة : كـذا . . . .

وقال جماعة : كـذا . . . .

وقال جماعة : كـذا . . . .

وهكذا : تقولوا عليهم أقاويل : لا يساعدهم عليها العلم الصحيح ، ولا النظر الدقيق .

والقصد من كلامهم هذا : محاربة التصوف الذي يدعو إلى الكتاب والسنة الصافية : البعيدة عن المادية البشعة التي سيطرت على المسلمين ، فأذلتهم ذل العبيد .

وصدق رسول الله (ص) :

«إني لا أخشىٰ عليكم الشرك ، ولكني أخشىٰ عليكم الدنيا : أن تنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم» .

على أن الدنيا ليست هي الكسب والمال ، فإن الله سبحانه وتعالى واجهنا مواجهة صريحة ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾ .

ولكن الدنيا هي : جمع المال من الحرام الصرف ، أو الحرام المختلط بالحلال .

إذ جامعه لا يبالي : كيف أكتسب هذا المال : من حرام أم من حلال .

ومن لم يبال بما أُكتسب من حرام أو من حلال : لم يبال الله به أن يهلكه في أي أودية جهنم ، والعياذ بالله .

وكيف ندعوا المسلمين إلى ترك التكسب ، وقد كان عبد الرحمن بن عوف ـ من أصحاب رسول الله (ص) ـ تاجراً ومن أغنىٰ أغنياء الصحابة (رضي الله عنه وعنهم) ، ودعىٰ له رسول الله (ص) بالبركة في أهله وماله .

وكان كذلك كان عثمان بن عفان .

وكذلك سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه وعنهم جميعاً) .

ولو دعونا إلى ترك التكسب : لكنا داعين إلى أن يملك أقواتنا اليهود والنصارىٰ ، كما فعل أقوام أودعوا أموالهم في بنوك اليهود ، وعمروا بها أوروبا . فخربوا ديار المسلمين . إذ تحولت هذه الأموال إلى رصاص في صدور المسلمين .

وهذا من الشيء الذي لا يرضاه الله ولا رسوله ولا عقلاء المؤمنين ، ولا مجانينهم أيضاً .

* * *

وأما قولهم : إن كلمة «تصوف» كلمة يونانية ، فإن كثيراً من الكلمات العربية : وافقت كلمات غير عربية ، ومع ذلك كانت كلمات عربية : [عربية صافية ، من أصل عربي] - استعملها العرب في كلامهم - ، ولم يعب عليهم أحد : أنها غير عربية .

ولكن الحق الذي يجب أن يعرف : أن هؤلاء الذين عابوا على التصوف اسمه ومعناه : تلوثت عقولهم بما بثه المستشرقون ومن لف لفهم ، وحشوا كتبهم بأقاويلهم .

بل وصل بهم الحد - حد السفه - إلى أن وصفوا بعضهم بأنه معتدل ، وأنه يمدح الإسلام ورسول الإسلام ، ويصفه وصفاً طيباً .

وما دري هؤلاء أن السم في العسل ، وأن أي مستشرق من هؤلاء - مهما كان اعتداله - إنما هو شيطان في صورة إنسان .

والمثل المنتشر عندنا : «ما يأتي من الغرب شيء يسر القلب» هو أصدق مثل في هذا المضمار .

وقد قال عبد الله بن مسعود عن النصارى واليهود : «. . . أنهم لن يهدوكم وقد ضلوا» .

وقال سيدنا عمر (رضي الله عنه) ، عنهم : «. . . كيف تصدقوهم وقد كذبهم الله ، وكيف تأمنوهم وقد خونهم الله» .

و [«قال العراقي - في مستخرجه على المستدرك ما نصه - :

لا يحل لطالب العلم أن ينقل عن المستدرك - من النسخ التي لا يوثق بها - حديثاً بصيغة . .

ولا نسخة يوثق بها حينئذ .

لا سيما في هذا الزمان الذي كثر فيه أن ينسخ كتب العلم من ليس من أهل الملة» ا هـ] .

ومثل هؤلاء كثيرون من سلفنا الصالح ، فكيف نترك وصايا سلفنا ونتبع هذا الهوس الذي يذيعه من لا يعرف عن دينه شيئاً ، ويعرف كل شيء عن أوروبا وما

فيها ، حتى عن أزقة الخمارات وملاعب القمار .

* * *

أول من نشر عن ابن عربي (رحمه الله تعالى) : أنه يقول بوحدة الوجود والاتحاد والحلول : المستشرقون أنفسهم : لحاجة في نفس إبليس : (لعنه الله ، ولعنهم معه).

وإليك الدليل المادي القاطع في ذلك :

في حاشية ابن عابدين - في المتن - طبع المطبعة الأميرية جـ ٣ ص ٢٩٤ ما نصه :

« . . . وفي المعروضات المزبورة ما معناه أن من قال عن فصوص الحكم للشيخ محي الدين بن العربي : أنّه خارج عن الشريعة ، وقد صنفه للاضلال ، ومن طالعه ملحد : ماذا يلزمه ؟ .

أجاب : نعم ، فيه كلمات تباين الشريعة ، وتكلّف بعض المتصلفين لإرجاعها إلى الشرع .

لكننا تيقنا أن بعض اليهود أفتراها على الشيخ (قدّس سرّه) .

فيجب الاحتياط بترك مطالعة تلك الكلمات ، وقد صدر أمر سلطاني بالنهي ، فيجب الإجتناب من كل وجه انتهىٰ ، فليحفظ» ا هـ .

ونحن نقول : هل يكون هذا اليهودي إلاّ مستشرقاً ، أو تلميذاً لهم .

ومن الأدلة على أنه لا يقول بالاتحاد : ما قاله هو في هذه الرسالة التي قدمنا لها ، قال :

«مسألة : إذا كان الاتحاد يصير الذاتين ذاتاً واحدة فهو محال . لأنه إن كان كل واحد منهما موجوداً في حال الاتحاد : فهما ذاتان ، فإن عدمت العين الواحدة ، وبقيت الأخرىٰ : فليس إلاّ واحد» .

وقال أيضاً : « . . . ومن هذا أيضاً زلت أقدام طائفة عن مجرى التحقيق ، فقالوا : ما ثم إلاّ ما ترىٰ ، فجعلت العالم هو الله والله هو نفس العالم ليس أمراً آخر ، وسببه : هذا المشهد ، لكونهم ما تحققوا به تحقق أهله فلو تحققوا به ما قالوا بذلك ، وأثبتوا كل حقيقة في موطنها» .

وقال أيضاً : «لا حاجة لنا في إقامة الدليل على إثبات الوحدانية ، فإن المشاهد تمنع الجدال في الله وفي وحدانيته» .

ويقول أيضاً : «فلا يصح أن يجتمع الحق والخلق في وجه أبداً من حيث الذات» .

ويقول : «فلو جمع بين الحق الواجب بذاته وبين العالم وجه : لجاز على الحق من ذلك الوجه ما جاز على العالم من الدثور ، وهذا محال ، فإثبات وجه جامع بين الحق والعالم محال» .

هذا لفظه .

فهل تجد أيها الأخ المسلم : أصرح ، وأبين ، وأجلىٰ ، وأوضح في أنّه لا يقول بالحلول ولا بوحدة الوجود ولا بالاتحاد من هذا ؟ .

والمطالع لهذه الرسالة يرى بنفسه : أنه دفع الفلاسفة دفعاً شديداً أزالهم عن أماكنهم ، ودحضهم بالحجة والبرهان ، وطرح عقولهم تحت أقدامه (رضي الله عنه) .

علماً بأنك ستطالع في هذه الرسالة أيضاً وفي غيرها من كتبه التي سنخرجها إن شاء الله تعالى : ما يجلو العمى عن بصائر من يحبون الحق ويسعون له ، ولا يبالون بغيره ، وعن الإنسان الذي وضعوا على عينيه غشاوة وعلى سمعه غطاء حتى لا يسمع ولا يبصر إلاّ ما يقولون له : «أنه صحيح أو غير صحيح» .

ومن أضل ممن الغى سمعه وبصره ليستعمل أسماع وأبصار اليهود والنصارىٰ ؟؟ فلا يرى إلاّ بأعينهم ، ولا يسمع إلاّ بآذانهم ؟؟ .

ولكن إذا أزيلت الغشاوة : أتضح الحق ، وانفضح الباطل ، وانخرقت سفنه .

والحمد لله ـ ليس لنا من غرض ـ إن شاء الله تبارك وتعالىٰ ـ إلاّ أن ندعوا المسلمين جميعاً إلى وحدة الصف وكمال الرصف ، وأن يواجهوا المخاطر بقلب واحد ، مجتمع على الله تعالى ، وأيد متماسكة ، وأن يتركوا شتم بعضهم بعضاً ، وتكفير بعضهم الآخر ، فإن صاحب الملك سيحاسب كل فرد عما جناه .

ولا نعتقد في كل مسلم يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله : إلا النجاة يوم القيامة .

وحساب الجميع على الله تعالىٰ .

وهو أرأف بنا وبهم من الوالدة على ولدها .

وهو حسبنا ونعم الوكيل .

النـاشـــر

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم
وصلّى اللّه على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم

الحمد لله واهب الأسرار لأرباب المشاهدات بالأبصار ، القائمين بوظائف المجاهدات والأفكار ، مطالع الأنوار لأصحاب النظر والإستبصار ، من خلف حجاب العقول والأفكار .

فقيل في العلم على هذا التقسيم : «إنما : وهب باعتبار وكسب باعتبار»[١] .

والعلم الوهبي : الذي لا يدخله كسب بوجه من الوجوه ، وهو العلم العزيز المقدار[٢] : هو ما أدّت إليه الجبلة الطاهرة الأصل والنشأة : عندما ترددت في عالم الإنتقالات في الأطوار .

وأنفلقت من عالم الأغذية إلى عالم التقديس والأظهار ، في أسعد دور يكون من الأدوار ، وأيمن طالع طلع في ليل كان أو نهار .

فخرجت النشأة الطبيعية على غاية الصفاء والاعتدال ، الذي أعطاه مكور الأكوار[٣] .

كما قيل في السيّد المصطفى المختار :

---

(١) هكذا في المخطوطة ، و«وهب» بضم الواو مع كسر الهاء ، أو فتح الواو وسكون الهاء .

(٢) لأنه لا يوهب إلّا لمن رضي الله عنه .

(٣) من قوله تعالى : ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ .

«تخيرك الله من ادم ، فما زلت منحدراً ترتقي» .

فكان إنحداره في عالم الظلم والأغبار : تصفية ، وتخليصاً ، وتخلية ، فبورك فيه من إنحدار .

وكان عين الترقي إلى مقام أقدس ، ونعت أنفس ، يعسر مدركه(١) على المجتهدين ، والنظار .

فكان المعتدل النشأة ، الحسن الهيئة ، والمرضي الخصال ، المحمود المناقب والآثار : صلّ الله عليه وعلى آله وأصحابه الأتقياء الأخيار ، ما حكم سلطان الزهر في الأزهار ، وما كانت «سيئات المقربين حسنات» الأبرار(٢) ، وسلّم تسليماً كثيراً :

فصل

أما بعد : فإن للعقول حداً تقف عنده من حيث ما هي مفكرة ، لا من حيث ما هي قابلة(٣) ، فما لها لا تقف عند حدها(٤) ؟؟؟ «فما هلك امرؤ عرف قدره»(٥) .

١ ـ **مسألة** : أية مناسبة بين الحق سبحانه : الواجب الوجود بذاته ، وبين الممكن وإن كان واجباً به(٦) ـ عند من يقول بذلك من القائلين بإقتضاء ذلك العلم السابق بكونه ـ وما أخذها الفكر به ، إنما تقوم وتصح بالبراهين الوجوديّة . . . براهين «أن ولا بد من الدليل [و] المدلول» ، والبرهان ، والمبرهن عليه من وجه

---

(١) بفتح الميم وسكون الدال .

(٢) وهي دائمة أبداً لا تزول ، فهو يطلب صلاة وتسليماً على رسول الله (ص) دائمة ، ونحن نطلبها معه كذلك .

(٣) لأن الفكر لا يستطيع الإحاطة بكل شيء . إما أن يكون قابلاً للتفكير فهو أمر معلوم .

(٤) يريد بهذا ـ والله أعلم ـ أن العقل عند ذكر ما يتصل بالله تعالى ـ من قريب أو بعيد ـ يجب أن يقف عند حده ولا يتعدى طوره ، فإن مداره في الماديات فحسب .

(٥) ولذلك قالوا «رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه» .

(٦) الواجب لذاته بذاته هو الله تعالى : والمخلوق عندما يوجد : إنما يكون وجوده واجباً بإيجاب الله له ، وهذا يقول به جماعة كما قال الشيخ (رحمه الله تعالى) ـ عند من يقولون به ـ والمقصود منها أن كل شيء خلق : هو ممكن لا واجب ، فإن واجب الوجود واحد ـ لا يتعدد ـ .
والضمير في قوله «به» راجع إلى «الحق» سبحانه وتعالى .

به يكون التعلق : «له تعلق بالدليل وتعلق بالمدلول» .

ولولا ذلك الوجه : ما وصل دال إلى دليل مدلوله أبداً .

فلا يصحّ أن يجتمع الحق والخلق : في وجه أبداً ، من حيث الذات ، لا من حيث أن هذه الذات منعوتة بالألوهية ، فهذا علم آخر يستقل العقول[1] بإدراكه ، لا يحتاج في ذلك إلى كشف بصري .

فكل معقول ـ عندنا ـ يكون موجوداً : يمكن أن يتقدم العلم به من حيث الدليل على شهوده ، إلاّ الحق سبحانه ، فإن شهوده يتقدم على العلم به : من حيث الذات ، لا من حيث الإلٰهية ، فإن الإلٰهية في هذا الحكم مناقضة للذات في حكم تعلق العلم .

فالإلٰهية : تعقل ، ولا تكشف ، والذات تكشف ولا تعقل[2] .

وهذا البحر بحر ، لا ساحل له ، من وقع فيه لا يمكن أن يسبح فيه ، فإنه بحر الهلاك للبصائر بالذات ، فلا سبيل إلى الخوض فيه[3] .

وكم من متخيل ممن يدعى العقل الرصين من العلماء القدماء : يظن أنه يسبح في هذا البحر ، وقد عاينا منهم جماعة على هذا المذهب من الأشاعرة ، بمدينة فاس وهو يسبح في بحر وجوده ، لأنه متردد بفكره بين السلب والإثبات[4] .

فالإثبات راجع إليه ، لأنه : ما ثبت إلاّ ما هو عليه في نفسه .

ففي نفسه يتكلم ، وعلى عينه يدل ويبرهن .

والحق وراء ذلك كله .

---

(١) بفتح العين : أي يستعمل عقله استعمالاً صحيحاً .

(٢) لأن الإلهية ثابتة لله تعالى ، حتى ولو لم يخلق خلقاً ، وهذا من جهة العقل ، وذات الله لا يحدها حد ، ولا يستطيع أن يحيط بها عقل ، ومعنى أنها تكشف ـ والله أعلم ـ أن أي شيء يعرف أن لهذا العالم إلهاً مدبراً ، ولكن ذات الإله : لا يعرفها أحد .

(٣) وهذه الجمل نهديها للذين يتهمونه بوحدة الوجود .

(٤) يعني : أن هذا الإنسان الذي يسبح في هذا البحر : إنه يسبح في بحر عقله هو ، لأن الذي يتكلم فيه : أما نفي أو إثبات ، والذين يسبحون في عقولهم هم الفلاسفة .

والسلب راجع إلى العدم ، والعدم : نفي الإثبات .

فما حصل لهذا المفكر المتردد بين السلب والاضافات من العلم بالله شيء .

هيهات : فزنا ، وخسر المبطلون .

إني للمقيد بمعرفة المطلق[١] بذاته ؟ لا تقضيه ، ولا رائحة له منه .

وكيف للممكن أن يصل الى معرفة الواجب بالذات ؟ وما من وجه للممكن إلاّ ويجوز عليه العدم والدثور.

فلو جمع بين الحق الواجب بذاته ، وبين العالم وجه : لجاز على الحق من ذلك الوجه ما جاز على العالم من : الدثور[٢] ، وهذا محال .

فإثبات وجه جامع بين الحق والعالم : محال .

٢ ـ **مسألة** : لكني أقول : إن للإلهية أحكاماً [فإن كانت حكماً][٣] ، وفي ضوء هذه الأحكام يقع التجلي في الدار الآخرة ، حيثما كانت ، فأقول بالحكم الإرادي .

لكني لا أقول بالاختيار ، فإن الخطاب بالاختيار : للتوصل بما تقرر في العرف لثبوت الإيمان ، كأحاديث التشبيه وأمثالها .

وإن كان له مدخل صحيح من وجه : ذكرنا .

لكن لا يقتضي ذلك ما نحن بصدده .

٣ ـ **مسألة** : فأقول على ما أعطاه الكشف الاعتصامي[٤] : «إن الله كان ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان»[٥] في الحكم ، والآن .

---

(١) المقيد هو الإنسان ، والمطلق هو الله تبارك وتعالى .

(٢) الاندثار والهلاك والزوال ، وحاشا لله تعالىٰ .

(٣) ما بين القوسين هكذا هو في المخطوطة ، ولعل هنا سقطاً .

(٤) أي الذي أعتصمنا به من الخطأ والزلل ، والله أعلم .

(٥) في كتاب «إستحالة المعية بالذات» للشنقيطي بعد كلام كثير : ما نصه : «. . . ذكر بعض العلماء أنه من حديث أوله «كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان» قال ابن تيمية هذا الحديث موضوع ، وتعقبه في فتح الباري» قائلاً : إن لفظ «ولا شيء معه» : رواية البخاري : «كان الله ولم يكن شيء غيره» بمعناها ، فليست موضوعة . =

وكان : [أمران عائدان علينا][1] ، إذ بنا ظهر ، وأمثالهما . وقد انتفت المناسبة بظهور حكم الواحد عليه من وجهين مختلفين .

يا واهب العقل أعميت البصائر عن ... مدارك الكشف : فارتدت على العقب
إن أنصفت تركت أفكارها وأتت ... فقيرة : تستمد العلم بالأدب
فيضاً على قائل فإن : سجيته ... ذكية[2] من ضروب الشك والريب
قامت على قدم الأجلال آخذة ... جواهر العلم في حق من الذهب
وأخذها بصري : أو بصيرتها ... مشحونة الذات في بيت من اللهب
فما لها من وجود الحق معتمد ... سوى التعليل بالعلات والسلب
لكن لها الحكم بالتمثيل يعضدها ... عوالم الحس بالأرفاد[3] والعطب[4]

والقول عليه : «كان الله ولا شيء معه» إنما هي في الألوهية : لا الذات من حيث وجودها ، فتحقق .

وكل حكم ثبت في باب العلم الإلهي للذات : إنّما هو لحكم الألوهية ، وهي أحكام كثيرة ، هي : نسب[5] واضافات ، وسلوب : ترجع إلى عين واحدة .

= قلت : وهي أيضاً عين رواية مسلم «كان الله ولم يكن معه شيء» ، وكذا رواية نافع بن زيد الحميري : «كان الله لا شيء غيره» بغير «واو» ، والجملة الأخيرة ، وهي : «وهو ما عليه كان» معناها قطعي الثبوت ، لانه إذا لم يكن على ما كان عليه أزلاً : كأن انتقل من مكان إلى مكان ، ومن حال إلى حال ، وهو وصف الأجرام المستحيل إتصافه به تعالى بالدلائل العقلية والنقلية .

فإذا سلمنا أن اللفظ موضوع ، فالمعنى ثابت : شرعاً وعقلاً ، وهو المنشود ، وأظن أن ابن تيمية قصد بجعل هذا الحديث موضوعاً : تقوية مذهبه الذي هو حوادث لا أول لها لصراحة هذا الحديث في الرد عليه ، ولم يحصل له غرضه ، لكون الجملة الأولى منه ثابتة اللفظ والمعنى ، والأخيرة ثابتة المعنى» ا هـ منه ص ٣٦٨ .

أقول أنا كاتب هذه السطور : ولعل من الأسباب التي جعلت المتيمين يتحاملون على الرجل - ابن عربي - مخالفته لمذهبهم في الجلوس على العرش والنزول والإستواء ، والله حسبنا ونعم الوكيل .

(١) ربما كان يقصد - والله أعلم - مدلول «كان» في أول الحديث ، و «كان» التي في آخره .

(٢) مطهرة .

(٣) الإعطاء والصلات ، من الرفد ، فكسر الراء المشددة .

(٤) الإهلاك .

(٥) بكسر النون المشددة ، وفتح السين .

ثم تعدد من حيث الآنية والهوية .

وإنما تعدد من حيث الحقائق الامكانية ، والفهوانية[١] .

فالكثرة في العالم : حكماً وعيناً[٢] .

وهناك : حكماً لا عيناً ، ونسباً[٣] : لا حقيقة .

وهنا زلت أقدام طائفة من الإسلاميين[٤] حيث حكموا بمن يقبل التشبيه : على من لا يقبل التشبيه .

واعتمدوا على ما تحققوه من الأمور الجامعة والرابطة ، كالدليل ، والمدلول ، والحقيقة ، والمحقق .

وهذا : لا يليق بالذات .

لكن تقبله : الألوهية ، وترده من وجه ، فالتزمت طائفة وجه القبول ، والتزمت طائفة أخرى : وجه الرد ، فوقع بينهما[٥] ، وقال كل واحد من الفريقين ببطلان مذهب صاحبه .

والألوهية تحكم بالاصابة للفريقين[٦] .

وسبب اختلافهم : حبسهم في دائرة الفكر : لم يبرحوا منها إلى المقامات الخارجة عن أطوار العقول ، وهي أطوار : الولاية ، والنبوة .

حسب العقول : التسليم لما يأتي به هذان الصنفان : أن أنصفت[٧] .

---

(١) قال في القاموس : «وأفهى : قال رأيه» اهـ .

والمقصود هنا ـ والله أعلم ـ أن هذه التي يقولون أنها حقائق : إنما كانت حقائق عن طريق القول بالرأي : تثبت ولا تثبت.

(٢) يعني تراها رأي العين .

(٣) بكسر النون وفتح السين .

(٤) المقصود بهم ـ والله أعلم ـ فلاسفة المسلمين ، وفيه دليل على : أنه لا يرى رأي الفلاسفة ، كما أدعى كثير من المستشرقين والمستغربين .

(٥) «فوقع بينهما» بضم الواو وكسر القاف ، أي هذا الذي قالوه أوقع بينهم الشقاق والخلاف والشر .

(٦) وقد حقق وجه الإصابة قبل ذلك بأسطر ، فتأمل .

(٧) والمقصود ـ والله أعلم ـ أن عقولهم يجب أن تسلم .

وإن لم يوف الفكر حقه ، وصحبها التقصير والعمى : ردت الأخبار النبوية والكشوفات ، وألحقتها بالخيالات الفاسدة ، لمناقضتها الأدلة التي قامت عند الخصم فيم يزعم[1] .

وهو المخطىء في كونه اعتمد دليلاً : ما ليس بدليل . فإن هذه الأمور لا تعارض الأدلة العقلية البتة .

لكن : ليس كل ما يتخذه العقل دليلاً هو دليل ، لأن غلطه كثيراً[2] ، وليس بضروري فيستوي فيه العقلاء !!

وهذا النبي من جملة العقلاء ، بل أجل العقلاء ، وأكملهم عقلاً ، ولم يخل ذلك الذي أتى به دليله ، بل دله العقل على إمكانه .

فالتسليم أولىٰ بمن لم يذق مدارك الكشف ، ولا ظهر له سلطان فيها .

فلو انصفونا من نفوسهم ، وسلموا لهذين الصنفين[3] أحوالهم لسعدوا في الدارين ، واستفادوا .

ولكن ما نعتهم من ذلك : «آخر ما يخرج من قلوب الصديقين : حب الرئاسة»[4] .

مسألة : وإذا ثبت ما ذكرناه وتقرر ـ وإن قصرت أفهام أهل الفكر عن إدراكه ـ فلنقل : مخاطباً أوليائنا وأصحابنا الذين على مدرجتنا[5] :

إن علومنا غير مقتنصة من الألفاظ ، ولا من أفواه الرجال ، ولا من بطون الدفاتر والطروس .

بل علومنا عن تجليات على القلب ، عند غلبة سلطان الوجد وحالة الفناء

(١) يعني إذا عجزوا عن إثبات الأمور التي يريدون إثباتها : ردوا ما جاء به الرسل وما يكشف الله لأوليائه من الحقائق ، وقالوا : إن هذه خيالات لا يقبلها العقل ، وبذلك حكمو عقولهم فيما لا حكم لها فيه .

(٢) أي العقل .

(٣) الأنبياء والأولياء .

(٤) أي أن حبهم للرئاسة هو المتمكن في قلوبهم ، فلا يخرج منها ، وهو الداء العضال .

(٥) المدرجة : الطريق .

بالوجود ، فتقوم المعاني : مثلاً وغير مثل : على حسب الحضرة التي يقع التنزل فيها .

فمنها ما يقع من باب المحادثة .

ومنها ما يقع من باب المسامرة ، ومن باب ما يُقال ، ومن باب ما لا يُقال[1] .

٤ ـ **مسألة** : والوهب الإلهي :كله يُقال [2] ، وتأخذه العبارة ، وتبسيطه .

غير أنه قد يقترن به أمر الإفشاء في وقت ، وأمر الكتمان في وقت[3] .

وقد يسكت عنها إبتلاء في حقنا ، لنلزم الأدب ونحفظ الأمانة ، ولنقوى في علم المواطن التي توجب الإفشاء والكتم ، فيغني التحقق في ذلك : عن ورود الأمر والإفشاء والكتم .

والعلة في كون الألوهية (تُقال) : لأنها حكم مقتنص بالدليل الكوني المألوف ، ولا بد من وجه جامع يربط الدليل بمدلوله .

فمن هناك : صح أن يُقال : «التجلي الإلهي» .

والتجلي الذاتي : لا يُقال البتة ، لكن يشهد .

وإذا شوهد : لا ينضبط .

ولا يشهده إلاّ الخاصة .

وليس في الكون طريق إليه ينال به ، فإنه تعالىٰ عن أن يدرك بالسعايات ، لما ذكرناه من الإرتباط .

فهو اختصاص مجرد ، وليس جزاء ، وهو : الزيادة على الحسنىٰ [4] .

(١ ، ٢) في المخطوطة «ما ينقال وما لا ينقال» .

(٣) يعني لكل وقت ما يصلح له .

(٤) من قوله تعالىٰ : ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ ٢٦ من سورة سيّدنا يونس (عليه الصلاة والسلام) ، روى الإمام مسلم والإمام أحمد وجماعة من أئمة الحديث أن رسول الله (ص) : تلىٰ هذه الآية ، وقال : «إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار : نادى مناد : يا أهل الجنة : إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : وما هو : ألم يثقل موازيننا ؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجزنا من النار ـ قال ـ فيكشف لهم الحجاب ، فينظرون =

٥ ـ مسألة : وإذا ثبت ما ذكرناه ، فكل ما وقفت عليه في كتبنا أو كتب أصحابنا : مما يجري هذا المجرى ، فهو ممّا ذكرناه ! فما دون[١] .

فلا تطمع فيما لا مطمع فيه ، فإن حجاب العزة أحمى[٢] ، وهو بحر العمى .

من هذا البحر : أتصفنا بأوصاف الربوبية من : القدرة ، والقهر ، والرحمة ، والرأفة ، وجميع الأسماء التي يتخلق بها ، وهي حق الألوهية .

كما أتصفت الألوهية من هذا البحر بما هو حق لنا من : التعجب ، والتبشبش ، والضحك ، والفرح ، والمعية ، والأينية . وجميع النعوت الكونية[٣] .

فإن سعيت في تخليص ذاتك من يد حجابك ، وتحريرها من رق الكون : أطلعت على الحكمة التي لها قبل هذه الأوصاف التي وصف بها نفسه ، في كتبه وعلى ألسنة سفرائه ورسله (ع) ، وعلى الحكمة التي لها : قبلنا هذه الأوصاف الربانية التي وصفنا بها ووجدناها نحن في ذواتنا .

وهل القبول لما ذكرناه حقيقي . أو مجازي ؟ وذاتي أو عرضي ؟ وحكمي أو حكمي[٤] .

= إليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم» .

وروى ابن جرير قوله (ص) : «إن الله يبعث يوم القيامة منادياً ينادي : يا أهل الجنة ـ بصوت يسمع أولهم وآخرهم ـ إن الله وعدكم الحسنى وزيادة ، فالحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الرحمن عزّ وجلّ» .

راجع ابن كثير وغيره من التفاسير تجد فيها كثيراً من الأحاديث في هذا الباب .

(١) بمعنى : أقل .

(٢) أي أعز وأقوى من أن يتقحمه متقحم .

(٣) من مثل قوله (ص) : «عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل» رواه أحمد ، والبخاري ، وأبو داود وغيرهم . والقصد من هذا أن الله سبحانه وتعالى عبر بهذه الكلمات لأننا نحن المخلوقين : لا نستطيع أن نفهم إلّا عن هذا .

واتصافك أنت المخلوق بما أتصف به ربّ العزة : تصاف مخلوق : عندما تزول تزول منك هذه الصفة أو من الممكن أن تزول منك وتتصف بأخرى مضادة لها ، والله تعالى منزه عن ذلك . وإنما خاطبك بها : لأنك لا تعقل غير ذلك ، فأنت مخلوق مقيد ، ولا تفهم إلّا ألفاظاً مقيدة . والله تعالى أعلم .

(٤) الأولى : بضم الحاء وسكون الكاف ، من الحكم . والثانية بكسر الحاء وسكون الكاف : من الحكمة .

٦ ـ مسألة : أنظر ـ وفقك الله ـ من أردته ، لن تصل إليه إلاّ به .

ومن أراد أن يصل إليك [لم يصل] إلاّ بك ، فانظر الباعث الداعي لنزولك عليه ، أو نزوله عليك : هو معدن الحكمة الموجبة : عين المناسبة بينك وبينه .

وانظر : هل يصح هذا في الحضرة الذاتية : تجد ذلك محالاً .

٧ ـ مسألة : الإفتقار : موجب النزول بلا شك ولا ريب ، والإفتقار على الذات محال ، فالنزولُ محال(١) ، ولْنغض العين عن بسط هذا المدرك ، فإنه بحر مهلك .

وإن كانت سواحله بادية ، لكن موجه عظيم ، ودوابه مؤذية [وسفينته](*) ولا يقع فيه الاقالة .

لكن الغريق فيه : ناج سعيد ، والناظر إليه [من سيفه : المنشق عليه من هوله : ناج محروم](٢) ، وهم الأكثرون.

فالمؤمنون : كثر، وعاملوا الصالحات قليلون .

هذا ـ وفقكم الله ـ وقد ذكرنا طرفاً مما تستحقه الذات والحكم الإلهي ، وفرقنا بينهما بالوجوه التي تقتضيه كل حضرة منها .

٨ ـ مسألة : المتوجه على إيجاد كل ما سوىٰ الله تعالى : إنما هي الإلهية ، وأحكامها ونسبها(٣) واضافاتها : المعبر عنها بالأسماء والصفات ، وهي التي استدعت الآثار ووجود كل ما سواها .

إذ : قاهر بلا مقهور ، وقادر بلا مقدور ، وراحم بلا مرحوم ، وخالق بلا مخلوق ، إلى جميع الأسماء الإضافية : لا يصح ، بل لأنه منه صلاحية من حيث الإمكان مقهور .

---

(١) أي النزول المعروف لنا ، لأنه بحركة وجسم وإلى جهة ، والله تبارك وتعالىٰ : يتعالى عن هذه الصفات لأنها صفات المخلوقين .

(*) هكذا هي .

(٢) هي هكذا في المخطوطة ، والمعنى : مع أن السيف قائم على رأسه لكنه ينظر إلى ذي الجلال والإكرام ، فهو ناج إلاّ أنه محروم من الإمدادات الإلهية مع الحفظ ـ والله تعالىٰ أعلم ـ وقد فسر كلامه بعد (رحمه الله تعالىٰ) .

(٣) «نسبها» بكسر النون وفتح السين .

فالقاهر بالصلاحية .

فهو حكم الألوهية بالصلاحية لا بالفعل .

وأن يتصور البينية بين الحق والموجود الأول ، فمتى يتصور وجود الأجسام وما تحمله من المعاني : بينها وبينها ، لا بين الحق وبينها ، لوجوه قد ذكرها الناس ، لا يحتاج إلى ذكرها ، لتداولها بين أهل هذا الشأن[1] والوصف الخاص والعام لجميع الموجودات كونها قادرة ، وتعلق القادر بالمقدور : لا يعلم البتة : كشفاً ولا بالدلائل : إذ القدرة الحادثة عند مثبتها ، ممن سلم نظره في إثباتها ، لا أثر لها ، فلا تعلق لها ، فمن أين له معرفة التعلق ؟ .

وكذلك الكشف .

وما عدا هذا الوصف الخاص ، الذي به وقع الإمتنان ـ عند المحققين منّا ـ بين الخلق والحقّ ، فمدرك بالدليل وبالكشف .

٩ ـ مسألة : فأول موجود ظهر : [مفيد. فقير] موجود يسمى «العقل» ويسمى : «الروح الكلي» ، ويسمى «القلم» ، ويسمى : «العدل» ، ويسمى «العرش» ، ويسمى «الحق المخلوق به» ، ويسمى «الحقيقة المحمدية» ، ويسمى «روح الأرواح» ، ويسمى «الإمام المبين» ، ويسمى : «كل شيء» .

وله أسماء كثيرة باعتبار ما فيه من الوجوه .

وهو على نصف [الصورة المعلومة][2] عندنا : سمعاً وكشفاً في وجه آخر : على حسب ما يقع تجليه ، لأن العالم كله على الصورة ، والإنسان من العالم على صورة العالم ، فهو على الصورة ، والروحانيات : أقوى على الكمال من عالم الأجسام ، لاستعدادهم الأكمل .

ولهذا يرغب البشر في تحصيل القوة الروحانية في الطبع ، فمنهم من وصل فكمل ، ومنهم من لم يصل لموانع عرضيّة وأصليّة في هذه الدار .

وأما في الدار الآخرة ، فالكل يصل إليها ، ويقع الامتياز بينهم بأمور أُخر : ترجع إلى الصورة التي يدخلون فيها .

---

(١) وهم ما يعبر عنهم بـ «المتكلمون» .

(٢) في المخطوطة «الصورة والمعلومة» .

فلمـا أوجد هـذا الموجـود الأول : ظهر لـه من الوجـوه إلى الحضـرة الإلهيـة ثلاثمائة وستون وجهاً .

فـأفاض الحق تعـالىٰ عليه من علمـه على قدر مـا أوجده عليـه من الاستعداد للقبول .

فكـان قبـولـه : ستـة وأربعين ألف ألف نـوع ، وستمـائـة ألف نـوع ، وستـة وخمسين ألف نوع .

فـظهرت لهـذا العقل أحكـام بعدهـا لا غير ، ونشـر منهـا في كـل عـالم بمـا يستحق : [نشر إضافة ، لا نشر اختيار] فإن وجوهه مصـروفة إلى مـوجده ، والعـالم يستمدون من ذاته بحسب قـواهم ، كقبول عـالم الأكوان لنـور الشمس من غير إرادة للشمس في ذلك ، وهو الفرق بين الفيض الذاتي والفيض الإرادي .

وذلك راجع لنفس المفيض .

ألا ترون إلى فيض العالم[1] كلامه على الأسمـاع : إرادي ، لأن له الإمسـاك عنه .

فإذا ظهر عين الكلام في الوجود ففيضه على الأسماع : ذاتي لا إرادي .

فتحقق هذا ، فهو هنا كذلك .

فالجميع بين الفيضتين هكذا يكون .

فلاحظت طائفة فيض المفاض ، فقالت بالفيض الذاتي .

ولاحظت طائفة فيض المفيض ، فقالت بالفيض الإرادي .

فكل واحد يخطىء صاحبه ، والإلهيّة تصوب قول كل طائفة[2] .

ولمـا ظهـر هـذا الحق المخلوق بـه السمـاوات والأرض ، الـذي هـو لـوح الألـوهية وقلمهـا الأعلىٰ باليمين الأقـدس الجـاري بـالكـائنـات ، رأس عـالم الأمر الرباني المخصـوص بإضـافة الشـريف الفياض ، الـذي لا يقبل حقيقـة الاختيارات والأعراض ، قابل التحولات ، لكنه لا يقبل الأعـراض : ليس بمادة ، ولا يقبلهـا ،

---

(١) بكسر اللام .

(٢) سيشرح هذه الكلمة بعد قليل .

صدرت عنه شريفة لـطيفة أودعهـا بضرب من الإقبـال أرواحاً تنـاسبها في اللطافـة ، فكان الملأ الأعلىٰ : عالم الأمر والتسخيـر ، ولكن بعد إيجـاد النفس وتوجهها عليه بضرب من الإلتحام الإلهي ، والإقبال الرباني .

١٠ ـ **مسألة** : [وأما قبول هذا العقل][1] مـا لا يتناهى من العلوم قبـول ذاتنا : ظهـر بصورة الغنى ، فـأنحجب عما يجب عليـه [من][2] الإفتقار للحضـرة الإلهية ، فـإن الغنى لا يدخلهـا للذات التي تقتضي ذلك ، ولحكم الغيـرة ، فاشتغـل بالنفس اشتغال تعشق ملكي ، وسلطنته عظمى ، ومملكته كبرى .

ولهذا العقل فيض ذاتي ، وفيض إرادي .

كماله : قبول ذاتي : وقبول إرادي .

وهكذا الكل موجود ، وما من موجـود من الموجـودات كلها عن سبب إلاّ ولـه وجهان :

وجـه يقابـل سبباً ويـأخذ عنـه ، ويظهـر لسببه عـزة في إفتقـاره إليـه من ذلـك الوجه .

ووجـه آخر : يقابل به بارءه عزّ وجلّ .

فتارة ترد عليه بالأحكـام الإلهية من طـريق سببه ، وعلى يـديه ، وتـارة يدعـوه من الوجه الخاص[3] .

فـإذا دعاه من الـوجه الخـاص به : لم يبق لسبب عليـه سلطان ، ولا يعـرف أين ذهب ، فيحكم عليـه الـذل والإفتقـار إلى الله تعـالى ، فيكـون لـه التجلي ، فقبض النفس الله سبحانه وتعالىٰ ، ودعاها من الوجه الخاص .

ففقـدهـا العقـل من حيث الفيض الإرادي ، ولا يقبـل الفيض الإرادي إلاّ القبـول الإرادي ، فرجـع العقل فقيـراً إلى موجـده ، فوجـد الباب قـد غلق دونه من حيث الاسـم الخـاص به ، فـوجد الاسم «القـدوس» قدحكمـه الحق عليه ، فـدخل تحت سلطانه حتى أظهر أثره فيه ، فلمـا حلاه عنـد ذلك : خـدم ودخل بعـد بساط الحضرة ، وافتقر .

---

(١) المخطوطة «وأما قبول هذا العدل» .

(٢) ليست في المخطوطة ولا بد منها .

(٣) وهذا شرح قوله سابقاً «والإلهية تصوب قول كل طائفة» والله تعالىٰ أعلم .

وهذا كــان المراد .

ولما كان لكـل موجـود ـ مما سـوى الحق تعالىٰ ـ وجه إليـه سبحانـه : صح له أن يتصف بالفقـر إذا صرف وجهـه إليه بـالمعنىٰ ، إذا صرف وجهـه إلى الكون ، وهو متحقق لوجه الحق منه .

ومتى غفل عن التحقق بذلك الوجه ، وشهود ذلك الغير لم يكن للمعنى إليه طريق ، وكان فقيراً محضاً .

١١ ـ **مسألة** : ومن ذلـك الـوجـه الخفي : ظهـرت الأثـار عن المـوجـودات بأسرها : علوها وسفلها ، بسيطها ومركبها ، حيوانها ونباتها ومعدنها .

ثم اختلفت أنواع التأثيرات ، فمنها أثر يقترن به عن بر ، ونية .

ومنهـا أثر تعـطيه ذات المؤثـر ، لا يقترن مـع إرادة ، كتأثيـر الأدويـة المسهلة والقابضة ، وشبه ذلك .

ومنها ما يكون أثره حسياً ونفسياً .

ومنها آثار تكون في النفس ، لقيام أثـر آخر مـوجود فيهـا ، كشخص أبصر في مـدرجته[1] دينـاراً ، فأعلم[2] أن للدينـار أثراً في نفسـه ، فـإن تقـوى ذلـك الأثـر : حركت النفس الجسم لأخذه ، فالحركة الأصلية للدينار ، والبواعث لذلك تتنوع .

فباعث الطبع في ذلك لنفاسة جوهرية الدينار ، وخاصية الذهب .

وباعث العامة للحاجة إليه ، من غير تأمل إلى الجوهر .

وبـاعث الصادقين من الـزهـاد الـورعين ، لمـا عليـه من اسم الله . وبـواعث المحققين : لهذه كلها وزيادة .

ولمـا كانت هـذه البواعث : محلهـا النفـس : كانت النفس في هـذا الأمر هي المؤثـرة في ذاتها ، لكن ، لا يـظهر فيهـا مثل هـذه الآثار إلاّ بـوجـود هـذه الأعيـان الخارجة .

١٢ ـ **مسألة** : وهذا الوجه الذي ذكرناه : لا يكون أثراً للألوهيـة ، لأنه بـذلك

---

(١) المدرجة : الطريق .

(٢) بضم الهمزة وسكون العين .

الـوجه ظهـرت هذه الآثـار عن الأكوان كلهـا في الأكوان ـ **﴿وقضىٰ ربـك ألا تعبدوا إلاّ إياه﴾**(١) قضاء صحيحاً **﴿وإلهكم آله واحـد﴾**(٢) ، فلولا هذا السـريان الـدقيق ، والحجاب : العجيب الرقيق ، والسر الأخفىٰ : ما عبـدت الألوهيـة في الملائكـة(٣) والكواكب والأفلاك والأركان والحيوانـات والنبات والأحجـار والأناسي ، إذ الألـوهية هي المعبـودة من الموجـودات ، فأخـطئوا في الاضـافة من وجـه لا غيـر(٤) ، ولكن كـان في ذلك الـوجه سعـادة ، والحق تحقق ذلك الـوجه ، ووقـع الخـطأ من جهـة العقل ، لا من جهة الحكم ، فـإن النظر الإلهي : كـان تمكنه من هؤلاء المعبـودين أكثـر من غيره ، فـربط الآثار بهم ، فـظهرت عنـدهـم **﴿ليضل من يشـاء ويهـدي من يشاء﴾** .

وربما رفعت طائفة عن مدرج(٥) نسبـة الألوهيـة لهم مطلقـاً ، ولحظت الـوجه الخفي ، فقالت : **﴿مـا نعبـدهم إلاّ ليقـربـونـا إلى الله زلفى﴾** فـاتخـذوهـم حجبـة ووزراء ، نعـوذ بالله ، ولكن هي أشبـه من الأولى ، ولو رأت هـذه الـطائفـة : هـذا الوجه من أنفسـها : ما عبدت ألوهية في كون خارج عنها ، بل كانت تعبد نفسها .

ولكن أيضاً لتحققها بها ، ووقوفهـا مع عجـزها ، وقصـورها وإيـلافها(٦) : لم يتمكن لها ذلك ، ولو لاح لها ما ذكرناه ما اختصت بعبودية ألوهية في كون بعينه .

ومحصـــول مـا قلنـــاه : أن الألـوهيـــة هي المعبـودة على الإطــلاق ، لا الأكوان .

ولهـذا قال تعـالى : **﴿وإلهكم آله واحـد﴾**(٧) . **﴿وقضىٰ ربك ألاّ تعبـدوا إلاّ إياه﴾**(٨) وقضاؤه غير مردود .

ومن وقف على هـذه الوجـوه الإلهيـة من الأكـوان ، فـلا يصـح تعبيـده كـون أصلاً .

---

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ٢٣ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١٦٣ .

(٣) لأن قوماً عبدوا الملائكة واتخذوهم آلهة للبواعث النفسية التي ذكرها آنفاً .

(٤) فانهم عبدوا إلهاً ، تألهوه هم وأخطئوا الإله الحق تبارك وتعالىٰ .

(٥) المدرج : بفتح الميم وسكون الدال وفتح الراء : الطريق

(٦) لأنها ألفت ذلك .

(٧) هذا للمؤمنين ، وأما المشركون ، فعلىٰ الضد : يعبدون آلهة كثيرة .

(٨) والخطاب هنا أيضاً موجه للمؤمنين .

ومن لم يعرفها ولا شاهدها : تعبده وجه الحق في الكون ، لا الكون .

وبهذا القدر يعاقب ويطلق عليه اسم الشرك[١] .

١٣ ـ مسألة : واعلم أنه ما من معبود إلاّ ويتبرأ من الذي يعبده هنا ، من حيث لا يسمع العابد إلاّ بخرق العوائد ، وفي الدار الآخرة : على الكشف ، قال تعالى : ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا﴾[٢] وتبرؤهم منهم : أن يقولوا : ما عبدوا غيرك ، فلم نكن بمعبودين لهم : خوفاً من العقوبة ، ولكنه أضافوا[٣] ، فيقال لهم : صدقتم ، لكنهم عبدونا فيكم على غير بصيرة صحيحة ، وإن أقتضت الحقائق ، فأخذناهم بالعمى ﴿ومن كان في هذه أعمىٰ فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾[٤] فهم مصروفون في الدنيا والآخرة عن هذا القدر من العلم .

ثم إن أخذ الحق تعالى لهم : من باب مظالم العباد ، لافترائهم على المخلوقين بنسبة الألوهية لهم[٥] ، فكان أخذه : عدلاً : إقامة لحق الغير ، وعقوبة للجاهل ، حيث لم يستبصر واتبع هواه ، فإن الله قد ندبنا إلى العفو فيما يرجع إلينا من الحقوق ، وألا نعفوا فيما يرجع إلى حقه[٦] وهو أولىٰ بهذه الصفة[٧] ، فلذلك كان الشرك من مظالم العباد ، لا من حقه الذي يرجع إليه .

والمعبودون : منهم سعيد[٨] ومنهم شقي .

---

(١) هكذا هي في المخطوطة ، ولعلها «المشرك» .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١٦٦ .

(٣) الإضافة هنا : بمعنى أنهم قرنوا مع الله شريكاً . كما كانت العرب تقول في طوافها حول الكعبة «الا شريكاً هو لك : تملكه وما ملك» فهم في زعمهم ـ يعبدون الله تعالىٰ ، ولكنهم أخطأوا في العبادة ، فاتخذوا شريكاً يقربهم إليه ، كما قالوا ﴿ليقربونا إلى الله زلفىٰ﴾ فهم ما أنكروا الألوهية ، وإنما ضلوا الطريق الصحيح إليها ـ والله تعالى أعلم .

(٤) سورة الإسراء ؛ الآية : ٧٢ .

(٥) كما نسبوها للعزيز ، وعيسى (عليهما الصلاة والسلام) .

(٦) يقصد الشيخ (رحمه الله تعالىٰ) أن الله سبحانه وتعالىٰ طلب منا أن يعفوا بعضنا عن بعض قبل القصاص في الآخرة ، فلا يحارب بعضنا بعضاً ، بل نغفر ونتسامح ، وأما مع المشرك الذي أشرك مع الله إلهاً آخر ، فلا .

(٣) أي ألا يغفر لهم .

(٨) السعيد كالملائكة ، وعيسى ، والعزيز : (عليهم الصلاة والسلام) والشقي كالفراعنة . ومن جعل نفسه إلهاً .

فالسعيد ناج ، والمثال الذي اتخذوه معبوداً على صورته[1] : يدخل معهم النار ، ولولا قوله : ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾[2] لكان في قضية ما مقال في زوال الآثار الإلهيّة عمن عبد في الآخرة ، فإنهم ما عبدوا إلاّ الفاعل المؤثر .

وهنا بحور طوامس[3] .

١٤ ـ **مسألة** : فإن الألوهيّة تقتضي : أن يكون في العالم ذو بلاء وعافية ، وإلاّ فليس(*) المنتقم منه من الوجود ، بأولى من ضده .

ولو نفي من الأسماء(**) اسم لا حكم له ولا أثر : لكان ما يقتضي له الحكم معطلاً .

وهذا محال .

فالممكنات كلها : على موازنة الأسماء المؤثرة الإلهيّة ، وما عدى هذه الأسماء المؤثرة من أسماء الذات ، فليس بأيدينا منها شيء ، إلاّ ما يرجع إلى السلوب والنعوت ، وبعض أسماء الكمال ، كالبصر ، والسمع ، فلا تعلق لهما بالممكنات من حيث الأثر[4] ، فاعلم ذلك .

١٥ ـ **مسألة** : عجبت من طائفة تعدت طورها ، وتجاوزت حدها ، فجعلت نفسها أعرف بالله من الله بنفسه ، فقالت : أعوذ بالله من التشبيه .

وقالت أخرى : أعوذ بالله من تنزيه يؤدّي إلى تعطيل .

ووقفت المتعوذة من التشبيه .

---

(١) لأنهم اتخذوا للملائكة صوراً ولسيّدنا عيسى من الأحجار وغيرها ، فالصور التي صنعوها من الأحجار : تدخل معهم النار ، ولكن ، لا للتعذيب ، وإنما لكيهم ، وتعذيبهم هم بها .

(٢) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٢٣ .

(٣) تطمس من دخلها : فلا يظهر له أثر .

(*) هنا كلمة لا تقرأ .

(**) في المخطوطة «من السماء» .

(٤) يعني أن السمع والبصر لا يؤثران في المخلوقات ـ وإنما تعلقهما تعلق إحاطة ـ والمؤثر من ناحية الإيجاد والإعدام ، والرزق ، والتقدير ، وغير ذلك هو : القدرة ، لا السمع والبصر ، والله تعالى أعلم .

فلو وفت العلم حقه لتعوذت من تنزيه العبد نفسه : تعوذها من التشبيه : [و][1] سلمت قول القائل :

ظهرت لمن أبقيت بعد فنائه   فكان بلا كون ، لأنك كنته

وسلّمت قول الآخر : «سبحاني» و «أنا الله» وأمثال ذلك[2] .

هذا وإن كانت طائفة قد كفرت القائلين هذه الألفاظ ، وطائفة تأولت لهم ذلك ، كما تأولت أخبار التشبيه ، فكل منا مع من تأول أخبار التشبيه ، وما تأول هذه الألفاظ ، فإنّها تعوذت من التشبيه ، ثم نزهت ، وصرفت الأخبار عما تعطيه ظواهرها ولم تتعوذ من التنزيه في حق الخلق .

وحينئذٍ : كانت تثبت ما يليق بالحديث ، بصرف ما قالوه بما يليق بالحق عندهم ، إلى ما يناسب الكون ، إذ الألفاظ قابلات لصور المعاني ، فتقبل المعنى والاثنين فصاعداً .

وتلك الألفاظ المشتركة ، وليس التنزيه في هذه المسألة بأولى من التشبيه .

عميت البصائر عن إدراك غوامض الأسرار ، وما تعطيه الألوهية .

ثم إن العجب كل العجب من هذه الطائفة : هربت من التشبيه إلى التشبيه ، وجعلت ذلك تنزيها ، فضحك العقلاء لجهلهم فيما أتوا به ، فأنهم ما عدلوا من التشبيه إلاّ إلى ما في نفوسهم من المعاني المحدثة ، فانتقلوا من ظواهرهم إلى معانيهم المحدثة القائمة بهم ، فهربوا من التشبيه بهم إلى التشبيه بهم ، وسموا هذا العدول : تنزيهاً ، فنفوسهم نزهوا ، أن حملوها على المعاني الإلهية .

والحق شبهوا : أن حملوه على المعاني النفسية ، وما لهم قدم يجول في غير هذا .

فلو رجعوا إلى محل التحقيق إذ حرموا الكشف ، وقالوا : الحق سبحانه أثبت لنفسه هذه الأحكام في كتبه وعلى ألسنة رسله وسفرائه ، والذات مجهولة عند الخلق كلهم - أي لا تعلم - وهذه أحكام الذات عندنا . والجهل بالحكم

---

(١) ليست في المخطوطة .

(٢) لأن هؤلاء : نطقوا بهذه الألفاظ في حال غيبة : حتى عن أنفسهم .

أقرب من الجهل بالذات ، إذ لا يعرف نسبة هذا الحكم لهذه الذات المحكوم عليها به ، حتى تعرف هي في نفسها ، ولا معرفة بها ، فلا معرفة بنسبة الأحكام لها ، فكانوا لا يشبهون ولا يعينون حكم تنزيه بعينه ، بل يسلموا علم ذلك لمن وصف بها نفسه ، وهو الله تعالى .

وقد روىٰ عن بعض السلف[1] أنه سئل عن معنى الاستواء على العرش ، فقال : «الاستواء معلوم ، والكيفية مجهولة ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة» .

فنحن - ومن جرى على طريقتنا من أهل العلم الذوقي المشهود - لانسلك هذا المسلك البتة[2] ، فإن الذات تشهد ولا تعقل ولا تزال الهوية منصحبة معها ، ولذلك قال العارف «لا هو إلّا هو» فأثبت الهوية بنفسها .

ولكن سلكنا مسلكاً آخر تحتمله الألوهية لا الذات ، وتعطيه حقيقة هذا الحكم .

فهذه الأحكام كلها لها .

وهي صحيحة في نفسها .

وهكذا يقع الشهود فيها لمشاهد ، وستصل : فترى .

وقد صح في ما خرجه مسلم في صحيحه من إقرار كل طائفة [في ذلك الدراية][3] .

فلا بد من تجليها في صور اعتقاداتهم ، وذلك راجع إلى المدرِك[4] ، لا إلى المدرَك[5] فإن الحقائق لا تتبدل .

وهذا نقص لمن يخرج عن طريقتنا ، في أي حضرة تقع مشاهدة الألوهية .

---

(١) هو الإمام مالك (رضي الله تعالى عنه) .

(٢) يعني مسلك هؤلاء الذين تكلم عنهم آنفاً ، الذين قال عنهم «والعجب كل العجب» الخ ، لا مسلك الإمام مالك ، فقد قال أهل النحو : «الضمير يعود إلى أقرب مذكور ، ما لم يرد صارف» .

والصارف هنا : أنه هو يناقشهم هم في قضيتهم تلك .

وإنما كان كلام الإمام مالك معارضاً لهم فقط ، لا مناقشاً ، والله تعالى أعلم .

(٣) هكذا هي في المخطوطة ولعلها «في تلك الدار به» .

(٤) بكسر الراء .

(٥) بفتح الراء .

ولـذلك سمى عـالم التمثل والتبـدل : «بـرزخـاً» لكـونـه وسـطانيـاً : حقـائق جسمانية ، وحقائق غير جسمانية ، فتعطىٰ هذه الحضرة المتوسطة هذه التجليات : تربط بها المعاني بالصورة ربطاً محققاً ، لا ينفك .

وقد أشار إلى هذا المقام بعض العارفين في حكاية أذكرهـا باسنـاد متصل إلى السرى .

قـال الجنيد : قـال السـرى : سمعت عليهـا الأسـود يقـول : «من أقبـل على الأشياء وهو يراها : ذهبت عنه ، ومن تركها أتته» .

قلت له : كيف ذلك يا سرى ؟

قال : كان يذكر أنه يكتسب ويجتهد ، فلا يقوم بكفاية معيشته .

قـال : فقرأت هـذه الآية ﴿قـل أرأيتم ان أخـذ الله سمعكم وأبصـاركم وختم على قلوبكم﴾[١] ، فتركت الكسب : متوكلا على الله بالكفـاية ، فلو ضـربت بيدي إلى هـذه الاسطوانـة لصارت ذهبـاً ، وضـرب يـده على الاسـطوانـة فـإذا هي تلوح ذهباً .

ثم قال : يا سرى : الأعيان لا تنقلب ، ولكنك هكذا تراه بحقيقتك بربك .

فانظر في قوله «هكذا تراه» يعني الحق .

وهكـذا تراه : «يعني المـرئى» أي الرؤيـة عائـدة على الرائي ، يعني الصـورة المشهودة للرائي .

ومن هـذا أيضاً زلت أقـدام طائفـة عن مجرى التحقيق ، فقـالـوا : مـا ثم إلاَّ من ترىٰ : فجعلت العالم هو الله ، والله هو نفس العالم ، ليس أمراً آخر[٢] .

وسببه : هذا المشهد ، لكونهم ما تحققوا به تحقق أهله .

فلو تحققـوا به : مـا قالـوا بذلـك ، وأثبتـوا كـل حقيقـة في مـوطنهـا : علمـاً وكشفاً .

---

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ٤٦ .

(٢) وهم القائلون بوحدة الوجود من اليهود والنصارى ومن لف لفهم . ومن هذه الكلمة تعرف أنه لا يقول بوحدة الوجود كما أدعى قوم وافتروا عليه .

فأترك تأويل الأخبار الواردة بالتشبيه لمن وصف بها نفسه ، إذا لم تكن من أهل هذا الكشف[1] والتحقيق ، ولا تحمله عليك أصلاً . فإنك تبطل أصلك حيث تعتقد نفس التشبيه ، وما زلت[2] منه ، ولكن تركت التشبيه بالمخلوق المركب ، وأثبته بالمخلوق المعقول ، وأني للممكن أن يجتمع مع الواجب بالذات[3] في حكم أبداً .

١٦ ـ مسألة : المدرِك[4] ، والمدرَك[5] كلاهما على ضربين : مدرك بعلم وله قوة التخيل ، فيمسك صور المرئيات .

ومدرك بعلم فقط ، وليس له قوة التخيل ، إذ ليس جسماً ولا في جسم .

والمدرَك[6] على ضربين : مدرك مقيد بصورة ، فهذا يتخيله من له قوة التخيل ، ويعلمه من ليس له قوة التخيل فلا يقوم به منه صورة ، لأن حقيقة تأبى ذلك .

ومدرك لا يمكن أن يتخيل ، لأنه لا صورة له ، ولكن يعلم فقط .

وكل مفطور على العلم الذي يعطي كسب العلوم : على ضربين :

ضرب ظهرت حياته للحس بالعادة ، فيتخيل ولا يكسب علماً من طريق فكر .

وضرب : بطنت حياته عن الحس بالعادة ، فلا يتخيل البتة ، وما في الوجود سوى ما ذكرناه .

فالوجود كله : حي ناطق بتعظيم الحق سبحانه ، لكن يختلف نطقهم باختلاف حقائقهم .

قال الله تعالى : ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن﴾[7] ،

---

(١) المقصود بالكشف هنا : كشف محجبات الحقائق ، لا كشف الصوفية المعروف والله تعالىٰ أعلم .

(٢) بضم الزاي وسكون اللام .

(٣) سبحانه وتعالىٰ .

(٤) بكسر الراء .

(٥) بفتح الراء .

(٦) بفتح الراء .

(٧) سورة الإسراء ، الآية : ٤٤ .

فقوله : ﴿ومن فيهن﴾ ردّ على من يقول بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، كأنه يقول : أهل السموات السبع وأهل الأرض ، فنفى هذا الإحتمال بقوله : ﴿ومن فيهن﴾ إذ قد ورد مثل ذلك في قوله : ﴿وأسأل القرية التي كنا فيها والعير﴾[1] وليس هذا كذلك .

وقوله (ع) في أُحد : «هذا جبل يحبنا ونحبه»[2] .

وقوله : «يشهد للمؤذن : مد صوته ، من رطب ويابس»[3] . وقوله : «ما من دابة إلّا هي مصيخة يوم الجمعة شفقاً من الساعة»[4] .

وهذه أُمور كلها تقتضي العلم ، وهو مشروط بالحياة ، لكن ـ كما قلنا ـ بما ظهر منا للحس وما لم يظهر ، فما لم يظهر بالعادة : ظهر بخرق العادة للنبي والولي .

فالكل : حي ناطق بتسبيح الله وحمده ﴿لكن لا تفقهون﴾ أي لا تعلمون تسبيحهم ﴿إنه كان حليماً﴾ بإهمال من تأول هذا القول ، وصرفه إلى غير وجهه ، ولم يأخذ به ﴿غفوراً﴾ بستره :

نطق هذه الاحناف من الإدراك السمعي .

١٧ ـ مسألة : العلم ليس تصور المعلوم ، ولا هو المعنى الذي يتصور

---

(١) سور يوسف ؛ الآية : ٨٢ .

(٢) رواه البخاري عن سهل بن سعد ، والترمذي عن أنس ، وأحمد والطبراني والضياء المقدسي : عن سويد بن عامر . والطبراني في الأوسط عن أنس وعن أبي عبس بن جبير .

(٣) قال رسول الله (ص) : «المؤذن يغفر له : مد صوته ، ويشهد له كل رطب ويابس ، وشاهد الصلاة يكتب له خمس وعشرون صلاة ، ويكفر عنه ما بينهما» رواه عبد الرزاق ، والإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، وابن حبان ، وأبو الشيخ في «الأذان» والبيهقي في شعب الإيمان .

(٤) قال (ص) : «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة : فيه خلق آدم ، وفيه أهبط ، وفيه تيب عليه ، وفيه قبض ، وفيه تقوم الساعة : ما على الأرض من دابة إلّا وهي تصبح يوم الجمعة مصيخة حتى تطلع الشمس : شفقاً من الساعة ، إلّا الجن والإنس ، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مؤمن وهو في الصلاة يسأل الله شيئاً إلّا أعطاه إيّاه» .

رواه مالك ، والإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن حبان ، والبغوي ، والباوردي ، وابن نافع ، والحاكم .

المعلوم ، فإن ما كل معلوم يتصور ، ولا كل عالم يتصور ، فإن العالم إذا تصور الأشياء التي من حقيقتها أن تتصور ، فليس يتصورها من كونه عالماً فقط ، بل من كونه متخيلاً ، وفي قوة المتصور ، فمن ليست له هذه القوة : لا يتصور ما يمكن أن يتصور ، فليس بتصورها ، ولكن يدرك .

ولا كل معلوم يتصور ، فإنه من حقيقة : أن يقبل الصورة ، فلا يتصور ، ولكن يعلم ، فالعلم ليس التصور على هذه ، وهو الصحيح .

١٨ ـ **مسألة** : ليس للمخلوق قدرة أصلاً ـ عندنا وعند المحققين منّا ـ إذ لا فاعل إلاَّ الله تعالىٰ ، خالق الأفعال الظاهرة في العين على أيدي الخلق وغيرها .

وذلك أنه ما أستدللنا على أن كون الباري قادراً إلاَّ بوجود الأثر عن هذا الحكم .

ولم يوجد أثر لمخلوق عقلاً .

فمن أين تثبت القدرة الحادثة مع انتفاء الأثر حقيقة .

١٩ ـ **مسألة** : لا حاجة لنا في إقامة الدليل على إثبات الوحدانية ، فإن المشاهد تمنع الجدال في الله ، وفي وحدانيته .

ولكن قد يُقال للمشرك : نحن وإيّاك مجمعون على واحد ، وأنت زدت عليه[1] ، فما الدليل على إثبات الزائد ؟ .

فهو يتكلف طلب الدليل لا نحن .

٢٠ ـ **مسألة** : كون الباري حياً ، قادراً ، عالماً ، إلى غير ذلك من أوصاف الكمال عندنا : أحكام للذات ، أضيفت ، وسلوب صحيحة ، وصف بها ، لا ترجع إلى أعيان زائدة على الذات ، [لأنه كامل الذات] فمحال : كماله بالزائد ، فإن فيه نقص الذات ، فلها تعلقات متعددة ، تتبع المتعلقات : حكماً فهي عالمة بكذا ، وقادرة لكذا ، ومريدة لكذا ، وهكذا جميع ما ينسب إليها من أحكام الصفات .

٢١ ـ **مسألة** : الصفات الذاتية للموصوفين ، هي عينها ، فهي مقدورة ، فإنّ

(١) لأن المشرك : لم ينف وجود الله ، وإنما جعل له شريكاً : سبحانه وتعالى عن الشريك والمثيل .

كانت أحكاماً تابعة للموصوف ، لا عين الموصوف ولا غير الموصوف ، ولا معدومة ولا موجودة لكن معلومة ، فليست بمقدورة ، كالتحيز للجوهر ، وقبوله للأعراض ، والتأليف للجسم ، والطول ، والعرض ، والعمق له ، ومثل ذلك .

٢٢ ـ **مسألة** : الأعيان من حيث الجوهرية : لا تنعدم بعد وجودها أبداً .

والصور والأشكال والمقادير ، والأكوان والألوان : أعراض في عين الجوهر ، وهي التي تخلع على الجوهر على الدوام .

ولهذا لا تزال فقيرة على الدوام .

والباري : خلق على الدوام ، فالكون من حيث الجوهر : لا يفنى ولا يتبدل من حيث الصورة ، كما ذكرناه .

٢٣ ـ **مسألة** : ليس العالم مع الباري في وجوده ، ولا بينهما بون يقدر ، بل هو [إرتباط ممكن بواجب][(١)] ومخلوق بخالق[(٢)] ، فهو في الدرجة الثانية من الوجود ، والباري في الدرجة الأولى ، وليس بينهما رتبة .

مثاله ـ ولله المثل الأعلى ـ الحيزان المتجاوران للجوهرين : ليس واحد منهما في درجة الآخر ، ولا بينهما حيز .

فيمكن بهذه النسبة أن يكون الأوساط على التقريب ، إذا العبارة لا تسع أكثر من هذا في هذه المسألة .

وهذا مذهب ثابت : لاح بين القدماء ، والأشاعرة .

فانتفى القدم عن العالم في هذا المذهب ، ولا يقول به القدماء .

وانتفى التقدير الوهمي الذي يقدره الأشاعرة بين الحق والخلق .

وثبت الحدوث والافتقار .

وثبت وجود الباري .

(١ ، ٢) «إرتباط» مضاف ، و «ممكن» مضاف إليه ، أو كما نقول : إرتباط مخلوق بخالق : لا بد أن يكون بينهما إرتباط دائم ، فإن المخلوق محتاج إلى الخالق دائماً في كل تصرفاته : صغيرها وكبيرها .

والممكن هو المخلوق . والواجب هو الخالق . والله تعالى أعلم .

٢٤ ـ مسألة : العرض يتقدم لنفسه في الزمان الثاني من زمان وجوده ، فكان الحق خالقاً على الدوام .

وصح الإفتقار من الجوهر على الدوام ، ولو بقي العرض لارتفع هذان الحكمان .

فارتفاعهما محال .

فبقاء العرض زمانين محال .

وهذا من باب الحقيقة الكشفية ، والسياق النظري[١] : أن الفاعل لا يفعل العدم ، والضد لا يعدمه ، لأنه لا يجتمع معه ، ولأن الضد معدوم : إنعدام الشرط لا يعدمه ، لأن الكلام فيه كالكلام في العرض الذي أنعدم .

فلهذا قلنا : ينعدم لنفسه ، ويستحيل بقاؤه .

٢٥ ـ مسألة : الحق تعالى : يشهد من كل وجه ويرى ، إلاّ من وجه الفعل[٢] لرفع المناسبة ، لأنه خاص بالذات ، ليس فيها منه شيء ، بخلاف : العلم ، والإرادة ، وغير ذلك من الأسماء ، لأن حقيقة المشاهدة[٣] من حيث نحن ، لا من حيث هو .

٢٦ ـ مسألة : لا يمكن ـ عندنا ـ معرفة حال من أحوال ما تقتضيه ذات ما [لا يعد معرفة تلك الذات] حتى تعرف كيف ينسب إليها ذلك الحكم .

وذات الحق تعالى : لا تعلم عندنا ، فالأحكام التي تنسب إليها : لا يعلم وجه النسبة إليها أصلاً ، كالمعية ، والإستواء ، والنزول ، والضحك ، والتبشبش ، واليد ، والعين ، وكل ما حكم على نفسه به[٤] .

وعلى هذا المنوال حقيقة الإنسان وما ينسب إليها .

ولهذا قال (ع) : : «من عرف نفسه عرف ربه» .

---

(١) يعني : الحقيقة التي كشفناها لكم أيها الفلاسفة ، والنظريون .

(٢) فإنه لا يرى .

(٣) وقد قال في غير هذا الموضع ما معناه : أن الذي يشاهد ذا الجلال يوم القيامة إنما يشاهد الصورة المطبوعة في نفسه هو : أي الرائي .

(٤) وكل هذه الألفاظ وردت في القرآن والسنة .

والنفس بحر لا ساحل له ، فأحالنا في المعرفة علينا[1] ، فلما دخلنا بحر معرفتنا بنا غرقنا ، وما برحنا نقاسي أمواج بحره فكراً وكشفنا[2] إلى أن عرفنا أن : معرفتنا بنا : بحر لا ساحل له ينتهي إليه فينتقل إلى معرفة الربوبية[3] .

فبنا نتكلم ، وعلينا نحوم ، وما يبدوا لنا سوانا .

فنحن حجاب العزة الأحمى على الرب : يجل ويتعالىٰ أن يدركه خلقه على كنه ما يدرك نفسه .

بل المخلوق قاصر عن أدراك نفسه[4] ، فكيف له بالظفر بإدراك منشئه ، من حيث هو منشيء له .

فأحرىٰ ـ من حيث ذاته تعالى وتقدّس علواً كبيراً ـ لا يعرفه على حقه عارف ، ولا يصفه واصف .

٢٧ ـ مسألة : الدليل الواضح على إثبات إلّه واحد ، ونفي إلهين .

لم يدل دليل قط على نفي قدمين[5] فصاعداً ، ولا على إثبات ذلك ، بل على الجواز[6] إلّا أن يرد السمع[7] بإثبات ذلك أو ينفيه ، فلا إله إلّا هو : إله واحد سبحانه وتعالىٰ عما يشركون .

٢٨ ـ مسألة : القدم المنسوب إلى الباري تعالىٰ : سلب الأولية التي ثبوتها عن عدم[8] : لا الأولية الوجوديّة التي سمي بها نفسه في قوله ـ هو الأول .

---

(١) فإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يعرف نفسه المركبة في جسم ، ولها حيز ولون وهيئة وشكل ، فكيف يعرف الله تعالى ؟ .

(٢) في المخطوطة «سحه فكره وكشفاً» بدون نقط ، وهو تحريف .

(٣) فإذا كنت عاجزاً عن معرفة كنه نفسك ، فأنت عن معرفة كنه ربك أعجز .

(٤) في المخطوطة «بل الخلق قاصرة عن أدراك نفسه» وهو تحريف .

(٥) بكسر القاف وفتح الدال .

(٦) يقصد أنهم بنوا نظرياتهم على أنهم قالوا : يجوز .

(٧) يقصد أننا لسنا مطالبين بنرياتهم هذه ، وإنما نحن مطالبون بسماع القرآن والسنة وما ورد فيهما ، وهو الذي نقبله فقط ، فإذا ورد شيء في القرآن الكريم والسنة المطهرة قبلناه بلا مناقشة ، ومالاً ، فلا .

(٨) يعني أنه أوّل : لم يسبقه عدم ، لأن القدم الذي يسبقه عدم هو للمخلوق ، ومهما كان المخلوق قديماً في الزمن فهو محدث : أحدثه الله تبارك وتعالىٰ .

٢٩ ـ **مسألة** : البقاء استمرار الوجود لا غير ، لا عين صفة ، فتبقى ، فتحتاج إلى بقاء ، فالذي يبقى به البقاء : به يبقى الباقي المنعوت بكونه باقياً ، وهو ما ذكرناه ، فإن كان الباقي لا يتقيد ، فإستمرار وجوده لا غير .

٣٠ ـ **مسألة** : الكلام على حسب من ينسب إليه ، فليس ثم حد يجمعه ، فمعرفة نسبته إلى الباري موقوفة على معرفة ذاته ، كما قد قررناه .

وكذلك سائر ما نعت به وسمي .

٣١ ـ **مسألة** : وحدانية الكلام حقيقة ، فالتجلي من كونه متكلماً : واحد ، والمتجلي إليه مختلف ومتنوع : مقيد بالوقت والمكان ، وقد يتقيد بالإله ، فينقسم إلى الأوامر ، والنواهي ، والأخبار ، وغير ذلك من أقسام الكلام اللفظي ؛ الموقوف على الصيغ والعبارات .

٣٢ ـ **مسألة** : الأسماء للذات : أحكام ترجع إليه من المحدثات : ما علم منها وما لم يعلم ، مما يصحّ أن يعلم ، فثم اسم يدل على عين الذات لا يقاع تمييز السامع في العبارة يسمى : [مشتقاً][1] أو جامداً .

وهذا الاسم لولا نحن ما أطلق عليه ، وثم اسم يعقل منه معنى زائد على عين الذات .

وهل يدل على عين الذات أم لا ؟ فيه توقف بالنظر إلى العقل .

وإن دل على عين ، فهل هو عين الذات المقول عليها هذا الاسم ، أم ذات زائدة ؟ .

فذهبت طائفة : إلى أنه عين الذات ، وهم القدماء .

وذهبت طائفة إلى ذات زائدة ، وهم الأشاعرة ، كقولنا : عالم ، وقادر ، ومريد ، وحي ، وسميع ، وبصير ، وغير ذلك .

وثم اسم يعقل منه إضافة : لا عين ، كالأول ، والأخر ، والباطن ، والظاهر .

---

(١) في المخطوطة «مرتجلاً» ، ولا معنى لها ، والذي أثبتناه يدل عليه كلمة «جامد» فالاسم إما مشتق أو جامد ، واسم «الله» الذي لا يشتق منه هو «الله» وأما الرّحمن والرّحيم والخالق والباريء وما إلى ذلك من بقية الأسماء ، فأسماء صفات يشتق منها ، والله تعالى أعلم .

وثم اسم يعقل منه : سلب ما لا يليق بالاسماء ، كالقديم والقدوس .

ومع هذا كله ، فمنا تعلقها : لا منه ، فهي أسماء حمد : لا أسماء تحقيق .

٣٣ ـ مسألة : الاسم قد يرد ، ويراد به المسمى ، ويرد ويراد به : اللفظ الدال على المسمى .

فالخلاف في هذه المسألة : لفظي لا غير . ليس بأيدينا ـ على الحقيقة ـ من الحق تعالىٰ إلاّ أسماؤه : لا يعقل منه غيرها .

وبهذه التسمية : نسميه معروفاً ومعلوماً . ونسمي أنفسنا : علماء وعارفين .

ولهذا لا يقع التسبيح والتقديس إلاّ على الاسم .

فقال تعالىٰ : ﴿سبح اسم ربك﴾ فحقق هذا الفصل أيها الناظر .

٣٤ ـ مسألة : الحمد هو : الثناء على الله بما هو أهله .

والشكر : الثناء على الله بما يكون منه من النعم .

ولا يكون الثناء على الله أبداً إلاّ مقيداً : إما بالنطق ، وإما بالمعنى الباعث على الحمد .

وقد يرد في النطق : مطلقاً ومقيداً ، مثل قوله تعالىٰ في المطلق اللفظي : ﴿قل الحمد لله﴾[1] .

وأما المقيد فتارة يقيده بصفة ، كقوله تعالى : ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾[2] ، وقوله : ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض﴾[3] ، وما خرج حمد من محامد الكتب المنزلة من عنده عن هذا التقسيم .

٣٥ ـ مسألة : خلق الله الخلق : ليكمل مراتب الوجود ، ولتكمل المعرفة في الوجود ـ أي ليكمل وجود تقاسيم المعرفة ـ فخلق الخلق ليعرفوه ، إذ كان : كثيراً لا يعرف ، كما ورد في بعض الأخبار المشهورة[4] لا ليكمل سبحانه في

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ١١١ .

(٢) أول سورة الكهف .

(٣) أول سورة الأنعام .

(٤) لعله يقصد الحديث القدسي المعروف : «كنت كنزاً مخفياً ، فأردت أن أُعرف ، فخلقت الخلق ، فبي عرفوني» .

ذاته : تعالىٰ الله عن ذلك، فكان يعرف نفسه بنفسه ، فبقي من مراتب المعرفة : أن يعرفه الكون ، فتكمل المعرفة ، فأوجد الخلق ، وأمرهم بالعلم به .

وكذلك الوجود : ينقسم إلى قديم ومحدث(*) .

فلو لم يخلق الكون : ما كملت مراتب الوجود . فافهم .

٣٦ ـ مسألة : اسم البخل على الله تعالىٰ : محال ، فلو أدخر شيئاً من الممكنات : لم يكن اسم الجود عليه فيما أعطى بأولى من اسم البخل عليه فيما أمسك .

فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم : من حيث حصر الأجناس ، فليس في الإمكان زائد .

ومن حيث أنه نصب العالم : دليلاً على العلم ، فلا بد أن يكون الدليل كامل الأركان ، فما أبقى شيئاً إلاّ الأمثال ، فالمثل عين المثل في حقيقته .

٣٧ ـ مسألة : ليس ثم أعلى من الكشف ، ولا أدنىٰ من الحجاب ، فالكشف غاية المطالب ، وهو : الرؤية .

والحجاب أعظم الحرمان ، وهو : عدم الرؤية .

وقد ظهر الحكمان في العالم ، فليس في الإمكان(١) أبدع من هذا العالم : لحصره بين التجلي والحجاب .

٣٨ ـ مسألة : الأفراد في هذه الأُمة : هم الخارجون عن دائرة القطب ، وهم الذين ﴿على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾ وهم في هذه الأُمة بمنزلة الأنبياء في الأُمم الخالية : الذين كانوا على شريعة من ربهم في أنفسهم .

ليسوا برسل ، ولا متبعين إلاّ لما يوحىٰ الحق إليهم سبحانه وتعالىٰ ، وينظر إليهم : الاسم المفرد ، بإنفراده عن الأسماء .

(*) فالقديم هو وجود الله تعالىٰ ، والمحدث هو وجود الكون .

(١) ومن معاني «ليس في الإمكان أبدع مما كان» إن الله تبارك وتعالىٰ : أراد خلق العالم على هذا الوضع ، وإن كان سبحانه وتعالىٰ من الممكن له أن يخلق : أجمل وأكمل منه ـ لا بعجزه شيء سبحانه وتعالىٰ ـ إلاّ أنه لا يمكن أن يخالف نفسه فيخلق خلقاً على خلاف ما أراد وقضى ، فلا يناقض نفسه بنفسه .

والقطب من الأفراد ، وله مزية التقدم بالنظر في العالم ، بخلاف سائر الأفراد .

وأخبرت عن عبد القادر الجيلي ببغداد : أنه قال في الشيخ محمد الأواني : أنه من الأفراد : وهم أعيان الأولياء .

٣٩ ـ مسألة : المختار هو الذي يفعل أمراً ما إن شاء ، ويتركه إن شاء .

وسبق العلم بالفعل ، وبالترك : يحيل وقوع ما لم يسبق به العلم ، فالاختيار محال .

والمضطر هو : المجبور على الأمر ، ولا جبر ، فلا اضطرار ، ولا اختيار(١) .

تحقق أيها الناظر هذه المسألة : تنتفع إن شاء الله .

٤٠ ـ مسألة : الاختراع : حصول المخترع في النفس أولاً ، ثم بالفعل .

ولم يحصل في النفس شيء لم يكن فيها ، فلا اختراع(٢) .

لكن عدم المثل في ظهور العين ابتداء : سمّاه اختراعاً ، وليس على حقيقة الاختراع .

٤١ ـ مسألة : إذا كان الإتحاد يصير الذاتين ذاتاً واحدة ، فهو محال ، لأنه إن كان عين كل واحد منهما موجوداً في حال الاتحاد ، فهما ذاتان ، فإن عدمت العين الواحدة ، وبقيت الأخرى ، فليس إلاّ واحد ، فإن كان الاتحاد بمنزلة ظهور الواحد في مراتب العدد، فيظهر العدد ، فقد يصح الاتحاد من هذا الوجه ، ويكون الدليل مخالفاً للحس ، فيكون له وجهان ، كالكتابة عن حركة يد الكاتب حساً ، وبالدليل : أن الله خالقها ، وأنها أثر القدرة القديمة(٣) ، لا المحدثة(٤) .

---

(١) ولأن الله تعالى ـ على الحقيقة ـ لا يتصف بما يتصف به المخلوقون .

(٢) هذه من دقائق المعرفة بالله ، لأن الإنسان مثلاً إذا أراد أن يفعل شيئاً ، وجد في فكره أو لا ، ثم ينفذ أو لا ينفذ ، وهذه من صفة المخلوقين ، لأن وجود الشيء في النفس يسبقه عدم ، ثم يوجد ، ثم يحدد الموقف : ينفذ أو لا ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿بديع السماوات والأرض﴾ أي مبدعهما على غير مثال سبق ولا فكر ولا شيء مما يفعل الخلق ، تعالى الله عن ذلك ، والله تبارك وتعالى أعلم .

(٣) قدرة الله تعالى .

(٤) قدرة المخلوق .

فالوقوف على هذا القدر من المعرفة بطريق الكشف والشهود ، لا من طريق النظر : يسمى : إتحاداً .

وقد يكون الاتحاد ـ عندنا ـ عن حصول العبد في مقام الإنفعال عنه بهمته ، وتوجه إرادته ، لا بمباشرة ولا معالجة ، فلظهوره بصفة هي للحق تعالىٰ حقيقة : يسمىٰ إتحاداً ، لظهور حق في صورة عبد ، ولظهور عبد في صورة حق .

وقد يطلق الاتحاد ـ في طريقنا ـ لتداخل الحق في الأوصاف والخلق ، فوصفنا بأوصاف الكمال من : الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، وجميع الأسماء كلها ، وهي له[1] .

ووصف نفسه بأوصاف ما هو لنا من : الصورة ، والعين ، واليد ، والرجل ، والذراع ، والضحك ، والنسيان ، والتعجب ، ولتبشبش ، وأمثال ذلك مما هو لنا[2] .

فلما ظهر تداخل هذه الأوصاف بيننا وبينه ، سمينا ذلك اتحاداً ، لظهورنا به ، وظهوره بنا ، فيصح على هذا قول القائل :

«أنا من أهوىٰ ومن أهوىٰ أنا»

٤٢ ـ مسألة : ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ ـ المماثلة : عقلية ولغوية ـ زيد مثل عمرو في الإنسانية ، لاشتراكهما في صفات النفس .

هذه المماثلة العقلية ، وليس عليها ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ لا بزيادة الكاف [وهو] ومخرج بعيد : على تقدير فرض المثل ـ لا على وجوده ـ فالمماثلة أذن في الآية : اللغوية ، وهو الصحيح : زيد كالأسد ، وعمرو كالبحر : أي زيد مثل الأسد وشجاعته ، وعمرو كالبحر جوداً وبراً وإتساعاً ﴿**نوره كمشكاة**﴾ فانظر .

٤٣ ـ مسألة : العلوم المكتسبة ليس إلاّ نسبة حكم لمحكوم عليه : بنفي أو إثبات .

وليس شيء من المفردات مكتسباً .

---

(١) أي له حقيقة ، وليس لنا منها إلاّ الأسم .

(٢) أي لنا حقيقة .

وأعني بالاكتساب ما حصل بالنظر .

فإذا نسبت الإكتساب إلى التصور : الذي هو معرفة المفرد ، فليس ذلك إلّا في اللفظ ، لا من جهة المعنى .

وإنما يسمع لفظاً يدل على معنى : ذلك المعنى عنده معلوم : إما حساً ، أو بديهة .

لكن لا يعرف أن ذلك اللفظ وضع له ، فلهذا يسأل عنه ، فيكتسب : أن ذلك اللفظ موضوع لذلك المعنى المعلوم عنده ، ليس إلّا .

٤٤ ـ **مسألة** : المعلومات منحصرة في : حس : ظاهر وباطن ، وبديهة ، وما تركب من ذلك عقلاً : إن كان معنى ، وخيالاً : إن كان صورة .

وقد يسمى الباطن إدراكاً نفسياً ، وهو العلم بالآلام وشبهها .

فالخيال : لا يركب أبداً إلّا في الصور خاصة .

والعقل : يعقل ما يركب الخيال .

وليس في قوة الخيال : أن يصور بعين ما يركبه العقل .

وإن وقعت الصور في المعاني ، فليس إلا على تقدير : أن لو كان صور الكاتب على هذه الصور ، كالعلم في صورة اللبن ، والدين في صورة القيد ، وسورة البقرة لها لسان وعينان تشهد لقارئها ، والأعمال في صورة شاب حسن : إذا كانت صالحة(١) .

وليس في هذه المرتبة المال الذي تأخذ منه الزكاة حظها ، فيكون شجاعاً أقرع له زبيبتان .

فلو كان عين المنع : كان ما ألحقنا بهذا الباب ، بل ألطف ، لأنه عدم من حيث هو منع ، وإنما هو عين المال ، وقد أشترك مع الشجاع في الجوهر .

فهو : خلع صورة كان الجوهر حاملاً لها ، وللناس صورة الشجاع .

---

(١) كل هذا وردت به أحاديث صحيحة ، وستكون يوم القيامة إن شاء الله تعالى ، وقد أخرج الحافظ السيوطي (رحمه الله تعالى) جزءاً في هذه الأحاديث اسمه «المعاني الدقيقة في ادراك الحقيقة» طبعناه والحمد لله على فضله ومنه .

٤٥ ـ **مسألة** : النظر في الأشياء من حيث ذواتها ، من غير نظر إلى كمال أو نقصان ، أو ملائمة طبع ، أو منافرة ، أو غرض ، أو وضع : لا حسنة ولا قبيحة ، ولا محمودة ، ولا مذمومة .

والحسن والقبيح ، والحمد ، والذم : أوصاف وضعية ، وضعها : شرع وطبع ، بحكم ملائمته أو منافرته ، ومناظرته ، وكمال أو نقص : لا غير .

ثم هي بالنظر إلى فاعلها ـ من حيث استنادها إليه ـ حسنة كلها : أدباً إلاهياً .

فانظر كيف تنظر في هذه المسألة : يزل عنك الخلاف المشهور فيها .

ومن هذا الباب عندنا : الشريف والوضيع .

٤٦ ـ **مسألة** : لا يلزم للراضي بالقضاء أن يرضي بالكفر والمعاصي والمخالفات ، فإنها كلها مقضية : ما هي عين القضاء .

والشارع أمرنا بالرضى بالقضاء ، لا بالمقضي ، وهو اختيار الحق[١] تعالى : لا مختاره[٢] .

وليس لك أن تقول : رضيت بما قضى الله لي من المخالفات ، فإن «ما» هنا : هي عين المقضي .

إلاَّ أن تجعل «ما» زائدة فحينئذٍ يجوز لك ذلك .

٤٧ ـ **مسألة** : قال[٣] : يلزم من وجود الصفات المتعلقة : وجود المتعلق ، كوجود القدرة أزلاً وتعلقها : إنما هو الإيجاد ، ولا يصح أن يكون الإيجاد أزلاً ، وكذلك العلم : لا يلزم من وجوده أن يكون متعلقاً لحقائق المعلومات ، بل له

---

(١) الاختيار : أخذ شيء من أشياء .

(٢) المختار : المحبوب ، والمقصود : أن القضاء ـ أي قضاء كان : حلواً او مراً ـ جميلاً أو خبيثاً ـ لحكمة يعلمها هو .

فالله تعالى : لا يرضى لعباده الكفر ، ولكنه وقع من كثير من الناس . فهل الذين كفروا : كفروا به وهو مكره ؟ كلا . . . ولكنه وقع ، وقد خلق جنة وناراً وأرسل رسلاً وأنزل كتباً ، وحذر وأنذر ، فلا عذر لأحد ، ولا يقع في ملكه شيء لا يريده ، والله سبحانه يعصمنا من الزلل ، لأن مزلة القدم في هذه المسألة إلى الهاوية .

(٣) أي الشيخ (رحمه الله) .

صلاحية التعلق .

فالعلم ـ عندنا ـ المحدث واحد ، لا أقول : إن لكل معلوم علماً ، فإني لا أشترط فيه التعلق بكل المعلومات ، وإنما هو معنى فيه صلاحية التعلق .

فإذا نسب إلى الحق : نسب إليه الحق متعلقاً بما لا يتناهى من المعلومات : حذراً من أن يقوم به جهل بما يصح أن يعلم ، وذلك على الله محال .

وقلنا بوحدانيته : إذا لو كان لكل معلوم علماً ـ والمعلومات لا نهاية لها وهو عالم بها ـ فكان يقوم به علوم لا نهاية لها .

ودخول ما لا نهاية له في الوجود : محال ، فوجود علوم لا نهاية لها : محال .

ولما ذكرناه : جوز الإمام أبو عمرو [السلالقي الأشعري] (رحمه الله تعالى) العلم المحدَث بما لا نهاية له : حدّثني بذلك بعض أصحابه ممن قرأ عليه : عنه ، وهو صحيح عندنا نرتضيه ، وإن اختلف ما حدّثني دركه ، فالمدلول واحد ، ولا يعترض علينا بالنوم ، والغفلة ، والذهول ، فإن تلك أمور بدنية طبيعية لصور الآلات ، ليس محلها اللطيفة الإنسانية ، فهي العالمة : نام الجسم أو أستيقظ ، وليس يحصرها عالم واحد ، فلها العوالم كلها : حسيها ، وخياليها ، وعقليها : ملكها وملكوتها ، [فحيث ما سار بها الحق[1] سارت] وحيث ما أوقفها وقفت .

ولا يخلو عن تعلقها بمعلوم حيث كانت ، ومهما علمت ما لم تكن به عالمة ، فليس ذلك راجع لتجدد علم فيها ، وإنما تجدد التعلق بالمعلوم ، لظهور العلوم حساً كان أو غير حس ، فأدركته بالعلم الذي أتصفت به قبل ظهور ذلك المعلوم .

وكذلك الإرادة سواء .

وكلامنا في هذا كله : إنما هو في الصفات المحدثة المخلوقة .

وأما علم الله وصفاته المتعلقة ، فقد وافقنا على ذلك العقلاء ، إلاَّ شرذمة قليلة ، وهي المعتزلة ، ولا اعتبار لها عندنا .

---

(١) في المخطوطة «فحيث ما ساد به الحق سارت» ولا توافقها الضمائر التي سنأتي بعد .

٤٨ ـ مسألة : للعقل نور ، وللإيمان نور ، فبنور العقل تصل إلى معرفة وجود الله تعالى ، وكونه : قادراً سميعاً ، بصيراً ، عالماً ، إلى غير ذلك مما يجب للألوهية ، وما يجوز عليها ، وما يستحيل .

وبنور الإيمان : يعرف ذات الحق ، وما وصف نفسه به مما يقتضي التشبيه والتنزيه : فيأخذها مشاهدة ، وهذه درجة الأنبياء والأولياء .

كما أن للعقل وللإيمان حداً .

فحد العقل : يوصله إلى التدبير في أسبابه ، ومصالح وجوده ، بحسب ما يقتضيه نظره من العادة .

وحد الإيمان : خروق العادة عنده لتخرق العادات له ، فيجد اللذة في العذاب ، والألم في النعيم ، وشبهه .

وعلى حد العقل : تجري أمور العقلاء من الخلق .

وعلى حد الإيمان : تجري أمور بعض المنتمين إلى الله تعالىٰ أصحاب الأحوال والأوامر الإلهية والخواطر المستقيمة الربانية

٤٩ ـ مسألة : توجه الذات على جميع الممكنات يسمى : إلهاً لمعنى يسمى : ألوهية ، وتعلقها بنفسها ، ولجميع حقائق المحققات : على ما المحقق عليه : وجوداً كان المحقق أو عدماً : يسمى علماً .

وتعلقها بالممكنات من حيث ما هي الممكنات عليه : يسمى أختياراً .

وتعلقها بالممكن من حيث سبق العلم قبل كون الكون : يسمى مشيئة .

وتعلقها بتخصيص أحد الجائزين[1] للممكن على التعيين يسمى : إرادة .

وتعلقها بإيجاد الكون : يسمى قدرة .

وتعلقها بأحكام قبل وقوعها : يسمى : قضاء .

وتعلقها بوقت وقوع الحكم ، يسمى : قدراً .

وتعلقها باسماع المكون لكونه : يسمى أمراً .

---

(١) الإيجاد أو عدم الإيجاد .

وهو على نوعين : بواسطة وبلا واسطة .

فبإيقاع الوسائط : لا بد من الأمثال ، فيكون الكون ، ولا يلزم الكون بالواسطة ولا بد ، ولا هو أمر في عين الحقيقة ، إذ لا يقف للأمر الإلهي شيء .

وتعلقها باستماع المكون : لصرفه عن كونه ، أو كون صادر منه : يسمى نهياً ، وصورته صورة الأمر في التقسيم من الواسطة وتركها .

وتعلقها بتحصيل ما هي عليه [هي أو غيرها] من الكائنات ، أو ما في النفس : في نفس المكون : يسمى اختياراً .

فإن تعلقت بالمكون على طريق أي شيء عندك : يسمى استفهاماً .

فإن تعلقت به على جهة النزول إليه : تعلق الأمر . يسمى : دعاء .

ومن باب تعلق الأمر إلى هذا : يسمى كلاماً .

وتعلقها بالكلام من غير اشتراط علم بذلك : يسمى سمعاً .

فإن تعلق علم بذلك يسمى : فهماً .

وتعلقها بكيفية النور ـ بالجملة من المرئيات ـ يسمى : بصراً ورؤية .

وتعلقها بإدراك كل مدرك ـ الذي لا يصلح تعلق من هذه المتعلقات كلها إلا به ـ يسمى : حياة .

والعين في ذلك كله واحدة : تعدداً[1] لتعلقات الحقائق المتعلقات والأسماء المسميات ، فتفهم .

٥٠ ـ **مسألة** : «علم اليقين» : معرفة الله بك ، إذا أنت عين الدليل عليه ، وهو إثبات ذات غير مكيفة ، ولا معلومة الماهية ، ومحكوم عليها بالألوهية ، سلطاناً وحجة : لا ريب فيه :

«عين اليقين» مشاهدة هذه الذات بعينها ـ لا بعينك ـ فناء كلياً : لا يعقل معها نسبة ألوهية : إثباتاً أو نفياً .

لكن مشاهدة تفني الأحكام والرسوم ، وتمحق الآثار .

---

(١) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره : «تتعدد» .

«حق اليقين» : نسبة الألوهية لهذه الذات : بعد المشاهدة لا قبلها .

وهو الفرق بين العلم والحق : ليس إلاَّ .

وهنا سكت المحققـون .

وبعد هذا : «حقيقة اليقين» ظهور الانفعـالات عند العبـد الكلي عن غيبته فيـه به : غيباً كلياً ، وفناء محققاً .

وهذه غاية المراتب .

فالثلاثة [كتابية][1] : علم : [عين][2] وحق .

والرابعة سنية ، قال (ع) : «فما حقيقة إيمانك : لكل حق حقيقة»[3] .

فهـذه الحقيقة : بهـا يخبر العبـد المحقق نفسـه في دعـواه : في معـرفـة حق اليقين ، فتأمل .

٥١ ـ مسألة : مشاهدة الحق : لا تعطي الإحاطـة بذاتـه ، ولذلـك قال : ﴿لا تـدركه الأبصـار﴾ ولو كـانت المشاهـدة تعطي معرفة منـاسبة الألـوهية للذات : لم تكن فائدة ، كقول رسول الله (ص) : في التجلي الإلهي في الـدار الآخرة ، وقـوله تعالىٰ للناس : «أنا ربكم» ، فيقولون : «نعوذ بالله منك»[4] .

---

(١) في المخطوطـة بـدون نقط ، والمعنى أنهـا مأخوذة من الكتـاب ، وهـو القـرآن ـ إقـرأ سـورة التكاثر ـ ، وقوله تعالى : ﴿إنه لحق اليقين﴾ الآية : ٩٥ من سورة الواقعة ، وقوله : «والرابعة سنية» أي مأخوذة من السنة .

(٢) أولاً علم اليقين ، ثم عين اليقين ، ثم حق اليقين .

(٣) هذا جزء من حـديث شريف صحيح ، أورده لك لتستفيـد أيها القـارىء (رحمنا الله وإيـاك) : «قال النبي (ص) لصحابي جليل (رضي الله عنه) ، اسمـه حارثـة بن مالـك : كيف أصبحت يا حارثة ؟ .

قال : أصبحت مؤمناً حقاً .

قال : إن لكل حق حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ .

قال : عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري ، وكأني بالجنة والنار ، وكأني بعرش ربي بارزاً .

قال (عليه الصلاة والسلام) : «عرفت فالزم : عبد نوّر الله قلبه» رواه البـزار ، من حديث أنس (رضي الله عنه) ، والطبراني عن الحارث بن مالك ، وللحديث روايات أخرى ورواة آخرون .

(٤) في حديث طويـل رواه الترمـذي ، وغيره ، وهـو حديث التجلي في عـرصات القيـامة قبـل أن يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار .

ولم يعرفوا أنه الحق ، مع مشاهدتهم إيّاه .

فإذن : العلم بالألوهية : لا يلزم منه العلم بالذات .

فمدار المعرفة على الحقيقة : على علم ثلاث :

علم الألـوهيـة .
وعلم الـــذات .
وعلم نسبة الألوهية لهذه الذات .

وبعد هذا كله : فلا إحاطة ، ولا إدراك .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

ـ تمّ بحمد الله ، وعونه وحسن توفيقه ـ

ـ وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم ـ

ـ وحسبنا الله ونعم الوكيل ـ

ـ تمّت التنزلات الليلية ـ

من كنوز أهل اللّه
من رسالة نسب الخرقة

للإمام الأكبر والشيخ الأنور سيدي محي الدين بن عربي (رحمه الله تعالىٰ) .

نقلتها من مجلة «لواء الإسلام» للمرحوم أحمد باشا حمزة (رحمه الله تعالى رحمة واسعة) ، الصادرة بتاريخ «سعبان سنة ١٤٠٠ هـ» ضمن موضوع بعنوان :

«آل بيت رسول الله (ص) في عهد النبوة» .

للشيخ الحافظ : أحمد بن محمد بن الصديق ، الغماري الحسيني (أعلىٰ الله مقامه) .

وقد تكرم علينا بهذا العدد : فضيلة السيّد الأخ الفاضل الكريم الشيخ أبو المجد شبيب أحد علماء الأزهر الشريف ، وخطيب مسجد سيدي أحمد الدردير (رضي الله عنه) .

وهي خير هدية تهدى للمسلمين جميعاً ، لأن كل كلمة فيها مأخوذة . إما من كتاب الله تعالى أو من حديث رسول الله (ص) ولم تخرج عن ذلك .

وهي من أقوى الأدلة على أن القوم يأخذون علومهم من الشريعة الصافية .

ـ والله ولي الذين آمنوا ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم

قال الشيخ الغماري (رضي الله عنه في الدنيا والآخرة) :

وقال العلامة الأمير ، في فهرسته :

واعلم أن الخرقة ، وعلم الراية ، والحزام ، ونحو ذلك : ليست هي المقصود الأصلي من الطريق ، بل مدار أصل الطريق مجاهدة النفس ، وإلزامها بالشريعة والسنة المحمدية في الباطن والظاهر ، ولذلك لما سئل الإمام مالك (رضي الله عنه) عن علم الباطن قال للسائل : «اعمل بعلم الظاهر يورثك الله علم الباطن»[1] .

لكن مسند القوم : إن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر[2] ، وقد ورد تعميم النبي (ص) لبعض أصحابه في الجهاد ، وعقده اللواء له واغتفاره إنشاد الشعر والتبختر بين الصفين ، كما قال : «إنها لمشية يبغضها الله إلاّ في هذا الموضع».

وجعل الشعار في القوم ليجتمع بعضهم على بعض .

فكذلك القوم تبركوا بالباس الخرقة ، وإنما الأعمال بنياتها ، ونشروا الأعلام ، واغتفروا هز الجسم في الذكر والإنشاد : إعانة على المجاهدة ، وليجتمع بخرقتهم أصحاب طريقتهم الذين هم يتعاونون بحال واحد ، من غير عصبية ولا بغض لغير خرقتهم . بل على حد ما قيل :

فنادمني بمثل لسان حالي ... تربحني ، وأطرب من قريب

والمدعون اليوم أفسدوا الأوضاع ، واقتصروا على الصور الظاهرية :

---

(١) أخذها من قول الله تبارك وتعالى : ﴿وأتقوا الله ويعلمكم الله﴾ ومن قول رسول الله (ص) : «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» .

[رواه أبو نعيم في الحلية]

(٢) لقول رسول الله (ص) : «رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر .

قالوا : وما الجهاد الأكبر يا رسول الله ؟ .

قال : جهاد النفس» .

[رواه البيهقي في الزهد]

واعـلم بـأن طـريـق الـقـوم دراسـة   وحـال من يـدعيهـا اليـوم كيف تـرى

فالمقصود من الخرقة : ما وراءها ، لا مجرد لباسها ، ولذلك شرطوا على لابسها - للإرادة والتحكم - شروط السير والسلوك :

وبعد : قال الشيخ الأكبر في رسالته «نسب الخرقة» :

أما بعد : فإن مما جاء به الرسول الكريم من العلي الحكيم ، في الكتاب المنزل ، الذي هو القرآن العظيم ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوىٰ ذلك خير﴾[1]

فالضروري من اللباس الظاهر: ما ستر السوءات ، وهو لباس التقوىٰ : «من الوقاية» والرياش : ما يزيد على ذلك ، مما نقع به الزينة التي هي ﴿زينة الله التي أخرج لعباده﴾ من خزائن غيوبه ، وجعلها خالصة للمؤمنين ، في الحياة الدنيا ويوم الاقامة[2] ، فلا يحاسبون عليها ، وإذا لبسوها وتزينوا بها من غير هذه النية ، ولا هذا الحضور ، ولبسوا فخراً وخيلاء ، فتلك : زينة الحياة الدنيا .

فالثوب واحد ، ويختلف الحكم عليه باختلاف المقاصد .

ثم أنزل في قلوب العباد : لباس التقوى ، وهو خير لباس[3] ، وهو على صورة لباس الظاهر سواء :

فمنه لباس ضروري : يواري سوأة الباطن ، وهو تقوىٰ المحارم مطلقاً .

ومنه ما هو مثل الريش في الظاهر ، وهو : لباس مكارم الأخلاق : مثل نوافل العبادات ، كالصفح ، والإصلاح .

---

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ٢٦ .

(٢) عبر الشيخ (رحمه الله) بيوم الاقامة ، بدلاً من يوم القيامة ، أخذاً من قوله تبارك وتعالىٰ : ﴿الذي أحلنا دار المقامة من فضله﴾ وما دامت الاقامة للمؤمنين في الجنة ، فكذلك الاقامة للكافرين في النار ، وهي قضية مسلمة .

وإعلم أن الزينة ، التي هي لباس الناس اليوم : يشترك فيها المؤمن والكافر ، ولذلك قال تعالىٰ : ﴿قل هي للذين آمنوا﴾ حلال ﴿في الحياة الدنيا﴾ شركاء مع غيرهم ﴿خالصة يوم القيامة﴾ لا يشاركهم فيها أحد ، وذلك في دار المقامة الأبدية الذي لا فناء فيها ، والله تبارك وتعالىٰ أعلم .

(٣) من قوله تعالىٰ :﴿ولباس التقوىٰ ذلك خير﴾ .

وإن كان الشارع قد أباح لك أخذ حقك .

ولكن تركه مما يزين به الرجل في باطنه ، فهي زينة الله في الباطن ، وهو كل لبس ندبك الشارع إليه .

فقد تحقق لباس الباطن : أنه على صورة الظاهر شرعاً .

وكما يختلف الظاهر بالمقاصد والنيات ، كذلك يختلف لباس الباطن بالنيات والمقاصد .

ولما تقرر هذا في نفوس أهل الله : أرادوا أن يجمعوا بين اللبستين ويتزينوا بالزينتين ؟ ليجمعوا بين الحسنيين ، فيثابوا من الطرفين ، فسنوا لباس هذه الخرقة على الهيئة المعلومة عندهم ، ليكون تنبيهاً على ما يريدونه من لباس بواطنهم ، وجعلوا ذلك صحبة وأدباً .

وأصل هذا اللباس ـ عندي ـ على ما ألقي في سري : أن الحق لبس قلب عبده المؤمن ، قال : «ما وسعني أرضي ولا سمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن» .

فإن الثوب وسع لابسه ، لمظهر الجمع بين اللبستين في زمان الشبلي وابن خفيف إلى هلم جرا ، فجرينا على مذهبهم ، فلبسناها من أيدي مشايخ جمة سادات ، بعد أن صحبناهم ، وتأدبنا بأدبهم ليصبح اللباس : ظاهراً وباطناً .

وشروط هذه الخرقة المعروفة على صورة ما أظهرها الحق من ستر السوأة .

فتستر سوأة الكذب : بلباس الصدق .

وتستر سوأة الخيانة : بلباس الأمانة .

وسوأة الغدر : بلباس الوفاء .

وسوأة الرياء : بخرقة الاخلاص .

وسوأة سفساف الأخلاق : بخرقة مكارم الأخلاق .

وسوأة المذام : بخرقة المحامد .

وكل خلق دنئ : بخرقة كل خلق سني .

وترك الأسباب : بتوحيد التجريد[1] .

والتوكل على الأكوان : بالتوكل على الله .

وكفر النعمة : بشكر المنعم .

ثم تتزين بزينة الله ، من ملابس الأخلاق المحمودة ، مثل : الصمت عما لا يعنيك .

وغض البصر عما لا يحل النظر إليه .

وتفقد الجوارح بالورع .

وترك سوء الظن بالناس .

وتصفح ما مضت به الأيام من أفعالك ، وما سطرته أقلام الكتبة الكرام عليك .

والقناعة بالموجود .

وعدم التشوف إلى طلب المزيد إلا من أفعال الخير .

وتفقد أخلاق النفس .

ومعاهدة الإستغفار .

وقراءة القرآن .

والوقوف مع الآداب النبوية .

وتعرف أخلاق الصالحين .

والمنافسة في الدين .

وصلة الرحم .

وتعاهد الجيران بالرفق .

---

(١) يعني أنه يتوكل في كل حاله على مسبب الأسباب ، وهو التوكل الحق ، كما قال (ص) : «لو توكلت على الله حق توكله : رزقت كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتعود بطاناً» رواه البيهقي في شعب الإيمان .

وبــذل العــرض .

وقـد رغب رسول الله (ص) في ذلـك بقولـه : «ألا يستطع أحـدكم أن يكـون كأبي ضمضم ؟ كان إذا أصبح يقول : اللّهم أنّي تصدقت بعرضي على عبادك» .

وسخاوة النفس ، وهو : أن يبذلها في قضاء حوائج الخلق .

وصنائع المعروف ، مع الصديق والعدو.

والتـواضـع .

ولـين الجانب .

وإحتمـال الأذى .

والتغافل عن زلل الأخوان .

وعدم الخوض فيما شجر بين الصحابة ، ومن تقدم من الأكابر .

وترك مجالسة الغافلين ، إلّا أن نذكرهـم ، أو أن نذكر الله فيهـم .

والكف عن الخوض في الأعتراض في آيات الله .

وترك الطعن على الملوك[1] والمذنبين من أُمّة سيّدنا محمّد (ص) .

وترك الغضب ، إلّا عند إنتهاك محارم الله .

وترك الحقد والغل من الصدور .

والصفح عن المسيء ، وهو : أن لا تغضب لنفسك .

وإقالة أهل المروءات : «ذوي الهيئات»[2] .

والإبقاء على أهل الستر .

وتعظيم العلماء وأهل الدين[3] .

---

(١) من قـوله (ص) : «لا تسبـوا الأئمة ، وادعـوا لهم بالصـلاح فـإن صـلاحهم لكم صـلاح» رواه الطبراني عن أبي أمامة .

(٢) قـال (ص) : «اقيلوا ذوي الهيئات زلاتهم» رواه الـدار قطني ، والخـطيب ، عن ابن مسعـود ، والحاكم في الكنى عن أنس ، وابن حبان والعسكري في الأمثال ، والبيهقي .

(٣) قـال (ص) : «أكرمـوا العلماء فـإنهم ورثة الأنبيـاء ، فمن أكرمهم فقـد أكرم الله ورسـوله» رواه الخطيب والديلمي عن جابر .

=

وإكرام ذي الشيبة[1] .

وإكــرام كـريم القـوم ـ كانـوا من مسلم أو كـافـر ـ كـل ذلـك على الحد المشروع ، مما يجوز لك أن تكرم به ذلك الشخص .

وحسن الأدب مع الله تعـالى ، ومـع كـل واحـد من حي وميت ، وحـاضـر وغائب .

ورد الغيبة عن عرض المسلم .

وإيَّاك والتصنع والتشدق ، فإنّ كثرة الكلام يؤديّ إلى سقطه .

وتوقير الكبير ، والرفق بالضعيف ، والرحمة بالصغير ، وتفقد المحتـاجين ، ومـواساتهم بـالبـر والصـدقـة ، وميسـور القـول والهـدايـة وقـرى الضيف ، وإفشـاء السلام ، والتحبب إلى الناس : على الحد المشروع .

ولا تكن لعاناً ولا طعاناً ولا عياباً ، ولا صخاباً .

ولا تجز أحداً بالسيئة في حقك إلاَّ إحساناً[2]

والنصيحة لله تعالى ولرسوله (ص) ولأئمة المسلمين وعامتهم[3] .

ولا تنتظر الدوائر بأحـد ، ولا تسب أحداً من عبـاد الله على التعيين ، من حي ولا ميت ، فـإن الحي لا يعرف إن كـان كافـراً بمـ يختم لـه ، وإن كـان مؤمنـاً بمـا يختم له .

ولا تعير أحداً من أهل الشهوات بشهـواتهم ، ولا ترد الـرئاسـة على أحد[4] ،

= وروى ابن عسـاكر عن ابن عبـاس أن رسول الله (ص) قـال : «أكرمـوا العلماء ، فـإنهم ورثة الأنبياء» .

(١) من قوله (ص) : «من أجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم» رواه أبو داود بإسناد حسن .

(٢) بمعنى : أنك تقابـل السيئة بـالحسنة لقـوله تعـالى : ﴿فإذا الـذي بينك وبينـه عداوة كـأنه ولي حميم﴾ .

(٣) من قول رسول الله (ص) : «الدين النصيحة :
قالوا : لمن يا رسول الله ؟ .
قال : لله ورسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه البخاري في التاريخ ، والبزار .

(٤) لقول رسول الله (ص) لأبي ذر : «يا أبا ذر أنـك ضعيـف وأني أحب لك مـا أحب لنفـسي : لا تأمرن على اثنين ولا تولين ما يتيم» رواه مسلم ، وأبو داود والنسـائي .

ولا تواطىء عقبك خدمة عن أمرك(١) .

وإيّاك أن تترك الناس أن يبولوا في أذنك بنقل ما يسوؤك عنك وعن غيرك .

ولتحب المؤمنين كلهم : مسيئهم إليك ومحسنهم ، لحبهم الله ورسوله ، ولا تبغضهم لبغضهم إيّاك(٢) ، أو من كان : غير الله ورسوله [فبهذا أوصاني رسول الله (ص) في المنام في رؤيا رأيتها في حق شخص ، وقع في بعض شيوخي ، فأبغضته ، فرأيت رسول الله (ص) في المنام ، وقال لي : «لم أبغضت فلاناً ؟ فقلت له : لبغضه ووقوعه في شيخي ، فقال (عليه الصلاة والسلام) : ألست تعلم أنه يحب الله ويحبني ؟ .

قلت له : بلى .

قال : «فلم لا تحبه بحبه إيّاي ، وأبغضته لبغضه شيخك . فقلت له : يا رسول الله : من الساعة»(٣) .

فما أحسنك من معلم ، لقد نبهتني على أمر كنت عنه غافلاً .

ولا تفرح بما ينتشر في العامة من ذكرك بما تحمد ، وإن كنت عليه ، فإنك لا تدري : هل يبقى عليك ، أو يسلب عنك ؟ .

ولا تتميز بين المؤمنين بخلق غريب محمود : يعرف عنك ، إلا أن كنت ممن يقتدي به .

ولا تظهر الخشوع في ظاهرك بجمع أكتافك وأطرافك إلى الأرض ، إلاّ أن تكون في باطنك كذلك .

ولا تحب التكاثر من الدنيا .

ولا تبال بجهل قدرك ، بل لا ينبغي أن يكون لنفسك عندك قدراً(٤) .

---

(١) ربما كان المقصود : لا تتعقب سقطات الخدم ، إلاّ في الأمر الذي تأمرهم به .
(٢) أي لا تبغضن أحد إلاّ أن تتحقق أنه يبغض الله ورسوله .
(٣) أي لا أفعل هذا من الآن .
(٤) يعني لا تبال بأنك مجهول القدر عند الناس ، فإن الناس ، لن ينفعوك بشيء ، بل أتهم نفسك ولا ترفعها ، فإنك إن رفعتها خفضتك .

ولا ترغب في إنصات الناس لكلامك .

ولا تجزع من الجواب بما لا يسرك في حقك .

وأصبر للحق ، ومع الحق **﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً * وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾** .

وانصف من نفسك .

ولا تطلب الإنصاف من أحد في حقك.

وسلّم على المؤمنين ابتداء .

ورد السلام على من سلّم عليك .

وإيّاك والطعن على الأغنياء إذا بخلوا ، وعلى أبناء الدنيا إذا تنافسوا فيها ، ولا تطمع فيما في أيديهم .

وأدع للملوك وولاة الأمر ، ولا تدع عليهم ، وإن جاروا .

وجاهد نفسك وهواك فإنه أكبر أعدائك .

ولا تكثر الجلوس في الأسواق ولا المشي فيها .

وكف ضررك عن أئمة الدين .

وأترك الشهادة على أهل القبلة بما يؤدّي عند السامعين إلى الخروج عنها .

وعليك بالإمساك عن الخوض في الأموات ، فإنهم قد أفضوا إلى ماقدموا[1] ، وأترك المراء في القرآن[2] والقدر[3] وأترك مجالسة أهل الأهواء والبدع القادحة في الدين .

---

(١) قال رسول الله (ص) : «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا» رواه البخاري والإمام أحمد والنسائي .

(٢) قال (ص) : «المراء في القرآن كفر» رواه أبو داود والحاكم .

(٣) قال رسول الله (ص) : «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا» رواه الطبراني .

وعليك بإخراج الحرص[1] والحسد والعجب من قلبك ، بأن تصرف هذه الصفات في غير مواطنها المشروعة[5] .

وعليك بالدخول في الجماعة ، فإن الذئب لا يأكل إلّا القاصية .

وإيّاك والعجلة في أمرك ، إلّا في خمس : «في الصلاة لأول وقتها والحج عند وجود الإستطاعة ، وتقديم الطعام للضيوف قبل الكلام ، وتجهيز الميت ، وتجهيز البكر إذا أدركت ، وبذل المجهود في نصح عباد الله من مسلم وكافر ومشرك ، وقطع أسباب الغفلة ، والمحافظة على إقامة الصلوات[1] ، وتحسين نشأتها ، والقيام على النفس بالحسبة[3] والخروج من الجهل لطلب العلم ، وإن تستوصي بطالب العلم خيراً ، والندم على التفريط في استعمال الخير ، والتجافي عن الشهوات ودار الغرور ، واعتقاد مقت النفس ، فإن النفس - في اعتقاد أهل الله : كل خاطر مذموم ، ورد المظالم ، وإصلاح الطعمة[4] ، والسعي في إصلاح ذات البين ، فإن الله تعالى يصلح بين عباده يوم القيامة ، واسقاط الريب[5] ، والحذر الدائم[6] ، والخشية ، والهم في الله ، والحب والبغض في الله ، والمودة في قرابة رسول الله (ص) ، وموالاة الصالحين ، وكثرة البكاء والتضرع إلى الله تعالى ، والإبتهال : ليلاً ونهاراً ، والهرب من طريق

---

(١) لعل الشيخ (رحمه الله تعالى) يريد أن هذه الصفات لها أوقات تكون محمودة فيها .

فالحرص ممقوت ، لكن : يجب أن تكون حريضاً على دينك ، وعلى درهمك أن تنفقه في ما أحل الله تعالى ، والعجب ممقوت إلّا في مواضع - كما قال رسول الله (ص) عن أحد الصحابة ، وهو يتبختر معجباً بنفسه في القتال - هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلّا في هذا الموطن - والحسد مكروه إلّا في الخير ، تقول في نفسك مثلاً : كيف يفعل فلان هذا - من أفعال الخير - وأنا لا أفعله ، وهو هنا غبطة وليس بحسد .

(٢) وذلك لأن إقامة الصلاة شيء ، وأداءها شيء آخر :

الاقامة : أن تستحضر في نفسك أمام من ستقف ، وتنبذ الدنيا بمجرد الدخول فيها ، ولذلك كان القرآن الكريم حريصاً على أن يذكر الناس بإقامة الصلاة : لم يقل يا أيها الذين آمنوا صلوا - ولا مرة واحدة ، لأن المؤمن من طبيعته الصلاة ، وإنما دائماً يذكر الناس بالاقامة ، لأنه ليس كل مصل مقيماً للصلاة - والله تبارك وتعالى أعلم .

(٣) لقول رسول الله (ص) : «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا» .

(٤) لقول رسول الله (ص) لسعد بن أبي وقاص : «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة» .

(٥) الشك في الناس .

(٦) لقول رسول الله (ص) : «المؤمن كيس حذر فطن» رواه القضاعي .

الراحات[١] ، والتذلل في كل حال إلى الله تعالى ، ومراقبة : الكمد ، وتنغيص العيش بالفكر فيما يتعين عليك من شكر المنعم فيما أنعم به عليك ، والقصد إلى الله تعالى في كل حال ، والتعاون على البر والتقوى ، وإجابة الداعي ، ونصرة المظلوم ، وإجابة الصارخ[٢] ، وإغاثة الملهوف ، وتفريج الكرب عن المكروب ، وصوم النهار ، وقيام الليل ، وإن كان بالتهجد فهو أولى . وذكر الموت ، وتعاهد زيارة القبور[٣] ، وأن لا تقول وأنت فيها هجر[٤] والصلاة على الجنائز ، واتباعها : إن كنت ماشياً فأمامها ، وإن كنت راكباً فمن خلفها ، ومسح رؤوس اليتامى[٥] ، وعيادة المرضى ، وبذل الصدقات ، ومحبة أهل الخير ، ودوام الذكر ، والمراقبة ، ومحاسبة النفس على أفعالها : الظاهرة والباطنة ، والأنس بكلام الله[٦] ، وأخذ الحكمة من كلام كل متكلم[٧] ، بل من نظرك في كل منظور ، والصبر على أحكام الله ، فإنك بعينه كما قال ﴿**واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا**﴾ والإيثار لأمر الله ، والتعرض لكل سبب يقرب إلى الله تعالى[٨] ، واستفراغ الطاقة في محاب الله ومراضيه ، والرضا بالقضاء لا بكل مقضي[٩] ، بل بالقضاء به ، وتلقى ما يرد من الله تعالى بالفرح ، وموالاة الحق ، بأن تكون معه[١٠] ، فإن الله مع عباده أينما كانوا ، ودر مع الحق حيثما دار . والتبري من الباطل ، والصبر في كل مواطن الامتحان ، والزهد في الحلال[١١] ، والاشتغال بالأهم في الوقت ، وطلب الجنة بالشوق إليها ، لكونها محل رؤية الحق تعالى ،

---

(١) لأنك مسافر ، والمسافر لا راحة له إلا عندما يصل إلى غرضه .

(٢) عند مداهمة العدو بلاد المسلمين .

(٣) لقول رسول الله (ص) : «عليكم بزيارة القبور فإنها تذكركم الآخرة» .

(٤) الهجر : بضم الهاء : القبيح من القول .

(٥) لأن مسح رأس اليتيم يلين القلب .

(٦) القرآن الكريم .

(٧) لقول رسول الله (ص) : «الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها أخذها» رواه ابن النجار .

(٨) من قول رسول الله (ص) : «إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها : لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقوا بعدها أبداً» رواه الطبراني .

(٩) لتفهم هذه الكلمة راجع المسألة ٤٦ من التنزلات الليلة فإنها مبسوطة هناك تماماً .

(١٠) فإن من كان مع الله كان الله معه كما ورد في الحديث الصحيح .

(١١) كما قال سيّدنا عمر (رضي الله عنه) «كنا نترك تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام» وهذا هو معنى الزهد الصحيح والله تعالى أعلم .

ومجالسة أهل البلاء بالاعتبار ، ومحادثة المساكين ، والقعود معهم في محال فقرهم ، ومعونة من يطالبك حاله باعانته، وسلامة الصدر، والدعاء للمسلمين بظهر الغيب، وخدمة الفقراء. وأن تكون مع الناس على نفسك ، فإنك إذا كنت عليها فأنت لها والسرور بصلاح الأمة ، والغم بفسادها ، وتقديم من قدمه الله ورسوله ، وتأخير من أخره الله ورسوله : فيما قدمه ، وفيما أخره .

فإذا لبست هذه الملابس : صح لك أن تقعد في صدور المجالس عند الله ، وتكون من أهل الصفوف الأولى ، فهذه ملابس أهل التقوى ، التي هي خير لباس، فاجهد أن تكون هذه ملابسك أو أكثرها ، فعليه الجماعة وعليه ألبس شقيق البلخي حاتم الأصم ـ ولم يكن به صمم ـ وإنما كلمته امرأة فخرج منها صوت ـ يعني ضرطت ـ فخجلت من الشيخ ، فقال لها وهي تحدثه ـ أرفعي صوتك جداً ـ يظهر أنه لا يسمع ـ فزال خجلها وقالت : ما سمعني ، فسمي لذلك حاتم الأصم .

فعلى مثل هذه الأخلاق درجوا ، وهي لباسهم وحليهم ، وعليها لبست ، وألبست من ألبست لله . الحمد على ذلك .

التّنزّلات الموصليّة في
أسرار الطهارات والصّلوات والأيّام الأصليّة

- مقدمة الكتاب .
- عقيدته (رضي الله عنه).
- الدس في الكتب قديماً وحديثاً .
- جماعة ممن أثنوا على الشيخ محي الدين بن عربي .
- من أقوال بعض العلماء فيه .
- ابن عربي والفلسفة .
- جزء من أستشهاد العلامة المناوىء بكلامه في فيض القدير .
- شن الغارة .
- النقد العلمي البناء .
- العلم وأمانة العلماء .
- من مؤلفاته .
- صورة لإجازتين من ابن عربي .
- علمنا في هذا الكتاب .
- فهرست الأبواب .

مقدّمة الكتاب

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، الذي خلق فسوىٰ ، وقدر فهدى .

والصلاة والسلام على نور الكائنات ، ومجلي الظلمات ، الذي أرسله الله تعالىٰ رحمة للعالمين ، وقائداً للغر المحجلين ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن الله العزيز الحميد .

أما بعد :

فيقول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿وذروا ظاهر الاثم وباطنه﴾ .

من هذه الكلمة الشريفة نعرف أن هناك ظاهراً وباطناً .

وظاهر الاثم : معروف لكل الناس .

وأما باطنه : فلا يعرفه إلّا أهل العلم ، والفن ، والخبرة ، والدراية .

فمثلاً قوله تعالى : ﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار﴾ ما هو مدلول كلمة ـ ﴿الظالمين﴾ ـ في هذه الآية الشريفة ؟ .

لم يذكره الله سبحانه وتعالىٰ ـ صريحاً ـ وإن كان معلوماً لأهل التفسير ولغة العرب .

وفي ثنايا الكلام وطياته تعريف له .

وإذا رجعنا إلى قوله تعالى : ﴿فإن الله يعلمه﴾ فهمنا أن هذه الكلمة معناها أن الله تبارك وتعالىٰ يعلم : إن كان هذا لله أو لغير الله ، وإن الظالمين هنا : هم الذين نذروا لغير الله ، أي أشركوا بالله وكفروا به ، وجعلوا له شريكاً ، إذ الناذر لغير الله كافر ، وفهمنا أن الله تعالى يقصد بهذه الآية أهل الشرك والكفر والضلالة .

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية ، ما نصه :

« . . . وتوعد من لا يعمل بطاعته ، بل خالف أمره ، وكذب خيره ، وعبد معه غير ، فقال : ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ أي يوم القيامة ينقذونهم من عذاب الله ونقمته» ا هـ .

والذي أريد أن أصل إليه : أن لكل علم سراً وباطناً ، لا يعرفه إلاَّ أهله العالمون بخباياه وأغواره .

أخـي المسـلم :

قدّمت إليك هذه النبذة البسيطة ، لأنك مقدم على قراءة كتاب من أدق كتب ابن عربي (رحمه الله تعالىٰ وعفا عنّا وعنه) .

ولما كنا في وقت اختلط فيه الحابل بالنابل ، وتسور أسوار الحدائق الغناء : رعاة الغنم والبقر ، المتطاولون في البنيان ، واختفىٰ حراس هذه الحدائق ، ورعى الذئب الغنم .

وكذلك لما خرجت هذه الكتب إلى أيد غير أيدي أهلها ، ونظر فيها من لا يحسن غسل مواضع النجو ، قال بالتكفير من قال ، وزج بالتضليل من زج ، وقالوا في الرجل ما هو بريء منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب (عليهما الصلاة والسلام) .

وقبل أن ندخل في معمعة الكلام ، نحب أن نعرفك أيها الأخ الكريم : من هو ابن عربي عن طريق الأقلام غير المريبة التي تهدف إلى غرض معين :

قال صاحب «نفح الطيب» الشيخ الإمام أبو العباس : أحمد بن محمد المقري الأندلسي (رحمه الله) : « . . . ومنهم الشيخ الأكبر ، ذو المحاسن التي تبهر : سيدي

محي الدين بن عربي : ـ محمد بن علي بن محمد بن أحمد ، بن عبد الله الحاتمي ـ [1] .

● ولد بمرسية يوم ١٧ رمضان عام ٥٦٠ هـ .

● قرأ القرآن بالسبع على «أبي بكر بن خلف» بأشبيلية ، وبكتاب «الكافي» ، وقرأ بالكتاب المذكور على أبي القاسم (الشراط القرطبي ، وسمع على أبي بكر : محمد بن أبي جمرة كتاب «التيسير» للداني ـ سمعه عن أبيه ـ ، عن المؤلف .

● وسمع علي بن زرقون والحافظ ابن الجد وأبي الوليد الحضرمي وأبي محمد عبد الحق الأشبيلي الأزدي ، المعروف بـ «الخراط»[2] وغير واحد من أهل المشرق والمغرب يطول ذكرهم .

● إرتحل من مرسية سنة ٥٦٨ هـ ثمان وستين وخمسمائة إلى أشبيلية ، وأقام بها إلى سنة ٥٩٨ هـ ثمان وتسعين وخمسمائة ، ثم أرتحل إلى المشرق .

● أجازه جماعة منهم : الحافظ السلفي ـ محدّث الاسكندرية ـ وابن عساكر ، وأبو الفرج بن الجوزي .

● دخل مصر ، وأقام مدة بزقاق القناديل ، بجوار مسجد عمرو بن العاص ، وأقام بالحجاز مدة ، ودخل بغداد ، والموصل ، وبلاد الروم (تركيا) .

● مات بدمشق سنة ٦٣٨ هـ ثمان وثلاثين وستمائة ، وقيل سنة ٦٣٧ هـ سبع وثلاثين وستمائة : ليلة الجمعة لثمان وعشرين مضين من شهر ربيع الآخر» اهـ .

قال المنذري : ذكر أنه سمع بقرطبة من ابن بشكوال ، وجماعة سواه[3] .

---

(١) له ترجمة في التكملة ٦٥٢ ـ والذيل والتكملة ج ٦ ص ٢١٢ ـ (نسخة باريس) .
وفي عنوان الدراية : ص ٩٧ ، وفي الوافي ج ٤ ص ١٧٣ ـ ١٧٨ ، وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٢ ص ٤٧٨ ، وشذرات الذهب ج ٥ ص ١٩٠ ، والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٣٩ ، وشجرة النور الزكية ص ١٥٥ ، ومرآة الزمان ، ولسان الميزان وغيرها من كتب التراجم .

(٢) له ترجمة في شجرة النور الزكية ص ١٥٥ .

(٣) وسمع من أبي بكر بن صاف ، وسمع بمكة من زاهر بن رستم ، وبدمشق من عبد الصمد بن الحرستاني ، ولازمه الإمام السهيلي وأخذ عنه ، وترجم له شكيب أرسلان في كتابه «الحلل=

وقال ابن الأبار : لقيه جماعة من العلماء والمتعبدين وأخذوا عنه .

● قدم بغداد سنة ٦٠٨ هـ ، وكان يومىء إليه بالفضل والمعرفة .

● كان يعرف بالاندلس بـ «ابن سراقة» .

● سمع بستة من أبي محمد القاسم بن عبد الله ، وعبد المنعم بن محمد الخزرجي (أبو محمد) ومن أبي جعفر بن مصلي . وسمع الحديث من أبي القاسم الحرستاني ، وسمع صحيح مسلم من الشيخ أبي الحسن بن نصر سنة ٦٠٦ هـ .

● قال ابن عربي : «من شيوخنا الاندلسيين : أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأشبيلي (رحمه الله تعالىٰ) : حدّثني بجميع مصنفاته في الحديث ، منها :

«تلقين المهتدي ـ الأحكام الكبرىٰ ـ الأحكام الوسطىٰ ـ الأحكام الصغرىٰ ـ التهجد ـ العاقبة» .

وحدّثني بكتب الإمام أبي محمد : علي بن أحمد بن حزم : عن أبي الحسن : شريح بن محمد بن شريح ، عنه .

وقال : أن الحافظ السلفي : أجاز له .

● قال العلامة «صفي الدين حسين بن الإمام جمال الدين أبي الحسن : علي بن كمال الدين أبي منصور الأزدي الأنصاري ، في رسالته الفريدة المحتوية على من رأى من سادات مشايخه :

= السندسية ج ٣ ص ٥١٤ طبع عيسى الحلبي عام ١٣٥٨ هـ ترجمة طيبة ، فراجعها إن شئت .

وقال شكيب أرسلان : «أنه مال إلى الأدب ، وكتب لبعض الولاة» وكان الغالب عليه التصوف ، وكانت له قدم راسخة في الرياضة والمجاهدة ، ووصفه غير واحد بالتقدم في هذا الشأن وكانت له أتباع .

وقال ابن النجار : «اجتمعت به في دمشق ـ في رحلتي إليها ـ وكتبت عنه شيئاً من شعره ، ونعم الشيخ هو» .

وقال : «إن ابن عربي كان مظهره بدمشق ، وأخرج هذه العلوم فيها ، ولم ينكر عليه ذلك أحد من علمائهم» ا هـ .

«ورأيت بدمشق الإمام العارف الوحيد : محي الدين بن عربي : وكان من أكابر علماء الطريق ، جمع بين العلوم الكسبية ، وما وفر له من العلوم الوهبية ، ومنزلته شهيرة ، وتصانيفه كثيرة ، وكان غلب عليه التوحيد : علماً ، وخلقاً ، وحالاً : لا يكترث بالوجود مقبلاً كان أو معرضاً»(١) .

● وصحبه الإمام السهيلي وأخذ عنه ، وكان من أفضل تلامذة الإمام أبي مدين : شعيب بن حسن الأندلسي(٢) .

● ويكفيه شرفاً أن خاله أبو مسلم الخولاني : الزاهد المشهور ، فهو من بيت علم ودين وعبادة (رحمهم الله) .

● وقال صاحب «عنوان الدراية في تاريخ بجاية» :

«هو فصيح اللسان ، بارع فهم الجنان ، قوي على الإيراد ، كلما طلب الزيادة : يزداد» اهـ .

● رحل إلى العدوة : ودخل بجاية في رمضان سنة ٥٩٧ هـ وبها لقي أبا عبد الله العربي وجماعة من الأفاضل .

● وقال ابن شاكر في «فوات الوفيات» :

«وقد عظمه الشيخ جمال الدين بن الزملكاني (رحمه الله تعالى) في مصنفه الذي عمله في الكلام على «الملك ، والنبي ، والصديق ، والشهيد» فقال في «الفصل الثاني ، في فضل الصديقية» :

«الشيخ محي الدين بن العربي : البحر الزاخر في المعارف الإلهية» اهـ .

وفوده إلى مصر ، وما حدث له فيها :

قال الأستاذان الكريمان في مقدمتهما على الطبعة الأولى لهذا الكتاب الذي نقدّم له ، والمطبوعة عام ١٣٨٠ هـ ما نصه :

«وفد محي الدين إلى مصر وهو في السابعة والثلاثين من عمره ، تتقدمه

---

(١) رتب له صاحب حمص كل يوم (١٠٠) مائة درهم ، ورتب له ابن الزكي (٣٠) ثلاثين درهماً كل يوم ، فكان يتصدق بالجميع .

(٢) انظر شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ١٥٦ و١٦٤ .

صيحات عالية تنطلق حول علومه ومعارفه وكشوفاته القلبية والروحية ، وتلقاه العلماء ورجال الفقه بالجفاء والتحدي ، فعقدوا له حلقات المناظرة والجدل ، ونفخوا عليه بالحقد والموجدة فلم ينالوا من مكانته شيئاً ، بل كانوا كما يقول اليافعي : حكمهم حكم ناموسة نفخت على جبل تريد إزالته .

فلما أعجزهم علمه السامق الشامخ : سعي به السفهاء والعلماء الذين يقتاتون بالحقد ، ويتهجدون في محاريب الغل والحسد : إلى حاكم مصر ، ناسبين إليه الأفك والبهتان ، والأغراض السياسية الخبيثة ، والأهواء الدينية المارقة ، مطالبين بإعدامه وهدر مقامه .

ولكن الله رعاه فأتاح له رجلاً من رجال العلم والتقوى ، هو الشيخ أبو الحسن البجائي القاضي الفقيه العابد ، فشفع له لدى سيد مصر ، ثم جمع بينهما ، ففتن به الوالي وأجله والتمس منه البقاء ، وله من مناصب مصر ما شاء ، فأبى محي الدين ، شاكراً ومقدراً ثم استأذنه في الذهاب إلى الحج ، لأنه على عهد ، فأذن له» .

عقيدته (رضي الله عنه) :

قبل أن ندخل في معمعة الكلام عن عقيدته ، أستمع إليه يقول :

«من لم يشرب مشربنا يحرم عليه قراءة كتبنا» .

هذا النص مشهور عنه .

وذلك لأنه لا يعرفها ـ ولأنه ليس من أهل هذا الفن ـ ولا يعرف ما تهدف إليه هذه الكتب ، وذلك لأنها مليئة بالاستعارات ـ والكنايات ، والتورية ، وما إلى ذلك ـ مما هو أصل من أصول لغة العرب :

لا يعرف الشوق إلاّ من يكابده ولا الصبابة إلاّ من يعانيها .

ولكنا سنورد لك نصوصاً صريحة في عقيدته التي يدين بها لله ربّ العالمين مما قاله في كتبه ، ولتعرف صحة عقيدة الرجل فلا تخض كالذي خاضوا . . .

ورحم الله امرءً عرف قدر نفسه :

● يقول (رحمه الله) :

فمـا ثم إلاَّ اللَّه فـاحمـد تقـل حقـاً ولا تعتبـر في الحمـد كـونـاً ولا خلقـا
وراقـب ثـنـاء الـحق فـي كـل لـفظ فـإن لـه فـي كـل محـمـدة مـرقى
فمن نـال هـذا العلم : نـال مكـانـة تنـزلـه من ربـه المنـزل الـصـدقـا
وسـابق إلى هـذا الـمقـام بـعـزمـة مـع الـسـابقـات الغـر في حمـده سبقا
ولا بـد مـن تـقـسيـم ربـك خـلقـه فـلا بـد من أتقى ، ولا بـد من أشقى
وقـد جـاء في نص الكتـاب مسـطرا بليـل ، وأعلىٰ ، فاعتبـر ذلـك الـنطقـا
فـإن كـتـاب الـلّه يـنـطق بـالـذي قـد أودعـه الـرحمن في خلقـه حقـا
وقـد وضـح العلم الجلي لـذي حجى فـإن شئت تـرضى وإن شئت أن تشقى

ويقول في كتابه «الوصايا» الملحق بـ «الفتوحات»[1] .

. . . فمن ذلك وصيّة :

﴿شرع لكم من الدين ما وصىٰ به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسىٰ وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾[2] .

فأمر الحق سبحانه بإقامة الدين ، وهو : شرع الوقت في كل زمان ومكان .

وأن نجتمع عليه ﴿ولا تتفرقوا فيه﴾ فإن يـد الله مع الجمـاعة ، وإنمـا «يأكل الذئب القاصيـة من الغنم» ، وهي البعيدة من الغنم التي شـردت وانفردت عمـا هي الجماعة عليه .

وحكمـة ذلك : أن الله لا يعقـل إلهـاً إلاَّ من حيث أسمـائـه الحسنىٰ ، لا من حيث هـو معرى عن هـذه الأسماء ، فـلا بـد من تـوحيـد عينـه ، وكثـرة أسمـائـه ، وبالمجموع هو الإله ، فيد الله ـ وهي القوة ـ مع الجماعة .

ويقول (رحمه الله ورضي عنه) :

«وصـىٰ الإلـه وأوصـت رسـلـه فـلذا كـان التـأسي بهم من أفضـل العمـل

(١) أطالب كل من يقرأ الفتوحات : أن يقرأ الوصايـا أولاً ، ثم يقرأ الفتـوحات بعـد ذلك ، لأنـه بالوصايا يعرف صحة عقيدة الرجل : أولاً .

ثم يستطيع بعد ذلك أن يميز الغث من السمين ، بناء على ما قرأ في الوصايا ـ والله تعالىٰ يتولىٰ هداك ـ.

(٢) سورة الشورىٰ ، الآية : ١٣ .

لــولا الـوصيــة كــان الخلق في عمـــه وبـــالـــوصيّــة دام المـلك في الــدول

فــاعمـل عليهــا ، ولا تهمـل طـريقتهـا أن الـــوصيّـــة : حكـم اللّه في الأزل .

ذكـــرت قـــومـــاً بمـــا أوصىٰ الإلـــه بـــه وليس أحــداث أمـر في الــوصيّــة لي

فلم يكن غيـــر مـــا قـــالــوه أو شـــرعـوا من السلوك بهم في أقــوم السبـــل .

فـــهـــدى أحـــمـــد عين الـــدين أجمعــه وملّة المـصــطفىٰ مـن أقــوم المـلل .

ويقول فيه أيضـــاً :

«ثـابـر على كلمـة الإسـلام ـ وهي قولك ـ: «لا الــه إلاّ الله» فـإنهـا أفضـل الأذكار ، بما تحتوي عليه من زيادة علم» .

وقـــال (ص) :

«أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلاّ الله .

كلمة جمعت بين النفي والإثبات ، والقسمة منحصرة ، فـلا يعرف مـا تحتوي عليـه هذه الكلمـة إلاّ من حيث عرف وزنهـا ومـا تـزن ، كمـا ورد في الخبـر الـذي نذكره في الدلالة عليها .

فـاعلم أنها كلمـة التوحيـد ، والتوحيـد لا يماثله شيء ، إذ لـو ماثله شيء مـا كان واحداً ، ولكان اثنين فصاعداً ، فما ثم ما يزنـه إلاّ المعادل والممـاثل ، ومـا ثم مماثل ولا معادل .

فذلك المانع الذي منع لا إله إلاّ الله : أن تدخل الميزان» اهـ .

ثـم يقـــول :

فالإنسان أما مشرك ، وإما موحد .

فلا يزن التوحيد الإشراك(١) ، ولا يجتمعان في ميزان .

وعندنا : إنما تدخل في الميزان ، لمن فهمه واعتبره ، وهـو خبر صحيـح عن الله .

يقـول الله : ﴿لـو أن السمـاوات السبـع﴾ ، وعـــامـرهن غيري ، ﴿والأرضين

---

(١) بفتح دال التوحيد ، وضم كاف الأشراك ، ولا يجوز العكس لأن القاعدة : «إذ صح المعنىٰ : صح الإعراب» .

السبع﴾ ، وعامرهن غيري ، في كفة[1] ، ولا إله إلاّ الله في كفة : مالت بهن «لا إله إلاّ الله» .

إلى أن قال (رحمه الله) :

«وفي لسان العموم من علماء الرسوم : يعني بالغير : الشريك الذي أثبته المشرك : لو كان له اشتراك في الخلق . لكانت لا إله إلاّ الله» الأقوى على كل حال . لكون المشرك يرجح جانب الله تعالى على جانب الذي أشرك به فقال فيهم : أنهم قالوا : ﴿ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفى﴾ .

فإذا رفع ميزان الوجود ، لا ميزان التوحيد : دخلت «لا إله إلاّ الله فيه» ا هـ .

● هل في ذلك الذي قرأت رائحة للحلول والاتحاد ؟ .

● وها هو ذا من مئات السنين يدافع عن نفسه فيقول :

«إياك ومعادات أهل «لا إله إلاّ الله» فإن لهم من الله الولاية ، فهم أولياء الله وإن أخطأوا وجاءوا بقراب الأرض خطايا ، ولا يشركون بالله شيئاً : لقيهم الله بمثلها مغفرة .

ومن ثبتت ولايته : حرمت محاربته .

ومن حارب الله فقد ذكر الله جزاءه في الدنيا والآخرة ، وكل من لم يطلعك الله على عداوته لله ، فلا تتخذه عدواً .

وأقل أحوالك إذا جهلت : أن تهمل أمره ، فإذا تحققت أنه عدو لله ـ وليس إلاّ المشرك ـ فتبرأ منه ، كما فعل الخليل إبراهيم (ع) في حق أبيه .

قال الله عزّ وجلّ : ﴿فلما تبيّن له أنه عدو لله تبرأ منه﴾ هذا ميزانك .

يقول الله عزّ وجلّ : ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم .

ومتى لا تعلم ذلك ، لا تعاد عباد الله : بالإمكان ولا بما ظهر على اللسان .

---

(١) الواو في «وعامرهن» للاستئناف ، لا للعطف .

والذي ينبغي لك : أن تكره فعله ، لا عينه .

والعدو لله إنما تكره عينه .

ففرق بين من تكره عينه ـ وهو عدو الله ـ ومن يكره فعله ، وهو المؤمن ، أو من تجهل خاتمته ممن ليس بمسلم في الوقت .

وأحذر قوله ـ في الصحيح ـ [1] «من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» .

«فإنه إذا جهل أمره وعاداه فما وفى حق الحق (تبارك وتعالىٰ) في خلقه ، فإنّه ما يدري علم الله فيه ، وما بيّنه الله له حتى يتبرأ منه ، ويتخذه عدواً» .

ثم قال :

«وإن كان عدواً لله ـ في نفس الأمر ـ وأنت لا تعلم ، فوالِه لإقامة حق الله ، ولا تعاده ، فإن الاسم «الظاهر» يخاصمك عند الله[2] . فلا تجعل لله عليك حجة فتهلك ، فإن لله الحجة البالغة ، فعامل عباد الله بالشفقة والرحمة» ا هـ .

● وها هو ذا تظهر عقيدته واضحة جلية في مسألة الإستواء على العرش ، التي وقع فيها من أكابر العلماء من وقع ، وشبهوا الله بعباده .

وربما كانت هذه المسألة : إحدىٰ المسائل التي خالفهم فيها ـ فلذلك لجأ ـ بسببها ـ من لا يخشىٰ الله إلى الدس في كتبه والتزوير عليه (رحمه الله) .

قال (رحمه الله) :

«إنه ليس كاستواء الأكوان ، وإنه لو جلس عليه جلوساً ـ كما تدّعيه المشبهة لحدة المقدار وقام به الافتقار إلى مخصص مختار ، لا تحيط به الجهات والأقطار .

والإفتقار على الله محال ، فالاستقرار بمعنى الجلوس عليه محال» ا هـ .

---

(١) يعني في الحديث الصحيح ، والحديث رواه البخاري في الرقاق عن أبي هريرة ، ورواه الإمام أحمد ، والحكيم وأبو يعلىٰ ، والطبراني ، وأبو نعيم ، وابن عساكر عن أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها) ، والطبراني في الكبير ، وابن السني عن أم المؤمنين السيدة ميمونة (رضي الله عنها) ، والقشيري في رسالته عن سيدنا أنس (رضي الله عن الجميع) .

(٢) لأنك لا تعرف إلاّ الظواهر حتى من زوجك وأولادك وأقرب المقربين إليك . فقف عند حد الأدب والزم حدودك .

● **بعض كلامه (رضي الله عنه) في النزول :**

قال (رضي الله عنه) في كتابه «رد المتشابه إلى المحكم» في «فصل النزول» :

«ومن الأحاديث المتشابهة نزوله ـ سبحانه ـ كل ليل إلى سماء الدنيا ، وهو لا ينافي ما ذكرناه ، ولا يستلزم إثبات الجهة ، ولا اتصافه تعالىٰ بالحركة والنقلة ، فإنها عرض . والأعراض يلزمها الحدوث ، والحدوث على القديم محال ـ على ما هو مقرر في الكتب الكلامية ، ولسنا له الآن ـ وإنما القصد تخريج صفة النزول على ما يوافق القواعد التي مهدناها في صفاته تعالىٰ .

وقد أول بعضهم نزوله ـ تعالىٰ ـ بنزول علمه أو قدرته ونحوه ، وهو غير منج ، فإن علمه وقدرته ، وصفاته : أن أريد نزولها نفسها فهو محال ، لأن الصفة قائمة بالموصوف ، فإذا لم يجز على موصوفها النزول ، فصفته أولىٰ وأحرىٰ .

وأن أريد بنزولها تعلقها بما في السماء الدنيا ، فتعلق علمه وقدرته بالموجودات كلها : لم يزل ولا يزال . . . فكيف يخص بجزء من الليل أو غيره .

هذا . . . مع القطع بأنه تعالىٰ ﴿يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ فمن قبضته لا تزال محيطة بالسماوات والأرضين كلها ، كيف يحتاج إلى النزول إليها ، أو يختص تعلق علمه وقدرته بها بزمان دون غيره ! » ا هـ .

وبهذه المناسبة أقول ـ أنا كاتب هذه المقدمة ـ وأسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يثبتني على الإيمان الكامل به تعالىٰ وكتبه وملائكته ورسله : لي سؤال عند الذين يعتقدون أن الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ ينزل نزولاً حقيقياً ـ واستعملوا البلكفة[1] ـ كما قال الزمخشري (رحمه الله تعالىٰ)[2] :

«ان الأرض كرة ، إذا غابت الشمس عن مكان ظهرت في مكان آخر ، وهذا حكم الخلقة التي خلقها الله تعالىٰ عليها ـ فإذا فرض ـ على عقيدة المجسمة ـ لأحياهم الله ولا بياهم ـ ان الله تعالىٰ نزل نزولاً حقيقياً ـ كما يدعون ـ في الثلث الأخير من الليل في نصف الكرة من السماء الأولىٰ فأين يكون

---

(١) قولهم بلا كيف .

(٢) لأن الزمخشري (رحمه الله) قال : وتستروا بالبلكفة .

في النصف الآخر ؟ .

تعالىٰ الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً .

وأما الحديث فإنه صحيح ، وما دام الحديث صحيحاً فالرجوع إلى لغة العرب ، التي نزل بها القرآن ، وتكلم بها رسول الله (ص) أولى وأحق .

وتدبر قوله تعالىٰ : ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ هل نزل الحديد من السماء إلى الأرض أم خلق فيها . . . ؟ .

أنه خلق فيها ، ومعنى أنزلنا : أوجدنا ، أو خلقنا .

الدس في الكتب قديماً وحديثاً

ذكر الإمام الشعراني (رحمه الله ورضي عنه) في لطائف المنن والأخلاق[1] ما معناه : إنه قرأ الفتوحات المكية المكتوبة بيد الشيخ (رحمه الله) ، وقارن بينها وبين النسخة المصرية فوجد في النسخة المصرية زيادات لم يكتبها ابن عربي ، ولا قالها .

وقال في كتابه «اليواقيت والجواهر» ص ٣ ما نصه :

«وقد أخبرني العارف بالله تعالى : الشيخ أبو طاهر المزني الشاذلي (رضي الله عنه) : «أن جميع ما في كتب الشيخ محيي الدين - مما يخالف ظاهر الشريعة - مدسوس عليه .

قال لأنه رجل كامل باجماع المحققين والكامل لا يصح في حقه شطح عن ظاهر الكتاب والسنة لأن الشارع أمنه على شريعته»! .

وقال الإمام الشعراني : فلهذا تتبعت المسائل التي أشاعها الحسدة عنه ، وأجبت عنها ، لأن كتبه المروية لنا عنه بالسند الصحيح : ليس فيها ذلك» اهـ .

وأما دس الكلام الزائغ في كتب الأولياء فشائع وذائع ومعروف .

يقول الإمام الشعراني في اليواقيت ص ٧ :

«وقد دس الزنادقة تحت وسادة الإمام أحمد ، في مرض موته عقائد زائغة ،

(١) طالع ص ٦٣٨ .

لولا أن أصحابه يعلمون صحة الاعتقاد لا فتتنوا بما وجدوه تحت وسادته .

وكذلك دسوا على شيخ الإسلام/ مجد الدين الفيروز آبادي صاحب القاموس كتاباً في الرد على أبي حنيفة وتكفيره ، ودفعوه إلى أبي بكر الخياط اليمني البغوي ، فأرسل يلوم الشيخ مجد الدين على ذلك ، فكتب إليه الشيخ مجد الدين ان كان بكفك فاحرقه ، فإنه إفتراء من الأعداء ، وأنا من أعظم المعتقدين في الإمام أبي حنيفة ، وذكرت مناقبه في مجلد .

وكذلك دسوا على الإمام الغزالي عدة مسائل في كتاب الإحياء ، وظفر القاضي عياض بنسخة من تلك النسخ ، فأمر باحراقها .

وكذلك دسوا علي أنا في كتابي «البحر المورود» جملة من العقائد الزائغة ، وأشاعوا تلك العقائد في مصر ومكة نحو ثلاث سنين ، وأنا بريء منها ، كما بينت ذلك في خطبة الكتاب لما غيرتها ، وكان العلماء كتبوا عليه وأجازوه فما سكنت الفتنة حتى أرسلت إليهم النسخة التي عليها خطوطهم .

وكان ممن أنتدب لنصرتي : الشيخ الإمام «ناصر الدين اللقاني» ، المالكي (رضي الله عنه) .

ثم أن بعض الحسدة : أشاع في مصر ومكة : أن علماء مصر رجعوا عن كتابتهم على مؤلفات فلان كلها .

فشك بعض الناس في ذلك فأرسلت النسخة للعلماء ثالث مرة فكتبوا تحت خطوطهم :

«كذب والله من ينسب إلينا أننا رجعنا عن كتابتنا على هذا الكتاب وغيره من مؤلفات فلان» .

وعبارة سيّدنا ومولانا الشيخ ناصر الدين المالكي ـ فسح الله في أجله ـ بعد الحمد لله .

«وبعد : فما نسب إلى العبد من الرجوع عما كتبته بخطي على هذا الكتاب وغيره ، من مؤلفات فلان : باطل ، باطل ، باطل ، والله ما رجعت عن ذلك ، ولا عزمت عليه ، ولا اعتقدت في مؤلفاته شيئاً من الباطل ، وأنا معتقد صحة مقالته ، باق على ذلك ، وأدين الله تعالى بالاعتقاد في صحة كلامه وولايته ، فلا

ينبغي أن يصدق في شيء مما ينسب إلى السنة الذين لا يخشون الله تعالىٰ» ا هـ منه .

أقول أنا كاتب هذه المقدمة :

وقد وضع على الإمام الغزالي (رحمه الله تعالىٰ) كتاب بحاله ، وأعتقد كثير من الناس صحة هذا الكتاب ، بناء على أنه له ـ ومعاذ الله أن يكون له منه حرف واحد ، لأنه مبني على نظرية قدم العالم ، وهي عقيدة فلسفية ، وأصل قواعدها كفر ـ ونعوذ بالله .

قال صاحب كشف الظنون في كشفه : جـ ٢ ص ٤٥١ ما نصه :

«المضنون به على غير أهله» .

قال ابن السبكي في طبقاته :

ذكر ابن الصلاح أنه منسوب إلى أبي حامد الغزالي ، وقال : معاذ الله أن يكون له .

وبين سبب كونه مختلقاً موضوعاً عليه .

والأمر كما قال ، وقد أشتمل على التصريح بقدم العالم ونفي علم القديم بالجزئيات ، ونفي الصفات .

وكل واحد من هذه يكفر الغزالي قائله ، هو وأهل السنة أجمعون .

فكيف يتصور أن يقول ذلك» ا هـ منه .

وقد اختلقوا الآن ـ في العصر الذي نحن فيه ـ كتاباً بحاله على جلال الدين السيوطي لم يقل منه كلمة واحدة ـ وهو كتاب «حقيقة السنة والبدعة» اخترعه التيميون[1] .

وكذلك : كل ما هو موجود في السوق الآن ، للإمام الشيخ «محمد متولي

---

(١) وأدلة الاختلاق فيه كثيرة ، منها : أنه لم يدلنا من أين أتى به ، إذ كل كتاب يظهر جديداً من كتب الأقدمين ولأول مرة يجب أن تعمل فيه دراسة كاملة عن المخطوطة ، وأين كانت ونظائرها إن كان لها نظائر ، أو هي مفردة ، وإن أمكن تصوير اللوحة الأولى منها فعل . . . . وهكذا . . ولكن لم يكن فيه شيء من هذا على الإطلاق .

الشعراوي (أطال الله حياته) لا صلة له به ، ولا يعرف عنه شيئاً إلاّ كتاب «خواطري نحو القرآن الكريم» لأنه صرّح هو بهذا . وقال : انني لا أكتب شيئاً لأحد ، غير خواطري نحو القرآن» .

وقد نشرت جريدة النور الصادرة بتاريخ ٢٣ شوال سنة ١٤٠٥ هـ خبراً ، قالت : «عندما بدأ حديث فضيلة الأستاذ العالم الجليل : «محمد متولي الشعرواي يوم الجمعة ١٠/٥/١٩٨٥ في تفسير الآية ﴿لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم﴾ فوجئنا بمعنى هذه الآية قد تغير تماماً إلى معنىٰ الآيات التي بعدها» إلى آخر الخبر ، والشيخ الفاضل حي يرزق ، وفعلت معه هذه الأفاعيل ، ولا يملك إلاّ أن يقول : أنا لم أكتب ولم أقل هذا .

وما أكثر ما زورت كتب بحالها في القاهرة ، ونسبت إلى غير مؤلفيها ، وكتب أخرى غيرت عناوينها ، وحرف كثير من الكلام الذي بداخلها ، ليوافق مذهباً معيناً .

ولو رجعنا إلى حقيقة الأمر ، لوجدنا لهذا أصلاً قديماً : طبعه وطبيعته «التقول على علماء المسلمين» اخترعه من لا خلاق لهم ، وهم الذين عناهم الإمام ناصر الدين اللقاني بقوله «الذين لا يخشون الله تعالىٰ» .

قال صاحب كتاب «كشف المحجوب» العلامة أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري المتوفى سنة ٤٦٥ هـ في كتابه ص ١٠ ما نصه :

« . . . وقد كتبت قبل ذلك كتباً في هذا المعنىٰ ، ضاعت كلها ، وقد جعل المدعون الكذابون بعض ما فيها مصيدة للخلق ، ومحوا ما بقي ومزقوه ارباً ارباً لأن لصاحب هذا الطبع بضاعة من الحسد وإنكار نعمة الله» إلى آخره» .

وقال في ص ١١ :

« . . . وفي ما مضىٰ ساء صنع الجهلة بهذا العلم في كتب المشايخ ، فحينما وقعت بين أيديهم تلك الخزائن للأسرار الإلهية ، ولم يفقهوا لها معنى ، فالقوها لصناع العمائم وأعطوهم لمجلدي الكتب الأنجاس حتى يجعلوا منها بطانة للعمائم أو أغلفة لدواوين شعر أبي نواس ، أو هزليات الجاحظ .

ولا غرابة في ذلك فإن العقاب الملكي إذا استوى على حائط عجوز معدمة : كان جزاؤه نزع ريشه» اهـ .

وقال في ص ٤ :

« . . . وقد منيت بهذا الأمر مرتين : إذ استعار أحد الناس ديوان شعرك ولم أكن احتفظ لدي بنسخة أخرى منه ، فبدل فيه، ثم نشره بين الناس بعد أن كشط اسمي الذي كان في المقدمة وبذلك أضاع مجهوداً عظيماً علي : (سامحه الله وغفر له).

ثم أني كنت قد وضعت كتاباً آخر في التصوف سميته «منهاج الدين» انتحله مدع ساقط القول ، ومحا اسمي من بدايته ، وأبدى للعاملة أنه من تأليفه بالرغم من أن الخاصة كانوا يهزءون به ، حتى عاقبه الله بسوء فعله ومحا اسمه من ثبت طلابه» .

جماعة ممن أثنوا على الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي

من أثنى على الشيخ محي الدين بن عربي كثيرون جداً ، منهم - على سبيل المثال - لا الحصر :

١ - الإمام : «مجد الدين الفيروز آبادي» ، وكان يحبه جداً ، وألف فيه كتاباً سمّاه «الاغتباط بمعالجة ابن الخياط»[1] .

٢ - وكذلك الشيخ : «سراج الدين المخزومي» شيخ الإسلام بالشام ، وألف فيه كتاباً خاصاً سمّاه «كشف الغطاء عن أسرار كلام الشيخ محي الدين» .

٣ - الشيخ «كمال الدين بن الزملكاني» - قاضي القضاة - ، وقد ألف كتاب «تحقيق الأُولىٰ في الكلام على الرفيق الأعلىٰ» واحتج فيه بكلام ابن عربي وكان من أجل علماء الشام .

٤ - الشيخ القطب «سعد الدين الحموي» وقال لما سئل عنه بعد أن رجع من الشام : «وجدته بحراً زخاراً ، لا ساحل له» .

٥ - الشيخ «صلاح الدين الصفدي» في تاريخه .

٦ - «الحافظ الذهبي» وقال لما سمع أنه قال عن الفصوص : «أنه صنفه بأمر من الحضرة الشريفة النبوية» . قال : ما أظن المحيي يتعمد الكذب أصلاً» .

---

(١) لابن أبن الخياط هذا تولى كبر هذه الجريمة المنسوبة إلى «ابن عربي» ، وقال لفظ «بمعالجة» لأنه مريض يحتاج إلى علاج .

علماً بأن الحافظ الذهبي من أشد المنكرين على الصوفية .

٧ ـ الشيخ «قطب الدين الشيرازي» .

٨ ـ الشيخ «مؤيد الدين الخجندي» .

٩ ـ الشيخ «السهروردي» .

١٠ ـ «الفخر الرازي» .

١١ ـ وقال «الإمام النووي» لما سئل عنه : «تلك أمة قد خلت ، ولكن يحرم على كل عاقل أن يسيء الظن بأحد من أولياء الله عزّ وجلّ ، ويجب عليه أن يؤل أقوالهم وأفعالهم ، ما دام لم يلحق بدرجتهم ، ولا يعجز عن ذلك إلّا قليل التوفيق» .

١٢ ـ وكذلك «الإمام اليافعي» (رحمه الله تعالىٰ) .

١٣ ـ الشيخ «محمد المغربي الشاذلي» : شيخ الجلال السيوطي (رحمهما الله تعالىٰ) .

١٤ ـ «بدر الدين بن جماعة» ـ وهو من أفاضل العلماء وأكابرهم ـ ، وقد شرح كتابه «فصوص الحكم» .

١٥ ـ قاض القضاة الشيخ «شمس الدين الخونجي» ، وكان يخدمه خدمة العبد لسيده .

١٦ ـ الحافظ البرزلي ، وقد قرأ ـ أي الحافظ البرزلي ـ عليه كتبه ، وكتب له أجازة بها[١] .

١٧ ـ الشيخ : الحافظ السبكي «تقي الدين» ومما قاله :

«كان الشيخ محيي الدين آية من آيات الله تعالىٰ ، وأن الفضل في زمانه رمى بمقاليده إليه ، وقال : لا أعرف إلّا إياه» .

١٨ ـ الشيخ «سراج الدين البلقيني» (رحمه الله) ، ومما قاله :

---

(١) والفيروز آبادي رأى الاجازة التي كتبها ابن عربي للحافظ البرزلي بخط يده على كتبه التي أجازه بها ، وقرأها البرزلي عليه .

«ولقد كذب وافترى من نسبه إلى القول بالحلول والاتحـاد . . .» إلى آخر مـا قال .

١٩ ـ «الحافظ بن كثيـر» ، ومما قـالـه : «أخشى أن يكـون من يخـطئـه هـو المخطىء ، وقد أنكر قوم عليه فوقعوا في المهالك» .

وقال في البداية والنهاية بعد كلام : «ولكل ما قاله احتمال» .

٢٠ ـ «جلال الدين السيـوطي» ، وقد ألف فيـه كتابـاً سمّاه «تنبيـه الغبي ، في تبرئة ابن عربي» .

٢١ ـ «شمس الـدين بن مسـدي» في معجمـه البـديـع (في ثـلاث مجلدات) وترجم له ترجمة عظيمة .

٢٢ ـ أبو شـامة ، وقـال :

«. . . ولـه تصانيف كثيـرة ، وعليه التصنيف سهـل ، ولـه شعـر حسن وكـلام طويل على طريق التصوف» .

٢٣ ـ ابن السبط (وهو مؤرخ مشهور) ، قال :

«. . . كان فاضلاً في علم التصوف» .

٢٤ ـ «ابن عـطاء الله السكنـدري» ، وقـد جـرت منـاظـرة قيمـة في الأزهـر الشريف بينه وبين ابن تيمية (رحم الله الجميع) .

إقرأ المناظرة التي جرّت بينهما كاملة في كتاب أستاذنا العلامـة الشيخ محمـد زكي إبراهيم شيخ الطريقة المحمدية ، ورائـد العشيرة المحمـدية (حفـظه الله وأبقى حياته) : «أصول الوصول» ففيها غناء وشفاء .

٢٥ ـ صاحب لسان الميزان ، وقال :

«. . . كان عارفاً بالسنن والآثار ، قوي المشـاركة في العلوم ، أخـذ الحديث عن جمـع ، وكان يكتب الإنشـاء لبعض ملوك المغـرب ، ثم تـزهـد وسـاح ودخـل الحرمين والشام ، وله في كل بلد دخلها مآثر» .

٢٦ ـ شيخ الإسلام بدر الدين المخزومي ، وقال :

«. . . كان الشيخ بالشام كعبة القاصدين ، ومثابة للمتفقهين يتردد إليه العلماء ويحف به الأوداء ، ويلوذ به الأوفياء ، يعترفون له جميعاً بجلالة القدر ، وأنه أستاذ المحققين من غير إنكار .

وقد أقام بين أظهرهم أمداً طويلاً يكتبون مؤلفاته ويتداولونها ويسألونها الدعاء» اهـ من المقدمة التي كتبها الأستاذ محمد مرسي على كتاب : «محاضرات الأبرار» .

من أقوال بعض العلماء فيه

قال الفيروز آبادي في كتابه : «الاغتباط بمعالجة ابن الخياط» لما سئل عن الشيخ الأكبر (رحمه الله) :

«الحمد لله الذي أنطقنا بما فيه رضاه :

الذي أعتقده في حال المسؤول عنه ، وأدين الله تعالى به : أنه كان شيخ الطريقة : حالاً ، وعلماً ، وإمام الحقيقة : حقيقة ورسماً ، ومحيي رسوم المعارف فعلاً ورسماً» .

إذا تغلغل فكر المرء في طرف ... من بحره غرقت فيه خواطره :

وهو عباب لا تكدره الدلاء ، وسحاب لا تتقاصر عنه الأنواء ، وتفترق بركاته فتملأ الآفاق . . .

وأنّي أصفه ، وهو يقيناً فوق ما وصفته ، وناطق بما كتبته ، وغالب ظني أني ما أنصفته :

وما علي إذا قلت معتقدي ... دع الجهول يظن العدل عدوانا
والله ! والله ! والله العظيم ومن ... أقامه حجة للدين برهانا
بأن ما قلت : بعض من مناقبه ... ما زدت ، إلّا لعلي زدت نقصانا

إلى أن قال : «هذا الذي نعلم ، ونعتقد ، وندين الله تعالى به في حقه ، والله سبحانه وتعالى أعلم» .

وصـورة إستشهـاده :

(كتبه/محمد الصديقي الملتجىء إلى حرم الله تعالىٰ[1] ، عفا الله عنه) .

وقال صاحب «نفح الطيب» في كتابه ، ومنه نقلت :

«روينـا عن شيـخ الإسـلام «صـلاح الـدين العـلائي» ، عن جمـاعـة من المشايخ ، كلهم عن خادم الشيخ عز الدين بن عبد السلام : أنه قال :

«كنـا في مجلس الدرس بين يدي الشيـخ عز الـدين بن عبـد السـلام ، فجـاء في «باب الردة لفظة «الزنديق» فقال بعضهم : هل هي عربية أو عجمية ؟» .

فقـال بعض الفضـلاء : إنمـا هي معـربـة ، أصلهـا زن ديق أي على دين المرأة ، وهو الذي يضمر الكفر ويظهر الإيمان .

فقال بعضهم : مثل من ؟ .

فقال آخر إلى جنبه : مثل ابن عربي بدمشق .

فلم ينطق الشيخ ولم يرد عليه .

قال الخادم : وكنت صائماً ذلك اليوم ، فـاتفق أن الشيخ دعـاني للإفـطار معه فحضرت ، ووجدت منه إقبالاً ولطفاً .

فقلت : يا سيِّدي : هل تعرف القطب الغوث الفرد في زماننا ؟ .

فقال : مالك ولهذا ! ؟ كل .

فعرفت أنه يعرفه ، فتركت الأكل ، وقلت له :

لوجه الله تعالىٰ : عرفني به ، من هو ؟ .

فتبسم (رحمه الله) ، وقال لي : الشيخ محيي الدين بن عربي .

فأطرقت ساكتاً متحيراً .

فقال : مـالـك ؟ .

فقلت : يا سيدي ، قد حرت .

---

(١) يعني كتبه (رحمه الله) في مكة المكرمة .

قال : ولــم ؟ .

قلت : أليس اليوم قال ذلك الرجل إلى جنبك مـا قال في ابن عـربي ، وأنت ساكت ؟ .

فقال : أسكت ، ذلك مجلس الفقهاء[1] ا هـ .

وقال ابن الزملكاني :

«مـا أجهـل هؤلاء ، ينكــرون على الشيـخ محـي الـدين بن عـربي لأجـل كلمـات وألفاظ وقعت في كتبـه ، قد قصـرت أفهامهم عن درك معـانيهـا ، فليـأتوني لأحـل لهم مشكلة ، وأبين لهم مقاصـده ، بحيث يـظهـر لهم الحق ، ويـزول عنهم الوهم» ا هـ .

وقال صاحب الوفيات :

قال الشيخ شمس الدين[2] :

«ولـه تـوسيـع في الكـلام ، وذكـاء وقـوة خـاطـر ، وحـافـظة ، وتـدقيق في التصـوف ، وتـآليف جمـة في العرفـان ، ولـولا شـطحـه في الكـلام ، لم يكن بـه بأس ، ولعل ذلك وقع منه حال سكره وغيبته ، فيرجىٰ له الخير» ا هـ .

نص مـا قالـه العلامـة الفيروز آبـادي ، (رحمه الله) : في مسـألة الـدس عليه (رحمه الله) :

«لم يبلغنـا عن أحـد من القـوم أنـه بلغ في علم الشريعـة والحقيقـة مـا بلغ الشيخ محي الدين أبدا.

ولم تزل الناس منكبين على الإعتقـاد في الشيخ ، وعلى كتـابة مؤلفـاته بحـل الـذهب[3] في حياتـه وبعد وفـاته ، الى أن أراد الله مـا أراد من انتصاب شخص من اليمن إسمه «جمال الـدين بن الخياط» ، فكتب مسـائل في «درج»[4] وأرسلهـا الى

---

(١) يعني أن كل مجلس لما يليق به .

(٢) يعني الحافظ الذهبي (رحمه الله) .

(٣) يعني : ماء الذهب المحلول منه .

(٤) الدرج والدرج : بفتح الدال المشددة وسكون الراء ، وفتحها : الـذي يكتب فيه ، ومنـه قولهم انفذته في درج كتابي : أي في طيه ا هـ من المختار .

العلماء ببلاد الإسلام ، وقال : هذه عقائد الشيخ محي الدين بن العربي . وذكر فيها عقائد زائغة ، ومسائل خارقة لإجماع المسلمين ، فكتب العلماء على ذلك ، بحسب السؤال ، وشنعوا على من يعتقد ذلك من غير تثبت .

والشيخ عن كل ذلك بمعزل» .

ثم قال الفيروز آبادي :

«فلا أدري : أوجد ابن الخياط تلك المسائل في كتاب مدسوس على الشيخ ، أو فهمها هو من كلام الشيخ محي الدين ، على خلاف مراده» ا هـ .

وقال : «والذي أقوله وأتحققه وأدين الله تعالى به : أن الشيخ محي الدين كان شيخ الطريقة : حالاً وعلماً ، وإمام التحقيق : حقيقة ورسماً ، ومحيي علوم العارفين فعلاً واسماً .

إذا تغلغل فكر المرء في طرف — من مجده غرقت فيه خواطره

لأنه بحر لا تكدره الدلاء ، وسحاب لا يتقاص عنه الأنواء . كانت دعواته تخترق السبع الطباق ، وتغترف بركاته فتملأ الآفاق ، وهو يقيناً فوق ما وصفته وناطق بما كتبته ، وغالب ظني أني ما أنصفته .

ثم قال :

وما علي إذا قلت معتقدي — دع الجهول يظن الجهل عدوانا
والله ، والله ، والله العظيم ومن — أقامه حجة للدين برهانا
إن الذي قلت بعض من مناقبه — ما زدت ، إلّا لعلي زدت نقصانا

وأما كتبه (رضي الله عنه) ، فهي البحار الزواخر ، التي ما وضع الواضعون مثلها ، ومن خصائصها : ما واظب أحد على مطالعتها إلّا وتصدر لحل المشكلات في الدين ومعضلات مسائله ، وهذا الشأن لا يوجد في كتب غيره أبداً ، وأما قول بعض المنكرين : أن كتب الشيخ لا تحل قراءتها ولا إقراؤها فكفر[1] .

وقدموا لي مرة سؤالاً صورته :

---

(١) بفتح الكاف وسكون الفاء : يعني ستر للحقيقة وإنكار للواضح ، وليست بضم الكاف ، والله أعلم .

«مـا تقـول في الكتب المنسـوبـة إلى الشيـخ محي الـدين بن العـربي ، كـالنصـوص والفتـوحـات : هـل يحـل قـراءتها وإقـراؤهـا ، وهـل هي من الكتب المسموعة المقروءة أم لا ؟ .

فـأجبت : نعم ، هي من الكتب المسموعـة المقروءة ، وقـد قـرأهـا الحـافظ البـرزلي وغيره ، ورأيت إجـازتـه بخط الشيـخ محي الـدين ، والمحـدّثين على حـواشي الفتوحـات المكية بمـدينـة قـونيـة ، وكتـابـة طبقـة بعـد طبقـة من العلمـاء والمحدّثين .

فمطالعة كتب الشيـخ قربـة إلى الله تعالىٰ ، ومن قـال غير ذلـك فهو جـاهـل زائغ عن طريق الحق .

فلقد كان الشيخ والله في زمنه صـاحب الولايـة العظمىٰ والصـديقية الكبـرىٰ ـ فيما نعتقد وندين الله تعالىٰ به ـ خلاف ما عليه جماعة ممن مقتهم الله تعالىٰ ، فحرموا فوائده ، ووقعوا في عرضه بهتاناً وزوراً ، وحاشا جنابه الكريم أن يخـالف كلام نبيـه الذي استأمنه على شرعه .

ومن أنكر عليه وقع في أخطر الأمور .

علي يقـطع القوافي من محـاجـرهـا ... ومـا علي إذا لم يفهم البقـر» ـ ا هـ

وفي مقـدمة كتـاب «ذم الموسـوسين» لابن قـدامـة الحنبلي (هدية من مجلة الأزهـر ـ ذو القعـدة ١٤٠٤ هـ) للسيّـدين عـادل رفـاعي ، وأحمـد حسن جـابـر ص ٢٠ : ما نصه :

«قـال الحـافظ الضيـاء(١) : رأيت الإمـام أحمـد بن حنبـل في النـوم ، وألقى علي مسألة في الفقه .

فقلت : هذه في الخرقىٰ .

فقال : ما قصر صاحبكم الموفق في شرح الخرقى .

وقرأت بخط الحافظ الدبيثي : قال : سمعت الشيخ علاء الدين المقدسي ـ

قلت : وقد أجاز لي المقدسي : هذا ـ .

قال : سمعت شيخنا أبا العباس بن تيمية .

قال الذهبي ـ وأظنني سمعت من شيخنا ابن تيمية ـ يقول : قال لي الشيخ تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم القزازي : كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخنا : يرسلني استعير له المحلى والمجلى[1] من ابن عربي .

وقال الشيخ عز الدين : ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى والمجلى وكتاب المغنى للشيخ موفق الدين بن قدامة في جودتهم وتحقيق ما فيهم» اهـ بحروفه .

وقال ابن تيمية (رحمه الله) في رسائله جـ ١ ص ١٧٦ مطبعة المنار :

«إنه أقرب القائلين بوحدة الوجود إلى الإسلام ، وأحسن منهم كلاماً في مواضع كثيرة ، فإنه يفرق بين الظاهر والمظاهر ، ويأمر بالسلوك بكثير مما أمر به المشايخ من الأخلاق والعبادات» اهـ . من المقدّمة التي كتبها السيد الفاضل محمد مرسي الخولي ، على كتاب «محاضرات الأبرار» .

وفي كتاب عصر سلاطين المماليك المجلد ٦ ص ٤٨ ما نصه :

«تقي الدين بن قاضي عجلون المتوفى سنة ٩٢٨ هـ أنكر على البقاعي حملته على الغزالي وابن عربي» اهـ .

وقال ابن عطاء الله السكندري لابن تيمية في مناظرته له في الأزهر :

«أن ابن عربي (رضي الله عنه) : كان أكبر فقهاء الظاهر ، بعد ابن حزم الفقيه الأندلسي المقرب إليكم يا معشر الحنابلة :

كان ابن عربي ظاهرياً ، ولكنه يسلك إلى الحقيقة طريق الباطن ـ أي تطهير الباطن ـ ، وليس كل أهل الباطن سواء .

ولكي لا تضل أو تنسى : أعد قراءة ابن عربي بفهم جديد لرموزه .

وكان جواب ابن تيمية (رحمه الله) يفيض أدباً ـ مع الاحتفاظ لنفسه بحق الرأي ـ قال :

---

(١) «المحلى» لابن حزم ، و «المجلى مختصر المحلى» لابن عربي وهي كتب فقه .

«أحسنت والله ، إن كان صاحبك ما تقول ، فهو أبعد الناس عن الكفر ، ولكن كلامه لا يحمل هذه المعاني ـ فيما أرىٰ ـ .

قال ابن عطاء الله :

«أن له لغة خاصة ، وهي مليئة بالإشارات ، والرموز ، والإيحاءات ، والأسرار ، والشطحات» .

ابن عربي والفلسفة :

هل كان ابن عربي فيلسوفاً بالمعنى المعروف ؟ :

نحن نعرف أن ابن رشد كان شيخ الفلاسفة ، وقد تعرف عليه ابن عربي ، والتقى به مرّات ومرّات ، وكان ابن عربي يريد هداية ابن رشد .

ولكن كان غير ما أراد ابن عربي .

يقول ابن عربي (رحمه الله) : «ولكن قبل أن ألتقي به أراه الله لي في منظر ، قد ضرب بينه وبيني حجاب رقيق ، فكنت أنظر إليه منه ولا يبصرني ، فعلمت أنه غير مراد لما نحن عليه .

فما اجتمعت به حتى درج[1] في سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمدينة مراكش ، ونقل إلى قرطبة ودفن بها» .

وذلك نص صريح نقله إلينا الأخوان الكريمان في مقدمتهما ، على أن ابن عربي لم يمل إلى الفلسفة المعروفة، ولا كان من أهلها.

وإنما كان فقيهاً من فقهاء المسلمين ، والفلسفة والفقه لا يلتقيان أبداً .

وقد بدأ ترجمته المرحوم شكيب أرسلان ـ وكلنا يعرف من هو شكيب أرسلان ـ في كتابه «الحلل السندسية» جـ ٣ ص ٥١٤ بقوله :

«ومن المنسوبين إلى مرسية : الشيخ الأشهر صاحب الشهرة العالمية الشيخ محي الدين بن عربي : محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي ـ من ولد عبد الله بن حاتم ـ أخي عدي بن حاتم : الصوفي الفقيه الظاهري»[2].

إلى آخر ما قال :

---

(١) يعني : حتى مات .

(٢) نفى الظاهرية عن نفسه (رحمه الله) ، وإن وافقت بعض آرائه آراء الظاهرية ، إذ هو فقيه مجتهد .

وإيفاء للذمة أورد لك أيها الأخ القارىء الكريم دفاعاً من عالم كبير هو أكبر فقهاء الشافعية ـ في عصره على الإطلاق ـ لا يساري في ذلك أحد : عن رجل هو الآخر أتهم بما اتهم به ابن عربي ، وقد أوردتها لأنها دفاع عن ابن عربي وغيره من تقولوا عليهم . . . إذ اللون واحد :

«. . . ووردت إلى الشيخ زكريا الأنصاري (رحمه الله تعالى) رسالة فيها استفسار عن سيدي عمر بن الفارض (رحمه الله تعالى) ، نصها :

«ما يقول الشيخ الإمام العالم العلامة ، البحر الفهامة : زكريا الأنصاري الشافعي : عمن قال بكفر سيدنا ومولانا الشيخ العارف بالله سيدي عمر بن الفارض (تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه) ، فيمن زعم أن عقيدته فاسدة ، بناء على فهمه من كلامه في مواضع ، مرجعها إلى إطلاقات معلومة عند السادة الصوفية ، بإصطلاح تخاطبهم ، لا محذور فيها شرعاً .

فهل يحمل كلام هذا العارف على إصطلاح أهل طريقته ، أم على إصطلاح أهل ملة غير الإسلام .

فما الجواب عن ذلك ؟؟ . . . أفتونا مأجورين» اهـ فأجاب الشيخ زكريا عن هذا الإستفسار ، بعد تمنع شديد ، ونص إجابته :

«يحمل كلام هذا العارف (رحمة الله عليه ونفع ببركاته) على أصطلاح أهل طريقته ، بل هو ظاهر فيه عندهم ، إذ «اللفظ المصطلح عليه حقيقة في معناه الإصطلاحي ، مجاز في غيره كما هو مقرر في محله»[1] .

ولا ينظر إلى ما يوهمه تعبيره في أبيات في التائية من القول بالحلول والإتحاد ، فإنه ليس من ذلك في شيء ، بقرينتي «حاله ومقاله» المنظوم في تائيته ، بقوله من أبيات في القصيدة :

ولي من أتم الرؤيتين إشارة تنزه عن رأي الحلول عقيدتي[2]

وهذا يصدر عن العارف بالله إذا استغرق في بحر التوحيد والعرفان ، بحيث

---

(١) يعني : من كتب الأصول .

(٢) وقالت في قصيدة أخرى :

وهامت بها روحي بحيث تمازجا إتـ حاداً ، ولا جرم تخلله جرم

تضمحل ذاته في ذاتـه ، وصفاتـه في صفاتـه[1] ، ويغيب عن كل مـا سواه بعبـارات تشعر بالحلول والاتحاد ، لقصور العبارة عن بيان حـالته التي يـرقى إليها ، كمـا قالْ جماعة من علماء الكلام (رضي الله عنهم) .

ولكن ينبغي كتم تلك العبـارات عمن لم يـدركهـا ، فـ «مـا كـل قلب يصلح للسـر ، ولا كل صـدف ينطبق على الـدر ، ولكـل قـوم مقـال ، ومـا كـان مـا يعلم يُقال» :

وإذا كنـت بـالـمـدارك غـرا ثم أبصـرت حـاذقـاً : لا تمار
وإذا لـم تـر الـهـلال فـسلم لا نـاس رأوه بـالأبـصـار

ولو ذاق المنكر ما ذاق هذا العارف لما أنكر عليه كما قال القائل :

ولـو يـذق عـاذلي صبـابـتي صبا معي . . . لكنـه مـا ذاقهـا

والحالة هذه ، والله يمنح بفضله ما يشاء .

وصلّىٰ الله على سيّدنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلّم .

وكتبه : «زكريا بن محمد الانصاري الشافعي» اهـ من كتـاب «عصر سـلاطين المماليك» ص ٤١٣ ـ ٤١٥ ـ القسم الثاني طبع مكتبة الآداب بالقاهرة .

(١) يعني تضمحـل صفحـات العبـد بجـوار صفـات الله حتىٰ تصير صفـات العبـد لا شيء على الإطلاق ، وكذلك ذات العبد بجوار ذات الله تعالىٰ ، والله هو خالق العبد وصفاته .
فمن هو العبد على الحقيقة ؟؟؟ لا شيء .

هل قال ابن عربي بالحلول والاتحاد كما يقولون عنه ؟ ؟ ؟

قال الشيخ الأكبر في عقيدته الصغرى :

«تعالىٰ الحق . . . تعالىٰ أن تحله الحوادث أو يحلها» .

وقال في عقيدته «الوسطى» :

«إعلم أن الله تعالى واحد بإجماع ، ومقام الواحد يتعالىٰ أن يحل فيه شيء ، أو يحل هو في شيء ، أو يتحد بشيء» .

وقال ـ في الباب الثالث من الفتوحات ـ :

«إعلم أنه ليس في أحد من الله شيء ، ولا يجوز ذلك عليه بوجه من الوجوه» .

وقال في باب الأسرار :

«لا يجوز لعارف أن يقول : أنا الله ، ولو بلغ أقصىٰ درجات القرب ، وحاشا العارف من هذا القول . . حاشاه .

إنما يقول : أنا العبد الذليل ، في المسير والمقيل» .

ويقول في الباب الثامن والستين من الفتوحات «في الكلام على الأذان» :

«المراد «بكنت سمعه وبصره» إلى آخره : انكشاف الأمر لمن تقرّب إليه

تعالىٰ بالنوافل ، لا أنه لم يكن الحق تعالىٰ قبل التقرب ثم كان الآن ، تعالىٰ الله عزّ وجلّ عن ذلك ، وعن العوارض الطارئة» .

وقال في باب الأسرار :

«من قال بالحلول فهو معلول ، فإن القول بالحلول مرض لا يزول ، ومن فصل بينك وبينه ، فقد أثبت عينك وعينه ، ألا ترى قوله «كنت سمعه الذي يسمع به» فأثبتك بإعادة الضمير إليك ، ليدلك عليك ، وما قال بالاتحاد إلاّ أهل الإلحاد ، كما أن القائل بالحلول : من أهل الجهل والفضول ، فإنه أثبت حالاً ومحلاً .

فمن فصل نفسه عن الحق ، فنعم ما فعل ، ومن وصل فكأنه شهد على نفسه بأنه كان مفصولاً حتى أتصل ، والشيء الواحد لا يصل نفسه .

وما ثم إلاّ ذاته ومصنوعاته» ا هـ .

وقال في باب الأسرار :

«الحادث لا يخلو عن الحوادث .

لو حل بالحادث القديم[1] لصح قول أهل التجسيم .

فالقديم : لا يحل ، ولا يكون محلاً» .

وقال في باب الأسرار :

«أنت أنت ، وهو هو : فإياك أن تقول كما قال العاشق :

«أنا من أهوى ومن أهوى أنا ....»

فهل قدر هذا : أن يرد العين واحدة .

لا والله ما أستطاع ، فإنه جهل ، والجهل لا يتعقل حقاً .

ولا بد لكل أحد من غطاء ، ينكشف عند لقاء الله»[2] ا هـ .

---

(١) بضم الميم ، وفي الكلام تقديم وتأخير .

(٢) ألا ترى ما في هذا من تهديد شديد لمن أتهموه ؟ .

وقال :

«إعلم أن العاشق إذا قال :

أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا .

فإن ذلك كلام بلسان العشق والمحبة ، لا بلسان العلم والتحقيق ، ولذلك يرجع أحدهم : إذا صحا من سكرته» .

وقال :

«إيّاك أن تقول : أنا هو وتغالط ، فإنّك لو كنت هو لأحطت به كما أحاط تعالىٰ بنفسه» .

وقال في «الباب التاسع والخمسين وخمسمائة» . بعد كلام كثير :

« . . . وهذا يدلك على أن العالم ما هو عين الحق ، ولا حل فيه الحق ، إذ لو كان عين الحق أو حل فيه : لما كان تعالىٰ قديماً ولا بديعاً» .

وقال في الباب الثاني والتسعين ومائتين :

«من أعظم دليل على نفي الحلول والاتحاد ، الذي يتوهمه بعضهم ، أن تعلم عقلاً أن القمر ليس فيه من نور الشمس شيء ، وأن الشمس انتقلت إليه بذاتها ، وإنما كان القمر محلاً لها[1] .

فكذلك العبد : ليس فيه من خالقه شيء ، ولا حل فيه» اهـ .

وقال في الباب الرابع عشر وثلاثمائة :

«لو صح أن يرقى الإنسان عن إنسانيته ، والملك عن ملكيته ، ويتحد بخالقه تعالىٰ : لصح إنقلاب الحقائق ، وخرج الإله عن كونه إلهاً ، وصار الحق خلقاً ، والخلق حقاً ، وما وثق أحد بعلم ، وصار المحال واجباً» .

«فلا سبيل إلى قلب الحقائق أبداً» اهـ .

---

(١) يعني أن القمر عاكس لضوء الشمس ، وكذلك الخلق مظهر للخالق ، جل وعلا عن الشبيه والنظير ، تظهر فيهم أنوار آياته وبديع صنعته .

وقال في الباب الخامس والستين وثلاثمائة :

«لولا نداء الحق تعالىٰ لنا ونداؤنا له ما تميز عنا ولا تميزنا عنه ، فكما فصل تعالىٰ نفسه عنا في الحكم ، كذلك فصلنا نحن أنفسنا عنه ، فلا حلول ولا إتحاد» ا هـ .

وقال أيضاً :

إيّاك أن تقول : أنا هو وتغالط ، فإنك لو كنت هو لأحطت به كما أحاط تعالىٰ بنفسه ولم تجهله في مرتبة من مراتب التنكرات» .

* * *

بعد هذا الذي قرأت ، وهو غيض من فيض :

أما أن تطفىء مصباح عقلك وتسير في ظلمات العمي والضلالة ، وتختار الطريق الذي أراده أولئك الضلال فتعادي أولياء الله ، وتصادق أولياء الشيطان .

وأما أن تترك المصباح ينير لك الطريق ، حتى تصل إلى بر الأمان ، وتخرج يوم القيامة بريئاً من أعراض خاصة المسلمين .

وأما أولئك الذين يدعون أنهم هم الموحدون وبقية الخلق مشركون ، فالله يحكم بيننا وبينهم يوم القيامة .

يوم يذهب عنهم الدينار والدرهم ، ويظهر لهم الحق واضحاً .

الرجل نفسه يقول : «من قال بالإتحاد فهو من أهل الإلحاد» .

وهم يقولون له : لا ، أنك تقول بالإتحاد .

الشعراني يقول : أنهم دسوا عليّ في كتبي .

وهم يقولون له : لا : أنت قلت كذا وكذا .

ماذا بعد الحق إلاّ الضلال !! ؟ .

وماذا نقول بعد ذلك ، إلاّ حسبنا الله ونعم الوكيل ؟؟؟ .

جزء من استشهاد
العلامة المناوىء بكلامه في فيض القدير

وقد أستشهد بكثير من كلامه العلامة المناوىء في كتابه «فيض القدير» .

ومما قال : جـ ٤ ص ٤٣١ :

«قال ابن عربي : «علم الكلام ـ مع شرفه ـ لا يحتاج إليه أكثر الناس ، بل يكفي منه واحد في البلد ، بخلاف العلماء بفروع الدين ، فإن الناس يحتاجون إلى الكثرة من علماء الشريعة .

ولو مات الإنسان وهو لا يعلم أصطلاح القائلين بعلم النظر ، كالجوهر ، والعرض ، والجسم ، والجسماني ، والروح والروحاني ، لم يسأله الله عن ذلك ، فإنما يسأل الناس عما وجب عليهم من التكاليف بالفروع ونحوها» .

«انتهى من هامش رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي التي حققها الشيخ عبد الفتاح أبو غدة) .

وقال أيضاً في هامش الرسالة السابقة :

«قال المناوي في فيض القدير : قال الشيخ ابن عربي : كان أشياخنا يحاسبون نفوسهم على ما يتكلمون به ، وما يفعلونه ويقيدونه في دفتر ، فإذا كان بعد العشاء حاسبوا نفوسهم ، واحضروا دفاترهم ونظروا فيما صدر منهم من قول وعمل ، وقابلوا كلا بما يستحقه ، أن استحق استغفاراً استغفروا ، أو التوبة تابوا ، أو الشكر شكروا ، ثم ينامون ، فزدنا في هذا الباب الخواطر ، فكنا نقيد ما نحدث به نفوسنا ونهم به ، ونحاسبها عليه» ا هـ .

وقال المناوي (رحمه الله) عند شرحه لحديث «أن الله ليعجب من الشاب ليست له صبوة» ما نصه :

«تتمة» : قال العارف بالله ابن عربي : لما تعجب المتعجب مما خرث عن صورته ، وخالفه في سريرته ، ففرح بوجوده ، وضحك من شهوده ، وغضب لتوليه ، وأبغض بعده ، وأحب قربه ، وتبشبش لتدليه ، فعبر بذلك تقريباً لأفهام العرب .

فهذه أرواح مجردة ، تنظرها أشباح مسندة . فإذا بلغت الميقات ، وأنقضت الأوقات ، ومارت السماوات ، وكورت الشمس ، وبدلت الأرض ، وانكدرت النجوم ، وانتقلت الأمور ، وظهرت الآخرة ، وحشر الإنسان وغيره في الحافرة : تنسم[1] الأرواح ، ويتجلى الفتاح ، ويتقد المصباح ، ويتشعشع الراح ، ويظهر الورد الصراح ، ويزول الإلحاح» اهـ .

وعند تفسير قوله (ص) : «أن الله خلق الجنة وخلق النار ، فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً» قال :

«قال العارف ابن عربي (رضي الله عنه) : من عقائد الإسلام أن تعتقد أن الله سبحانه أخرج العالم قبضتين ، وأوجد لهم منزلتين فقال : هؤلاء للجنة ولا أبالي ، وهؤلاء للنار ولا أبالي» ولم يعترض عليه معترض هناك ، إذ لا موجود كان ثم سواه ، فالكل تحت تصريف اسمائه ، فقبضة تحت أسماء بلائه ، وقبضة تحت أسماء آلائه ، ولو أراد تعالى أن يكون العالم كله سعيداً لكان ، أو شقياً لما كان من ذلك في شأن .

لكنه لم يرد ، فكان كما أراد ، فمنهم شقي وسعيد : هنا ويوم المعاد .

فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه القديم ، وقد قال في الصلاة - وهي خمس وهن خمسون - ﴿ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد﴾ لتصرفي في ملكي ، وأنفاذ مشيئتي في ملكي ، وذلك لحقيقة عميت عنها الأبصار والبصائر ولم تعثر عليها الأفكار ولا الضمائر : إلاّ بوهب إلهي وجود رحماني ، لمن اعتني به من عباده ، وسبق له ذلك بحضرة أشهاده ، فعلم حين أعلم أن الألوهية أعطت

---

(١) بضم الميم ، لأنها «تتنسم» .

هذا التقسيم وأنه من دقائق القديم . فسبحان من لا فاعل سواه ولا موجود بنفسه إلا إياه ﴿والله خلقكم وما تعلمون﴾ ﴿ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ ﴿ولله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ ا هـ .

وقال عند تفسيره لحديث : «أن المرأة خلقت من ضلع ، ولن تستقيم لك على طريقة» ما نصه :

«تنبيه : قال ابن عربي : لما خلق الله جسم آدم ولم يكن فيه شهوة نكاح ، وقد سبق في علم الحق إيجاد التناسل في هذا الدار ، لبقاء النوع استخرج من ضلعه القصير حواء ، فقصرت بذلك عن درجة الرجل ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ فلا تلحق بهم أبداً .

وكانت من الضلع[1] للانحناء الذي في الضلوع لتحنو على ولدها وزوجها ، فحنو الرجل عليها : حنوه على نفسه ، لأنها جزؤه ، وحنوها عليه لكونها خلقت من الضلع ، والضلع فيه إنحناء وانعطاف .

وعمر الله المحل من آدم الذي خرجت منه بالشهوة إليها ، لئلا يبقى في الوجود خلاء[2] .

فلما عمره بالهوىٰ : حن إليها حنينه لنفسه ، لأنها جزء منه فحنت إليه ، لكونه موطنها الذي نشأت فيه .

فحبها حب وطنها ، وحبه حب نفسه .

فلذلك ظهر الرجل لها لكونها عينه .

وأعطيت القوة المعبر عنها بـ «الحياء» في محبة الرجل ، فقويت على الاخفاء ، وصور في ذلك الضلع جميع ما صور في جسم آدم ، ونفخ فيها من روحه ، فقامت حية ناطقة : محلاً للحرث ، لوجود الانبات ، فسكن إليها وسكنت إليه ، فكانت لباساً له ، وكان لباساً لها ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾» ا هـ .

وقال المناوي (رحمه الله تعالىٰ) في «فيض القدير» عند شرحه لحديث : «آفة الظرف : الصلف ، وآفة الشجاعة : البغي» الخ .

---

(١) بكسر الضاد وفتح اللام .

(٢) يعني غيره .

«قال ابن عربي : والمن هنا من أمراض النفس التي يجب التداوي منها . ودواؤه : أنه لا يرى أنه أوصل إليه إلّا ما هو له في علم الله ، وأنّه أمانة عنده ، كانت بيده ، لم يعرفها صاحبها ، فلما أخرجها بالعطاء لمن عين له عرفها ، فشكر الله على أدائها ، فمن استحضر ذلك عند الإعطاء نفعه» ا هـ .

وقال في شرحه لحديث : «إذا أكل أحدكم طعاماً فسقطت منه لقمة فليمط ما رابه منها» الخ .

«قال ابن عربي : لما أنكر الجهلة أن يكون للشيطان جسماً أنكروا أن يكون له يدان ، وقد جاءت الأخبار بإثبات اليد له ، والعقل لا يحيله ، واليمين والشمال هما حد الجسم من جهة العرض ، والفوق والتحت حده من جهة الطول» ا هـ .

و (من فيض القدير) عند شرحه لحديث «أن من تمام الصلاة إقامة الصف» .

قال العارف ابن عربي :

«التراص في الصف : أن لا يكون بين الإنسان والذي يليه خلل من أول الصف إلى آخره ، وذلك لأن الشياطين تسد ذلك الخلل بأنفسها ، وهم في محل القرب منه تعالى ، فينبغي كونهم متلاصقين بحيث لا يبقى بينهم خالل يؤدّي إلى بعد كل واحد منهم من صاحبه .

وإذا التزقت المناكب بعضها ببعض أنسد الخلل ولم يجد الشيطان ـ الذي هو محل البعد عن الله ـ سبيلاً للدخول .

وإنما يدخل الشيطان الضعفاء لعله يرى من شمول الرحمة التي يعطيها الله للمصلين .

فدخولهم في تلك الفرج لينالهم منها شيء بحكم المجاورة ، وهؤلاء ليسوا الشياطين الذين يوسون في الصلاة ، فأولئك محلهم القلوب ، ا هـ .

وقال (رضي الله عنه) ـ كما ذكره المناوي عند شرحه لحديث ـ «أقيموا الصفوف وحاذو بالمناكب وانصتوا» إلى آخره .

«إنما شرعت الصفوف في الصلاة ليتذكر الإنسان بها وقوفه بين يدي الله تعالى يوم القيامة في ذلك الموطن المهول ، والشفعاء من الأنبياء والملائكة

والمؤمنين بمنزلة الأئمة في الصلاة يتقدمون الصفوف . وصفوفهم في الصلاة كصفوف الملائكة عند الله .

وقد أمرنا الحق تعالىٰ أن نصطف في الصلاة كما تصف الملائكة : لا يلزم من خلل صفها ـ لو أتفق أن يدخلها خلل ـ أعني ملائكة السماء ـ دخول الشياطين ـ ، لأن السماء ليست بمحل لهم ، وإنما يتراصون لتناسب الأنوار حتى يتصل بعضها ببعض ، فتنزل متصلة إلى صفوف المصلين فتعمهم تلك الأنوار .

فإن كان في صف المصلين خلل دخلت فيه الشياطين : أحرقتهم تلك الأنوار» ا هـ.

وقال العارف ابن عربي :

«الحقائق أربع : حقائق ترجع إلى الذات المقدسة ، وحقائق ترجع إلى الصفات ، وحقائق ترجع إلى الأفعال ، وحقائق ترجع إلى المفعولات ، وهي : الأكوان والمكونات . وهذه الحقائق الكونية : ثلاثة علوية وهي : المعقولات ، وسفلية ، وهي : المحسوسات ، وبرزخية وهي : المتخيلات . والحقائق الذاتية : كل مشهد يقيمك الحق فيه بغير تشبيه ولا تكييف : لا تسعه العبارة ولا تومىء إليه الإشارة .

والحقائق الصفاتية : كل مشهد يقيمك الحق فيه تطلع منه على معرفة كونه سبحانه : قادراً ، حياً ، عالماً ـ إلى غير ذلك ـ من الأسماء والصفات المختلفة والمتقابلة المتماثلة .

والكونية : كل مشهد يقيمك الحق فيه تطلع منه على معرفة الأرواح والبسائط والمركبات والأجسام ، والإتصال والإنفصال .

والفعلية : كل مشهد يقيمك الحق فيه تطلع منه على معرفة «كن» وتعلق القدرة بالمقدور بضرب خاص ، يكون العبد لا فعل له ولا أثر لقدرته الحادثة الموصوف بها .

وجميع ذلك يسمىٰ : أحوالاً ومقامات .

فالمقامات كل صفة يجب الرسوخ فيها وعدم النقل عنها ، كالتوبة .

والحال : كل صفة يكون فيها وقتاً دون وقت ، كالسكر والمحو أو يكون

وجودها مشروطاً بشرط ، فينعدم ، كالصبر مع البلاء ، والشكر مع النعماء» ا هـ . من :

«فيض القدير» للمناوي عند شرحه لحديث : «أن لكل شيء حقيقة وما بلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه . . . » الخ .

وقال عند شرحه لحديث «اللّهم اجعل رزق آل محمد قوتاً» .

قال ابن عربي : «اللّهم» هو اسمه المدعو به ، الذي قلما حفظ عن النبي (ص) أنه دعا بسواه ، إلاّ أن يكون تلقينا لمتعلم أو نطقا عن مقتضى حال يرجع إلى إيقاع نفع ذلك ، أعراباً عن حالهم ، وذلك هو الاسم الأعظم» ا هـ .

وقال عند شرحه لحديث «اللّهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك» .

قال ابن عربي : «ألطف ما في الحب : ما وجدته ، وهو أن تجد عشقاً مفرطاً وهوى وشوقاً مقلقاً ، وغراماً ونحولاً ، وسهراً ومنع لذة طعام ، ولا تدري فيمن ؟ ولا بمن ؟ ، ولا يتعين لك محبوبك ، ثم بعد ذلك يبدو لك تجل في كشف ، فيتعلق ذلك الحب به ، أو ترى شخصاً فيتعلق الوجد به ، أو تذكر شخصاً فتجد الميل إليه فتعلم أنه صاحبك وهذا من أخفى دقائق استشراق النفوس على الأشياء من خلف حجاب الغيب ، فلا تدري بمن هامت ، ولا فيمن هامت ، ولا ما هيمها ، ويجد الناس ذلك في القبض والبسط الذي لا يعرف سببه ، فبعده يأتيه ما يحزنه أو يسره ، فيعرف أن ذلك له ، وذلك لاستشراق النفس على الأمور قبل تكوينها في تعلق الحواس الظاهرة ، وهي مقدمات التكوين» ا هـ .

وفي النفحات السلفية «شرح الأحاديث القدسية» ص ٣٧١ ما نصه :

«قال الشيخ محي الدين بن عربي : ينبغي لطالب مقام الخلة أن يحسن خلقه لجميع الخلق : مؤمنهم وكافرهم ، طائعهم وعاصيهم ، وأن يقوم في العالم مقام الحق فيهم ، فإن المرء على دين خليله في شمول الرحمة وعموم لطائفه من حيث لا يشعرهم أن ذلك الإحسان منه .

فمن عامل الخلق بهذه الطريقة صحت له الخلة .

وإذا لم يستطع بالظاهر ـ لعدم الموجود ـ : أمدهم بالباطن ، فيدعو لهم بينه وبين ربه .

وهكذا حال الخليل فهو رحمة كله» .

وقال أستاذنا وإمامنا الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية السابق (أطال الله حياته) في شرحه لكتاب «عقيدة الإسلام» للإمام عبد الله بن علوي الحداد الحسيني الحضرمي (رحمه الله) ص ١٦ و ١٧ عند كلامه عن الذكر ، ما نصه :

«قال الإمام ابن عربي : الذكر القديم : ذكر الحق ، وأن حكي ما نطق به الخلق ، كما أن الذكر الحادث : ما نطق به الخلق ، وإن كان كلام الحق» .

وقال :

«لا يجوز لاحد أن يعتقد أن الرسول (ص) تصرف في اللفظ المنزل عليه ، أو أنه رواه بالمعنى ، كرواية الحديث بالمعنى العارف ، لأنه لو صح في حقه ذلك ، لكان مبيناً لنا صورة فهمه (ص) ، لا نفس ما نزل الله ، وقد قال الله تعالىٰ : ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ وقال : ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك﴾ اهـ .

شن الغارة

هؤلاء الذين يشنون الغارة على ابن عربي وغيره : ذكروا شيئاً ونسوا أشياء :

ذكروا ما دس على أولياء الله فشنوا عليهم الغارة تلو الغارة ـ ونسوا ـ ما كتبه كثير من علمائهم وهو كفر صراح :

قال محمد عبده (رحمه الله وعفا عنه) مما وقع فيه : في تفسيره لأول سورة النساء ما نصه :

«ليس المراد بالنفس الواحدة : آدم بالنص ، ولا بالظاهر ، فمن المفسرين من يقول : «أن كل نداء مثل هذا يراد به أهل مكة أو قريش» .

فإذا صح هذا : جاز أن يفهم منه بنو قريش : أن النفس الواحدة ، هي قريش أو عدنان .

وإذا كان الخطاب للعرب ، جاز أن يفهموا منه : أن المراد بالنفس الواحدة يعرب أو قحطان .

وإذا قلنا : أن الخطاب لجميع أهل الدعوة إلى الإسلام : «أي جميع الأمم» ، فلا شك أن كل أمة تفهم منه ما تعتقده .

فالذين يعتقدون ان جميع البشر من سلالة آدم : يفهمون أن المراد بالنفس الواحدة آدم .

والذين يعتقدون : أن لكل صنف من البشر أبا : يحملون النفس على ما يعتقدون .

ثم قال (رحمه الله) :

«والقرينة على أنه ليس المراد هنا بالنفس الواحدة آدم ، قوله : **﴿وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾** بالتنكير .

وكان المناسب ـ على هذا الوجه ـ أن يقول : وبث منهما جميع الرجال والنساء .

وكيف ينص على نفس معهودة ، والخطاب عام لجميع الشعوب ، وهذا العهد ليس معروفاً عند جميعهم ، فمن الناس من لا يعرفون آدم ولا حواء ، ولم يسمعوا بهما» الخ . . . ما قال .

أنظر تفسير المنار جـ ٤ ص ٣٢٤ .

هذا الذي أنكر أبوة آدم : أنكر أيضاً وجود الجن الذين نزلت فيهم سورة خاصة .

وأنكر أيضاً الطير الأبابيل ، وقال : إنها جراثيم .

وهكذا تجد في تفسيره من الضلالات ، والتحريف ، والتخريف ، ما لا يمكن أن يقره فيه مسلم .

ومع ذلك ، وكلنا أمره إلى الله ، ولنأخذ ما في تفسيره من طيب ، وندع الخبيث ، مع التنبيه العلمي على أنه خبيث .

مناقشة :

لو أننا قلنا ـ كما قال ـ أنه ليس المقصود بآدم : آدم المعروف لنا وللبشر جميعاً ، فمن يكون ؟ .

لم يحل هذا اللغز ، لا هو ، ولا أحد من تلامذته ، الذين ملأوا الدنيا تكفيراً للمسلمين ، وتفسيقاً وطرداً من رحمة الله .

ولو أننا قلنا كما قال ، لقفذ إلى عقولنا سؤال :

إلى أبناء من أرسل رسول الله (ص) ؟ .

لو قلنا لابناء آدم الذي هو أبو العرب ، الذي عبر عنه بـ : يعرب ، أو

قحطان ، لكانت الرسالة المحمدية محدودة وليست عالمية ، ولكان وراء هذا من المصائب ما يكفي لهدم الإسلام كله .

ولو قلنا ، بأنه ليس هناك جن ، لوقعنا في تكذيب القرآن ، إذ هو صريح في غير ما آية منه ، ولا يحتاج إلى تأويل ولا لف ولا تقدير .

ولو قلنا : أن الطير الأبابيل هي مكروبات ـ كما قال هو ـ ، لما كان هناك معنى لنزول قرآن يتلى إلى يوم القيامة ، لأن المكروبات لا زالت موجودة ، وستظل ما بقي على الأرض إنسان واحد .

ومع ذلك فقد قال هو نفسه بالحرف الواحد عن التصوف ، ما نقله عنه تلميذه الوفي له الشيخ محمد رشيد رضا في كتاب «تاريخ الاستاذ الإمام» الطبعة الأولى ج ١ ص ٥١ .

«أن الناس ولعو ـ منذ قرون كثيرة بأن يتهموا بالكفر والإلحاد كل نابة في العلوم العقلية ـ ، بل كل مستقل في العلم لم يتبع في جميع ما درجوا عليه من التقاليد الدينية . ولذلك نبزوا[1] بلقب الكفر والإبتداع مثل : ابن سينا وابن رشد من الفلاسفة ، وأبا الحسن الشاذلي ومحي الدين بن العربي من الصوفية ، ومثل الغزالي ممن جمعوا بين الفلسفة والتصوف» .

ثم قال (رحمه الله) مباشرة :

«من الناس من يتهم أمثال هؤلاء العقلاء : متعمداً للكذب والبهتان ، ومنهم من يتهمهم لسوء ظنه وقصور عقله» ا هـ .

وتكلم بعد ذلك في الكتاب نفسه في ص ١٠٦ و ١١٢ ، وص ١٢٦ و ٩٢٨ وغيرها عن الصوفية والتصوف كلاماً من أفضل الكلام .

وقال في ص ٩٢٩ ما نصه : «كل ما أنا فيه من نعمة في ديني ـ أحمد الله ـ فسببها التصوف» .

وقال في ص ٩٢٨ بعد أن سأله الشيخ رشيد رضا عن الصوفية :

---

(١) بالزاي لا بالذال . من قوله تعالى : ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ .

«. . . نعم صدر منهم كلام ما كان ينبغي أن يظهر ولا أن يكتب ، ومنه ما يوهم الحلول ، ولوكنت سلطاناً لضربت عنق من يقول به .

وأنا لا أنكر أن لهم أذواقاً خاصة، ـ وعلماً وجدانياً ـ بل ربما حصل لي شيء من ذلك وقتاً ما» .

وقال : أن هذا الذوق الذي يحصل للإنسان في حالة غير طبيعية ، وكونه خروجاً عن الحالة الطبيعية : لا ينبغي ـ أولاً يجوز ـ أن يخاطب به المقيد بالنواميس الطبيعية .

وقال (رحمه الله تعالىٰ) في ص ٩٢٨ من الكتاب عن الشيخ : أنه قال :

١ ـ «أنه لم يوجد في أمة من الأمم من يضاهي الصوفية في علم الأخلاق وتزكية النفوس .

٢ ـ أنه بضعف هذه الطبقة وزوالها فقدنا الدين .

٣ ـ إن سبب ما ألم بهم : تحامل الفقهاء عليهم ، وأخذ الأمراء بقول الفقهاء فيهم ، فأولئك يكفرون ، وهؤلاء يعذبون ويقتلون ، حتى أنه قتل في هذا البلد (القاهرة) في يوم واحد خمسمائة صوفي .

٤ ـ إن هذا سبب ظهورهم بغير مظهر طائفتهم ـ أن ظهروا ـ ولجوئهم إلى الاختفاء» إلى آخره .

ثم قال :

«إن الفقهاء لبعدهم عن التصوف «الذي هو الدين» جهلوا سياسة وقتهم وحاله ، ولجهلهم بالسياسة لم يعرفوا كيف يمكن تنفيذ الأحكام الشرعية» .

وقال الشيخ رشيد رضا في ص ١٠٦ في فصل «التربية الروحيّة وتصوفه» : بعد أن أخذ خطة من هذه التربية الفطرية : أخذه الشيخ درويش خضر بالتربية الدينية ، فألزمه العزلة وتربية النفس .

وكان من جبلته أن يأخذ كل شيء بقوة ، كان في مدة طلبة للعلم : يصوم النهار ويقوم الليل بالصلاة والتلاوة والذكر ، ويمشي مطرقاً ، لا ينظر إلاَّ حيث يضع قدميه ، ولا يكلم أحداً إلاَّ لضرورة .

وقـــال :

«ولكن كـان يقول : مـا يحصل للصـوفية من الأحـوال غير الـطبيعية لا يجـوز ذكره لغير العارف به ، ولا يجوز كتابته بحال ، ولـو كنت ملكاً لحكمت بقتـل الذين يكتبون ذلك ، لأنهم يفتنون كثيراً من الناس ولا يفيدون به أحداً» ا هـ .

وقال الشيخ (رحمـه الله) : مازج أحد نفسه في عـالم الخيال ، ثم قـدر على الخروج منه ، إلاّ أن يجذبه جاذب آخر ويخرجه منه ، وذلك قليل ا هـ .

ويقول في ص ١١٢ :

«وإذا كـــان كثيـر من الصـــوفيـة قـد أخـطأوا بقبــول بعض المـوضــوعـات والـواهيات ، والاحتجـاج بها والاستنبـاط منها ، فهـذا خـطأ لم يسلم منـه كثيـر من الفقهـاء الـذين تحـاملوا عليهم وضللوا بعضهم ، وكفـروا آخــرين . في القــرون الأولىٰ : عنـدما كـان الصوفيـة كاملين في طـريقهم ، ثم خضعوا لهم وذلـوا وأولـوا كلامهم ، وكذا المخالف لنصوصها . وذلك بعـد أن طرأ عليهم مـا طرأ من الشـذوذ والبدع الكثيرة .

وقف الصـوفيـة على الـطرف المقـابـل للطرف الـذي وقف عليـه الفقهـاء من الإسلام .

عـنـي الـصـوفـيـة بـبـاطـن الإسـلام ولـبـابـه وسـره ، وهـو تزكية النفس وتطهير القلب ، ومـراقبـة الله تعـالىٰ ، ومـا يـوصـل إلى ذلـك من علم حكمة التشريع وأسرار الـدين وعلم النفس والأخلاق والعلم بصفـات الله وسننـه في خلقه» ا هـ .

أما ما قاله في تفسير فنحن نعذره فيه لأنه تـأثر بـأقاويـل قالهـا أناس سبقـوا أو اجتهد هو رأيه فأداه اجتهاده إلى هذا ، وليس هو بمعصوم والله يغفر لنا وله .

وأمـا ما قـاله عن التصـوف فإن قـالوا : أنـه تاب عنـه ، فنقـول لهم : أن من عصي جهراً وجبت توبته جهراً ، فأين ما قاله في توبته . . .

علماً بأن الكتـاب الذي نقلنـا عنه هـذا : لـم يطبـع إلاّ بعد وفـاته (رحمـه الله تعالىٰ) فإنـه توفي عـام ١٣٢٣ هـ والكتاب طبـع عام ١٣٥٠ هـ وهـذا دليل على أنـه مات عليه .

ونقول لهم : كيف اتبعتموه في هذا ولم تتبعو» في ذلك ؟؟؟ .

ويقول الشيخ رشيد رضا في كتابه السابق «تاريخ الإمام» ص ١٢٦ ما نصه :

«بينا في أول الفصل : أن الأستاذ الإمام (رحمه الله تعالى) ربى تربية صوفية ، وأنه كان صوفياً حفياً خفياً .

وأنه كان يرى وجوب كتمان كل ما يؤتاه المرء من ثمرات التصوف ، وإن كان مع الناس فيما شاركهم فيه من الصفات والأحوال» ا هـ .

وللذين يتشدقون بابن تيمية ـ وهم بمعزل عنه ـ يأخذون منه ، ما وافق هواهم وما : لا : تركوه عن عمد واصرار نسوق ما استشهد به صاحب «الروض المربع» جـ ٢ ص ٢٥٥ طبع مطبعة السعادة بالقاهرة ، ما نصه :

«يقول ابن تيمية (رحمه الله) : «أن الولي والصوفي إذا قتلا معصوماً بحالهما المحرمة المكروهة ، المباحة ونحوها : المبيحين لذلك ، كحال غيبوبة عن أدراك أحوال الدنيا ، حتى لو قالوا ما أنكره عليهم الفقهاء ظاهراً ، لمشاهدتهم لأحوال الملكوت الخافية عليهم دونهم» ، حتى قالوا :

لو ذاق عاذلي صبابة صبا معي . . لكنه ما ذاقها .

وإلاّ لصار العاذل عاذراً فعليهما القود بمثل حالهما القاتل له منهما من مثله» ا هـ .

فكيف يقولون ؟ ما هو الحال ؟؟ وما هو القتل بالحال» . وكيف يكون القود والقصاص ؟؟؟ .

* * *

ولنأت إلى شيطان من شياطينهم :

ذلك الذي علق على الكتاب القيم ـ لابن القيم ـ «أعلام الموقعين» .

قال ابن القيم (رحمه الله تعالى) في جـ ٤ ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ما نصه :

«وسئل (ص) عن ليلة القدر : أفي رمضان هي أو في غيره» .

قال : بل في رمضان .

فقيل : تكون مع الأنبياء ما كانوا ، فإذا قبضوا رفعت ، أم هي إلى يوم القيامة ؟ .

فقال : بل هي إلى يوم القيامة .

فقيل : في أي رمضان هي ؟ .

قال : ألتمسوها في العشر الأول ، أو في العشر الأخر .

فقيل : في أي العشرين ؟ .

قال : ابتغوها في العشر الأواخر ، لا تسألني عن شيء بعد .

فقال : أقسمت بحقي عليك لما أخبرتني في أي العشر هي ؟ .

فغضب غضباً شديداً فقال :

ألتمسوها في السبع الأواخر ، لا تسألني عن شيء بعدها[1]» .

هذا ما أورده ابن القيم ، وكلنا يعرف من هو ابن القيم في المحدّثين ؟ .

لم يعترض على هذا الحديث ، ولم ينبس ببنت شفة .

ولكن أخاهم ، لم يعجبه هذا الموقف من ابن القيم ، فعلق هو على الحديث ، بما يشبه الاعتراض - أن لم يكن إعتراضاً فعلياً - على حضرة المصطفى (ص) ، بقوله في الهامش :

«وضع هذه الكلمة[2] ، وعدم ذكر الغضب من أجلها تفيد ضعف الحديث[3] ، فما كان لإمام التوحيد ، وخاتم النبيين أن يسكت على قسم ينال من قدسية التوحيد» اهـ .

كل المحدِّثين - حتى ابن القيم - لم يفهم قدسية التوحيد ، وفهمها هو . أرأيت عجائب الزمان وأفاعيله ؟ .

---

(١) السائل : أبو ذر (رضي الله عنه) .

(٢) يقصد «كلمة بحقي عليك» يريدانها كلمة موضوعة ولم يكتشفها المحدثون حتى الآن ، واكتشفها هو . . . . . عجائب ؟ .

«(٣)ليس الذي ذكره من قواعد المحدثين وإنما لأنه لم يعجب مزاجه وعقله .

وإليك خرافة أخرى من خرافاته وأباطيله ، التي ملأ بها الكتاب القيم ، الذي يحمل مشعل النور للمسلمين :

أورد ابن القيم قول الشاعر :

«دين النبي محمد آثار نعم المطية للفتى الأخبار» .

وعلق هو عليه بقولك في الهامش .

«كان الواجب أن يُقال : «دين النبي محمد قرآن» .

ونحن نسأل الذين يقولون بقوله[1] كيف تركب هذا البيت ؟ أم أنه يريد إلغاء الآثار والسنن ؟ .

حاور ، وداور ، ولف ، فلن تجد إلّا الجهل المركب ، حتى بالشعر الذي هو لغة العرب .

وضلالاته من مثل هذا في هذا الكتاب كثيرة جداً .

وثالثة الأثافي ، ذلك الذي لا يعرف هل أدى النبي (ص) رسالته كاملة أولاً ؟ .

أولاً : نحن نعرف أن مرتزق هؤلاء «من شتم عباد الله ، مخالفين بذلك قول رسول الله (ص) : «ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذي»[2] ومع مخالفتهم الصريحة لهذا النهي : نجدهم يشتمون المسلمين باسم الإسلام ، ولا يشتمون أحداً غير المسلمين

ثانياً : لم يسلم من لسانهم أحد ـ حتى رسول الله (ص) نفسه ـ .

إن كنت لا تصدقني فأرسل طرفك هنيهة في مجلة «الهدى النبوي» الصادرة في ٥ شوال سنة ١٤٠٤ = ٥ يوليو سنة ١٩٨٤ م .

«ثم انتهى الوحي نزولاً . . . ثم مات الرسول الخاتم (ع) ، ونحن لا نعرف إلى أي حد طبق الرسول الخاتم أوامر ربه» .

---

(١) لأنه مات .

(٢) رواه الإمام أحمد ، والبخاري في الأدب ، وابن حبان ، والحاكم عن عبد الله بن مسعود .

إلى آخر ما قـــال :

ونعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ومن الكفر الظاهر والخفي .

هـذا الـذي كتب هـذا الكـلام . . . عنـدهم لم يكفـر ، لأنـه وافق هـواهم ، ولأنـه يقول أيضـاً : الشعراني كفـر ، الحاتمي كفـر ، الغـزالي كفـر ، إلى آخـر مـا يقولون .

وقـال صاحب كتـاب «الأنبياء في القـرآن الكـريم» الـذي مـلأه سبـاً لـلأنبيـاء (عليهم الصلاة والسلام) ، الذي صادره الأزهـر من أيدي الطلبة في كتـابه الآخـر : «دراسـات في الحركـة الفكريـة والتربويـــة في الحضـارة الإسـلاميـة» طبـع مؤسسـة الرسالة ١٤٠٥ هـ (وهو مطبوع بالاستنسل) وصودر أيضاً .

«وهو نفسه الذي قال ما في مجلة الهدى النبوي السالفة الذكر ، قال :

«ألا إن المحـدِّثين اتبعوا منهجـاً خـاطئـاً في الحكم على الـرواة بـالصـدق أو الكذب ، فاختلفوا وتضاربت أقوالهم .

وللخـروج من هذا التضـارب والتخمين ، والأخذ والـرد ، والمـدح للراوي أو اتهامه : كان تجميع الأراء حسـب الاجتهادات ووضـع درجـات ، فذلـك حديث قـاله الـرسول بنسبـة تسعين في المائـة ، وذلك حـديث قاله الـرسـول بنسبـة سبعين في المائة ، وذلك حديث قـاله بنسبـة عشرة في المـائة ، وحينئـذ يكون ضعيفـاً ، وآخر قاله بنسبة صفر في المائة فيكون باطلاً .

وهي أحكام لغرابتها تجلب الضحك للحزين ، وشر البلية ما يضحك» .

انتهى بحروفه ونصه ، من ص ١١٩ .

ولكن لم تنتـه أكاذيبـه وضلالاتـه وإفتراءاتـه على أشرف الأمـة بعد الصحـابـة (رضي الله عنهم) (أهـل الحـديث) ، وإن كـــان الصحـابـــة أنفسهم لم يسلمـوا من لسانه في أوائل الكتاب .

هـذا هـو منهجهم الـذي يسيـرون عليـه : سب كـل من خـــالف عقـائــدهم الزائغة .

والكتـاب يتـألف من ٣٦٣ صفحـة ، ليس فيهـا صفحـــة واحـدة خـاليـة من

الكذب والسب والشتم وتكفير المسلمين .

ما سمعنا بأحد من دعاة السلفية تكلم عن أمثال هؤلاء الذين كرعوا من غازات وأموال البترول ما كرعوا نشراً لمثل هذه العقائد الزائغة ، ورد عليهم ، حتى مجرد الرد .

وإذا ذكر الشعراني أو ابن عربي قامت قيامتهم ، ودقت طبول الحرب عندهم .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

النقد العلمي البناء

إننا لا نخاف النقد العلمي المبني على أُسس وقواعد ، لأننا على علم ويقين ، أن كل إنسان يخطىء ويصيب - ما عدا المعصوم (ص) - ، هو وحده الذي له الكمال الإنساني المطلق ، وهو وحده الذي لا يخطىء ، لأنه معصوم .

وبهذه المناسبة نتكلم عن العصمة من ناحية اللغة .

هم يقولون : إن «العصمة لله وحده» ، وقد قالها أخوهم (المشار إليه آنفاً) وغيره .

ونفي العصمة عن الأنبياء جميعاً ، وقال : أنهم متقون : لا معصومون وهي منبثة في كتبهم ليموهوا على الناس ويعرفوهم أنهم هم وحدهم أهل التوحيد ، وحسب وتجاهلوا لغة العرب التي بها نزل القرآن.

كلمة : معصوم . على وزن مفعول ، تتطلب فاعلاً ، وما دام هناك معصوم ، فلا بد من أن يكون هناك عاصم .

والنبي (ص) ، وغيره من الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) : ما أخذوا العصمة من أنفسهم وإنما أخذوها من الله تعالى . والله لا يُقال أنه معصوم ، وإنما يُقال : منزه .

ولولا أن الكلام الذي كتبه هذا الإنسان - صاحب - «الأنبياء في القرآن الكريم» كفر صراح : لكتبته ، ولكن . . .

العلم وأمانة العلماء

«إن سنن الترمذي الموجودة الآن في القاهرة والمنتشرة في العالم والتي شرح الجزء الأول منها فضيلة المرحوم العلامة الشيخ «شاكر» (رحمه الله وأنار قبره)، هي من رواية الشعراني وابن عربي.

وإليك ما كتبه (رحمه الله تعالىٰ) في المقدمة : قال :

قال أحمد بن الرفاعي المالكي : «أروي سنن الإمام الترمذي عن مشايخ ، منهم شيخنا العلامة إبراهيم السقا الشافعي ، وهو يرويه عن مشايخه منهم الشيخ الأمير «الصغير» ، عن والده العلامة الأمير «الكبير» ، عن الشيخ العدوي ، عن الشيخ عقيلة المكي ، عن الشيخ حسن العجيمي ، عن الشيخ أحمد بن محمد القشاش ، عن الشيخ أحمد بن علي الشناوي ، عن والده الشيخ علي بن عبد القدوس الشناوي ، عن الشيخ عبد الوهاب الشعراني ، عن الشيخ زكريا بن محمد ، عن زين الدين المراغي العثماني ، عن شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي ، عن أبي الحسن علي بن عمر الواني ، عن الشيخ محي الدين محمد بن علي بن عربي الطائي الحاتمي ، عن عبد الوهاب بن علي بن سكينة البغدادي ، عن أبي الفتح عبد الملك بن عبد الله الكروخي ، عن أبي إسماعيل : عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي عن عبد الجبار الجراحي ، عن أبي العباس : محمد بن أحمد بن محبوب ، عن مؤلفه الترمذي : أبي عيسى : محمد بن عيسى سورة بن موسى الضحاك السلمي الضرير البوغي : نسبة إلى بوغ قرية من قرى ترمذ» .

انتهى ما كتبه بيده العلامة الشيخ شاكر (رحمه الله تعالىٰ) ولم تمنعه مخالفته أن يظهر الحق ، لأنه يبغي الحق .

هذا الذي كتبه «الشيخ شاكر» .

وهو ، وإن كان (رحمه الله) مخالفاً للصوفية . . . ولكنه أمين في دينه ، وهذه وحدها فيها الكفاية .

وهو يعتبر شيخ حامد الفقي وصديقه ، ولكن لما لمس فيه ما لمس : نبذه نبذ النواة .

إقرأ كتابه . . «بيني وبين حامد الفقي» لتعرف الحق وترى العجب .

ومعروف أن العلماء اهتموا بالحديث رواية ودراية ، حتى يدخلوا ضمن من قال فيهم رسول الله (ص) :

«نضر الله عبداً سمع مقالتي فرعاها وحفظها ، ثم أداها إلى من لم يسمعها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه .

ثلاث لا يغل عليهم قلب امريء مسلم : اخلاص العمل لله ، والنصح لأئمة المسلمين ، ولزوم جماعتهم ، فإن دعوتهم تحوط من ورائهم» .

(رواه الإمام أحمد ، وابن ماجة ، والحاكم عن جبير بن مطعم . ورواه أبو داود وابن ماجة ، عن زيد بن ثابت ، والترمذي وابن ماجة ، عن عبد الله بن مسعود) .

من مؤلفاته ابن عربي (رضي اللّه عنه) في الحديث الشريف

١ ـ اختصار البخاري .

٢ ـ اختصار مسلم .

٣ ـ اختصار الترمذي .

٤ ـ الاحتفال في ما كان عليه النبي (ص) من سنى الأحوال .

٥ ـ تفسير القرآن الكريم ـ من أول البقرة ـ إلى قوله تعالى : ﴿وإذ قال موسىٰ لفتاه﴾ من سورة الكهف ، واسمه «الجمع والتفصيل في أسرار معاني التنزيل» .

٦ ـ المثلثات الواردة في القرآن العظيم .

٧ ـ المحكم في المحكم ـ بضم الميم الأولى ـ وأذان رسول الله (ص) .

٨ ـ المنتخب في مآثر العرب .

٩ ـ مكافأة الأنوار فيما روى (ص) وسلّم عن الله تعالى من الأخيار.

١٠ ـ كنز الأبرار . فيما روي عن النبي (ص) من الأدعيّة والأذكار .

١١ ـ الأربعون المتقابلة الأحاديث .

١٢ ـ الأربعون الطوال .

١٣ ـ العوالي في الأسانيد .

١٤ ـ اختصار السيرة النبوية .

١٥ ـ المصباح في الجمع بين الصحاح .

وغيرها كثير وكثير .

صورة لاجازتين من ابن عربي

الأولى: إلى السلطان الملك المظفر : بهاء الدين غازي بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وأولاده.

ورقمها في دار الكتب ـ ١٥٨ مجاميع طلعت.

والثانية : إلى الملك العادل أبي بكر بن أيوب وأولاده ، ولمن أدرك حياته بأن يرووا عنه جميع ما رواه عن أشياخه ، وما ألفه وصنفه ، وذكر فيها مصنفاته ، وهي ضمن مجموعة من ورقه ١٠٤ ـ ١٠٩ = ٦٣٣ مجاميع طلعت.

جزء من الأولى :

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين . . .

أقول وأنا محمد بن علي العربي الحاتمي ، وهذا لفظي :

استخرت الله تعالى ، وأجرت السلطان الملك المظفر : بهاء الدين غازي بن الملك العادل أبي بكر وأولاده ، ولمن أدرك حياتي : الرواية عنى في جميع ما رويته عن أشياخي ، من : قراءة ، وسماع ، ومناولة ، وكتابه ، وأجازة ، وجميع ما ألفته وصنفته من ضروب العلم . . . وما لنا من نثر ونظم ـ على الشرط المعتبر ـ ، وتلفظت بالاجازة عند تقييدي هذا الخط ، وذلك في غرة المحرم سنة ٦٣٢ هـ بمحروسة دمشق» . . الخ .

وآخـــرهـــا :

«وكيف أنــا ، ومن أنــا ؟ ، ومن أنـت ؟ ، ودليــل الــخــازن ، ومصــطفى القلوب ، والحمد لله ربّ العالمين .

وصلّىٰ الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين» .

هـذه الإجازة مكـونـة من ثـلاث نسـخ ، منهم نسخــة منقـولــة عن المؤرخ المشهور . «ابن شاكر» نقلت مع ترجمة ضافية من تتابه عيون التواريخ .

صورة الاجازة الثانية

إلى الملك العادل «أبي بكر بن أيوب» وأولاده ، ولمن أدرك حياته بأن يرووا عنه جميع ما رواه عن أشياخه ، وما ألفه وصنفه ، وذكر فيها مصنفاته .

أولها :

بسم الله الرّحمن الرّحيم

أقول : وأنا محمد بن علي العربي الطائي الحاتمي ، الأندلسي ، وهذا لفظي : استخرت الله تعالىٰ ، وأجزت السلطان الملك العادل ـ المرحوم إن شاء الله تعالىٰ ـ أبا بكر بن أيوب وأولاده ، ولمن أدرك حياتي : الرواية عني في جميع ما رويته عن أشياخي ، من قراءة وسماع ، ومناولة وكتابة واجازة ، وجميع ما ألفته ، وصنفته من ضروب العلم ، وما لنا من نثر ونظم ، على الشرط المعتبر بين أهل هذا الشأن .

وتلفظت بالاجازة عند تقييدي هذا الخط .

وذلك في غرة محرم سنة ٦٣٢ هـ بمحروسة دمشق .

وآخرها : «. . كتاب «مرآة المعاني» ، كتاب «الياء» .

فهذه مأتان وخمس وستون مصنفاً . والله تعالىٰ أعلم» .

(أنظر فهرست مخطوطات دار الكتب المصرية المجلد الأول ص ١٢٣) . المطبوعة سنة ١٣٧٥ هـ .

ومن المعروف : أن السلاطين والملوك ، كانوا يبعثون أولادهم للمؤدبين ، (يعني المعلمين الذين يعلمونهم أحكام الدين) حتى إذا تولوا الملك كانوا على علم .

إذا عرفت هذا : عرفت أن ابن عربي إنما أجاز هؤلاء لأنهم أهل علم ، ولم يجزهم لأنهم ملوك ولا سلاطين ، إذ لم تملكه رغبة ولا رهبة .

بعض من كلامه وشعره على سبيل الترويح بعد هذه الرحلة :

أيا حائراً بين علم وشهوة ... ليتصلا : ما بين ضدين من وصل .
من لم يستنشق الريح لم يكن ... يرى الفضل للمسك الفتيق على الزبل .

* * *

يا درة بيضاء لاهوتية ... قد ركبت صدفاً من الناسوت
جهل البسيطة قدرها ... وتنافسوا في الدر والياقوت

* * *

وقال في مدح المصطفى (ص)

يا حبذا المسجد من مسجد ... وحبذا الروضة من مشهد
وحبذا طيبة من بلدة ... فيها ضريح المصطفى أحمد
صلى عليه الله من سيد ... لولاه لم نفلح ولم نهتد
قد قرن الله به ذكره ... في كل يوم ، فاعتبر ترشد
عشر خفيات وعشر إذا ... أعلن بالتأذين في المسجد
فهذه عشرون مقرونة ... بأفضل الذكر إلى الموعد

* * *

ومن شعره في حب ربه تبارك وتعالى :

إذا حل ذكركم خاطري ... فرشت خدودي مكان التراب
واقعد في الذل على بابكم ... قعود الأسارى لضرب الرقاب

* * *

وقـال (رضي الله عنه) :

شغـل المحب عن الهـواء بسـره ... في حب من خلق الهـواء وسخـره
العـارفـون عقـولـهم معقـولـة ... عن كـل كـون تـرتضيه مـطهـره

* * *

وقـال (رضي الله عنه) :

ومن عجب أني أحن إليـهـمـوا ... وأسـأل عنهـمـوا ، وهمـوا معي
وتبكيهموا عيني وهم في سوادهـا ... وتشتـاقهم نفسي وهم بين أضلعي

* * *

وقـال (رضي الله عنه) :

بين التـدلـل والتـذلـل نـقـطة ... فيهـا يتيـه العـالم النحـريـر .
هي نقـطة الأكـوان إن جـاوزتها ... كنت الحكيم وعلمـك الأكسيـر .

* * *

سهري مع المحبوب أصبح مرسلاً ... وأراه متصـلاً بفيض مـدامعي
قـال الحبيب بـأن ريقي نـافـع ... فـاسمـع رواية مـالـك عن نـافـع

* * *

وقـال يومـاً :

يـا مـن يـرانـي ولا أراه ... كـم ذا أراه ولا يـرانـي ؟

فقال له بعض إخوانه لما سمع هذا البيت :

كيف تقول أنه لا يراك .

فقال مرتجلاً على الفور :

يـا مـن يـرانـي مـجـرمـاً ... ولا أراه آخـذاً
كـم ذا أراه مـنـعـمـاً ... ولا يـرانـي لائـذاً

قلت ـ أنـا راقم هذه السـطور ـ من هـذا وشبهـه تعلم أن ابن عـربي لـه كـلام

كثير لا يقصد ظاهره ، وإنما له محامل تليق به .

وأخيراً أقول لك ما قال السكندري لابن تيمية (رحمهما الله) «ألم تقرأ قول ابن عربي»: «من يبني إيمانه بالبراهين والإستدلالات فقط: لا يمكن الوثوق بإيمانه ، فهو يتأثر بالاعتراضات ، فاليقين لا يستنبط بأدلة العقل ، إنما يغترف من أعماق القلب» اهـ .

نتركك الآن أيها القارىء الكريم في أمان الله وحفظه .

وإيّاك أن تقع في أعراض المسلمين ، فإن خصيمك يوم القيامة : «شهادة ألا إله إلّا الله» ومن كانت خصمه خصمته ونسأل الله تبارك وتعالى لي ولك السلامة والعافية وحسن الختام .

علمنا في هذا الكتاب

أولاً :

هذا الكتاب اسمه الحقيقي ـ الذي كتب ـ الشيخ (رحمه الله) «تنزل الأملاك في حركات الأفلاك» :

هكذا هو في أول النسخة التي راجعنا عليها.

وتعتبر النسخة العاشرة بالنسبة لما ظهر من نسخ هذا الكتاب .

وفي أول الكتاب قال (رحمه الله تعالىٰ) :

هذا كتاب تنزل الأملاك من عالم الأرواح في الأفلاك .

ولما كانت حالة النسخة المصورة عن مخطوطة : وهي التي راجعنا عليها لا يمكن المراجعة عليها : بحثنا عن الطبعة الأُولىٰ لهذا الكتاب ، والتي طبعت عام ١٣٨٠ هـ بتحقيق الاستاذين الفاضلين أحمد زكي عطية ، وطه عبد الباقي سرور (رحمهما الله وغفر لهما) ، باسم «تنزل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك» أو «لطائف الأسرار» .

وللكتاب نفسه اسم آخر «التنزلات الموصلة» ذكرها الشعراني (رحمه الله) في «اليواقيت والجواهر» بدون الياء الأخيرة .

ولا ندري إن كان هذا الاسم «الموصلة» بدون الياء هو الصحيح ، أم أنه خطأ مطبعي أو من النساخ . . . الله أعلم .

وقد ذكر الأخوان الفاضلان الكريمان ـ أحمد زكي عطية ، وطه عبد الباقي سرور ـ (رحمهما الله): أن عنوان المخطوطة التي راجعا وحققا عليها هكذا:

«هذا كتاب تنزل الأملاك من عالم الأرواح في الأفلاك» .

وأضافا إليه «كلمة» أو : «لطائف الأسرار» من قول مؤلفه (رحمه الله) في الباب الأول : «هذا كتاب أودعت فيه «لطائف الأسرار وأضواء علوم الأنوار» .

وقد آثرنا الاسم الأصلي ، تمييزاً لهذه الطبعة عن غيرها .

تحقيق هذه النسخة :

قارنت هذه النسخة التي طبعنا عليها بالنسخة الآنفة الذكر ، وهي مقابلة على عدة نسخ :

١ ـ نسخة مكتبة برلين برقم ٢٩٠١ .

٢ ـ مكتبة آصاف ، برقم ٤٧٠ .

٣ ـ مكتبة ولي الدين ، برقمي ٢١٦٥٩ ، ٢١٨٢٦ مخطوطتان .

٤ ـ مكتبة طهران ، برقمي : ٣٨ و ٢ مخطوطتان .

٥ ـ نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٣٤٨٣ ، ونسخة أخرى بمكتبة طلعت بدار الكتب المصرية أيضاً .

وذكرا أنهما حصلا ـ بالإضافة إلى هذه النسخ ـ على نسخة خطية بقلم نسخ جميل على ورق كتان مكتوبة بخط «عبد اللطيف الرواسي» نقلاً عن نسخة بخط العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي : أحد تلاميذ الشيخ الأكبر : (رحم الله الجميع) ، فتكون نسختنا هذه العاشرة ، وتكون أيضاً طبعتنا هذه هي أصح الطبعات ، لأنها مقابلة على جملة نسخ .

والترجمة التي كتبتها نقلت نصوصها من :

١ ـ «نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب» للشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني .

٢ ـ «اليواقيت والجواهر» للإمام الشعراني (رضي الله عنه) .

٣ ـ «فوات الوفيات» لابن شاكر .

٤ ـ «رد المتشابه إلى المحكم» لسيدي محي الدين بن عربي : الطبعة الأولى سنة ١٣٦٨ هـ .

٥ ـ مقدمة السيد أبي بكر مخيون على رد المتشابه إلى المحكم .

٦ ـ مقدّمة السيدين الكريمين أحمد زكي عطية، وطه عبد الباقي سرور على الطبعة الأولى لهذا الكتاب .

٧ ـ المجلد الأول من فهرست مخطوطات دار الكتب طبعة ١٣٧٥ هـ .

٨ ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية .

٩ ـ «كتاب الوصايا» لابن عربي الحاتمي الطائي ، الملحق بآخر كتاب الفتوحات المكية طبع الحلبي .

١٠ ـ البداية والنهاية لابن كثير .

١١ ـ الحلل السندسية لشكيب أرسلان ـ طبع عيسى الحلبي ـ سنة ١٣٥٨ هـ .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

اللّهم صلّ علىٰ سيّدنا محمد :

«قال الشيخ الإمام العلامة القطب : محي الدين محمد بن العربي الطائي (قدس الله روحه ونور[1] ضريحه)» :

الحمد لله الذي وصف الإنسان بما وصف به نفسه ، ومنعت الحقيقة الكيفية[2] ، وفطره على الصورتين اللفظية والمضافة المعنوية ، ثم سمّاها بما سمي به ذاته ، وقال[3] بنفي المثلية[4] ، فمحا عين ما أثبته فحيزه[5] بين الأدلة العقلية والبراهين الوضعية ، ثم صلّىٰ عليه قبل صلاته ، ولا قبلية[6] .

وجعل صلاة الكرم بعد صلاة الجود بين صلاته وسؤاله في صلاته ، ولا بينية .

---

(١) بداية الكتاب في نسخة دار الكتب .

(٢) في المطبوعة «فقال» .

(٣) في مثل قوله تعالىٰ : ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ ، وقوله : ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ فاسم رؤوف رحيم صفة للعبد كما هو صفة لله ، ولكن هناك فرق بين الصفتين .

(٤) قال تعالىٰ : ﴿ليس كمثله شيء﴾ الآية ١١ من سورة الشورى.

(٥) في المطبوعة «فحيره» بالراء .

(٦) في المطبوعة «صلاته ولا قبلية ، وجعل صلاة الكرام بعد صلاة الجود ، بين صلاته» ، والأوفق بالسياق هو المثبت في هذه النسخة .

وهذه الصفة : القبلية والبعدية وغيرهما يوجد في المخلوق والصلاة التي يقصدها الشيخ من قوله تعالىٰ : ﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ الخ الآية ٤٣ من سورة الأحزاب .

وقيد له مناجاته بالأوقات ، وناجاه في مقام آخر من غير ميقات ، ليجمع له بين رسله ، ويسلك به على جميع سبله ، فكشف له عن المقام المحمدي في حضرة ذاته ، فرآه وأشهده حقيقة المقام الموسوي في حضرة صفاته[١] ، فوعا ما به ناجاة ، فلما تقدّمت صلاته وجب أن يبدأ بحمده قبل عبده لنفسه ولعبده ، وأن يفي بوعده لخلقه قبل وفائهم له بعهده ، لقدسه في صدق وعده ، فأشهده سبحانه وتعالى ربوبيته قبل تكليفه إيّاه ، وقال : ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾[٢] .

ثم لما أراد جل ثناؤه تمحيصهم وابتلاءهم : سجنهم في محل مصيره إلى الخراب والبلى ، فأفاض من وجوده الأزلي بجوده الأقدسي ، على وجوده الأبدي فيضاً أظهر عن ذلك الفيض الأنزه ، على هذا الوجود الأنوه إبراماً ونقصاً ، ورتقاً وفتقاً ، ورزقاً وخلقاً ، وبسطاً وقبضاً .

وكل قسم من هذين القسمين وجود محقق عن فيض[٣] جود مطلق ، فليس إلاّ الإيجاد الغض[٤] ، مع الأنفاس[٥] والأرفاد المحض ، إلى جميع الأجناس ، ولا سبيل إلى وصف المقام الأقدس بالمنع ، فإنه عدم ، وتسود[٦] شبهاته براهين القدم ، فأودع الأسرار الأول المالكة مفاتيح الأزل : الأرواح الأمناء ، وأنزلهم بها باسم الفتاح ، في أرض الأشباح خلفاء[٧] ولذلك قال : ﴿كانتا رتقاً ففتقناهما﴾[٨] يعني الأرض والسماء ، لما أشهدهم حقائق المسميات ، فعلمهم الأسماء حين عميت عنها الأرواح الملكية ، التي لم تتخذه الأجسام خلفاء[٩] ، ثم أنقلبوا إليه سبحانه ، بعد طول الصحبة لهذا الهيكل : عنصر الظلمة بما أكتسبوه فيه علماء ،

---

(١) ذلك ان محمداً (ص) رأى ربه ليلة أسرى به رؤية غير مكيفة بكيف ولا مكان ، وموسى (ع) لما طلب الرؤية منعها .

(٢) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٧٢ .

وأندك الطور من الهيبة .

(٣) في المطبوعة «من فيض» .

(٤) في المطبوعة «الفيض» .

(٥) «الأنفاس» بكسر الهمزة جعله نفسياً ، وفي المطبوعة «الأنفاس» بفتح الهمزة .

(٦) في المطبوعة «وترد» .

(٧ ، ٩) في المطبوعة «خلقاً» والأصح هو ما في هذه النسخة لأنه يعبر عن الخلافة في الأرض .

(٨) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٣٠ .

فبقيت بعدهم هذه النشأة الترابية أرضاً موحشة بيداء ، لا ظل فيها ولا نفس ولا ماء ، فغيبت عن البصر في الحفر ، لوجد الضرر في البشر ، حكمة [إلهية][1] علوية غراء : ليردهم إليها على صفتين : صفة وضحة بيضاء ، وصفة كالحة سوداء ، لما جعل في حبسها[2] الأول مناقب المعارف، والحكم موقوفة على ارتفاع الهمم ، وجعل مثالب الجهالات والظلم في محال الشكوك والتهم ، فتركها لحماً على وضم[3] ، وذلك لتصح اليدان بالبعد والقرب ، وتثبت القدمان بالتواضع والعجب ، وتحقق القبضتان بالكشوفات والحجب . ويعلم شرف الإنسان بتحصيله أسرار الشرق والغرب ، على سائر الأكوان من العالم الملكي والفلكي والطبيعي ، الجامع للحار والبارد ، واليابس والرطب .

أحمده سبحانه حمد من قهره العز ، فرد حمده إليه .

وأشكره شكر من قام به العجز ، فأعاد شكره عليه ، فتسامى على كل حمد وشكر : حمده وشكره ، وتعالى على[4] كل عرفان ونكر : عرفانه ونكره ، لما أن رأى أن رقيقه[5] القديم أولى بالتقديم في ذلك ، فكان بهذا القدر عند أهل القدر ، السيد المالك .

والصلاة على من فرضت عليه الصلاة[6] فبقيت الباب المحققين حائرة فيما وهبه واهب العقل ، حين نظرت بأعين بصائرها [فيه][7] وبأعين أبصاره[8] إليه ، فصلت عليه في حال الغنا[9] ليتولى تلك الصلاة مفرضها مانح السنا والسناء[10] صلّى الله عليه وعلى آله ما دام تعطش هذه الأرض لما أودع الله من غذائها في هذه الجرباء[11].

---

(١) هي زيادة في المطبوعة .

(٢) زيادة في المطبوعة .

(٣) الوضم : ما وقي به اللحم من الأرض .

(٤) في المطبوعة «عن» .

(٥) في المطبوعة «رفيقه» .

(٦) في المطبوعة : «والصلاة على من فرضت علينا الصلاة عليه» وهو الأوفق .

(٧) من المطبوعة .

(٨) في المطبوعة «أبصارها» .

(٩) «الغنا» بكسر الغين والقصر : الاستغناء ، وفي المطبوعة . «الفناء» بالفاء .

(١٠) السنا بالقصر : الضوء ، والسناء بالمد : الرفعة .

(١١) الجرباء : السماء ، أو الناحية التي يدور فيها فلك الشمس (كذا في القاموس) .

لحمد أقل[1] ما افتتحت به الكلام ... لله موجد كون ذاتي في التمام
ثم استمر الجود منه بحضرتي ... يسدي فيظهر ما أريد على الدوام
ثم الصلاة على الرسول وآله ... أهل المقامات المعظمة الجسام
ما دامت الأفلاك تسري والورى ... متكون عن سيرها ، ثم السلام

أما بعد :

فاني ذاكر في هذا الكتاب ما أشرت إليه في تراجم هذه الأبواب ، بجميع ما فيها على تواليها .

(١) في المطبوعة «أول» .

فهرست الأبواب

فهــرست أبــواب الكتــاب المحكم ... أودعتهــا أســمــاء مــا أنــا ذاكــره
فيــه[1] وما يعـطيك[2] من أســرارهــا ... بعبــارة تبـدي الــذي أنـا ســاتـره

الباب الأول : في ذكر اسم هذا الكتاب وشرحه مجملاً .

الباب الثاني : في بيان تنزل الأملاك على قلوب الأولياء .

الباب الثالث : في معرفة المكلِّف والمكلَّف[3] .

الباب الرابع : في معرفة التكليف .

الباب الخامس : في معرفة سبب وضع الشريعة في العالم .

[ومعنى قوله تعالى][4] : ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾[5] ، وقوله : ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾[6] .

---

(١) في المطبوعة : «فيها» .

(٢) في المطبوعة : «تعطيك» .

(٣) المكلِّف الأولى بشد اللام وفتحها : من هو أهل للتكليف ، والمكلَّف الثانية بشد اللام مع كسرها ، ويجوز العكس في الإعراب .

(٤) ما بين القوسين غير موجود بالمطبوعة .

(٥) سورة الإسراء : الآية : ٩٥ .

(٦) سورة فاطر ، الآية : ٢٤ .

الباب السادس : في معرفة كون الرسول من جنس المرسل إليه ، وقوله تعالى : ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلا﴾[1] ، وقوله : ﴿لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا﴾[2] لم[3] يقل رجلاً .

الباب السابع : في بيان مقام الرسالة ، ومقام الرسول ، من حيث هو رسول ، ومن أين نودي ؟ ، وأين مقامه ؟ والفرق بين الرسالة والخلافة[4] ومعرفة النبوة والولاية ، والإيمان والإسلام والعالم ، والجاهل ، والظان والشاك ، والناظر ، والمقلدين لهم .

الباب الثامن : في معرفة تلقي الرسالة ، وشروطها وأحكامها .

الباب التاسع : في معرفة تلقي الرسالة[5] الثانية الموروثة من النبوة ، ومعنى قول النبي (ص)[6] «العلماء ورثة الأنبياء»[7] .

وقوله : «علماء هذه الأمة : أنبياء سائر[8] الأمم» .

وكان معاذ وغيره رسول رسول الله إلى من أرسل إليهم .

ولماذا ترك ذكر الواسطة ، وقيل رسول الله ، وكان يأخذ عن جبريل ، ولم يقل في معاذ وغيره رسول الله ، وقيل فيه رسول رسول الله .

الباب العاشر : في بيان السبب الذي دعاني أن أختص[9] في هذا الكتاب من العبادات : الصلوات الخمس ، دون غيرها .

الباب الحادي عشر : في معرفة علة أسماء الصلوات الخمس ،وتنبيهات[10]

---

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ٩ .

(٢) سورة الإسراء ؛ الآية : ٩٥ .

(٣) في المطبوعة : «ولم» .

(٤) في المطبوعة «بين الخلافة والرسالة» .

(٥) في المطبوعة «في معرفة الرسالة» .

(٦) في المطبوعة : «صلّى الله عليه وسلّم» .

(٧) رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي وغيرهم .

(٨) في المطبوعة «إلى أن أذكر أني أختص» .

(٩) بحذف حرف التشبيه ، والتقدير «كأنبياء» واللغة العربية مشحونة بمثل هذا .

(١٠) في المطبوعة «والتنبيه» .

على ما في كيفياتها من الحكم والأسرار ، على طريق الاجمال .

الباب الثاني عشر : في معرفة شروط الإمام .

الباب الثالث عشر : في معرفة شروط المأموم .

الباب الرابع عشر : في معرفة (سبب[1] فرض الطهارات[2]) وصفة الماء الذي يتطهر به .

الباب الخامس عشر : في معرفة سبب التعميم في طهر[3] الجنابة ، وتخصيص (بعض)[4] الأعضاء في الطهر من الحدث الأصغر (والتيمم)[5] .

الباب السادس عشر : في معرفة النية ، والفرق بينها وبين الإرادة والقصد ، والهمة ، والعزم[6] والهاجس .

الباب السابع عشر : في معرفة غسل اليدين ثلاثاً ، ووصف المياه والأواني في كل صلاة .

الباب الثامن عشر : في معرفة أسرار صب الماء في غسل اليدين بالشمال على اليمين .

الباب التاسع عشر : في معرفة أسرار الاستنجاء .

الباب الموفي عشرين[7] : في معرفة أسرار الإستجمار .

الباب الحادي والعشرون : في معرفة أسرار المضمضة .

الباب الثاني والعشرون : في معرفة أسرار الاستنشاق والاستنثار .

الباب الثالث والعشرون : في معرفة أسرار غسل الوجه .

الباب الرابع والعشرون : في معرفة غسل اليدين إلى المرفقين .

---

(١) ما بين القوسين : غير موجودة في المطبوعة .

(٢) في المطبوعة «الطهارة» .

(٣) في المطبوعة «غسل» .

(٤) غير موجود في المطبوعة .

(٥) غير موجودة في المطبوعة .

(٦) في المطبوعة «والعجز» .

(٧) في المطبوعة «الباب العشرون» .

الباب الخامس والعشرون : في معرفة أسرار مسح الرأس .

الباب السادس والعشرون : في معرفة أسرار مسح الأذنين .

الباب السابع والعشرون : في معرفة أسرار غسل الرجلين .

الباب الثامن والعشرون : في معرفة أسرار التشهد بعد الفراغ من الوضوء .

الباب التاسع والعشرون : في معرفة أسرار الإنصراف من الوضوء إلى الصلاة .

الباب الموفي ثلاثين[١] : في معرفة أسرار طهارة الثوب والبقعة[٢] للصلاة فيهما .

الباب الحادي والثلاثون : في معرفة (أسرار)[٣] إقامة الصلاة .

الباب الثاني والثلاثون : في معرفة أسرار تكبيرات الصلاة .

الباب الثالث والثلاثون : في معرفة أسرار رفع اليدين في الصلاة .

الباب الرابع والثلاثون : في معرفة أسرار التوجيه[٤] .

الباب الخامس والثلاثون : في معرفة أسرار القراءة[٥] والوقوف في الصلاة .

الباب السادس والثلاثون : في معرفة أسرار الفرق بين الفاتحة والسورة[٦] .

الباب السابع والثلاثون : في معرفة أسرار الركوع وما يختص به من التسبيح .

الباب الثامن والثلاثون : في معرفة أسرار الرفع من الركوع ، وما يُقال فيه .

---

(١) في المطبوعة : «الباب الثلاثون» .
(٢) في المطبوعة : «في معرفة أسرار تطهير البقعة والثوب» .
(٣) في المطبوعة : «في معرفة إقامة الصلاة» .
(٤) في المطبوعة : «في معرفة أسرار التوجه إلى الصلاة» وهو الأوفق .
(٥) في المطبوعة : «في معرفة أسرار الوقوف في الصلاة» .
(٦) في المطبوعة : «في معرفة الفرق بين القراءة والفاتحة والسورة» .

الباب التاسع والثلاثون : في معرفة أسرار الهوى إلى السجود .

الباب الموفي أربعين(١) : في معرفة أسرار السجود وما يختص به من الدعاء والتسبيح(٢) وقوله تعالى : ﴿واسجد واقترب﴾(٣) ولم يقل تقترب ، وسبب عصمة الإنسان في سجوده من الشيطان .

الباب الحادي والأربعون : في معرفة أسرار الرفع من السجود .

الباب الثاني والأربعون : في معرفة أسرار الجلوس في الصلاة .

الباب الثالث والأربعون : في معرفة أسرار التشهد في الصلاة .

الباب الرابع والأربعون : في معرفة أسرار السلام من الصلاة(٤) .

الباب الخامس والأربعون : في معرفة أسرار سبب السهو والسجود له(٥) .

الباب السادس والأربعون : في اختصاص الإمام بيوم الأحد ، وما يظهر فيه من الانفعالات .

الباب السابع والأربعون : في اختصاص المأموم بيوم الأثنين ، وما يظهر فيه من الإنفعالات .

الباب الثامن والأربعون : في اختصاص العشاء بيوم الثلاثاء ، ومن هو الإمام فيه ، وما يظهر فيه من الانفعالات .

الباب التاسع والأربعون : في اختصاص العصر بيوم الأربعاء ، ومن هو الإمام فيه ، وما يظهر من الانفعالات .

الباب الموفي خمسين(٦) : في اختصاص الظهر بيوم الخميس(٧) ، ومن هو الإمام فيه ، وما يظهر فيه من الانفعالات .

---

(١) في المطبوعة : «الباب الأربعين» .

(٢) في المطبوعة : «من التسبيح والدعاء» .

(٣) آخر سورة «إقرأ» .

(٤) في المطبوعة : «في معرفة السلام» من الصلاة .

(٥) في المطبوعة : «في معرفة أسباب السهو والسجود له» .

(٦) في المطبوعة : «الباب الخمسون» .

(٧) في المطبوعة : «في اختصاص المغرب بيوم الجمعة» .

الباب الحادي والخمسون : في اختصاص المغرب بيوم[1] الجمعة ، ومن هو الإمام فيه ، وما يظهر فيه من الانفعالات .

الباب الثاني والخمسون : في اختصاص الصبح بيوم السبت[2] ، ومن هو الإمام فيه ، وما يظهر فيه من الانفعالات .

الباب الثالث والخمسون : في أن يوم السبت هو يوم الأبد ، وهو يوم الاستحالات[3] .

الباب الرابع والخمسون : في بيان الصلاة الوسطىٰ : ـ أي صلاة هي ـ ولماذا سميت وسطىٰ[4] .

الباب الخامس والخمسون : في معنى قوله : ﴿ **الذين هم على صلاتهم دائمون**﴾ لماذا يرجع وهو آخر الأبواب .

هذا ما وجدناه في النسخة المطبوعة ، وهناك باب اختلفت ترجمته ، وهو الباب التاسع والأربعون ، فلذلك في المطبوعة باب ، استوفيناه هنا من النسخة التي راجعنا عليها . والله أعلم .

---

(١) في المطبوعة : «في اختصاص الصبح بيوم السبت» .

(٢) في المطبوعة : «في أن يوم السبت هو يوم الأبد ، وهو يوم الإستحالات» .

(٣) في المطبوعة : «في بيان الصلاة الوسطىٰ : أي صلاة ؟ ولماذا سميت الوسطىٰ» ؟ .

(٤) في المطبوعة : «الباب الرابع والخمسون في معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **الذين هم على صلاتهم دائمون**﴾ لماذا يرجع ، وهو آخر الأبواب» .

الباب الأول

في ذكر اسم هذا الكتاب ، وشرحه مجملاً

هـذا كتـاب تنـزل الأمـلاك مـن عـالـم الأرواح فـي الأفـلاك
عن أمر وصف العالم الآتي[1] الذي قهـر الـورى بحسـامـه البتـاك[2]
يـا مـالكـاً فتح الخـزائن جـوده لاقـامـة الأعـراس[3] والأمـلاك
بين العقـول وبين حـضـرة ذاتـه الـعـامـلات الـسـادة الـنـسـاك
صفت لـدى باب النـدىٰ[4] أقدامهـا لـسـائـر الأضـواء والأهـلاك[5]
وعـلوم أيـام الـوجـود ولـيـلـه[6] عنـد انمنـاجـاة بـلا اشـراك[7]

هـذا كتاب أودعت فيـه لـطائف الأسـرار ، وأضـواء علوم الأنـوار ، فهـو مبني على اللغز والرمـز ، ليتحقق المدعىٰ في منـاجاة ربـه عند وقـوفه على هـذه النتائـج بالحصر[8] والعجز .

---

(١) في المطبوعة : «الأل» بمد الهمزة .
(٢) البتاك : من بتك الشيء بمعنىٰ : قطعه ، وفي المطبوعة : «الفتاك» بدل «البتاك» .
(٣) في هامش المطبوعة : «الأعراش» .
(٤) الندى : الكرم ، وفي هامش المطبوعة : «النهي» .
(٥) الأهلاك : المفاوز ، والله أعلم ، وفي المطبوعة : «الأملاك» .
(٦) في المطبوعة : «دليله» .
(٧) في المطبوعة: «بالأشراك» .
(٨) الحصر : بفتح الحاء والصاد : ضيق الصدر ، قال الشاعر :
أعـوذ بـالـلّٰه مـن حـصـر وعـي ومـن نـفـس أعـالـجـهـا عـلاجـا

وإنما قصدت أيضاً ستر هذه المعاني الإلهية في [هذه][1] الألغاز الخطابية ، غيرة من علماء الرسوم ، وعقوبة لهم ، من أجل إنكارهم ، كما ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل غشاوة على أبصارهم ، فلم يدركوا من روائح الحقائق شمة[2] ولم يميزوا في قلوبهم بين اللمة واللمة[3] تأسياً بمن أخذ مثل هذا العلم من النبي المعصوم ، وقال «لو بثثته قطع مني هذا البلعوم»[4] ، وكما قال علي (رضي الله عنه) حين عدم النقلة : «أن هٰهنا ـ وضرب بيده إلى صدره ـ[5] لعلو ما جملة لو وجدت لها حملة» .

وكما قال ابنه الذكي الحبر الكبير السني[6] :

يا رب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي : أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

فبهؤلاء السادة[7] في ستري لهذه العلوم تأسيت ، وبهم فيها أقتديت ، وسميت هذا الكتاب : «تنزل الأملاك في حركات الأفلاك»[8] عن أوامر صفات العلام الآل[9] المالك ، والقهار الفاتح على الباب أرباب الصفات

---

(١) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٢) في المطبوعة : «شمه» .

(٣) اللمة : بالفتح : الجنون من المس ، واللمة : بالضم : الصاحب والمؤنس ، ومن هنا يظهر الفرق بين ، لمة الملك ، بضم اللام ، ولمة الشيطان بفتحها .

(٤) هو الصحابي الجليل رواية الإسلام أبو هريرة (رضي الله عنه وأرضاه) ، والحديث رواه البخاري ، ولفظه : «حفظت من رسول الله (ص) وعائين ، أما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم» .

(٥) في المطبوعة : «وضرب على صدره» .

(٦) هو سيدي علي زين العابدين (رضي الله عنه) والبيتان من كلامه هو (رضي الله عنه) .

(٧) في المطبوعة : «السادات» .

(٨) في المطبوعة : «تنزل الأملاك للأملاك» .

(٩) في المطبوعة : «الإله» ، والآل ـ بكسر الهمزة : اسم من أسماء الله تعالى ـ قال في القاموس المحيط ـ بعد كلام طويل عنه « . . . والربوبية ، واسم الله تعالى . . وكل اسم آخره «ال» أو «ايل» فمضاف إلى الله تعالى .

ومن معاني الآل : رفع الصوت بالدعاء .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ـ لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة ـ قال : الآل : الله» وهو أحد =

عند الباب[1] بسرائر[2] صلوات أيام الليل الحالك والنهار الواضح .

وفيمـا يقـول[3] بعض من لا معـرفـة لـه بـطريق الحقـائق التي هي نتيجـة التصـرف[4] ، ولا علم له بصـورة التجارؤ[5] فيهـا ولا التصرف في إطـالة اسم هـذا الكتـاب ، وأنه قشـر على غير لبـاب ، وترجمـة تروق بـلا معنى ، واسم يهـول بـلا جسم .

فاعلم ـ وفقك الله ـ أن غـرضي البيان الشـافي في كل مـا أضيفه[6] ، والقـول الكـافي في كل مـا أؤلفه ، فمـا جعلت في [هـذا][7] الكتـاب لفـظة إلاّ لمعنى فيـه نودعه[8] ، وسر لديه نستودعه . فقولي «تنزل الأملاك» لأنهـا الأمرة عن الله ، قلوبنـا بضروب الطاعات .

وقـولي «الأمـلاك»[9] لالتحـام النشـأتين ، وانتـظام الصـورتيـن بفـنـون الاستمتاعات[10] .

وقولي «في حركات الأفلاك» لارتباط الصلوات والتنزلات بالساعات .

وقولي «عن أوامر» لتعداد التنزلات .

وقـولي «صفـات» لبيـان حقيقـة الـذات ، ولم أقـل «صفـة» لأنهـا عن العلم والقول والإرادة المتوجهة مع القدرة على إيجاد الكـائنات .

وقولي «العلام» لكونه من الأسماء الإحاطيات .

= التفاسير التي ذكرها ابن كثير (رحمه الله تعالى) .

(١) في المطبوعة «الفاتح على أرباب الألباب ، الصافات عند الباب» .

(٢) في المطبوعة : «السرائر» .

(٣) في المطبوعة : «وربما» .

(٤) في المطبوعة : «التصوف» وهو الأقرب للصواب .

(٥) في المطبوعة : «التجارب» .

(٦) في المطبوعة : «أصنفه» .

(٧) ما بين القوسين ليست في المطبوعة .

(٨) في المطبوعة : «يودعه» .

(٩) في المطبوعة : «للأملاك» .

(١٠) في المطبوعة : «الاستمتاعات» .

وقولي الأل[1] لكون الأرواح الإنسانية من الملكوتيات ، لأن دلالة الأل ، ملكية ، ودلالة «الله» بشرية ، هكذا صرفته الكلمات ، فعبد الله ، وعبيد الله ، في الأرض نظير ميكائيل في السموات ، وجبرائيل في سدرة الانتهاءات .

وقولي «المالك» حذراً من دعوىٰ العبد في الملك[2] لما تحصل له في السعادات[3] .

وقولي : «القهار» لاخراج الإرسال بالقهر عما وجب لها من المقامات .

وقولي : «الفاتح» لنزولهم على شرج[4] الأفلاك المستديرات .

وقولي : «على الباب» لكون هذا التنزسل من العقول المفارقات .

وقولي : «الأرباب» لأنه لا يتفطن لتنزلهم على القلوب سوى السادات .

وقولي : «الصفات» لكونها طالبة للمشاهدات .

وقولي : «عند الباب» لكون حجاب العزة لا يرتفع عن حقائق الإلهيات[5] .

وقولي : «بسرائر»[6] لإرادتي السريرة الموجودة بين الله (تعالىٰ) وبين العبد في الصلوات .

وقولي : «صلوات»[7] لأن لكل صلاة ضرباً من المناجاة ، وصنفا من الكرامات .

وقولي : «أيام» إشارة للفرق بين هذه الأيام المعهودات والأيام المقدرات .

وقولي : «بالليل[8] الحالك والنهار الواضح» لأن الليل والنهار للمحسوسات

---

(١) في المطبوعة : «الإله» .

(٢) في المطبوعة : «للملك» .

(٣) في المطبوعة : «لما يحصل له في السعايات» .

(٤) الشرج «بفتحين» عري العيبة بضم عين «عري» والشرجة : مسيل ماء ، وهي الفتحة التي يسيل منها ، والجمع شراج .

(٥) في المطبوعة : «لا يرتفع عن الحقائق الإلهيات» .

(٦) في المطبوعة : «سرائر» بدون الباء .

(٧) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٨) في المطبوعة : «الليل» .

المستترات والظاهرات المرئيات ، «والحالك» و «الواضح» للإشارات المغيبات ، والعبارات المستنيرات .

وهذا كله في كتابي أذكره وأبينه وأسطره ، وعلى ترتيب هذه الكلمات اتكلم رغبة في المثوبات ، ورفع الدرجات ، وحط الخطيئات .

فهذا التنزل ـ بحمد الله ـ تنزل قدسي يقبله عقل ندسي[١] بسره سندسي[٢] يتعشق[٣] به خاطر نفسي ، يظهره قلب[٤] حسي .

ثم يرجع عوده على بدئه لقيام شيء[٥] آخر مثل نشئه ﴿كما بدأكم تعودون﴾ ﴿ولقد علمتم النشأة الأولىٰ فلولا تذكرون﴾ .

فليس لعلم اللبيب[٦] سوى تركيب ، وتحليل لتركيب[٧] .

---

(١) تندس ماء البئر : فاض ، والمعنىٰ بعقل فياض والسندس رقيق الديباج ، وهذا كله كناية عن الرفعة والمقامات العلية لهذا العقل .

(٢) في المطبوعة : «عقل ندسي يستره ثوب سندسي» .

(٣) في المطبوعة : «يتعلق» .

(٤) في المطبوعة : «قالب» و «حسي» بمعنىٰ حساس .

(٥) في المطبوعة : «نشيء» .

(٦) في المطبوعة : «فليس في عالم اللبيب» .

(٧) في المطبوعة : «وتحليل بلغ التركيب» .

الباب الثاني

في بيان تنزل الأملاك على قلوب الأولياء

إذا نــزل الــروح الأمين على قلبي ... تضعضــع تـركيبي وحن إلى الغيب
فــاودعني مـنــه علومــاً تـقــدست ... عن الحدس والتخمين والظن والريب
ففصلت الإنســان نـوعين : إذ رأت ... يقوم به الصفو . اتنزيه مع الشوب ؟[1]
فنوع يرى الأرزاق من صاحب الغيب ... ونوع يرى الأرزاق من صاحب الجيب[2]
فيعبد هـذا النــوع : أسبـاب ربـه ... ويعبد هذا : خالق المنع والسيب[3]
فهـذا مـع العقـل المقـدس وصفــه ... وهـذا مع النفس الخسيسـة بـالعيب

لعلك يـا ولي إذا سمعتنى أقــول «ينــزل الــروح الأمين على القلب» تنكـر وتقول : أوحي بعد النبي[4] .

لا تفعـل أعاذنـا الله وإيّاك من وحي كـل شيـطان غـوى ، إنمـا هـو عبـارة في العـامـة عن «اللمـة الملكيـة» وفي الخـاصـة عن الحـديث ، كمـا ورد في صحيـح الحديث ، في القديم وفي الحديث[5] ، قال خيـر البشر «ان في أُمتي محـدّثين وان

(١) في المطبوعة : «النزيه» بدل «تنزيه» والشوب : الخلط .

(٢) صاحب الغيب ، هو الله تعالى. وصاحب الجيب هو من تعمل عنده ويعطيك من جيبه ، والله أعلم .

فمن رأى الرزق من الله فهو المؤمن .

وأما الآخر فهالك ، والعياذ بالله تعالى ـ إن الله هو الرزاق ـ ذو القوة المتين.

(٣) عابد الأسباب شيء ، وعابد مسبب الأسباب شيء آخر .

(٤) في المطبوعة : «بعد رسول الله (ص) » .

(٥) في المطبوعة : «في القديم والحديث» .

منهم عمر»[1] وقال أيضاً (عليه الصلاة والسلام) في قلب العبد «أنه يتصرف بين لمة الملك ولمة الشيطان»[2] .

ثم كني أيضاً عن هذا التصريف والتقليب بالأصبعين[3] ، وأضافهما إلى الرحمن . فما زالت الملائكة تتعاهد القلوب بأسرار الغيوب ، وهي التي تأمرك بالطاعة والتزام السنة والجماعة ، حين تأمرك الشياطين بلمتها (في ذلك الأمر بالمخالفة)[4] ، فإن لم تسمع لها ، أمرتك بالتسويف أو الموافقة .

وتتنوع تنزلات الغيوب بتنوع استعداد[5] القلوب .

ولا تظن أيها الخليل أني أعني بالروح الأمين جبرائيل ، فإن الملائكة كلهم أرواح أمناء ، على ما أودعها الله من أصناف العلوم الموقوفة على التوصيل : تارة بالإجمال ، وتارة بالتفصيل .

ولا بد أن يكون صاحب التنزلات الغيبية : عارفاً (بالخواطر وأجناسها)[6] وعالماً بالروائح وأنفاسها ، فلا يتصور إنكار - فيما نذكره - بعدما قررنا[7] من اللمة والحديث إلّا من معاند خبيث .

متعنا الله وإيّاكم بنتائج الأذكار ، وعصمنا وإيّاكم من أغاليط الأفكار ، وقدس[8] قلوبنا من دنس التعصب والإنكار على ما ظهر من المتقين الأبرار ، من غوامض العلوم والأسرار .

---

(١) ورد في هذا جملة روايات ، ومنها ما أخرجه البخاري ، وأحمد والترمذي ، والنسائي ، عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت : قال رسول الله (ص) : «لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدّثون ، فإن يكن في أمتي أحد ، فإنه عمر» .

(٢) اللمة : بالضم من الملك ، واللمة بالفتح من الشيطان .

(٣) قال رسول الله (ص) : «ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمٰن كقلب واحد يصرفه حيث شاء» رواه أحمد ومسلم ، وله روايات أخر .

(٤) ما بين القوسين ليس في المطبوعة .

(٥) في المطبوعة : «استعدادات» .

(٦) في المطبوعة : «عارفاً بالمتنزلات وأصنافها» .

(٧) ما بين القوسين ليس في المطبوعة .

(٨) التقديس : التطهير ، وفي المطبوعة : «وطهر» بدل «قدس» .

الباب الثالث

في معرفة المكلّف والمكلّف

تحقق إذا ما قلت أني مهيمن ... بأنك عبد ، والإله إله
وإن كنت مخلوقاً على الصورة التي ... تقابله حقاً ، فلست تراه
فإنك لا غير ، ولا أنت عينه[1] ... لأن سجدت لله منك جباه
وإن قلت[2] بالمعنى اتحدنا فإنه ... يقوم دليل الافتقار حذاه[3]
فلا أنت من أكنى ، ولا أنت غيره ... فقد حرت فيه ، إذ شهدت سواه
لئن قلت : أني أصل ظلمة ذاته ... فقد قلت وقتاً : في سناي سناه
فقد حار في مثلي ، وقد حرت مثله ... وقد حارت الحيرات حين محاه
وأصدق ما تعطيه ذاتي وذاته ... على حيرات فيه لسبق عماه[4]
بأني[5] وإيّاه عزيز ، وضده ... فليس يبين الليل غير ضحاه
تعجبت من تكليف ما هو خالق ... له ، وأنا : لا تحل لي فأراه
فياليت شعري من يكون مكلفاً ... وما ثم إلا الله : ليس سواه
رمزت المعاني في قريضي فموهت ... أغاليظ لفظي ، فاحتمي بحماه[6]

---

(١) في المطبوعة: «ولا أنت مثله» .

(٢) في المطبوعة : «فإن قلت» .

(٣) في هامش المطبوعة: «في الأصل : اخذنا» .

وأقول : هذا من الأدلة على أنّه لا يقول بالإتحاد .

(٤) في المطبوعة: «بسبق عماه» من قوله في الحديث القدسي : «كنت في عماء» .

(٥) في المطبوعة: «فإني» .

(٦) والمعنى المقصود ـ والله أعلم ـ أن هذه الألفاظ إنما هي رموز ، وليست مقصودة لذاتها ، فإيّاك =

صعد الكلام الطيب على براق العمل الصالح[1] بالعقل الصحيح الراجح ، لمعرفة المكلِّف والمكلَّف[2] بطريق الكشف الصريح الواضح ، باستعمال موعظة الفصيح[3] الناصح ، فبين الروح[4] الأمين عن الأمر على القلب ليكشف له عن سر ما طلبه في عالم التمثل والغيب ، وبارتفاع الحجب واعدام ظلم الريب ، وقال : لتعلم أيها القلب الكريم أن الحقيقة الإلهية تعطي أمرين ، ولهذا صحت الصورة للإنسان وحده من دون غيره ، فأوجد نشأتين باليدين ، وأباح له نجدين[5] وأنزل عليه تكليفتين حين قسم العالم قسمين في النيضتين فأخفاهما في الدنيا عن التمييز بالإضافة إلى شخص ما في العين ، وأبرازهما في الأخرة لذي عينين ، لما كانت الأخرة ذات دارين ، ولما كان الوجود على هذا الحال لذلك تعالى ـ عند العلماء بالله ـ الزوج على الفرد ، كما تعالى عند العارفين بالرب الوتر على الشفع ، لأنهم أهل الجمع .

ولظهوره الصورة المثلية مع الحقيقة الإلهية ، كانت مراتب الوجود أربعة فصار التربيع أصل هذه الأشكال المحكمة المرصعة .

وبهذه الصورة صحت الخلافة بالتقديم ، وبسببها امتدت إلى المحدّث بالإيجاد والتكليف رقائق القديم وإن كان هذا موضع حيرة ، فقد نيطت به الغيرة :

الرب حق ، والعبد حق يا ليت شعري : من المكلَّف ؟
إن قلت عبد : فذاك ميت أو قلت ربّ : أني يكلَّف ؟

= أن تأخذها على ظاهرها ، ومعنى «فاحتمى بحماه» أي لا تترك حما الله تعالى .

(١) من قوله تعالى : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ قال ابن كثير (رحمه الله تعالى) : قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (رضي الله عنهما) : «الكلم الطيب : ذكر الله تعالى يصعد به إلى الله عزّ وجلّ ، والعمل الصالح أداء الفريضة» .

فمن ذكر الله تعالى في أداء فرائضه حمل عمله ذكر الله تعالى يصعد به إلى الله عزّ وجلّ .

ومن ذكر الله تعالى ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله ، فكان أولى به .

وكذا قال مجاهد : العمل الصالح يرفع الكلام الطيب ، وكذا قال أبو العالية ، وعكرمة ، وإبراهيم النخعي ، والضحاك ، والسدي ، والربيع بن أنس ، وشهر بن حوشب ، الخ .

(٢) الأولى بكسر اللام المشددة ، والثانية بفتحها ويجوز العكس ، والله تعالى أعلم .

(٣) في المطبوعة : «النصيح» .

(٤) في المطبوعة : «فتنزل الروح» .

(٥) في المطبوعة : «والحجب له بنجدين» .

وكل ما ثبت في النظر الفكري من البسائط ، فهو عند العلماء بالله - بالكشف والمشاهدة - : من الأغاليط ،فالوتر معقول غير موجود ، والشفع موجود لكنه محدود ، وغير محدود .

فالوتر مع الشفع كالهيولي مع الصورة ، ولا توجد إلاّ بوجودها ، كما لا تعرف الصورة إلاّ بحدودها ، ولا أقول بشفعية الذات ، وإنما أقول بإستحالة تعربها عن الصفات ، فإن العدد في الأحد ، ولا يذهب بحقيقته ، ولا يخل بطريقته فنفي الشفع : واجب من أجل الشرك ، والحد لازم لأهل الإفك ، ولهذه الحقيقة شرعت الصلاة كلها شفعاً ، ليس فيها وتر ، وإن الليل يشفع صلاة المغرب ، فانظر يلح لك السر ، فلو لم يشرع الوتر الليلي لبطل بالمغرب هذا الوجود الإلهي ومحال أن يبطل الوجود الإلهي ، فلا بد أن يشرع الوتر الليلي ، فلا يصح الوتر في شيء أصلاً ، قطعاً وفصلاً .

والفائدة المطلوبة في العقل والسمع ، إنما هي في الشفع . ولذا لا ترى في الوجود أبداً إلاّ صفة وموصوفاً ، ولا سبيل في الإيمان بهذا ، إلاّ الوقوف .

فهكذا ينبغي أن تعرف المربوب والرب ، فدع ما سودت به الكتب فيتحقق هذا الكشف ، فإنه لباب العلم الصرف .

الباب الرابع

في معرفة التكليف

أصل التكليف مشتق من الكلف ، وهي المشتقات فانظر فيه واعترف بأن ربّك يعطي فعله أبداً لكل خلق ، وذا من أعظم الكلَف ، كالأمر إن خالفت منه إرادته ، معناه : صيرت المأمور في التلف ، والناس في غفلة عما يراد بهم في كونهم ، وهي لم تنهض ولم تقف ، تقسمت العوالم، فتقسمت التكاليف ، وطمست المعالم ، فجهلت التصارف .

فعالم كلفتهم العبادة ، وعالم كلفتهم في مواقع الأمر : الإرادة ، وعالم كلفتهم في توجيه الخطاب الإلهي على هذا العالم الكياني ـ مع ردّ الأفعال إليه ـ واستحالة التكليف عليه ، فتاهت الألباب في هذا الباب ، واستوى البصير فيه والأعمى ، وزادهم حيرة في ذلك وعمى قوله تعالىٰ : ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ لكن ثم رقيقة ـ وهي لعمر التصوف رفيقة ـ أنه ما وجد شيء إلاّ وفيه منه حقيقة .

أسمع يا مربوب رب القدم : امتنع المحدَث أن تقوم به حقائق القدم ، وامتنع القديم أن يقوم به حقائق الحدوث ، لئلا يتقدم على وجوده العدم .

لكن تبلى جميع الصفات ، وإلاّ فمن أين ظهرت المتضادات ، والمتماثلات ، والمختلفات ، وليس القدم بصفة إثبات عين ولا حدوث يوصف إثبات لكون .

لكن لما تعددت الأسباب في الوجودين ، ولم يمكن للمعلوم الواحد

تحصيل المعرفتين ، وأراد تمام الوجود ليعلم من الطريقين ، فظهر ـ في الإيجاد ـ التكليف في مشهد التخيير والتوقيف، ولهذا جاء الخبر ـ بالصماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ـ فقال: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاَّ ليعبدون﴾ قال ابن عباس : معناه ليعرفون .

فلو عرف نفسه بمعرفتهم دونهم : ما أوجد عيونهم ، فصح التكليف في القدم والخلق في حال العدم .

ومن هذه الحقيقة ظهر تكليف العباد ، وإن لم يكن لهم مدخل في الإيجاد .

عصمنا الله وإياكم من العناد ، وأمننا وإياكم من الفزع يوم التناد .

الباب الخامس

في معرفة سبب وضع الشريعة في العالم

ومعنى قوله تعالىٰ : ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾ وقوله جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه : ﴿وإن من أمة إلاّ خلا فيها نذير﴾ .

ولما أراد الله إصلاح خلقه — وكان بهم داء الطمأنينة أصفى
إماماً كريماً منهم متطلعاً — لأسرار أرواح العلا متشوقا
فأرسله فيهم طبيباً محكماً — أميناً عليماً بالسقام وبالشفا
وجاء بآيات تؤيد صدقه — تراها برأي العين إن كنت منصفا
فأنقذنا من لفح نار تسعرت — وكنا لعمر الله منها على شفا
وأظهر أسرار وأبدى سبيلها — لتحصيلها من بعد ما كان قد عفا

وضع الشريعة في العالم أمران ، فيهما سران :

الأمر الواحد : صلاح العالم وهو منهج الانتباه ويؤيده قوله تعالىٰ : ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ وسره : أن نصر المؤمنين حق عليه .

والأمر الآخر : إثبات ذلة[1] العبودية ، وظهور عزة الربوبية ، وسره حكم سلطان اسميه[2] فتنبه لما رمزناه ، وفك المعمى الذي لغزناه[3] .

---

(١) في المطبوعة: «أدلة» وهو خطأ لأنه قال بعدها : «وظهور عزة الربوبية» فما يقابل العزة إلاّ الذلة . والله أعلم .

(٢) المعز المذل سبحانه وتعالىٰ .

(٣) في المطبوعة: «الغزناه» .

الطمأنينة بما لا حقيقة له : توجب التكليف ، وما ثم شيء إلاّ وله حقيقة ، فقد لزمك الوقوف ، ما من أمة إلاّ قد اطمأنت ، فلما جاءتها الرسالة أنّت لعبثها[1] ثم حنت ، ولولا الوعيد والوعد ما سعي في الوفاء بالعهد ، ودع ما قالت العدوية[2] فإنها ذات حال في العبودية ، ضربها ركن الجدار فأدماها ولم تحسن به ـ وقالت «شغلني بموافقة مراده فيما جرى شغلني عن الإحساس ـ ترون من شاهد الحال» .

فقد أقرت بشغلها وأعربت بشاهد حالها . فأنتبه .

ومحمد (عليه الصلاة والسلام) يقلقه الوجع ويمسح بالماء ، على وجهه ويقول : «إن للموت سكرات» وفاطمة على رأسه ، تسكب لفراقه العبرات ـ وتقول :.يا كرباه ـ ، فيرفع إليها طرفه ويقول : «لا كرب على أبيك بعد اليوم» فأثبت أنه في كربات ، فقد بان أن الحقائق لها رقائق ، غاب عنها أهل العلائق والعوائق ، والحال : علاقة المريد ، وحب الكشف نهاية من لم يذق لذة المزيد ، فكل من شاهد أمراً ليس ذلك المشهود عليه ، فذلك الأمر فيه ، وراجع إليه ، فليحذر أن يقول : أنه في الكون الخارج لا محالة ، فيثبت عند المحققين محاله .

ومن لم يفرق بين نفسه وغيره ، فلا تمييز عنده بين شره وخيره .

فهذا سبب وضع الشرع الموافق للعقل والطبع .

جعلنا الله من العلماء العاملين ، وحال بيننا وبين القوم الفاسقين .

---

(١) في المطبوعة: «لعيبها» .

(٢) هي السيدة رابعة (رضي الله عنها) .

الباب السادس

في معرفة كون الرسول من جنس المرسل إليه

لقوله[1] تعالىٰ : ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً﴾[2] وقوله : ﴿لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾[3] ولم يقل رجلاً ، لأن المرسل إليهم ملائكة ، وقوله : ﴿وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبين لهم﴾[4] .

خليفة القوم من أبناء جنسهم ... لأن ذلك أنكى[5] في نفوسهم

لو لم يكن منهم لصدقوه ، ولم ... يقم بهم حسد لغير جنسهم

يا حزن قوم عموا عن شر[6] خالقهم ... يا شر ما عاينوه طول حبسهم

يقلبون على نوعين في سقر ... في برد بردهم[7] ، وحر شمسهم

أن يستغيثوا يغاثوا بالحميم فما ... يعذب القوم شيء[8] غير لبسهم

---

(١) في النسخة التي راجعنا عليها «وقوله» وهو خطأ لأن وجود الواو هنا يتطلب جواباً وهو غير موجود والصحيح ما أثبتناه من النسخة المطبوعة .

(٢) سورة الأنعام ؛ الآية : ٩ .

(٣) سورة الإسراء : الآية : ٩٥ .

(٤) سورة إبراهيم ؛ الآية : ٤ .

(٥) في المطبوعة «أزكىٰ» .

(٦) في الأصل الذي راجعنا عليه «عن شرح» والأصح ما أثبتناه من المطبوعة .

(٧) في المطبوعة : «بدرهم أو» .

(٨) في المخطوطة : «شيئاً» وهو من خطأ النساخ قطعاً .

كما الذي آمنوا بالشرع واعتصموا | به تضمهم جنات قد سهم
يتعسون على نوعين قد عصما | في علم عقلهم أو[1] كشف حسم
فهو لائك في تأييد سعدهم | كما أولائك في تأييد نحسهم

نزل روح أمين[2] على قلب مكين ، وقال : إنما جعل الرسول من الجنس لاستخراج عيب النفس ، وأنزل بلسانهم لارتفاع اللبس ، فإن دعا (أمر)[3] أن يكون من غير الجنس في الحقيقة ، فلا بد وأن يظهر بصورة الجنس في عالم تمثيل الرقيقة .

أنظر أيها القلب في إيجاد المسيح ، لم يصح حتى تمثل في عالم البشرية الروح[4] ، فوقع النفخ وأعقبه السلخ[5] وقد رمينا بك على الطريق ، فادرج عليه إلى عالم التحقيق وسيقوم معك رسول الخيال إلى المتخيلات ، فخذ منه ما أعطاك ، وإيّاك والإلتفات ، وانهض على طريقك ، (المثلىٰ)[6] ، وقل : «الرفيق الأعلىٰ» ، فسيقوم معك رسول العقول ، فخذ منه ما يقول : وانهض[7] برجلك جنب براق عملك إلى نيل أملك ، فيقوم معك رسول الاسماء عند خروجك من كرة الفلك المحيط بكل سماء ، ويقول[8] لك يا يوم الأثنين إلى أين ؟ فقل له انعكست الحقائق ، وظهر علينا عالم المخارق ، لم لم تتزل قبل أن أصعد ؟ ولم تقصد بحقيقتك قبل أن أقصد؟ فإنك المهيىء وأنا المهيأ وأنت المنبأ وأنا المنبي ، فسيقول لك : الحرف خدعة والستر أولى من السمعة ، وقد مضى زمن النبوة

---

(١) في المطبوعة: «الروح الأمين» من المطبوعة .
(٢) أثبتنا الألف من «أو» من المطبوعة .
(٣) ليست في النسخة التي راجعنا عليها، وإنما أثبتناها .
(٤) يعني : ظهر الملك في صورة بشر ، ﴿فتمثل لها بشراً سوياً﴾ .
(٥) يعني ـ والله أعلم ـ إنسلاخه، من بطن أمه (رضي الله عنها) وإلقاؤه على الطريق لأن أمه ولدته تحت جذع نخلة .
(٦) في الأصل الذي راجعنا عليه «وانهض على طريقك» وما أثبتناه من المطبوعة .
(٧) في المطبوعة : «واركض» والصحيح ما في النسخة التي راجعنا عليها ، لأن النهوض على الرجل من متطلبات الركوب ، وأما الركض فهو ضرب الأرض ، ومنه قوله تعالى : ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ .
(٨) في المطبوعة : «وسيقول لك» .

المشهورة ، وأنت في زمن النبوة المستورة ، فلو نزلت عليك في عالم الكون والفساد لكفرك أهل النظر في الاعتقاد ، فإن بغلبة الحال يقول «قلت وقال» ـ وهنا قد ارتفع الإنكار ، وزال الأضطرار ، فلهذا تركتك تقطع الأكوار والأدوار ، ثم أسمع لولا رسول الاشتياق ، الذي هو نتيجة (هذه)[1] المشاهد على اتساق ، ما عاملت الأهل[2] بالفراق ، فقد (نزلت إليكم[3] ، لم تشعر) وها أنا قد ذكرتك ، فهل تذكر ؟ فسل من الجوائز ما أشتهيت ، وحصل منها ما تمنيت ، فاملأ عند ذلك عينيك[4] ، فارجع وأنت تحمد غيبتك .

زكى الله أعمالنا ، وبلغنا وأيّاكم آمالنا .

---

(١) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٢) في المطبوعة : «الأقل» .

(٣) في المطبوعة : «نزلت إليك ولم تشعر» .

(٤) العيبة : ما يجعل فيه الثياب ، ومن الرجل : موضع سره .

الباب السابع

(في بيان)[1] مقام الرسالة ومقام الرسول
من حيث هو رسول ، من أين نودي

وأين مقامه والفرق بين الخلافة والرسالة ، ومعرفة النبوة والولاية ، والإيمان ، (والإسلام)[2] والعالم ، والجاهل ، والظان ، والشاك ، والناظر والمقلدين لهم .

أنا ترجمان إله السماء	وذلك إن قال لي ما أقول
مقام الرسالة عند الثرى[3]	ويظهر ذلك عند الرسول
ينادي بها من مقاماته	الإلهية الواضحة الفصول
لتمش بها لعباد طغوا	وحادوا بنا عن سواء السبيل
وبلغ إليهم رسالاتنا	فأنت الرؤوف بهم والدليل
فإن هم عصوك فقاتلهم	فإن الخليفة شهم[4] قتول
سماء الولاية علوية	تحيط بكل مقام جليل
يناديه فيها على عزة	إذ كان في أوجها جبرئيل
يقول : أنا فيك ذو عزة	وفي عز مولاي : عبد ذليل

---

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

(٢) زيادة نقلناها من المطبوعة .

(٣) في المطبوعة : «عند السراء ، وهو خطأ لأنه يعبر عن أن الرسالة تكون في الأرض لا في السماء» .

(٤) في المطبوعة : «سهم» وكلاهما صحيح .

سمـاء النـبـوة فـي بـرزخ دوين الـولي وفـوق الـرسـول
فيـا مؤمنـاً إن تـلك عـالمـاً تنعـمت فـي علم قـال وقيـل
وبـالـضـد إن كنت في ضـده ولو كنت في خفض عيش ظليل[1]
فقـرب من الشـاه فـرزانـه[2] وأيـده من الخيـل أو بنـد فيـل

نـزول الروح (الأمين)[3] على القلب ، فقـال : الرسـالة (عـرش رب السمـاء وسمـاء المربـوب)[4] ومقـام الـرسـول بينهمـا ، لأنـه طـالب مـطلوب ، فلو لم ينـاد الرسول من مقامه الأرضي[5] مـا أجاب ، ولـو سقي من غير مشـربه مـا طاب ، فـإن قيل له في ذلك الخطاب ﴿بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾[6] فذلك الرسول .

وإن زيد عليه ـ وقـاتلهم ـ أن أبو القبـول ، فذلـك الخليفة الـرسول[7] فله أن يصول .

واعلم أن فلك الولاية هو الفلك (المحيط)[8] الأعم الأتم الأكمل للعقل .

وفلك النبوة هو الفلك الأتم النفسي[9] .

وفلك الـرسالـة هو الفلك القـريب المثلث الهيولي ، وفلك الجهـل هو الفلك الزحلي وفلك العلم هو الفلك : المشتـري ، وفلك الشـك هـو الفلك : المريخـي وفلك النـظر الفلك الشمسي وفلك الظن هـو : الفلك الزهـري ، وذلـك : التقليـد هو : الفلك العطاردي ، وفلك الإيمان هو : الفلك القمري .

الرسول وجه إلى قومه .

---

(١) في المطبوعة : «ذليل» .
(٢) الفرزان ، مما يعقد به البيدق ، والمعنى : قرب من الملك رأيته والله أعلم .
(٣) ما بين القوسين من المطبوعة .
(٤) في المطبوعة : «عرش الرب المربوب» ولكلا الكلمتين معنى صحيح .
(٥) لأن رسالته في الأرض وفي المطبوعة : «من مقامه الإلهي» .
(٦) سورة المائدة ؛ الآية : ٦٧ .
(٧) أي الذي يرسله رسول الله ، كما أرسل رسول الله (ص) علياً (رضي الله عنه) ، وقال له : «علام أقاتل الناس يا رسول الله ؟ فقال : «على أن يشهدوا أن لا إله إلاّ الله» فكان خليفة رسول الله (ص) على الناس في الحرب» الخ .
(٨) ما بين القوسين من المطبوعة .
(٩) لأن النبي لم يرسل برسالة وإنما للنفسة فقط .

والنبي تعبد في نفسه إلى يومه .

والولي أيقظه الرسول من نومه .

فالرسول هو الإمام ، والولي هوالمأموم ، والنبي إمام مأموم[1] محفوظ غير معصوم .

فالرسول من هذا النمط هو المطلوب ، ومنه وإليه الهرب المرغوب ، فالمؤمن به صدفه وانصرف ، والعالم قام له البرهان فأقر بصدقه واعترف ، والجاهل نظر فيه وانحراف ، والشاك تحير فيه فتوقف ، والظان تخيل وما عرف والناظر تطلع وتشوف ، والمقلد امعة مع كل صنف تصرف ، إن مشىٰ متبوعه مشىٰ ، وإن وقف وقف ، فهو معه حيثما كان ، أما في النجاة وأما في التلف ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله ربّ العالمين﴾[1] . فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين[2] فأسكنه تقليده دار البوار .

جعلنا الله وأيّاكم من نظر فاستبصر ، وعلم ولم يجهل ولم يتحير .

---

(١) سورة الحشر ، الآية : ١٦ .

(٢) ما بين القوسين ليس في المطبوعة .

الباب الثامن
في تلقي الرسالة وشروطها وأحكامها

تلقى فؤاد بالصفاء رسالة[1] … من المشهد الأعلى إلى المشهد الأدنى
وكان تلقيها بمد[2] رقيقة … إلى سره ، باسم من أسمائه الحسنى
فلاح له نور الرسالة طالعاً … على قلبه فازدان موقفه الأسنى
وقال له في ذلك النور ربه … أحباي إن غابوا فما برحو منا[3]
فازعجه نحو المهيمن شوقه … وحن إلى الاسرا[4] ليلتذ بالمعنى
فأسرى به إذ أزعجته مقالة … لأسري بمحبوبي إلي إذ حن

نزل الروح الأمين على القلب ، فقال يا طالب الرسالة أقصر ، فإنها موهوبة غير مكسوبة ، وطالبة غير مطلوبة ، لا تنال بالسعايات ، وليس لها بدايات ، فتوجد عند الغايات ، (وإن كان من شرطها أن تكون بنية صاحبها قريبة من الاعتدال)[5] ولطيفته متوسطة بين الجلال والجمال .

واحكامها : أن لا تسكن في النور ولا في الظلمة ، وليتحرى مواضع الضياء والظلال ، وتكون فرشه الرمال[6] ، ووقته الدقيقة التي قبل الزوال .

(١) في الأصل «فؤادي بالصفات» : هكذا من هامش المطبوعة .
(٢) المطبوعة : «ملقيها يمد» .
(٣) هذا البيت ساقط من الأصل الذي راجعنا عليه وأثبتناه من المطبوعة .
(٤) في الأصل الذي راجعنا عليه «الأسرار» وهو خطأ أصلحناه من المطبوعة .
(٥) ما بين القوسين ساقط من الأصل الذي راجعنا عليه ، وأثبتناه من المطبوعة .
(٦) كان رسول الله (ص) ينام على رمال حصير بالية .

وأن يكون مرآته صافية ، ويواجه بها حضرة البلا ، والعافية .

ومن أحكامها : الثبوت عند التلقي ، وعدم الإلتفات عند الترقي .

وأما تلقيها فبرقيقة ربانية ، تمتد إلى لطيفة روحانية بكلمة غيبية ، مدرجة في قوة صلبية[1] تجري في أنبوب تلك الرقيقة ، فتستقر في النقطة الدقيقة ، فيبثها الرسول في عالم المجاز والحقيقة ، على حسب ما تعطيه الطريقة .

فالتدلي إنبعاثها الرباني ، والترقي إتصالها به الروحاني .

علمنا الله وإياكم من لدنه علماً ، وآتانا وإيّاكم رحمة من عنده ومغفرة (و)[2] عزماً .

---

(١) في المطبوعة : «في قوة قلبية» وكلاهما صحيح المعنى .

(٢) ما بين القوسين من المطبوعة .

الباب التاسع

في معرفة تلقي الرسالة الثانية الموروثة[1] من النبوة

ومعنىٰ قول النبي (عليه الصلاة والسلام) : «العلماء ورثة الأنبياء»[2] . وقوله تعالىٰ : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين أصطفينا﴾[3] ، وقوله (عليه الصلاة والسلام) : «علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم»[4] .

وكان معاذ وغيره رسول رسول الله إلى من أرسل إليهم .

ولما نزل ذكر الواسطة[5] وقيل رسول الله ، وكان يأخذ عن جبرائيل ، ولم يقل في معاذ وغيره رسول الله ، وقيل فيه رسول رسول الله :

تلقى فؤادي بالصفاء رسالتي   وكان تلقيها بمد رقيقتي
إلى نور ربي بانعكاس شعاعه   بمرآة من أبدى لعيني دقيقتي
فصح نصيبي من وراثة سيد   رسول أتاني واضعاً لطريقتي
فقمت عليماً بالأمور ومرسلاً   إلى عالم أخفيته عن حقيقتي
فكان صديقي مرسلي ، ورسالتي   على الكشف والتحقيق أيضاً صديقتي

---

(١) في المطبوعة : «الموروثة» .

(٢) رواه أبو داود ، والترمذي وابن ماجة ، وابن حبان في صحيحه ، وابن النجار .

(٣) سورة فاطر ؛ الآية : ٣٢ .

(٤) على إسقاط حرف التشبيه ، وهو أمر جار في لغة العرب : تقول : زيد قمر ، أي كالقمر .

(٥) في المطبوعة : «ولماذا ترك ذكر الواسطة» .

نـزل الروح الأمين على القلب، وقال : لتعم أن الـرسـالـة الثـانيـة مـوهـوبـة ومكسـوبة ، طـالبة ومـطلوبة ، ومـوروثة غيـر منفوثـة[1] ، وباعثـة ومبعوثـة ، وصورة تلقيها حقيقة (ربانية)[2] تمتد في رقيقة ربانية[3] إلى لطيفة روحانية .

فـاللطيفة الـروحانيّـة رائية ، والحقيقـة الربانية مرئيـة بواسـطة مـرآة نبـويـة ، فينعكس شعاعها على قلب الولي ، فلهذا يخرج بصورة النبي : لا ينسـخ شريعـة ، ولا يثبت أخـرى ، ولا يسأل على تعليمـه أجـراً ، وإنمـا صح لنـا ورث الكتـاب ، لكـون إعطائـه إيّانـا من غير إكتسـاب ، وكل وارث مصطفىً ، ومن سـواه فهـو على شفـا ، وإنمـا لحق الـوارث منـا[4] بـالنبي السـالف ، لأنـه لـلإلقـاء النبـوي ذائق ، ولمقـامه العلي كـاشف ، وهو في قلبـه على شريعـة من ربـه ، وإنمـا نسب رسـول الـرسول إليـه لمشاركتهمـا[5] في التكليف الـذي أنـزل عليـه ، ولم ينسب الـرسـول (عليه الصلاة والسـلام) إلى جبرائيـل ، لأنه ليس (لـه)[6] من رسالتـه غير التعـريف الـذي أودع الرحمن لـديه ، فنسب الـرسـول إلى الله بغيـر واسـطة ، لقـدم[2] هـذه الرابطة .

فإن كنت من أهل هذه الإشارات ، فقـد منحتك العلم النـافع في إيجـاز هذه العبارات .

جعلنـا الله وإيّـاكم ممن ورث فبعث ، ودعـا فـأنبعث ، وإن تـرك لم يكتـرث آمين بمنه ويمنه .

---

(١) ونفث الشيء في القلب : ألقى ، ومنـه قول الـرسول (ص) : «أن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها» إلى آخر الحديث الذي رواه أبو نعيم في الحلية .

(٢) ما بين القوسين ليس في المطبوعة .

(٣) في المطبوعة : (نبوية) وكلاهما صحيح .

(٤) في المطبوعة : «الوارث هنا» .

(٥) في المطبوعة : (لاشتراكهما) .

(٦) ما بين القوسين من المطبوعة .

الباب العاشر

في بيان السبب الذي دعاني أن أختص في هذا الكتاب من العبادات الصلوات الخمس دون غيرها

فرض الصلاة على العقول[1] الناسي خمساً فصارت في الوجود لباسي
لما علمت بنشأتي رأيتها تسري مع الأرواح والأنفاس
فتركت ظاهرها على ترتيبه يجري على أحكامها بالناس[2]
وتركت باطنها على سلطانه يغزو فيهلك عالم الوسواس
ورحلت عنها رحلة ميمونة فوجدت جل[3] الخير في الأفلاس

نزل الروح الأمين على القلب ، وقال : تعلم أن الصلاة أنبعثت من الحضرة الصمدانية المقدسة ، فاغتنمها فهي كالخطرة المختلسة ، نظرت إليها الحضرة النورية ، فوهبتها أسرارها ، وأفاضت عليها الحضرة القيومية أنوارها .

ولما كانت هذه الصلوات تختص بالمناجاة الربانية ويرد عليها إذا خاطبت بالمناجاة الإلهية .

وتعم جميع المقامات المخصوصة بروحانيات[4] أهل السماوات ، وخبيت[5]

(١) بفتح العين .

(٢) في المطبوعة : «في الناس» .

(٣) جل الشيء : أكثره . وفي هامش المطبوعة وعزاها للأصل «كل» بدل «جل» وربما كانت هي الأصوب .

(٤) في المطبوعة : «بروحانية» .

(٥) في المطبوعة : «وجيشت» ، ومعنى خبيت : غطيت وسترت .

بجميع الحركات المستقيمة في الإنسانيات ، عند القراءات .

والأفقية[1] في الحيوانات عند الركوع للأذكار المعظمات والمنكوسة في النباتات عند السجود ، لابتغاء القربات .

فلهذا وأشباهه اختصصناها بالإنزال عليك في هذا الكتاب من بين سائر العبادات ، واختصصت منها الصلوات الخمس لمطابقتها أصول تركيب الانس ، ولأن الخمسة وحدها (من دون)[2] سائر الأعداد تحفظ نفسها وغيرها ، فاعرف قدرها وأشكر خيرها .

فصلاة الظهر نورية ، وصلاة العصر نارية ، وصلاة المغرب مائية ، وصلاة العشاء ترابية ، وصلاة الصبح هوائية ، ﴿**والليل إذا عسعس * والصبح إذا تنفس**﴾ ﴿**إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون**﴾ ﴿**أفلا تبصرون**﴾ عجباً: ألا ترى أن كل عبادة لا تمنع من قامت به التصرف في بعض أسبابه ، إلاّ الصلاة فإنها تغلق على من قامت به جميع أبوابه ، فمقامها الغيرة ، ومشهدها الحيرة ، أنية المحتد والمولد والمشهد .

وهي أسنى تكليف يقصد .

ولما كانت محل إدراك الماني طولب المكلّف فيها بالفنا .

جعلنا الله وإياكم ممن تطهر وصلّى ، وسبق وما صلّى[3] إنه ولي كريم ﴿**وما يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم**﴾ .

---

(١) في المطبوعة: «والأفقيات» .
وقد شرح هذا كله في كتابه : «شجرة الكون» .
في المطبوعة : «من بين»
(٣) «المصلي» الأولى من الصلاة وإقامتها ، والمصلي الثانية : الذي يلي السابق في الحلبة .
فهو يطلب (رضي الله عنه) أن يكون سابقاً لا مسبوقاً ، لأن الفرس المصلي يكون رأسه عند صلا السابق بكسر صاد «صِلا» والله تعالى أعلم .

الباب الحادي عشر

في معرفة علة أسماء الصلوات الخمس، وتنبيهات على كيفياتها من الحكم والأسرار، على طريق الاجمال إن شاء الله تعالى

ولما بدت للسر حكمة ربه	فرضنا صلاة الظهر في عالم الكون
ولما تدانى الوصل بيني وبينها	فرضنا صلاة العصر صدقاً بلامين
ولما اتصلنا واستمر عناقنا	أتى المغرب المستور في بردة الصون
ولما أضطجعنا واستمر نكاحنا[1]	أتانا عشاء الحفظ، خوفاً من العين
ولما انتبهنا[2] والشموس طوالع	أقمنا صلاة الصبح : شكراً على البين

نزل الروح (الأمين)[3] على القلب، وقال : لتعلم أن الله جلّ ثناؤه وتقدست أسماؤه : لما كتب الصلاة لميقاتها جعل أسماءها بأوقاتها، إلاّ الجمعة فإنها سميت بانتظام الشمل وإتصال الحبل، وهي من فروع الصلاة لا من أصولها، لأنها مقرونة بشرط، فأشبهت صلاة الكسوف والاستسقاء وغيرهما في فصولها، فلما لم تقم في أصل الوضع مقام الفرض، لذلك لم أجعل لها عيناً في هذا العرض، وإن نابت مناب الظهر، فذلك اسر آخر من عالم الأمر، ليس هذا موضعه، ولا هنا مشرعه .

(٨)

---

(١) من تناكحت الأشجار : انضم بعضها إلى بعض، أو من نكح المطر الأرض : إذا اختلط بثراها . وفي المطبوعة «واستقر مكاننا» .

(٢) في المطبوعة : «ولما انتهينا» .

(٣) ما بين القوسين من المطبوعة .

وجعلها خمسة في التكليف ، لأن الإنسان على خمسة في أصل التأليف[1] .

واعلم أنه تعالىٰ قسم هذه الصلوات قسمين ، وجعل لها حكمين لتحصيل علمين في عالمين راجعين إلى حاكمين[2] .

فقسم واحد خصه بالعقل ، وهو الحضور والتدبر لما يتلوه بعد عقد النية .

وقسم آخر خصه بالحس ، وهو التلاوة .

وجميع حركات الصلاة ، لما كانت[3] : لا توجد إلاّ في هذه البنية[4] .

وأما الحكمان فحكم العقل : التوجه إلى القربة ، وحكم الحس : التوجه إلى الكعبة ، وإنما قيد[5] بجهة واحدة عن الجهات ، لإزالة الحيرة والإلتفات ، وإشارة إلى فضل الجمع على الشتات .

وأما العلمان ، فالعلم الواحد يختص بالعقل ، وهو علم التنزلات ، والعلم الآخر يختص بالحس ، وهو علم التجليات .

وأما العالمان ، فالعالم الواحد : عالم الغيب ، والعالم الآخر : عالم الشهادة المقدس عن الريب .

وأما الحاكمان ، فالحاكم الواحد : الاسم الظاهر ، والحاكم الآخر : الاسم الباطن بلا مؤازر[6] .

ولما اشتق الله تعالىٰ لهذه الصلوات أسماء من أوقاتها لا من ساعتها[7] علمنا[8] أن ذلك لسر أبداه ، وخير إلينا أسداه :

---

(١) التأليف : الجمع والإلتئام .

(٢) في الأصل «إلى حكمين» هكذا من هامش المطبوعة .

(٣) «كانت» من كان التامة .

(٤) في المطبوعة : «النية» والبنية من قولهم «قول صحيح البنية» أي الفطرة .

(٥) في المطبوعة : «قيدنا» .

(٦) في المطبوعة : «بلا موازٍ» من الموازاة .

(٧) في المطبوعة : «لا من ساعاتها» .

(٨) ليست في المطبوعة ، وهي في الأصل الذي راجعنا عليه «علماً» وكذلك في هامش المطبوعة ، وليس لها معنىٰ .

فصلاة الظهر في العقل : لظهوره بالعلم ، وفي الحس : لظهوره بالفعل ، في خلق الظهيرة والحكم .

وصلاة العصر في العقل : لضمه اياه في عقد معرفته عن النقل ، وفي الحس لضمه إياه في فروع الاحكام إلى النقل عن العقل ، بضم الشمس إلى الغيب ، لوجود الفصل ، والفضل .

وصلاة المغرب في العقل : لاستتاره بالأدلّة الفكرية ، وفي الحس لاستشارة عن الكيفية .

وصلاة العشاء في العقل : لاستتاره[1] إلى سلطان السمع ، فلاحت له بارقة من بوارق الجمع ، فغشيت عين بصيرته لشدة ظلام الطبع .

وفي الحس لاستتار المبصرات بجلابيب الظلمات ، فكأن العين غشيت عن إدراكها في أصل الوضع .

وصلاة الفجر في العقل : لانفجار بحار الأسرار ، وفي الحس : لانفجار بحار الأبصار .

واعلم أن الصلوات المفروضة كلها نهارية ، إما بالشمس أو بآثارها ، إلاَّ العشاء الآخرة ، فإنها مشتركة بين الليل وبين (النهار)[2] أنوارها ، وذلك لسر غريب ، ومعنى عجيب ، وهو : أن الصلاة تكليف ، ففيها مشقة وتعنيف ، هما صفتان للنهار دون الليل : عقلاً وإحساساً ، فجعل النهار معاشاً (وجعل النوم سباتاً - حين)[3] جعل الليل لباساً ، فانظر ما أوزن هذا التعريف بحكمة التكليف .

ثم اعلم الصلاة البرزخية - وهي المغرب[4] فرضها سبحانه بين جهر وسر ، وشفع ووتر ، وذلك في العقل ، لأن البرزخ في الصلاة أمر معقول بين عبد ورب (على قدر)[5] لأن العبد بالليل منوط ، والرب[6] بضوء شمس الله مربوط ، وفي

---

(١) في المطبوعة : «لاستصلامه» .

(٢ و ٣) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٤) لأنها حاجز بين الليل والنهار .

(٥) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٦) بضم الراء ، وليس بفتحها ، وهي السلافة والخثارة الباقية ، استعيرت هنا ، لأن الجو يكون مختلطاً فيه بقية من النهار .

الحس بين كشف وستر لملح أجاج نزر(1) وعذب فرات غمر(2) لأن فلك الزمهرير(3) أكبر من فلك البحر المستدير ، وإن الصلاة النهارية مفروضة بين شفع وسر ، فالشفع للخلق ، والسر للوتر ، فإن الخلق إذا ظهر احتجب الحق واستتر ، فلهذا شفع الظهر والعصر ، وبالقراءة أسر ، وجهر في كل صلاة الفجر ، لقرب طلوع الشمس ، فهو قوي الظهر ، ولم يتحد الفجر بالفاتحة حين أنبرى ، لأن عند الصباح يحمد القوم السرى(4) واتحد بها المغرب لفناء صفات المشاهد بطلوع الشاهد(5) عند المشاهدة ، ولا تنفرد الفاتحة في صلاة أبداً إلا (إذا)(6) أخفيت ، لأن الأحدية على هذا بنيت ، فالفجر للمجسمة(7) ، والظهر والعصر للحلولية ، والمغرب والعشاء ، للفرقة الناجية السنية(8) .

فإن قيل لك في تكرار الصلوات : هل تكرر المشاهد (ات)(9) ؟ فقل : إن الله تعالى ما تجلى قط في صورة واحدة .(مرتين ، ولا في صورة واحدة)(10) لشخصين .

وهذا هو التوسع الإلهي الذي لا ينحصر ولا يدخل تحت الحد فيضبطه الفكر .

فهذا قد أبنت(11) عن الأمهات المطلوبة في أحكام الصلوات في هذه العبارات ، بطريق الإشارات ، على حكم التنزلات .

---

(1) قليل .

(2) كثير .

(3) الزمهرير : القمر ، يقول الشاعر العربي القديم .

وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر

(4) السرى : سير عامة الليل .

(5) الشاهد : النجم يظهر عند انصباح .

(6) ما بين القوسين من المطبوعة .

(7) المراد بها - والله تعالى أعلم - الأوقات : لا الصلاة نفسها ، لان المجسمة يقولون بالنزول الفعلي إلى طلوع الفجر ، وبقية التقسيمات على هذا النحو : هذا الذي بدالي ، والله تعالى أعلم .

(8 و 9 و 10) ما بين القوسين من المطبوعة .

(11) في الأصل الذي راجعنا عليه (فهذا قد أنبت) وما أثبتناه من المطبوعة أصح .

الباب الثاني (والثالث والرابع)[1] عشر

في معرفة شروط الامام للصلاة

يا إماماً بمثله ليس يرجو	فضل أجر ، ولا يؤم احتسابا
لا أرى منه ، وهو في العلم معصوم	عن الفسق واخنا اجتنابا
وأناديه من وراء حجاب	يا إمامي : لقد تركت الصوابا
لم خلفتني وصرت أمامي	وأنا أنت : أن عرفت الكتابا
يا جهولاً بذاته ، وبذاتي	وظلوساً لنفسه ، ما أنابا
سوف تلقى تأخراً واغتراباً	حين تلقى تقدماً واقترابا
أنت والله أعلم الخلق بالله	وقولي «وأنت» تأب المتابا
كيف تشكو لهيب نار اشتياق	لفراقي ، وحرقة وانتحابا[2]
كيف تشكو لهيب نار اشتياق	تتعامى بالله أم تتغالى
وأنا حاضر ، ولست تراني[3]	تتعامى ، بالله قل أم تتغابى؟
لو رأيت الذي رآه فؤادي	في صفا الوداد : زدت التهابا
وتركت الصفات : حالاً وقولاً	وتركت العذاب ثم الثوابا
يا إمامي لقد رمزت أموراً	أن تدبرتها أمنت الحجابا

لما طلب الرئاسة عقلي على العقول والتقديم ، قرع بهمته باب التقديم ، فنزل إليه الروح ملتفاً في بردة يوح ، وقال : لا تصح في عقل امامة إلّا إذا كان

(١) ما بين القوسين ساقط من النسخة التي راجعنا عليها .

(٢) في المطبوعة كما يأتي :

(٣) الشطرة : (وأنا حاضر ولست تراني) ليست في المطبوعه

غير علامة ، ولم يجعل إمامه ، ولا تدبر في الصلاة كلامه ، وألقى على فمه عند التلاوة قدامة[1] ، وأسدل بينه وبين الله قرامه[2] ولم يأخذ من السحاب إلاّ مهامه[3] ومن النور إلاّ كمامه ، ولا من المختوم إلاّ ختامه ، وأتى إلى ربّه في ظله وغمامه ، وأرخى الأزار وأشال العمامة ، وجاز على ما أوصى به النبي (عليه الصلاة والسلام) في حديث سعيد بن زيد بن أسامة ، وسكن نجداً ورحل عن تهامة ،وسفّه في الاشارات الإلهية أحلامه ، وملك أضغاث أحلامه ، ورفع بين الجنة والنار أعلامه ، وزلت به عن الصراط أقدامه ، وجل عند المشاهدة نظامه.، وفقدت منه عند الموت الحماسة والشهامة ، وطرأ عليه حال مزعج بمشاهدة القيامة ، فعمر بسيره لقلقه[4] فيعان ذلك الموطن وآكامه . فإذا ظهرت على عقل هذه الدلالات وزاد أعلامه وهي أن يجهل هو في محرابه أقامه .

حينئذ يصح لهذا العقل على العقول الامامة .

وهذه العلامة في إمامة الحس بالعكس ، فإنه من عالم النكس ، لنزوله من حضرة القدس .

جعلنا الله وإيّاكم ممن أم وعم ، وصح له المقام الأكمل الأتم ، آمين بمنه .

---

(١) في نسخة «ندامة» وربما كانت هي الأصح .

(٢) القرام : الستر الرقيق .

(٣) السحاب الذي لا ماء فيه .

(٤) اللقلق : اللسان .

الباب الثالث عشر
في معرفة شروط المأموم في الصلاة

كل إمام صحت إمامته | وكان من قبل ذاك مأموما
فحكمك المشي خلقه أبداً | وحكمه : أن يكون معصوما
فإن بدا حكمه بآية | سلم إليه الأمور تسليما
من يتبع من تقوم زلته | به يكن في الأنام محروما

نزل الروح على القلب ، وقال له لتعلم أن المأموم على قدر مقام إمامه في جميع أحكامه ، بأي اسم(١) كان إمامه لزمه أحكامه ، فيتبعه حيث سلك ، ويخلف وراءه جميع ما ملك .

ألا ترى تبعية ظلال الأشخاص لها : ما أحسنها وما أكملها ، ولقد أخبر سبحانه عن الظلال : أنها تسجد بالغدو والآصال ، فمن أولى بهذه الصفات في علمك ؟ : أنت أم الظلال التي هي جماد في زعمك ؟ ، هيهات لشغلك بالترهات .

أيها المأموم : إذا كبر الإمام خالقه على قدر علمه ، فكبر ذاتك(٢) ، وإذا قال «ولا الضالين» فقل آمين ، فإن وافقت الملائكة في ذلك قدست صفاتك ، وإذا ركع فاركع لهمتك ، وإذا قال : سمع الله لمن حمده ، فقل : ربنا ولك الحمد ، على ردك إلى انسانيتك .

---

(١) في نسخة «فأي اسم» .

(٢) أي شرفها بالدخول في الصلاة ، وفي القاموس : والكبر : معظم الشيء والشرف .

وإذا سجد فاسجد لبدايتك .

فإن فهمت هذه الفصول ، وحققت هذه الأصول ، فأنت المأموم المطلوب ، والمعشوق المحبوب .

بك يظهر مِلْكُ الملك ، وعليك ينزل الملك ، وبنفسك يدور الفلك .

جعلنا الله وإيّاكم ممّن اتبع إمامه ، ورفع في ذروة التوحيد أعلامه .

الباب الرابع عشر

في معرفة سبب فرض الطهارة وصفة الماء الذي يتطهر به

خلق اللّه نشأتي جميعاً ... بيديه فكنت في خير صوره
فطر اللّه صورتي[1] عليه ... فلهذا أكون في كل صوره
أو دع اللّه في أمريه حتى ... صرت ما بين وصف أصلية سوره
ظاهري فيه شقوة وعذاب ... باطني فيه رحمة مستوره
أنا أحوي توراته والأناجيل ... وقرآنه ، وشم زبوره
أنا أحوي أيامه وشهوره ... أنا أحوي أعوامه ودهوره
أنا كل به ، ولست أبالي ... من كلامي ، فإن في ظهوره
ولذا كانت الخلافة فينا ... نصها في كتابه مسطوره
فإذا ما أدعيت أني رب ... أنشدك[2] اللّه : دون وجهي ستوره
وأتى شرعه يخاطب ذاتي ... يا غفولاً : لقد جهلت أموره
فرض اللّه نعمة وعذاباً ... للدعاوي[3] على الأنام ظهوره
قم مظهراً بالعلم عقلك حتى ... يظهر اللّه ذاته للبصيره
فترى ذاته وتبصر ما ... قد غاب عنها ، إذا أطلع الله نوره
ثم طهر بالماء جسمك كيما ... تنعم العين إذ تشاهد حوره
عجباً في نجاستي بحبيبي ... أودع اللّه لي علوماً كثيره

---

(١) بفتح التاء وتشديد الياء المفتوحة .

(٢) في المطبوعة «أسدل الله» .

(١) في الأصل الذي راجعنا عليه «للدعاوي وهي» .

وطهري مني ولست أسمى | من أنا ، وهي إن نظرت شعيره
أن مثلي يقول (أني ربّ)[1] | يا خليلي : هل أتى بكبيره ؟
لاوحتى : ومن أنا ، و(هو)[2]شيء | واحد ، ما أتيت قط صغيره
كيف آتي صغيرة أو كبيرة | وأنا القدس ذو العلا والسريره
بك يا نشأتي إلهك أبداً | فيك عبثاً[3] نعيمه وقصوره
حين أبدي في مثل ذاتك أيضاً | من كفور : عذابه وسعيره
قد لغزنا حقائقاً وأموراً | من يكنها[4] يظهر بأحسن سيره

نزل الروح (الأمين)[5] على القلب وقال : أيها المحل النزيه المكبر[6] أحرم خلفي بصلاة الظهر ولا تكبر ، فإنك مع المعروف ، وقال للحس : أرفع يديك وكبر فإنك مع الحروف ، وأنا الإمام وأنت المأموم ، وإن كان لك الأمام، فقال القلب للملك (ع) : لو تقدّمت العبارة عن الطهارة ، لكان أتم في الإشارة .

فقال الرسول : لا يتطهر من الحدث إلاّ الحدث ، ولا من الجنابة إلاّ من هو عن الحضرة الإلهية في جنابه .

فقال القلب : إن العقل إذا نظر في كونه فهو في جنابة عن عينه ، فجنابته جنابته وإذا نظر إلى نفسه فهو في الحدث الاصغر ، الذي في عكسه ، فحدثه حدثه فلا بد من الكشف والظهور لأسرار الطهارة والماء الطهور .

فقال الملك أنا الأمين الحفيظ ، فلا أزيد على رسالتي ، ولا اتعدى ما رسم لي في مسطور وكالتي ، ولكن أثبت حتى أرجع إليك وأنزل بما سألته عليك .

فرجع الروح إلى معلمه على سلمه ، فذكر له ما كان ، ولم يكن به جهولاً ، فأمره بتعليمه ، ولم يكن عنه غفولاً .

فنزل إليه في حينه ، وخاطبه في قلبه من جهة يمينه ، وقال : أيها القلب ، سلام عليك ، واسمع ما أنزلني به سيدي ومولاي ، ومرسلي إليك : الماء الطهور

(١) في الأصل «يقول أنا رب» والتصحيح من المطبوعة .
(٢) في الأصل : «أنا وهي شيء» .
(٣) في المطبوعة: «عينا» .
(٤) بتسكين النون المشددة : اي يضمرها .
(٥) ما بين القوسين من المطبوعة .
(٦) في المطبوعة: «المكين» .

ماءان ، لأن المتطهر به عـالمان : مـاء سـمائي ، وهـو خلاصـة الماء الأرضي قـطرة أنبيق الزمهرير ، فذلك الماء النمير ، وقد كان روحاً هـوائياً بين الكـرتين (لاستحالـة العين إلى عين ، هي آخـر في عالم الفسـاد)[1] والكون ، فتـطهـر بهـذا المـاء أيهـا العقل الأقدس .

والمـاء الآخر : مـاء أرضي ، من عالم الامشـاج ، فمنه عـذب فرات ، ومنـه ملح أجاج ، فتطهر بهذا الماء أيها (الجسد الأنفس)[2] .

جعلنا الله ممن تطهر وتقدس ولم يتدنس .

(١) في المطبوعة : «لاستحالة العين إلى أخرى في عالم الفساد» .

(٢) في المطبوعة : (الحس الأنفس) .

الباب الخامس عشر

في معرفة سبب التعميم في طهر الجنابة ، وتخصيص بعض الأعضاء في طهر الحدث الأصغر والتيمم

أن الفنا يؤدّي إلى عميم[1] الطهارة ... فافهم فديتك ما قد ضمنت هذي العبارة
ولا تزد ، فاللبيب من أعلمته الإشارة ... فإن غفلت فخصص ، وما عليك خسارة
وإن عدمت فيمم تراباً رأيت غباره ... لا بد للكبت مهما أعجلتها من نشارة
قال العقل بين لنا أيها الروح الكريم ؟ ... ولا يكن ذاك إلاّ إذا قصدت الزيارة

فقال الروح : إن كنت ذا جنابة أو (متعمداً)[2] فيها فعم الطهر بذلك المنصوصة ، وإن كنت ذا حدث فاغسل الأعضاء المخصوصة ، فسر التعميم في طهر الجنابتين ، لغيبتك بالكلية في علم نكاح الصورتين : الصورة المثلية العقلية ، والصورة المثلية الشرعية .

وسر الطهر المخصص لبعض الأعضاء : للغفلات ، التي تتخللك في حضورك عند الانضاء[3] وإن عدمت الماءين فاعمد إلى ما خلقت منه ، ولا تعدل عنه ، فإنك تبيح العبادة ، ولا ترفع الحدث ، لما قام بك من الخبث .

جعلنا الله وإيّاكم من أهل الحضور مع الله في عموم الحالات ، ومن المشاهدين له في كل مقام ، مع مر الأنفاس والاستحالات .

---

(١) في المطبوعة : «إلى عموم الطهارة» .
(٢) في المطبوعة : «إلى متعملاً» .
(٣) الانضاء : الهزال .

الباب السادس عشر

في معرفة النية ، والفرق بينها وبين : الارادة ، والقصد والهمة ، والعزم ، والهاجس

أساس وجود الفعل في القلب خمسة : فأولها عند المحقق هاجس
ومن بعده عين الإرادة قائم وهم ، وعزم ، صادفته الابالس
ومن بعد هذا : نية مستقيمة تباشر فعل الشخص ، والقلب سبائس
وقد قيل أيضاً : ثم قصد محقق فإن صح هذا القول ، فالقصد مارس[1]
ومن قال : إن القصد معناه نية فحسب ، فإن القصد للقوم خامس

نزل الروح على القلب ، وقال : أيها العقل الأقدس : إعلم أن الله تعالىٰ إذا أراد إيجاد فعل ما بمقارنة حركة شخص ما ، بعث إليه رسوله المعصوم ، وهو الخاطر الإلهي المعلوم ، ولقربه من حضرة الاصطفاء هو في غاية الخفاء ، فلا يشعر بنزوله في القلب إلاّ أهل الحضور والمراقبة ، في مرآة الصدق والصفاء ، (فينقر في القلب نقرة خفية)[2] ينبهه لنزول نكتة غيبية ، فمن حكم به فقد أصاب في كل ما يفعله ، ونجح في كل ما يعمله ، وذلك هو السبب الأول عند الشخص الذي عليه يعول ، وهو نقر الخاطر عند أرباب الخواطر ، وهو الهاجس عند من هو للقلب سائس ، فإن رجع عليه مرة أخرىٰ ، فهو الإرادة ، وقد قامت بصاحبه السعادة ، فإن عاد ثالثة فهو الهم ، ولا يعود إلاّ لأمر مهم ، فإن عاد رابعة[3] فهو العزم ، ولا يعود إلاّ

(١) في العبارة تقديم وتأخير تقديره : فمارس القصد . والله تعالىٰ أعلم .

(٢) في الأصل «فينفرع في القلب إلاّ نقرة خفية» .

(٣) في الأصل : «فإن عاد أربعة» .

لنفوذ الأمر الجزم ، فإن عاد خامسة فهو النية ، وهو الذي يباشر الفعل الموجود عن هذه النية ، وبين التوجه إلى الفعل وبين الفعل يظهر القصد ، وهو : صفة مقدسة يتصف بها العبد والرب .

ثم إعلم أيها العقل أن النية إذا كانت معناها القصد . (في إقامة أصل كل بنية)[١] وليس للحس في النية مدخل، لأنها من وصف العقل المتنخل[٢] فإن العقول الإنسانية منتخلة من العقول الروحانية ، (ولهذا ينفذ لقوة)[٣] إدراكها صدف[٤] الأجسام ، حتى يشاهد العلام ، إذا قصرت عن إدراك مثل هذا النمط من العلم الوسط العقول الروحانية المفارقة الكرام .

وأنت أيها الحس الأنفس : تحرك للشروع في العمل الموضوع ، فإن هذه الحركة المخصوصة : لما ورد في النقل نظير للنية المختصة بالعقل[٥] .

وهذه النية والحركة في هذا الظهور ، لتصح الصلاة في عالم الظهور (و)[٦] عمار البيت المعمور ، وإنما هما لظهور عين الذات على عالم الكلمات[٧] المنزه عن اللذات ، فهذا حظ النية ، ولظهور عين الصفات على عالم الشتات[٨] لاتصافهم بالالتفات ، وهذا حظ علم الحركة ، ولكن في الظهر كما هم أيضاً لضم الهمة عند خروجها عن (نصف كور عمة[٩] الوجود) من غير طريقة اللمة إلى ما تضاهيه في الصورة والسيرة ، فهذا حظ علم النية .

ولضم كف الجوارح عن الأثام والمحارم ، إلى ما تعانيه من سائر[١٠] الأحكام في المعالم ، بمشاهدة ضم العالم إلى العالم ، فهذا حظ علم الحركة .

---

(١) في المطبوعة : (أصل في إقامة كل بنية) .
(٢) المنتخل : المصفى .
(٣) في المطبوعة : (ولهذا لقوة تنفذ) .
(٤) الصدف : غشاء الدر .
(٥) في المطبوعة : «بالفعل» .
(٦) ما بين القوسين من المطبوعة .
(٧) في المطبوعة : «الكمالات» .
(٨) في المطبوعة : «النشئات» .
(٩) في المطبوعة : «عن نصف كون عمه الوجود» .
(١٠) في المطبوعة : «من سرائر» .

ولكن في العصر كما هما أيضاً لمغيب العين في مشاهدة العين ، بزوال الريب والمين ، فهذا حظ علم النية .

ولمغيب العين في ظلمة العين ، فهذا حظ علم الحركة .

ولكن في المغرب كما هما[1] أيضاً لمشاهدة البرازخ بين السفل الجسماني ، والعلو الروحاني ، لعشا يطرأ[2] في عين المبصر ، لا لعلة تكون في المبصر[3] .

فهذا حظ علم الحركة .

ولمشاهدة الحد بين الرب والعبد : من عشى يقوم بعين البصيرة لأجل الوعد ، فهذا حظ علم النية .

ولكن في العتمة كما هما أيضاً لطلوع فجر معرفة العلم بالله ، بمطالع العقول والأفواه ، وهو حظ علم النية ، ولطلوع فجر معرفة الرب بنفي الأجناس بمطالع النفوس والأنفاس ، فهذا علم الحركة .

ولكن في الصبح ، فقد صحت الرتبة العلية في النية لأداء العبادات للعقل الأقدس ، كما صحت منزلة البركة في الحركة للحس الأنفس ، فثبتت الحركة للظهور كثبوت النية في الظهور ، وكان نوراً على نور .

زكى الله أعمالنا وأعمالكم بالاخلاص ، ورزقنا وإيّاكم الفوز والخلاص .

---

(١) في المطبوعة : «كما هي» .

(٢) العشي : هو : ضعف في البصر وقد كانت الجملة في الأصل «والعشي نظيراً» الخ فأصلحناها من المطبوع الذي نصه «لغشاوة تطرأ في عين المبصر» .

(٣) في المطبوعة : «في البصر» .

الباب السابع عشر

في معرفة أسرار غسل اليدين ثلاثاً ، ووصف المياه والأواني في كل صلاة (إن شاء الله تعالى)[1]

عجبت من غسل كفي ، وهي طاهرة ... من ما غسلت ، وهذا الطهر موجود ؟
فقال قلبي : هو الشرع الذي ظهرت ... آياته ، فهو عند العقل مقصود
وقال عقلي : هو السمع الذي اتضحت ... أعلامه ، فهو عندي اليوم معبود
وثم قال لقلبي : لم تغالطني ؟ ... فقال قلبي لعقلي : أنت مشهود !
فقد غلطت ، ولكن عندكم[2] سندي ... فانني من نبات الأرض معدود
وأنت من عالم الأمر الذي سجدت ... له الجباه ، ولكن : أنت محدود !
سجودها لمكان قام من حجر ... فيه الوجود ، ولكن فيه تبديد
فقال عقلي لقلبي : قد صدقت ، وقد ... عرفتني : منك ، لامني ، وذا الجود
وكيف تعرفني يا قلب من جهتي ... وباب كوني عن عينيك مسدود ؟

نزل الروح على القلب ، فقال : أيها العقل ، خذ ماء السماء في وعاء الإنشاء ، وصبه على يمين القبضة البيضاء ، ليظهر لك ما استتر عنك من المعارف في هذه الصعدة[3] انسمراء .

(١) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٢) في المطبوعة : «عفوكم» .

(٣) الصعدة : القناة المستوية تنبت كذلك .

ويا أيها الحس : خذ ماء الامتزاج في وعاء ما تيسر لك من المعادن ، سواء كان من العذب الفرات أو الملح الأجاج ، وصبه على اليمين المخلوقة من الأمشاج ، لظهور الصفاء المفرق بين الأجسام الكدرة ، كالجندل والحديد ، وبين الأجسام الأرضية الشفافة ، كالبلور والزجاج ، إن أردتما صلاة الظهر .

ثم قال : أيها العقل ، خذ ماء العلو في وعاء الدنو ، وصبه على يمين الاستواء السعادي لتحصيل علم الضم الكامن بين المحبين إذا إلتقيا بالعين ، على الاختصاص الإرادي[1] ويا أيها الحس خذ ماء السفل في وعاء الثقل ، وصبه على يمين الإنشاء لتحصيل علم الضم بينك وبين الحوراء ، في الجنة الدهماء[2] إن أردتما صلاة العصر .

ثم قال : أيها العقل ، خذ ماء الاعتلاء ، في وعاء الإبتلاء، وصبه على يمين القوة والعون ، لتحصيل علم مغيب عن عين البصيرة ، عند مشاهدة العين .

ويا أيها الحس خذ ماء الغدران[3] في وعاء القيعان[4] وصبه على يمين الابتناء[5] لتحصيل (علم)[6] مغيب العين في الكون[7] إن أردتما صلاة المغرب .

ثم قال : أيها العقل خذ المياه المقطرات في وعاء الحاملات ، وصبه على يمين الملقيات : لتحصيل علم ذات الذوات .

ويا أيها الحس خذ ماء الزاخرات ، في وعاء السبحات ، وصبه على يمين المركبات : لتحصيل علم الكائنات الموجودة عن الصفات ، إن أردتما صلاة العشاء .

ثم قال : أيها العقل ، خذ ماء الرقيع[8] ، في وعاء الترقيع ، وصبه على يمين السميع : لتحصيل علم مقام الرفيع ، من انفجار البحر المنيع .

ويا أيها الحس خذ ماء الأنهار ، في وعاء النهار ، وصبه على يمين

---

(١) في المطبوعة : «الإداري» .

(٢) الأدهم : الأحمر شديد الحمرة .

(٣) الغدير : النهر .

(٤) القاع : المستوى من الأرض .

(٥) في المطبوعة : «الانشاء» .

(٦) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٧) في المطبوعة : «الأكوان» .

(٨) الرقيع : السماء .

الفخار[١] لتحصيل علم تسبيح خرير المياه في الأسحار[٢] بانفجار الجداول الصغار، من الأنهار الكبار، إن أردتما صلاة الصبح .

فلما فرغ الروح من هذا الإلقاء، أراد الرجوع إلى مشهد اللقاء، فسلم وانصرف

ثم عاد عجلاً فعرف، وقال: أيها المخاطب بالتكليف: ثلاثة أولى من واحدة عند أهل التعريف فاغسل أيها العقل يديك ثلاثة: الواحدة لعلمك بربك في صلاة الظهر، ولعلمه بك في صلاة العصر، ولولهك فيه في طهر المغرب، ولحيرتك فيه في طهر العشاء، ولجمعك به في طهر الصبح .

والثانية لعلمك به وبنفسك في طهر الظهر، ولحضوره معك في طهر العصر، ولافرادك به في طهر المغرب، ولمسامرتك معه في طهر العشاء، ولانفصالك عنه في طهر الصبح .

والثالثة لظهوره وظهورك، وظهور العالم في محل واحد، غير متحد في طهر الظهر، ولاجتماعهم في طهر العصر، ولتجاوبهم في طهر المغرب، ولاتحادهم في طهر العشاء، ولتمييزهم في طهر الفجر .

وأنت أيها الحس: اغسل يديك ثلاثاً: الواحدة لظهور السبب العقلي، في طهر الظهر، وانتظامه بالنفس في طهر العصر، ولغيبته عن ممده[٣] في طهر المغرب، ولطلب الرجوع إليه في طهر العشاء، ولوجوده أيّاه في طهر الصبح .

والثانية لظهور السبب النفسي في طهر الظهر، ولتعلقه بالحس في صلاة العصر، ولحجابه عن العقل في صلاة المغرب، ولبحثه عنه في صلاة العشاء، ولشهوده إيّاه في صلاة الفجر .

والثالثة لظهور السبب الحسي في طهر الظهر، ولمباشرته الكون في طهر العصر، ولمحوه عن النفس في طهر المغرب، ولابتغائه إيّاها في طهر العشاء، ولوصوله إليها في طهر الصبح .

جعلنا الله وإيّاكم ممن أيد بالقوة، ومكن في سر نتائج القوة[٤].

---

(١) في المطبوعة: «ماء الفجار» .

(٢) ليست في المطبوعة، ونصها: «لتحصيل علم خرير الماء في الأشجار» .

(٣) في هامش المطبوعة: في الأصل «عن عدده» .

(٤) الأولى - والله أعلم - أيد بقوة الله وتأييده فذلك الله الصحاب، والثانية من القدرة والطاقة والجهد، وفي المطبوعة: «الفتوة» بدل «القوة» .

الباب الثامن عشر
في معرفة أسرار صب الماء في غسل اليدين بالشمال على اليمين

إن الشمائل إن نظرت نجودها[1]	عند الشهود : خوادم الإيمان
شبه الضلالة في الشمائل تعتلي	ومع اليمين : نتائج البرهان
إن الشمايل في الشمائل[2] سادة	بوجودها يثني على الإنسان
إن الشمائل واليمين عوالم	تبدو بسر النظم والإتقان
فانظر إلى اليسرى وسر سكونها	فيها استواء العرش بالرحمن[3]
وانظر إلى اليمنى ، وسرعة دورها	بسوابغ الأنعام والإحسان
هذي مع الأرواح تسري ثم ذي	تسري مع الأنفاس في الأكوان

لما أرادت اليمين أن يكون لها الصب ، زجرها القلب ، وقال : ان الروح الأمين أمر العقل[4] أن يصب باليد الغربية[5] على يد الطور الأيمن ، لتجلي علم التنزل الانبائي ، من مقام الكشف الرباني ، وأمر الحس أن يصب بالشمال على اليمين : لكشف تعطيل الأسباب ، لما لم تثق[6] باليمن فتتحقق أنه لا يمين إن

(١) النجد : العالي المرتفع ، وفي المطبوعة : «وجودها» .

(٢) الشمايل بالياء : جمع سميلة ، والشمائل بالهمز جمع ، شمال ، فافهم .

(٣) في اللفظ تقديم وتأخير تقديره ، (بالرحمن أستوى العرش) .

و «في» في قوله «في الشمائل» بمعنى «على» لأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض .

(٤) في المطبوعة : «القلب» .

(٥) في المطبوعة : «القريبة» .

(٦) في المطبوعة : «يبق» .

أراد صلاة الظهر ، وللصوفه بسره وإلتحامه بعالم أمره في ظهر العصر ، ولفنائه عن بصيرة عقله ، وغيبته عن شكله في طهر المغرب ، ولاستتره في السبحة المضلة ، وإلتحافه في بردة الوصلة في طهر العشاء ، ولطلوعه عيناً آخر بتقطيره ، ولسيلانه بعد إن كان جامداً بتفجيره في طهر الصبح .

جعلنا الله وإيّاكم ممّن «القى عليه شرف اليدين ، وأبين له سر اتحاد النجدين» ، آمين بعزته .

الباب التاسع عشر

في معرفة أسرار الاستنجاء إن شاء الله تعالى

سرائر إيجاد العوالم في القرب — وفي الرحم المختار من عالم الترب(١)
إذا اجتمعا بالنسك(٢) في فرش عرشه — وجادا على كوني بحظ من الشرب
فطهرهما بالحفظ والصون والتقى — وبالعصمة الغراء والسدل للحجب
فتبدي لهذا الطهر أعلام سره — لايجاده الأشياء من حضرة القرب
لتصدق في خلقي الصورة التي — تعال(٣) بها في حضرة اللّه والرب(٤)

نزل الروح (الأمين)(٥) على القلب ، وقال : أيها العقل استنجاؤك ظهور سر قدمك في طهر الظهر ، وانتظام قد قدمك بقدمه في طهر العصر ، ولفناء قدمك المذهب في طهر المغرب ، ولصحة حدوثك بالإبتلاء في طهر العشاء ، ولتجلي قدم صدقك ـ وهو أول باب الفتح ـ في طهر الصبح .

أيها الحس : استنجاؤك ظهور حدثك عن امتزاج أركانك في طهر الظهر ومعرفة كيفية امتزاجها في طهر العصر ، ومغيبها بإيجادك عن تدبير أفلاكها إياها لابراز سر معجب في طهر المغرب ، ولحوق أفلاكها بالهيولي الموجودة فيها بالقوة

---

(١) في المطبوعة : «من عالم الشرب» .

(٢) في المطبوعة : «بالفعل» .

(٣) من العول ، وهو ارتفاع الأسهم وانتقاص الأنصباء ، وفي المطبوعة : «تعالى» .

(٤) يعني في حضرة الأسمين : «الله» و «الرب» .

(٥) ما بين القوسين من المطبوعة .

قبل الانشاء[1] في طهر العشاء ، وانبعاثها عن النفس الكلية بالقدح في طهر الصبح .

جعلنا الله وإيَّاكم ممن أميط عنه الأذى ، ولم يقل إذا فزع[2] عن قلبه : ماذا ؟ بمنه ويمنه .

(١) في المطبوعة : «الأشياء» .

(٢) فزع : بضم الفاء وتشديد الزاء المكسورة . كشف عنه الخوف .

الباب الموفي عشرين
في معرفة أسرار الاستجمار

إذا استجمرت أو تر يا غلام فهذا حظ ذاتك (و)[1] السلام
وجنب مثل[2] ما استجمرت منه وما ينمو ، وكان له اضطرام
فما يجزيك في التطهير إلاَّ إذا تحققت : ماء أو سلام[3]
فإن الماء ألطفه ضياء وإن الصخر اكثفه ظلام
وبالطرفين صح حدوث كوني ولله التقدم والدوام

نزل الروح على القلب ، وقال : نزل[4] الإستجمار في الشرع من حضرة الجمع ، وهو مفطور على : الزوج والفرد ، والقصع والسرد ، فمن استجمر فقد ميز بين الحدوث والقدم ، وفصل بين القدم والقدم[5] ولا يشترط في وجوده عدم الماء كالتيمم ، فإن سر هذا أقوى في التحكم ، وفي الاستجمار ، يلوح لصاحبه سر رمي الجامر ، فمن أوتر في استجماره ، فقد أبرأ ، ومن شفع فقد أخطأ ، فلا ينام السعيد إلاَّ على وتره ، مخافة أن يكون نومه على حشرة ، ولو أعتبر فيه الإنقاء فقط لما صح الوتر أن يشترط ، وليس الإلقاء مما يثبت اللقاء[6] بل اللقاء

(١) ما بين القوسين من المطبوعة .
(٢) في المطبوعة : «وجنب» .
(٣) سلام : بكسر السين هو : الحجارة الصغار .
(٤) في المطبوعة : «ترك» .
(٥) القدم : الجارحة المعروفة ، والقدم أيضاً ما يقدم من خير أو شر والله تبارك وتعالى أعلم ، ولهذا اللفظ معان أخرى كثيرة ، فارجع إلى كتب اللغة .
(٦) في المطبوعة «الإلقاء ، وهو خطأ لأنه فسرها فيما بعد» .

على الحقيقة بترك الانقاء ، وفائدة الانقاء بمجرد الإلقاء ، وفي البحر الذي كون بين اللقاء والإلقاء يهلك الغرقاء ، وهم المنكرون على العالمين بالله أسرار ما يهبهم الله من لدنه ، فهم العلماء السوء ، التالفون الحمقىٰ .

والبقاء لازم لترك الإنقاء فبه يصح الوجود ، ويشرق الموجود ، ويثبت العابد والمعبود ، ولا تلتفت لمن يرى الوتر في الاستجمار بالأحجار المتفرقة ، فقد يكون (في الحجر)[1] الواحد الثلاث[2] متفقة .

جعلنا الله وإيّاكم ممّن جمع بين عقله وشرعه ، ووقف على حقيقة فرقه وجمعه ، آمين ، بعزته .

---

(١) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٢) في المخطوطة التي راجعنا عليها «المثلث» .

الباب الحادي والثاني والعشرون

في معرفة أسرار المضمضة

مضمض لسر المناجاة التي بهرت ... آياتها ، لا لذكر الله بالسير
وإن تشأ فلتمضمض بالتلاوة أو ... بالذكر في عالم الأرواح والصور
تفز بسر العبادات التي سرت ... عين الحقائق عن جن وعن بشر
فإن في الفلك الكرسي صورتها ... في عالم الحفظ ، لا في عالم الغير

نزل الروح على القلب ، وقال : أيها العقل الأكمل ، تثليب المضمضة لك أجمل ، مضمض بالغرفة الواحدة في طهر الظهر : لظهور ذوقك ، وفي طهر العصر لتعلق ذوقك بمذوقك ، وفي طهر المغرب لدهشك عند وجود اللذة في ذلك الوقت ، وفي طهر العشاء لتحصيل الكثير منه العب[1] وفي طهر الصبح لنيل المطلوب والاجتماع مع المحبوب .

ويا أيها الحس مضمض بالغرفة الواحدة في ظهر الظهر لظهور سر الذكر بالمسطور ، وفي طهر العصر : لاستناد الذكر بالهوية إلى المذكور ، وفي طهر المغرب لشرف الذكر ، بالهوية (على المذكور من)[2] مقام الغيرة ، وفي طهر العشاء لجذب المذكور الهوية إلى مقام الحيرة، وفي طهر الصبح لتسريحها من ذلك الجذب الذي صح لها في طهر العشاء إلى الاتساع والشرح .

والثانية يا عقل : مضمض بالغرفة الثانية في طهر الظهر لظهور شربك ،

---

(١) في القاموس : عبه : رد عليه الكلام مرة بعد مرة ، وفي المطبوعة : «بالغت» وقال في الهامش : ألغت : الاخفاء .

(٢) من المطبوعة أشارت إلى السماء ، لأنها خرساء لا تنطق فنطقها بأصبعها . وقضيتها مع رسول الله (ص) مشهورة .

وفي طهـر العصر لاتصـال الشارب منـك بمشـروبـه (عنـدك)[1] وفي طهـر المغـرب لانتقـال المشروب إلى كـونك ، وفي طهـر العشـاء لسـريـانـه في مجـاري فكـرك ، لتقديس عينك ، وفي طهر الصبح لانتظام شملك به في رداء صونك .

ويا حس مضمض بالغرفة الثـانية في طهـر الظهـر لظهـور سر ذكـرك بالانيـة ، وفي طهر العصر لاتحادها بالمذكور في الأينية .

قيـل للسوداء الخـرساء : أين الله فـأشارت بـالظـرفيـة ، وفي طهر المغـرب لدفنها بضريح الذاكر ، وفي طهر العشاء لانطباق محـل الذاكـر عليها السـاتر ، وفي طهر الصبح لحشرها من ذلك القبر تصديقاً لذلك الحاشر .

والثالثة يا عقل مضمض بـالغرفـة الثالثـة في طهر الـظهر لـظهور ربـك ، وفي طهر العصر لانتشاره في محال عطشك بعشقـك، وفي طهر المغـرب لقلب عينه في صـورة ذاتك ، وفي طهـر العشاء لحيـرة فضلته في زوايـا ذاتك ، وفي طهـر الصبح لبروزها عن قوة صفاتك .

ويا حس مضمض بالغرفة الثالثة في طهـر الظهـر لظهـور سر ذكـرك بالخـطاب في المـرتبة الفصليـة ، وفي ظهر العصـر لجمعك بين الهـوية والإنيـة والاينية ، وفي طهـر المغـرب لصمت النـاطق وكـلام الحق الصـادق المستـور ، وفي طهـر العشـاء لمحق الذكر عن الذاكر بالمذكور وللمذكـور ، وفي طهر الفجـر لايجاد علم خطابه لـك : أنت أنت وأنا أنـا وأنا أنت ، ولـست أنـا ولـست أنت ، فلا أنـا إلاّ بـك ، ولا أنت إلاّ بي صورة كمال الوجود في طلب الأجرة .

استنشق لظهور علم السـوية بين الـروائح المتضـادة في وقت دون وقت ، في طهـر الظهـر ، ثم استنثر تتـرك ما حصـل لك إلى عـالم العوائـد للعطاء : للغمر ، وفي طهر العصر لمعرفة : هـل ذلك عن تعشق الإدراك بهـا على الظاهـر والباطن ، وفي طهـر المغرب لـدرج بعضها في بعض من أفقين عنـد الراحـل والقـاطن ، وفي طهر العشاء لفنائهما معاً في ظله بظهور سلطان أحدهمـا وعزلـه ، وفي طهر الصبـح لايجاد الشم وذهاب المشمومات .

جعلنا الله وإيّاكم من أهل الروائح والأنفاس .

وعصمنا وإيّاكم من ملابس الوسواس

---

(١) في المطبوعة : «عند ربك» .

الباب الثالث والعشرون

في معرفة أسرار غسل الوجه

إن الحياء لباب الله فتاح | ووجه خلق ذاك الباب وضاح
وغسلك الوجه بالشرع الذي شرعته | رسل الحبيب لذاك الباب مفتاح
فاقدح زناد وجود الكشف تحظ به | إن اللبيب لزند الكشف قداح

نزل الروح (الأمين)[1] بغسل الوجه على القلب ، وقال : أيها العقل : اغسل وجهك بالغرفة الواحدة في طهر الظهر ، لظهور سر المراقبة ، وفي العصر لاتصافك به ، وفي المغرب لتعلقه بالمراقب ، وفي العشاء لتلفك فيه ، وفي الصبح لشهود المراقب .

ويا حس : أغسل وجهك في الظهر لظهور سر الإقناع عند مشاهدة الجلال ، وفي العصر لتوقفه عليه ، وفي المغرب لوجوده قلبه ، وفي العشاء لبحثه عنه ، وفي الصبح لظفره به في هذا القالب .

الغرفة الثانية : ويا عقل : أغسل وجهك بالغرفة الثانية في الظهر لظهور سر الحياء ، وفي العصر لارتباطه بالإيمان ، وفي المغرب لانفصاله عنه ، وفي العشاء لاشتماله على الخير بكله ، وفي الصبح لما ينفعل عنه .

يا حس : اغسل وجهك في الظهر لظهور سر السرور عند مشاهدة الجمال ، وفي العصر لارتباطه به ، وفي المغرب لوجوده قبله ، وفي العشاء لبحثه عنه ، وفي الصبح لظفره به منه .

---

(١) من المطبوعة .

الغرفة الثالثة (يا عقل اغسل وجهك بالغرفة الثالثـة)[1] وفي الظهـر لظهـور سر المكـافحة ، وفي العصـر لخفائـه بظهـورك ، وفي المغرب لـظهوره لخفئـك ، وفي العشاء للالتفات ، وفي الصبح لما يظهر عنه من الاختلاف .

ويا حسن : اغسـل وجهـك بالغـرفة الثـالثة في الـظهر ، لـظهور سـر الاعتدال عنـد مشـاهـدة الكمـال ، وفي العصـر لسـر الكمـال في الأعتـدال ، وفي المغـرب للكمال المخلوق ، وفي في العشاء للكمال الخالق ، وفي الصبـح لمقابلة الكمـالين بضرب من الإئتلاف .

جعلنـا الله وإيّاكم ممّن رزق سـر الحياء ، فـاستحيت منه مـلائكتـه السمـاء . آمين ، بعزته .

(١) ما بين القوسين ليس موجوداً في المطبوعة .

الباب الرابع والعشرون

في معرفة أسرار غسل اليدين إلى المرفقين

غسل اليدين[1] مشروع ، وغايته إلى المرافق فاشرع فيه وانتظر
مواهب الحق فيه أنه علم على سرائر عين النفع والضرر
القائمين على كونين قد مزجت ذاتاهما ، تحت قهر الشمس والقمر
لا تخدعنك دار لا بقاء لها بالله يا صاح : كن منها على حذر
إن زلزلت : راح ذاك المرج[2] وانفصلت هذي إلى الخلد ، والأخرى إلى سقر
فلا يغرنك شيء أنت تاركة فإنما الناس في الدنيا على سفر

نزل الروح على القلب ، وقال : أيها العقل اغسل يدك اليمنى في الظهر لظهور أسرار إيجاد المشرق ، ويدك اليسرى لظهور أسرار إيجاد المغرب ، وفي العصر لاضافة الربوبية إليهما في قوله ـ ربّ المشرق ـ وفي المغرب لمشاهدة العين الحمئة في المغرب ، وفي العشاء لتبع الشفقين الشمس ، وفي الصبح لمعرفة كرة الأرض بالفعل والحس .

ويا حس : اغسل اليمنى بالغرفة الأولى إلى المرفق في الظهر ، لظهور سر المرفق ، واليسرى لظهور سر الوجود ، عند فقد العيش المقلق ، وفي العصر

---

(١) في المطبوعة : «غسل الذراعين» .

(٢) في المطبوعة : «المزج» والمزج هو الخلط ، والمعنى على هذا : ذهب هذا المزيج المختلط وظهر كل شيء على أصله .

وفي نسختنا «المرج» وهو أيضاً الاختلاط ، ومنه قوله تعالى : ﴿فهم في أمر مريج﴾ .

للسكون ، وفي المغرب لفقد الفلق بالتعيين ، وفي صلاة العشاء (الآخرة)[1] لإرتباط الارتفاق بالحركة ، وفي الصبح لعدم تأثير السبب في المسبب ، ووجود البركة .

الغرفة الثانية : يا عقل اغسل اليمنىٰ بالغرفة الثانية في الظهر ، لظهور سر[2] خلق العالم ، واليسرى لسر ﴿أحسن تقويم﴾ وفي العصر لتعشق الإنسان بالعالم ، لكونه على صورة التقديم[3] ، وفي المغرب لمغيب العالم في الإنسان ، لأنه على شكله ، وفي العشاء لتلف الإنسان في العالم عن مثله ، وفي الصبح لظهور الإنسان بالعالم والعالم بالإنسان ، وإن ذلك من مادة الاحسان .

ويا حس : اغسل اليمنىٰ بالغرفة الثانية في الظهر لظهور سر البطش واليسرى لصنع العيش ، وفي العصر لوجود الصنعة ، وفي المغرب لقيام الصفة في القوة (و)[4] في العشاء لظهور الصفة بالفعل من غير العالم ، وفي الصبح لتحصيل العلم الصفة .

الغرفة الثالثة : يا حس : اغسل اليمنىٰ واليسرىٰ بالغرفة الثالثة ، في طهر الظهر لظهور سر التوكل ، وفي عدم التأمل ، وفي العصر لجعل التوكل سبباً من الأسباب ، وفي المغرب لعدم التوكل على الوهاب ، وفي العشاء لسر الجوع المراد ، وفي الصبح لشؤم الشبع المعتاد .

ويا عقل[5] اغسل اليمنىٰ بالغرفة الثالثة في الظهر ، لظهور سر التقديم لها في الظهور ، وفي اليسرىٰ لبروز سر «كلتا يديه يمين ، في الظهور[6] وفي العصر لاستوائهما الأسنىٰ ، وفي المغرب لنيابة اليسرى عن اليمنىٰ ، وفي العشاء لتعطيل اليسرى أو اليمنىٰ[7] ، وفي الصبح لوجود اليمن[8] في اليمنىٰ ، واليسر والعسر في اليسرى .

جعلنا الله وإيّاكم من المقربين ، وضرب لنا بسهم في أصحاب اليمين .

(١ و ٢) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٣) كذا في الأصل الموجود بدار الكتب ، وهو الصحيح : والذي في نسختنا «القديم» .

(٤) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٥) في المطبوعة : (ويا حس) .

(٦) في المطبوعة : «الظهر» .

(٧) في المطبوعة : «في اليسرىٰ او اليمنىٰ» .

(٨) في المطبوعة «لوجود اليمين» .

الباب الخامس والعشرون
في معرفة أسرار مسح الرأس

مسحت رأسي للظل الذي نيط بالـ ـعرش الذي هو بالأنوار محفوف
فأعجب لظل من الأنوار منبعث فيه الدلالة : أن الظل موقوف
على نتيجته ، لا عين صورته على استقامته : ما فيه تحريف
العرش سقف لجنات الخلود ، فدا ر الخلد دائرة فيها التصاريف
كالعرش إن نظرت عيناك صورته من كل ناحية : ما فيه تجويف
يا ليت شعري ، والنار التي خلقت بالسفل ، هل سقفها بالضد موصوف
فالنار دائرة في جوف جنتكم ؟ فبينها بجنان الخلد مسقوف ؟
لولا الدخان الذي فيها لأدركها نور الجنان ، ولكن فيه تطفيف[1]

نزل الروح (على القلب)[2] قال : أمسح برأسك يا عقل في الظهر لظهور سر الظل ، وفي العصر لوجود الظل في النور ، وفي المغرب لحجاب النور والظل ، وفي العشاء لاستواء الظل والنور في الحجاب ، وفي الصبح لتسمية الله بالنور دون ضده .

---

(١) هذه قضية أثارها (رحمة الله عليه) ، وسؤال يسأله لعلماء الحرف : ومقتضى هذا السؤال «الجنة سقفها عرش الرحمن» كما ورد في الحديث الصحيح .

فهل النار كذلك يا ترى ؟ .

وقوله «جنتكم» توجيه الكلام فيه لأهل الحرف ، الذين يأخذون للأشياء بظاهر ألفاظها ، ولا يتدبرون المعنى . والله تبارك وتعالى أعلم .

(٢) من المطبوعة .

ويا حس : امسح برأسك في الظهر لسر الإقناع ، وفي العصر للعتق[1] ، وفي المغرب للذل ، وفي العشاء لفقد الحواس في النوم ، وفي الصبح لرجوعها ، والأخبار بما رأيته في النوم للقوم .

جعلنا الله وإيّاكم من أهل الظل الأول[2] الذي عليه عند المحققين المعول ، آمين بعزته لا رب غيره .

---

(۱) في المطبوعة: «الشق» ولا يتسق من سياق الكلام .

(۲) من المطبوعة .

الباب السادس والعشرون

في معرفة أسرار مسح الأذنين

طهر صماخيك إن السمع يدرك ما	في ذلك الطهر من تعريف مبدعه
إذا يخاطبك الرحمن من كثب	فإنه سامع من غير موضعه
في نفسه درك ما في النفس من خبر	وفي اللسان ، فهذا حد مهيعه
إذا يكلمني ربي أقول له	يا رب سمعي محصور فَمَنْ يعه[1] :
ودركه لكلام الله صح له	على الحقيقة ، لكن من مشرعه ،
صلّى الإله على موسى فبان له	أصل السماع اعتناء من مسمعه

نزول الروح (على القلب)[2] وقال : يا عقل : أمسح أذنيك لاستماع التنزلات في الظهر وبماذا قبلتها في العصر ، وما حصل لك منها في المغرب ونظرك فيها ووقوفك على الأسرار له المودعة فيها في الصبح .

ويا حس امسح أذنيك لاستماع القول في الظهر ، ولارتباط السمع للخطاب في العصر ، وفي المغرب لسجن السمع في الأذن ، هل هو من الحقائق أو من العادات ، وفي العشاء لدرك أصوات في المنام ، وليست بأصوات ، وفي الصبح لدرك هذه الأصوات النومية في اليقظة بمشاهدة الحفظة .

جعلنا الله وإيّاكم ممّن يسمعون القول فيتبعون أحسنه ، فيشهد له الوهاب بقوله : ﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ .

---

(١) فمه يعه : يعني ، فصبرا حتى أعي ، والله أعلم .

(٢) ما بين القوسين من المطبوعة .

الباب السابع والعشرون
في معرفة أسرار غسل القدمين

طهر لشرعك[1] أقداماً سعيت بها ... تقرباً[2] بأسرار رب، ثم جبار
فالرب للقدم العلياء ينظره ... جبار : ذي القدم الموضوع في النار[3]
واعلم بأن لك الكرسي ، ثم لك الـ ... ـكونين ، فاشكر لوهاب وغفار
علم السوابق موقوف عليك له ... والجاريات بأكوار وأدوار
وقد أحطت بأجناس[4] العلوم فقم ... فأنت صاحب أنوار وأسرار
فقمت من عنده أبغيه فالتفتوا ... قولي ، فإن به تدرون مقداري

نزل الروح على القلب ، وقال : يا عقل : اغسل قدمك اليمنىٰ في الظهر ، لظهور سر مغالطتك في قدمك ، واليسرى لظهور سر عدمك ، وفي العصر للجمع[5] بين القدم والحدوث ، وفي المغرب لمغيب قدمك في قدمه عند السير الحثيث ، وفي العشاء لوجودك معه في هيولي المحققين ، وفي الصبح لمطالعة عينك فيها على التعيين .

ويا حس : اغسل «قدميك»[6] قدمك اليمنى «في الظهر» لمطالع قدم

(١) في المطبوعة : «بشرعك» .
(٢) في المطبوعة : «تفز» .
(٣) في المطبوعة : «الملقاة» .
(٤) في المطبوعة : «بأجناس» .
(٥) في الأصل الذي راجعنا عليه «للجامع» وتصحيحها من المطبوعة .
(٦) ما بين القوسين من المطبوعة .

الـرب ، واليسرى لمـطالـع قـدم الجبـار وفي العصـر لاجتمـاع المـطالـع في سمـاء الأنوار ، وفي المغرب لمغيب قـدم الجبار في قـدم لرب «و»[1] في العشـاء لمغيب قـدم الرب في قـدم الجبار ، في ظـلام الحجب ، وفي الصبح لتميـزهمـا الأبـدي على الحكم الأزلي .

جعلنـا الله وإيّاكم ممّن ثبتت قـدمه في المعـالم ، ولـم يحجب بمـا كشف من العوالم .

---

(١) ما بين القوسين من المطبوعة.

الباب الثامن والعشرون

في معرفة أسرار التشهد بعد الفراغ من الوضوء

تشهد لإثبات الإله ونفيه فإنك مطلوب بإثبات عينه
وأفصل إذا قامت شواهد وصفه عليك ولا تلحقه : عيناً بكونه
وأبرزه في الكون الغريب بشرطه بأن يك محفوظاً بأثواب صونه

نزل الروح على القلب ، وقال : يا عقل تشهد إذا فرغت من وضوئك لصلاة الظهر ، لظهور سر العدد في الأحد ، وفي العصر للألف المعطوفة المألوفة ، وفي (المغرب)[1] : الشاهد لمغيب الأحد في الواحد ، وفي العشاء للاحدية والأبدية ، وفي الصبح لثبوتك لديها عند قدومك عليها .

ويا حس : تشهد إذا فرغت من وضوئك لصلاة الظهر ، لظهور سر التوحيد ، وللعصر لفناء التفريد ، وللمغرب لوقوع التحميد[2] وللعشاء لحصول التوحيد في التجريد ، وللصبح (لمشاهدة)[3] التوحيد في التبديد .

جعلنا الله وإيّاكم ممّن وحد فتوحد ، وأشهد فتشهد (آمين ، بعزته لا ربّ غيره)[4] .

---

(١) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٢) في المطبوعة : «التمجيد» .

(٣ و ٤) ما بين القوسين من المطبوعة .

الباب التاسع والعشرون

في معرفة أسرار الانصراف من الوضوء إلى الصلاة

ولما أتينا بالطهارة كلها ... على وفق شرع الله في الحد والعقل
أتيت أناجيه[1] بقدس كلامه ... علي يحو ما قد صح عندي من العقل
فلم يستطع أحداث لفظي لكونه ... قديماً ، فناجيت المهيمن بالفعل
ولم يستطيع معناي أيضاً كلامه ... فقد صح عندي أني لست بالمثل
فرد على الله من عرش ذاته ... بما طبق اللفظ الذي جاء من ظل
على نحو ما أتلوه في النور والهدى ... بإيجاد وصف العدل منه أو الفضل
وما سمع الرحمن غير كلامه ... على مقولي[2] في الفرض كنت أو النفل
فصح له التعبير عنه ، فإنه[3] ... تعالىٰ عن الأصوات والحرف والشكل
فإن قلت أني قد تلوت كلامه ... فقد قلت أني ما تلوت سوى مثل
فإن تك خالفت الذي قد نصصته ... فقد غصت يا مسكين في أبحر الجهل

نزل الروح (الأمين) وقال يا عقل انصرف إلى مصلاك ليتلو سبحانه كلامه عليك ، فاسمع وأنصت وتحقق ذلك المقام ، وأثبت ، فإنه مقام الدهش والطيش ، ومحل الحياة والعيش ، فاشحذ فؤادك ، وأترك اعتقادك ولا تدبر في حين الخطاب ، ولا تفكر فيما ترد عليه تعالىٰ من الجواب ، فإنه مقام التأييد والقوة ، ومشرب الرسالة والنبوة ، فإن اجابة الحق تعالىٰ إذا خاطب عبده منه : لا

(١) في المطبوعة: «أتينا نناجيه» .

(٢) المقول : اللسان .

(٣) في المطبوعة: «لأنه» .

ينتجها فكر ، ولا يقوم لها ذكر ، حسب العقل قبول الخطاب ، وقبلو ما يخلق فيه من الجواب ، من غير تقدم قصد ولا نية ، ولا فكرة ولا روية .

ويا حس : اتل على ربك كلامه ولا تلتفت ، وحقق معنى ما يناجيه به ، وأثبت وشمر أذيالك واجعل خلفك أعمالك وآمالك ، وضع اليدين مكتوفين فوق السرة ، وتحت الصدر ، واطلب منه في ذلك المقام فضل ليلة القدر ، في كونها خير من ألف شهر ، واجعل كل صلاة تدخل فيها آخر صلاتك ، وذلك النفس منتهى حياتك ، فلا تزال مقنعاً[1] ولربك مسمعاً[2] متوشحاً بالحياء ، غير ملتفت إلى السماء ، طرفك حيث سجودك ، وقلبك حيث معبودك ، وخشية تخشع الجوارح ، وهيبة تقصف الجوانح ، وعبرة[3] تسفح ، وزفرة تلفح ، وأنين وزمزمة[4] وحنين وهمهمة وتلاطف في تعاطف ، وتوسل في ترسكل ، ومشاهدة في مجاهدة ، وتغير في تحير ، واختلاف صفات ، وتنوع حالات ، وآداب وسكينة ، واعتدال وطمأنينة ، إلى أن تفرغ من صلاتك ، فتنظر عند ذلك ما زكى من صفاتك ، وما تقدس من ذاتك ، وعند ذلك تكون المصلي السابق ، وغيرك المصلي اللاحق .

جعلنا الله وإيّاكم ممّن حضر في صلاته ، فأجزل له في صِلاته[5] فكان جزاءه النور ودار السرور .

---

(١) متذللاً لله تعالى .

(٢) كناية عن قراءة القرآن : فإن الله تعالى يسمعك .

(٣) العبرة : أول نزول الدمع ؟ .

(٤) الزمزمة : صوت الرعد : استعارة هنا لما يكون عليه العابد حين يصلي ، . والله تعالى أعلم.

(٥) الأولى بفتح الصاد ، والثانية بكسرها .

البـاب الموفي ثلاثين

في معرفة أسرار طهارة الثوب والبقعة ، للصلاة فيهما إن شاء الله

ليس لـه بقعـة سـوى أرض قـلبي | وثيـاب تـزيـنني ، غـيـر عـلمـي
حـدثي صـح في ظـهـور حـدوثي | وظـهـوري منـه بـغـيـبـة رسـمـي
أنـا ثـوب[1] على الحبيب ، وثـوبي | هـو حبي ، فحكـمـه عين حكمي
أي طـهـر في بـقـعـة القـلب لمـا | وسـع الله ، فـانجلى ليـل هـمي
حـق : لـولا وجـود ربي بـقـلبي | كـان يبـدو علي للجبـان[2] حلمي
وانـتـقـامي من آخـر ، فكـمـالي | في وجـود السـرور مـني وغـمي
هـذه حـكـمـة ، وهـذا حـكـيـم | ظـهـرت منـه بين عـدلي وظلمي
إن كمي[3] هـو الحجاب ، وكيفي عن | حبيبي ، فـاذهـب بكيفي وكمي
يـا حـبـيـبي ، وأنـني لـعـديـم | وغنـاك الـذي أُرَجّي[4] لـعـدمي
شـطحـات تـبـدو علي لـكـوني | صـورة فيك ، عنـد نثري ونظمي
(بـك علقت)[5] يـا أبي يـا حبيبي | أنت أرضعتني ، فجـودك أمي[6]

(١) أي ثائب من ثاب يثوب ثوباً : إذا رجع والله تعالى أعلم .

(٢) في الأصل الذي راجعنا عليه «للجان حلمي» ولا معنى لها - فيما نعرف - وما أثبتناه : من هامش المطبوعة ، وهو الأوفق للأسلوب .

(٣) بفتح الكـاف .

(٤) بضم الهمزة ، وفتح الراء وتشديد الجيم المفتوحة .

(٥) ما بين القوسين من المطبوعة ، وفي الأصل الذي راجعنا عليه «منك ولدت ، وهو بالقطع من تحرف النساخ» . والصحيح ما أثبتناه .

(٦) أم الشيء : أصله ، ومنه قوله تعالى : ﴿لتنذر أم القرى﴾ وهي بضم الهمزة .

ولهذا : إليك أرفع كفي في أموري ، فأنت ركني وأمي[١]
ليس لي والد أراه سواكم ما عسى يغن عني والد جسمي ؟
هو مثلي : فقير وضعيف وهمه حاكم عليه كوهمي
مذ تجليت يا حبيبي لقلبي لم أزل عارفاً بقدري وباسمي
ثم أني عبد ، وأنت إله وقوي إذ بدا وهن عظمي
يا حبيبي : لقد رمزت أموراً في قريضي : هذا على حكم زعمي

نزل الروح على القلب ، وقال : أيها العقل : طهر ثوب سرك ، وبقعة قلبك لتجلي ربك ، فإن سر الطهارة معقول ، كما أن فعلها منقول .

ويا أيها الحس : طهر ثوبك بالتقصير ، فإن الفائزين أهل التشمير ، وطهر بقعتك «النفسية»[٢] من «عالم»[٣] التخليط ، فإنك من عالم التخطيط ، عسى يفيض عليك شيء من العالم البسيط ، فإن فاض عليك منه شيء فهو نور أنت فيؤه، وعود أنت بدؤه ، وظهور أنت خبؤه ، فلولا ظهورك ما سري إليك نوره فيك ، وبفيضه عليك ، وحاجتك إليه تعزز ، فاعرف قدرك وقدره ، وحقق شمسه وبدره ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ وذلك النور طهر تربها، «فبقعة الأرض»[٤] الفلك ، وثوبه النور المشترك ، فإن تدنس في كمال ظهوره بظل الأرض ، فظهوره بالسمو عن عالم الخفض ، كما أن طهارة بقعته بروز نصف دائرتها للعين ، وعدم طهارتها «هو»[٥] مغيبها تحت هذا الكون ، فنظر الإنسان إليها هو إذا : مظهرها ، وعدم نظره إليها هو مقدرها ، وبقعة اشمس فلكها ، وثوبها نورها الذي أخذته من ملكها ، وهو النفس الكلية المنفعلة ، فهي بهذه المنزلة ، ودنسها بالحجاب الهلالي المحاقي ، وطهارتها : خروجها عن موزانته في العالم العلوي ، فيظهر ذلك في العالم السفلي ، وطهارة بقعتها كطهارة بقعة البدر «الأكبر»[٦] : لا أكثر فلا تتحير .

جعلنا الله وإياكم ممن طهر ثوبه وقلبه ، وشاهد في كل حالة من الأحوال ربه . آمين ، بعزته .

---

(١) الأم - بفتح الهمزة في البيت الذي يليه فهو من «أم الشيء» قصده والمعنى : أنت مقصودي الذي أأم إليه وارتجيه .
(٢) في المطبوعة: «النفيسة» . (٤) في المطبوعة: «فبقعة البدر» . (٦) ما بين القوسين من المطبوعة
(٣) ما بين القوسين من المطبوعة . (٥) ما بين القوسين من المطبوعة .

الباب الحادي والثلاثون

في معرفة أسرار إقامة الصلاة

يا مقيم الصلاة : مالك تدعو   للمناجاة من حماه العيان
هي الأراحة[1] لحجاب قدرتـ   ـه[2] عند الحكيم الكيان
ودليلي : من قال قم يا بلال   فأرحنا بها ، فسر الزمان
فأقام الصلاة فارتاح قلب   جاءه الخوف : تارة والأمان
قل لمن يقرأ القرآن تبحر   في علوم شتىٰ حواها القرآن
خلف ستر أدق من وهم سر   شاهد الله : إذ أتته الحسان
هو وهم ، وليس علماً ، ولكن   فيه سر لربنا وامتنان
فإذا ما قرأت قرآن ربي   أظهر القول ما حواه الجنان
للفؤاد الكلام من غير حرف   يا وليي ، وللحروف اللسان

نزل الروح على القلب ، وقال : أيها العقل ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ .

يا عقل: ربك قد دعاك للدخول عليه، والوقوف بين يديه، فتسوك بعود أراك تفاؤلاً ، فإن الفال مشروع ، فهو «خير من سبعين صلاة[3] ، وقد جاءت رواية من أربعمائة»[4] كما جاء في الموضوع ، فالزم الأدب ، واحضر (مع)[5] النسب فإن

---

(١) في المطبوعة: «وهي عندي إزاحة» .

(٢) في المطبوعة: «قرارته» .

(٣) قال (ص) : «صلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك» رواه ابن زنجوية .

(٤) في المطبوعة: «وفي رواية من أربعمائة» .

(٥)ما بين القوسين من المطبوعة .

علم النسب يوجب أدبك ، ويبهج مذهبك .

(و)[1] هـذا أنت خلف الباب ، تـريد رفـع الحجاب ، فقـل :

الله أكبـر، الله أكبـر : إثبـاتـاً[2] لمن تكبـر عليـه ، إعــظامـاً ونــزولاً عليـه، وإلماماً ، وقهراً له ، وإرغاماً ورحمة به وإكراماً .

أشهد أن لا إله إلاّ الله : إثبـاتاً لمن أدعىٰ الألـوهية في نفسـه ، حين أوجدهـا له في يومه دون أمسه ، فينعم بها في حسه ، وظهـر بها عنـد أبناء جنـسه ، فحالت بينـه وبين دوام أنسه :

أشهـد أن محمـداً رسـول الله : تحقيقـاً ، إن الـرسـالـة في الثـرىٰ وإن «كـل الصيـد في جوف الفـرىٰ»[3] فسـرت سـريـان النفس في الـورىٰ ، فمنهم من تقـدم ومنهم من طلب الورىٰ[4] وعند الصباح يحمد القوم السرىٰ[5] .

حي على الصلاة: إثباتاً للغفلات وتعشق الغـافلين بالكـائنات ، فـاتحدوا بهـا في عـالم الكائنـات[6] وانفصلوا عنها في عـالم السماوات : إنفصـال الـروحـانيـات الملكوتيات .

---

(١) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٢) «واثبـاتـاً» : أي حبسـاً من قـولـه تعـالىٰ : ﴿ليثبتــوك أو يقتلوك﴾ والنميـر راجــع إلى اللعين (الشيطان) .

وأما قوله ورحمة به وإكـراماً ، في «به» راجع إلى الله ، والتقدير : رحمة كائنـة بالله للمصلّي وإكراماً منه والله تعالىٰ أعلم .

(٣) لفظ حديث شريف رواه الرامهرمزي .

قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» سنده جيد ، لكنه مرسل ، ورواه أيضاً العسكري .

قال السخاوي : وقد أفردت له جزءاً خاصاً .

(٤) له قصة يحسـن أن نوردها :

«أذن رسول الله (ص) لقريش وأخر أبا سفيان (رضي الله عنه) ـ ثم أذن له ، فقال : مـا كدت أن تـأذن لي حتى كـدت أن تـأذن لحجـارة الجلهمتين ، فقـال ـ (ص) : مـا أنت وذاك يـا أبـا سفيان ، إنما أنت كما قال الأول» «كل الصيد في جوف الفرى» وذلك أن الذين أذن لهم رسـول الله (ص) تقـدموا في الإسـلام فقدمهم رسـول الله (ص) في الأذن . والفـرى : بفتـح الفـاء : حمار الوحش ، والله تعالىٰ أعلم .

(٥) السرى : مشي أغلب الليل .

(٦) في المطبوعة : «في عالم الكلمات» .

حي على الفلاح: تعييناً على البقاء، ونجاة السعداء، وعدمها من الأشقياء، والفصل بين الأرض والسماء يوم الفصل والقضاء.

قد قامت الصلاة: (فقد) قاموا أجلالاً لقيامها، وبادروا إليها تعظيماً لإمامها فوهبتهم الأسرار القدسية بين افتتاحها بتكبيرها، وتمامها بسلامها، فمن فارح بقدومها جزع من أقدامها، ومن فارح بانقضائها إذا كان على تمامها، ومن محب في دوامها لتلذذه بكلامها.

الله أكبر الله أكبر: تكبيراً من غير مفاضلة، وقرباً من غير مواصلة، وأنباء من غير مراسلة، وإنعاماً بمعاملة وغير معاملة، ورؤية من غير مقابلة، لا إله إلاّ الله إثباتاً للشرك والتوحيد[1] في عالم الجمع والوجد، في عالم الفرق والفقد، بسر التعطيل والوجود، والتشبيه والتمجيد، لانفاذ الوعد والوعيد، من القريب البعيد، بمحل التنظيم والتبديد.

وأنت يا حس: فقل الله أكبر، الله أكبر، تيفي تكبر المتكبرين من طريق دعوى المدعين، وإرغاماً لانوف الحاسدين، ودحضاً لحجة المبطلين، وإقامة لبرهان المؤمنين.

أشهد أن لا إله إلاّ الله: رداً على من قال: أنه الله[2] فبان الحيلم الأواه: من قال بنفي الاشباه[3]، وساوى في الذكر بين القلوب والأفواه[4] وفي السجود بين الأقدام والجباه.

أشهد أن محمداً رسول الله: إثباتاً لقربه من ربه بعالم تربه، ومن حبه بعالم قلبه بصحة حبه، فاتخذ حبيباً وخليلاً، وعبداً ورسولاً، فصحت له السيادة على صحبه.

حي على الصلاة: إثباتاً للإيمان، وتعشق في العيان بالبصر والجنان في الإساءة والإحسان، والجحيم والجنان، فليس العجب من ورد في بستان، وإنما

(١) يقصد به النفي والإثبات، فالنفي في «لا» وما بعدها، والإثبات في «إلاّ الله» فهي كلمة جامعة بين النفي والإثبات، نفي الضد، وإثبات الألوهية لله رب العالمين.

(٢) فرعون لما قال: ﴿يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾ من سورة القصص؛ الآية: ٣٨، وكذلك كل من سار على طريقه بالقول أو الفعل. ونسأل الله السلامة.

(٣) أي لم يتخذ لله نداً ولا شبيهاً.

(٤) ما ينطقه بلسانه: ذكراً لله تعالى، وينطقه بقلبه أيضاً، فيخرج من دائرة النفاق.

العجب من ورد في قعر النيران .

حي على الفلاح : إقبالاً على الإحسان بالأمان ، فإن البقاء بقاءان ، والنجاة نجاتان ، وكل ذلك ظهر في الإنسان .

قد قامت الصلاة : من قعدتها ، وانحلت لام الفها من عتدتها ، فصارت سلطانة بوحدتها ، وظهرت في المؤمنين بقوتها ونجدتها ، وفي العارفين بترك عددها وعدتها ﴿وإنها لكبيرة إلاّ على الخاشعين﴾ .

الله أكبر الله أكبر : مفاضلة روحانية ، ومرتبة ربانية ، ومعادلة رحمانية ، وتكملة إنسانية ، ونكتة رهبانية .

لا إله إلاّ الله : شرك مقبول في توحيد معلول(١) ، صاحبها مقيد مغلول ، وتاركها في روض مطلول(٢) لا ملول ولا مملول .

جعلنا الله وإيّاكم ممّن أقامها دائماً ، وكان بأسرارها عالماً ، آمين .

---

(١) قوله «شرك مقبول» يرمز إلى قوله «لا إله» فهي مقبولة لإثبات ما بعدها ، بدليل أنها لو قيلت وحدها لكانت كفراً وأي كفر . ونعوذ بالله . والعل ، الشرب مرة بعد أخرى يُقال : علل بعد نهل .

والمقصود هنا أن كلمة التوحيد عذبة : لها حلاوة تجعل صاحبها يرددها مرة بعد مرة لعذوبة اللفظ ورأي المعنى فلا يمل المسلم النطق بها .

(٢) مطلول : ممطر : بضم ممطر وسكون الثانية وفتح الطاء ، ومنها قوله تعالى : ﴿فإن لم يصبها وابل فطل﴾ من سورة البقرة ، الآية : ٢٦٥ .

الباب الثاني والثلاثون

في معرفة أسرار تكبيرات الصلاة إن شاء الله تعالى

أكبره في كل فعل على الذي　　تجلى من الأسماء فيه لناظري
فإن الذي يبدو إلي هو الذي　　أراه بذلك الفعل : ربي وآمري

قال الروح في تنزله : اعلم أن للجمع حضرتين ، كما بينا من قبل : أن الوجود كله مبني على اثنين في «الله» واعني به الاسم : حضرة جامعة لجميع الأسماء الحسنى ، والذات التي لها الألوهية حضرة جامعة لجميع الصفات القدسية الذاتية ، والصفات الفاعلة في العالم الأبعد والأدنى ، والأرفع والأدنى .

فإذا كنت في حالة من الأحوال . (من أحوال الأرض أو من أحوال السماء) فلا شك أنك تحت قهر اسم من الأسماء ، سواء عرفت ذلك أو لم تعرف ، أو وقفت في مشاهدته أو لم تقف ، فإن ذلك الاسم الذي يحركك أو يسكنك ، أو يكونك أو يمكنك ، يقول لك : أنا إلهك ، ويصدق في قوله .

فيجب عليك أن تقول : الله أكبر ، وأنت يا اسم سبب فعله فلك الرفعة السببية ، ولله الرفعة الإلهية ويصح فعل (هذا) على طريق المفاضلة ، لأنها من حضرة المماثة ، قال الله تعالى : ﴿قل ادعوا الله أو أدعوا الرحمن أياماً تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾[1] كذلك له الصفات العلى ، فإن الله هو- الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الشاكر ،

---

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ١١٠ .

العليم ، القادر ، الرؤوف ، الرحيم ، الرزاق ـ إلى ما يعلم منها وما لا يعلم ، وما يفهم من صفاته وما لا يفهم .

وعلى هذا يصح : الله أكبر ، وبه تثبت المعارف الإلهية ، وتتقرر ، وهذا أمر مجمل : تفصله أعمالك ، وسر مبهم توضحه أحوالك .

واعلم (قطعاً)[1] أن الذات لا تتجلى عليك (أبداً)[2] من حيث هي ، وإنما تتجلى إليك من حيث صفة ما معتلية ، وكذلك اسمه «الله» لا تعرف أبداً معناه ، ولا تسكن وقتاً ما في مغناه ، ولهذا السر تميز الإله من المألوه ، والرب من المربوب ، ولو لم يكن ذلك كذلك ، لالتحق المهلك بالهالك ، فقد بانت الرتب ، وعرفت النسب ، (وتبينت حقيقة السبب)[3] .

جعلنا الله وإيّاكم ممن شاهد محركه ، فكبر فتجلى له ما هو اكبر ، بمنه وكرمه لا رب غيره ، آمين .

(١ و ٢) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٣) في المطبوعة: «وثبتت حقيقة السبب» .

الباب الثالث والثلاثون

في معرفة أسرار رفع اليدين في الصلاة

رفعنا يدينا في الصلاة لعلمنا بأنا نناجيه : نشير إلى الفقر
وأنا تركنا ملكنا من ورائنا وجئناك : نبغي صورة النفع والضر
وإن كان ذاك الفعل مما قد أفدتنا مع الوقت ، فالإنسان من[1] طبعه يجري
وصورتنا في ذلك الفعل كالذي يكون بها في موقف الحشر والنشر

نزل الروح الأمين على القلب السليم ، وقال : دعاك الرفيع إلى مناجاته ، والغني إلى قبض[2] هباته ، فتذلل وافتقر ، وأرفع يديك في كل خفض ورفع عندما تكبر ، وأترك ما تحصل لك في كل تجل وراء ظهرك ، وقل ها أنا واقف صفر اليدين بين يديك عن أمرك ، ابتغي منحة علوية أو لمحة كلية ، فإذا جاءتك المنحة ، وتجلت لعينيك اللمحة ، فارفع منحتك في كيسك ، ولمحتك في تأسيسك[3] وأطلب لمحة أخرى ومنحة كبرى ، فإنها لا تزال تترى - فإن الفيض الإلهي مستمر دائم من تتر جوده ، فقابله بالفقر الكياني : الذي هو مستقر في عين شهوده ، فلا يزال يهب وأنت تجمع ، ويعلو وأنت تخضع ، وينزل وأنت ترفع[4] ، فإذا حصلت هذه المنحة ، وعقلت هذه اللمحة ، وقفت على أسرار

---

(١) في المطبوعة : «في» .

(٢) يعني إلى أن تقبض ما وهبه لك .

(٣) في القاموس : التأسيس : هو حرف القافية .

(٤) ينزل : بضم الياء وكسر الزاي ، و «ترفع» بضم التاء .

رفع يديك في صلاتك ، ورأيت من دونك راغباً في بركاتك[1] وجزيل صلاتك ، فهب كما وهبت ، فإنك تعبد كما عبدت[2] .

رفع الله هممنا إليه ، وأنزلها المنزل المبارك لديه ، (آمين بعزته)[3] .

(١) في المطبوعة: «وزكاتك» .

(٢) العبادة : الخضوع والطاعة والذلة ، ومنه قوله تعالى : ﴿عبدت بني إسرائيل﴾ والمعنى أنك كما خضعت لله وتذللت له : أخضع هو لك غيرك وذلله لك ، والله تعالى أعلم .

(٣) ما بين القوسين من المطبوعة .

الباب الرابع والثلاثون

في معرفة أسرار التوجه في الصلاة

توجهنا ، وليس لنا وجوه	وأنطقنا ، وليس لنا لسان
وحكمنا على صور المعاني	فكان لنا البلاغة والبيان(١)
فقلنا بانفطار الأرض فينا	من الأشواق : إن هجر العنان(٢)
كما أنفجر العنان(٣) إذا تعالى	وأمطرنا وما قبل المكان
فهذي حكمة من سار فيها	رأى أمراً يضيق به الجنان

نزل الروح ، وقال أيها الحباب(٤) المتقاطر ، والسحاب الماطر ، هذا قد تجلى لكليتك الإله الفاطر ، فقل لسمائك : لا تحجب بلطافتها ، ولأرضك لا تحجب بكثافتها ، لا بد عند تجليه لسمائك من تخلخلها ، ولأرضك من تزلزلها ، فإيّاك أن تقع في أشراك الأشراك(٥) لعظيم آفات الاشتراك ، وألزم الوحدة ، فبها تحصل رفده(٦) ومجده ، وكن وجهاً مستديراً ، ولا تجعله عبوساً قمطريراً ، ولا تحجب بالجهة الكعبية عن الجهة الإلهية القلبية(٧) ، والحق الحياة بقدمها والموت

---

(١) البيت في المطبوعة هكذا :

فكان لنا البلاغة والبيان	وحكمنا على صور المعاني

(٢ و ٣) في المطبوعة : «العيان» .

(٤) حباب الماء : معظمه أو نفاخاته التي تعلوه .

(٥) الأولى بفتح الهمزة ـ من الشرك بفتح الشين المشددة والراء ـ والثانية من الشرك بكسر الشين المشددة وسكون الراء ، نعوذ بالله منه .

(٦) تحصل : بضم التاء وفتح الحاء ، والرفد : العطاء .

(٧) إشارة إلى حديث : «ما وسعني أرضي ولا سمائي ، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن» =

بعلمه في قدمها ، والصلاة بحضرة ربك .

اجعل النسك قربان قربك ، وأقر بالأمر للامـز ، واعتزف بـالإسلام حـذراً من الحسـام الباتـر ، وأزغب في الإنصراف إلى الفضـائل عن الـرذائل ، وأرسـل الأمور إليـه ، فإن مفـاتيحها في يـديه ، واستسلم للحكم تكن من أهـل العلم ، وتـدرع[4] بثوب الاستغفار ، فإنّه يحول بينك وبين النار .

جعلنـا الله وإيّاكم من أهـل التوجيـه ، وممن يدعي هنـاك بـالمقـرب الـوجيـه (آمين بعزته) [2].

= والمعنى : أن تتجه بوجهك إلى الكعبة ، ولا تعتقد أنها جهـة لله تعالى الله عن الجهـة ، وإنما تتوجه بقلبك إلى الله تعالى .

(١) تدرع من «الأدراع» فإن الاستغفار درع واقية من عذاب الله تعالى .

(٢) ما بين القوسين من المطبوعة .

الباب الخامس والثلاثون
في معرفة أسرار الوقوف ، والقراءة في الصلاة

وقفت أناجيه بمعنى[1] كلامه — مع الكون وقتاً ، ثم وقتاً مع القدم
لأنك في وقت بوصفيه ناطق — وفي آخر في عالم النور والظلم
إذا قلت قال الله : أعني كلامه — وإن قال ربي : قال موسى رأيت ثم
تأمل علوماً قد أشرت ببعضها — إليك، فحقق ما ذكرناه والتزم

نزل الروح ، وقال : الجامع[2] قد تجلىٰ والمناجا قد تدلىٰ[3] .

وأنت أيها المناجي الأسنىٰ ، بقاب قوسين أو أدنىٰ ، فقل : يسمع قولك وتجاب ، ولكن ميز الخطاب ،وفرق بين قرآنك وفرقانك، وبيّن توراتك ونورك ، وكتابك وزبورك ، فإن المناجاة تختلف باختلاف المقامات ، وتتباين الحالات ، وتتعدد بتعدد الأشخاص ، وهي لا تقبل الزائد فتتصف بالانتقاص ، فتنادي في وجودك ـ ولات حين مناص ـ فإنك في حضرة الجمع واقف ، ولسيدها الجامع ملاطف ، فإذا منحك من لطائفه ، ووهبك من عوارفه ، فحصل ولا تفصل ، فإن ذلك مقام التحصيل لا التفصيل .

فاعلم أن الزبور نظير الفرقان ، ولهما سران ، والقرآن مختص بالمحمدي[4]

---

(١) في المطبوعة: «بعين» .
(٢) الجامع : اسم من أسماء الله الحسنىٰ .
(٣) في المصباح : وقوله تعالىٰ : ﴿ثم دنا فتدلىٰ﴾ : أي تدلل .
(٤) لأن القرآن نزل على سيدنا محمد (ص) خاصة .

والفرقان له بالاشتراك الموسوي[1] ، فسر القراءة في جمع الذاتين ، واتحاد الصفتين .

جمع الله على ذاتي ، وقدس ـ باطلاعي على صفاتي ـ ، (آمين) .

(١) ولفظ «فرقان» جاء في مثل قوله تعالى : ﴿سبحان الذي نزل الفرقان على عبده﴾ (أول سورة الفرقان) والمقصود به «القرآن» وجاء بقصد التوراة في مثل قوله تعالى : ﴿وإذا آتينا موسى الكتاب والفرقان﴾ من سورة البقرة ؛ الآية : ٥٣ ، فلفظ «فرقان» اشترك مع القرآن والتوراة المنزلة من الله تعالى ، والله تعالى اعلم.

الباب السادس والثلاثون

في معرفة أسرار الفرق بين الفاتحة والسورة

نور الكواكب موقوف على السور	سورة الحمد : نور الشمس والقمر
فانظر إلى فلك إن دار في فلك	أعطاك علماً بمعنى الروح والصور
فسورة الحمد فرقان تبين على	عليّ[1] أطرافها بإنفصال الحق[2]م البشر
كما تبيّن : إذا حققت صورتها	إليك قرآنها في برزخ السور
فانظر إلى سور تأتي على صور	بصورة النفع : أحياناً ، وبالضرر

نزل الروح الأمين على القلب ، وقال : أعلم أن الفاتحة لها طرفان وواسطة ، ومقدمتان ورابطة ، فهي الفاتحة للتجليات الواضحة ، وهي المثانى لما في الربوبية والعبودية من المعاني ، وهي الكافية لتضمها البلاء والعافية ، وهي السبع المثاني ، (لا)[3] لاختصاصها بصفات المعاني ، وهي القرآن العظيم : لأنها تحتوي على سر المحدّث[4] والقديم ، وهي أُم الكتاب ، لأنها جامعة للنعيم والعذاب .

فالطرف الواحد بالحقائق الإلهية منوط ، والطرف الآخر بالحقائق الإنسانية

---

(١) «على» الأولى : حرف جر ، والثانية بالياء المشددة من العلو .

(٢) «م» البشر «م» مختصر «من» يعني : ليس الله تعالى متصلاً بخلقه ، بمعنى الحلول فيهم .
وهذا رد على من يتهمونه بأنه يقول بالحلول .

(٣) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٤) في المطبوعة : «على صورة المحدث والقدم» ، وما في النسخة التي راجعنا عليها هو الصحيح .

مـربـوط والواسطة تأخذ منهما على قدر ما تخبر به عنهما .

والمقـدمة الـواحدة سمـاوية ، والمقـدمـة الأخـرى أرضيـة ، والـرابـطة لهمـا هوائية .

فيقـول الأول : «الحمـد للمعين ، فيصلح عـالم الكـون بـالهين واللين»[1] ، فيقول الآخر حمدني الأول في أبدي ، لما علم أنه لا ينقضي أمدي .

ثم يقول الآخر : الحمد لله رب العالمين ، على الحكاية المعقولة .

وما ثبت له في الرواية المنقولة .

فيقـول الأول : أثبتني الآخر وملكني ، وعليـه وعلى غيـره سـودني ، وجعلني مرتباً أينه ، ومصلحاً عينه .

ثم يقول الأول بسطت رحمانيتك على عـامتك ، ورحيميتك على خاصتـك ، فكنت بهذا الفصل : إبراهيمي الأصل .

فيقول الآخر : لقد اثنى على الأول بما جعـل عندي من فيضـه ، وأقامني بـه بين بسطه وقبضه ، وجعلنا حاكماً في سماء الله وأرضه .

ثم يقـول الآخر : الـرحمن الـرحيم ، فيقـول الأول[2] أثنى الآخـر على حين أسنـد المحامـد إلي ، فله عندي مـا خبأتـه وراء حدي ، ثم يقـول الأول : يـا آخـر قمت في ملكك[3] وأحطت عينـاً بما حصـل في مـلكـك ونهيت وأمـرت ، وشكرت وكفــرت[4] ، ثم أقـر لــك بـالملك ، وسلم لــك بــاب الملك ، ونــاداك الملك بالملك ، حين خرجت عن حكم دورة الفلك ، واتخـذك ربك وكيـلاً ، وما وجـدت

---

(١) الهين واللين : (بسكون الياء لا بالتشديد) وهو الذي يستعمل اللين مع وجود القوة فيه ، فيكون لينه عن غير ضعف فيه ، والمقصود بالمعين ـ الله أعلم ـ في قوله : «فالحمد للمعين» الله تبارك وتعالى ، يعني أحمد الله الذي يعين .

(٢) في المطبوعة : «فيقول الأول الآخر» .

(٣) في المطبوعة: «قمت في ملكه» .

(٤) قال في الأصباح : وكفرته كفراً : سترته ، وقال الفارابي ، وتبعه الجوهري : «وبابه ضرب» اهـ وقال لبيد :

*** في ليلة كفر النجوم غمامها *** أي ستر .

*** في ليلة كفر النجوم غمامها ***أي ستر .

إلى الإنفصال سبيلاً ، فجاز قومك بأعمالهم ، وأوقفهم على أعمالهم .

فيقول الآخر : أن الأول قد أثبت لي الشرف والمجد ، ومنحني الرتبة العلية[1] حين ساعدني الجد، فنعم الجد، وفوض إلي تدبير كونه بمغيب عينه.

ثم يقول الآخر ﴿مالك يوم الدين﴾ فيقول الأول : رد الآخر على وكالتي ، وصرف إلي عمالتي ، وقال : شهودي ﴿إياك﴾ يمنعني من التصرف ، ونظري إيّاك[2] يحول بيني وبين التعرف ، فأنت العلي الماجد ، والرب الواحد .

وانتهى الطرف الواحد والمقدمة ، وبانت المراتب المسومة[3] .

ثم يقول الأول : يا آخر ، إليك أويت بالنزول الذاتي ، وبالتنزيل الصفاتي ، في ديجور الليل المظلم ، لإيضاح السر المبهم ، ثم أويت إليك لأظهار الصنائع العملية[4] ، واستخراج المنافع المعدنية ، فأنت ربها وإمامها ، وعرافها[5] وعلامها ، وبك ثبوتها وقوامها .

فيقول الآخر : الأمر بيننا مشترك ، فمن يضمن الدرك ، وأنا قد أقمت[6] سؤالك ، وقمت أريك أعمالك .

ثم يقول الآخر : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ .

فيقول الأول : إن الآخر قد قام لي في ذلة العبودية ، ليثبت عز الربوبية ، وقد سأل العون في تدبير الكون ، فلي منها شرب وله شرب ، ولي السقاية وله الشرب ، فله ما سأل ، فقل له ينفصل .

فهذا سر الواسطة قد أعلن ، ومعنى الرابطة قد بيّن .

ثم يقول الأول للآخر : ابن لي عن طريق العقائد والأعمال ، ومراتب الولياء والأبدال ، والخلفاء والإرسال ، المبسوط إليهم[7] نعم العارف ، والمهدي إليهم

(١) في المطبوعة: «العالية» .

(٢) في المطبوعة: «إليك» .

(٣) في المطبوعة: «المرسومة» .

(٤) في المطبوعة: «العلمية» .

(٥) في المطبوعة: «في نسخة دار الكتب : ومحرابها» .

(٦) في المطبوعة: «أجبت سؤالك» .

(٧) في المطبوعة: «عليهم» .

حكم اللطائف ، وأوضح لي طريق الاشقياء والضلال ، ومراتب العلما (به)[1] المستدرجين والعمال ، فيحق عليهم كلمة العذاب والنقمة ، وتحيد منهم كلمة النعيم والرحمة ، فيتيهون في قفر الظلمة .

فيقول الأخر : قد نزل الأول بحجابه ، واستتر خلف بابه ، فله ما سألني عمله ، إذ أقامني بدله .

ثم يقول : ﴿**اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾ فيقول الأول : قد سألني أن أهديه سراطه ، وأشد رباطه ، وأقيمه بالمحبة البيضاء ، واجعل متنزهه المهجة[2] الغضاء ، واجعله وارثاً لرسلي ، وقائماً بسبلي ، واجنبه موارد الهلاك ومصارع الهلاك فله ما سأل وما أمل .

ثم يقول الأول : يا آخر أجبني إلى ما سألتك .

فيقول الآخر : قد أجبت .

ثم يقول الآخر : آمين .

فيقول الأول : إن اخلصت فقد فعلت .

فقد أبانت الفاتحة عن الصورة الصادية ، والحكمة العادية ، وبقيت الصورة السينية القائمة بالمنازل انسنية ، وهي في الأعالي والأسافل من مائتين وثمانين وسبع منازل ، إلى ثلاث منازل ، وتضيق هذه العجالة عن إيرادها فيها ، وقد ذكرناها في الفتوحات المكية ، في المنازل بأمهات معانيها لمن يعانيها[3] وأريد أن أقصد هنا إلى هنا إلى بعض سورة الإسراء ، وما تحصل فيها بالتلاوتين من الأنباء فأقول بالتلاوة الإلهية إلي لا تسأل عنها بالكيفية ولا بالماهية ﴿**والنجم إذا هوىٰ**﴾ في قلب تعرى عن الهوىٰ ﴿**ما ضل صاحبكم وما غوىٰ**﴾ ولكنه شرب فارتوىٰ ﴿**وما ينطق عن الهوىٰ**﴾ لخروجه من كرة الهوىٰ ﴿**إن هو إلاّ وحي يوحىٰ**﴾ أنزلناه عليه بلا واسطة : كشفاً وتلويحاً ، فكان به عند نزول الواسطة في عالم الألفاظ عجولاً فصيحاً ﴿**علمه شديد القوىٰ**﴾ بحضرة الأستوا ﴿**ذو مرة فاستوىٰ**﴾ بما أيده به من القوى ﴿**وهو بالافق الأعلىٰ**﴾ غاية مراتب روحانيات[4] العلىٰ ﴿**ثم دنىٰ**

(١) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٢) المهجة : الدم ، أو دم القلب ، والروح ، كذا في القاموس .

(٣) يعاني الشيء : يقاسيه .

(٤) في المطبوعة : «عليه مراتب روحانية العلىٰ» .

فتدلىٰ﴾ على المقام الأجلي : ﴿فكان قاب قوسين أو أدنىٰ﴾ من المقام الأسنىٰ (لأنه) خلف حجاب العزة الأحمىٰ ﴿فأوحىٰ إلى عبده ما أوحىٰ﴾ فما أمسىٰ عليه يوم ولا أضحىٰ ﴿ما كذب الفؤاد وما رأى﴾ من حسن الرؤى ﴿افتمارونه على ما يرىٰ﴾ وهوى بحيث لا يرىٰ ﴿ولقد رآه نزلة أُخرىٰ﴾ عند الصيحة الكبرىٰ ﴿عند سدرة المنتهىٰ﴾ ومستقر الحسن والبها ﴿عندها جنة المأوىٰ﴾ المحفوفة بالبلوىٰ ، حضرة ارتفاع الشكوىٰ المنتجة للنجوىٰ ﴿إذ يغشىٰ السدرة ما يغشىٰ﴾ فيعدم البصير ويظهر الأعشىٰ ﴿ما زاغ البصر وما طغىٰ﴾ ولو طغىٰ لسفل ، ولو زاغ ما ارتقا ، فتحقق تلاوة هذه المشاهد (أيها المشاهد)[1] وحصل هذه المنافع من هذا الاسم الجامع .

ثم أقول: بالتلاوة الإنسانية : الجسمانية والروحانية : ﴿والنجم إذا هوىٰ﴾ بالسر الأنسىٰ في الموقع الرباني ، لتحصل معرفته وتكمل مرتبته ﴿ما ضل صاحبكم وما غوىٰ﴾ نقول قد أصاب المطلوب وظفر بالمحبوب ﴿وما ينطق عن الهوىٰ﴾ لأنه مقدس عن التأليف والتركيب ، والتدبير والترتيب ﴿إن هو إلاّ وحي يوحىٰ﴾ من الله إلى الرب[2] ، كما تقول في شاهد الغيب : من السر إلى القلب ﴿علمه شديد القوىٰ﴾ رحمن الاستوا : إله الاستوىٰ[3] ﴿ذو مرة فاستوىٰ﴾ جبار قهار مقتدر أقوىٰ ﴿وهو بالأفق الأعلىٰ﴾ فوق فلك الإشارات العلىٰ ﴿ثم دنىٰ﴾ من حضرة المنى ﴿فتدلىٰ﴾ حين تجلىٰ ﴿فكان قاب قوسين أو أدنىٰ﴾ أو كحبل الوريد الأدنىٰ ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحىٰ﴾ لما اشتغل[4] بمنافعه وهو قاعد، وقام بأسبابه وهو راقد ﴿ما كذب الفؤاد﴾ النكتة الجامعة الإلهية ﴿ما رأىٰ﴾ من الحقائق الإنسانية ﴿ولقد رآه نزلة أُخرىٰ﴾ ولا كون يرىٰ ﴿عند سدرة المنتهىٰ﴾ حضرة ذات الانتها ﴿عندها جنة المأوىٰ﴾ حيث مقام السرا ﴿إذ يغشىٰ السدرة ما يغشىٰ﴾ عند صلاة الظهر والعشا ﴿ما زاغ البصر وما طغىٰ﴾ لأنه في خط الاستوا .

جعلنا الله وإيّاكم ممن عرج به إلى الملأ الأعلىٰ ، وهيئت لقدومه الحضرات العلىٰ .

---

(١) الأولىٰ بفتح الميم جمع مشهد ، والثانية بضم الميم من الشاهدة ، وما بين القوسين ليس في المطبوعة .

(٢) بالراء المكسورة المشددة ، وحذف الياء الأخيرة لأنها «الربىٰ» .

(٣) في المطبوعة: «ترجمان الاستوا إليه المستوىٰ» .

(٤) في المطبوعة: «لما استقل» .

الباب السابع والثلاثون

في معرفة أسرار الركوع ، وما يختص به من التسبيح

ركعنا نريد علم برزخ ذاتنا وتجري لنا البحرين : أنك قادر
فإن دخل البحر الفرات على الذي خلقت[1] أجاجاً فالمفضل قاهر
إذا عاينت أبصارنا سر فضله تعبدنا اسم للمهيمن فاطر
فسبح بالتعظيم والحمد لفظنا وأنت لمعناه الحكيم المؤازر

نزل للروح، وقال: هذا قد تجلى العظيم في عظمته، لوجود كلمته، لما وقفت في برزخ الوقفة ، الذي هو واسطة العقد ، والمقام الذي يلي اتحاد الفرد (بالفرد)[2] ، وسنبين ذلك لمن وجده ، عند قوله : سمع الله لمن حمده . كل من دون الموجود الأول المطلق ، وفوق الموجود الآخر المقيد فموجود برزخي محقق ، وخذه حيث شئت ، فإنك تجده كذلك ، وإذا وقفت على هذه الحقيقة ، فأنت لجميع مفاتيح الغيب مالك فأعرف قدر مقامك وإن كان بهيمياً ، من حيث مقابلتك الأفق ، فلا تجزع ، فالمحقق من يركب طبقاً عن طبق ، وعظم من بناحية وتراً أو عشراً ترتفع بذلك عنده قدراً ، وليكن ذلك من حضرة التنزيه التي هي على الحقيقة حضرة التنبيه ، فإن السبح هو الميزة لا المسبح[3] وهذا مفتاح قفل من قال من العارفين ـ سبحاني[4] فمن شاء فليفتح ، فإنه سيلوح له

(١) في المطبوعة : «جملت» .

(٢) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٣) الأولى بكسر الباء ، والثانية بفتحها مع التشديد في الاثنين .

(٤) لأنه في مقام الفناء .

الوجه الأغر الأصبح .

فهذا من بعض أسرار الركوع ، إذا صبحه شيء من الخضوع والخشوع .

جعلنا الله وإيّاكم ممّن أطمأن في ركوعه ، وان لغلبة الوارد في خشوعه وخضوعه ، آمين .

الباب الثامن والثلاثون

في معرفة أسرار الرفع من الركوع، وما يقال فيه

قلت إذا صحت عزيمتنا ... وأتى العبد بمن عبده
نائباً عن وصف موجده ... سمع الله لمن حمده
يا مقاماً أرى بدلاً ... منه في القلب لمن وجده
يا سنا لاح لأعيننا ... نعم[1] الطرف الذي شهده

نزل الروح (الأمين)[2] وقال : لما صحت العزائم اتحدت الذوات في الكامات ، ولما ظهرت المعالم نابت[3] عن القديم : الصفات المحدثات على - القائم[4] على النفوس باكتسابها[5] - وفرح العالم باستنادها إليه وانتسابها ، فلما أثبت سمعه السميع : حمده العبد المطيع .

وقال :

إذا صحت عزائمنا اتحدنا ... وبنا بالصفات المحدثات
عن الذات المقدسة التي لم ... يدنسها العيون بالإلتفات

---

(١) بفتح النون وكسر العين وفتح الميم .

(٢) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٣) في المطبوعة : «بانت» .

(٤) في المطبوعة: «تجلى» .

(٥) في قوله تعالى : ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ من سورة الرعد ؛ الآية : ٣٣ .

وقـد قـال الإلـه على لسـانـي		سمعنـا منك حمد الحـامـدات
وجـاءتنـا بـه رسـل العـوالـي		على متن السـواري السـادحـات

فنادى بربوبيته إلهية لثبوتها ، وصرح على لسان عبده بإجمال نعوبها ، فإن التفصيل يقيده بحضرة ما ، ولا يقع في ذلك إلا من هو عن الحقائق أعمىٰ ، فإن زاد على هذا الإجمالي القرار بالمنع والعطاء للمعطي والمانع وأثبت الربح والخسران ، والمضار والمنافع ، للضار النافع ، فقد استكمل قيامه وثبت مقامه .

جعلنا الله وإيّاكم ممن صح عزمه فاتحد ، ثم بان لـه محال[1] الاتحاد : فتوحد .

---

(١) أي ظهر له أن الإتحاد : محال ، فتوجد : في القاموس : ..... وجوداً ، ووحدا ، ووحدة ، وحدة: بقي مفرداً «كتوحد» . وقوله «فاتحد» : المقصود منه أنه أحب ما يحب الله ، ولذلك نفي المعنىٰ السيء بقوله بعد «ثم بان له محال الإتحاد» .

الباب التاسع والثلاثون

في معرفة أسرار الهوى إلى السجود إن شاء الله

هويت من القيام إلى السجود   هوى الروح من فلك البهاء
نزلت أريد ما تعطيه ذاتي   نزول الحق لي من الإستواء(١)
فحقق يا أخي نظراً إلى من   أتى في الصورتين بلا امتراء
فأني عبد : يبدو كمالي   إلى قلبي : أقول بلا مراء :
أنا رب الاسافل والأعالي   وسر العالمين على السواء
فلي يوم العروبة والثلاثات   ولي يوم الخميس والأربعاء
ولي الأثنين والسبت المعلىٰ   ولي الأحد المحكم في ذكاء
فتدبير المعادن من وجودي   كتدبير الكواكب في السماء

نزل الروح : وقال : نزل الحق الرباني إلى السماء الدنيا : شاهداً(٢) لطالب الدرجة العليا ، فقبل الحصول في سمائها ، وبعد مفارقة استوائها ، وهي في حالة «الشبر» والذراع والهرولة الواردة في الأخبار(٣) مجملة غير مفصلة ، وقصد العبد

---

(١) بالتجلي ، قال (ص) : «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» والمنزل : شدة القرب .

(٢) في المطبوعة : «مساعداً» .

(٣) إشارة حديث «من تقدم إلي شبراً تقدّمت إليه ذراعاً» الذي رواه : أحمد والترمذي وابن ماجه ، وهو حديث متفق عليه من البخاري ومسلم ونصه من الفتح الكبير : «يقول الله تعالىٰ» : أنا عند ظن عبد لي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وأن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم ، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» .

في أي حالة كان يفصلها ، وعند ذلك يحصلها ، فإن التجلي له صور معقولة ، ووجوه مجهولة ، وفي مقابلتها منك صورة معلومة ، ووجوه غير مرسومة ، لكنها مرسومة ، فبالصورة التي تخرج إليه[1] فيها أطلب ثجليه إليك ، فإن يمثلها منه تنزل الرقيقة الإلهية في تجليها عليك ، فتحفظ[2] من هذا المقام ، ومن استحكام سلطان الأوهام .

وأعلم أن في هويك علاؤك ، كما أن في أرضك سماؤك ، واعرف أنها حالة هوائية لطيفة ، سريعة الذهاب خفيفة ، كذلك تحليها سريع الزوال ، وشيك الإنتقال ، وهي شبيه بالأحوال ، ليس لها قدم ، فتطلب رسوخها ، ولا هي حضرة فتبقى[3] شموخها .

هي حالة وردية ـ سيالة ـ كالدهان[4] ـ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ .

جعلنا الله وإياكم ممن نزل من سدرته إلى دحييته[5] ، فعلم جزئيته من كليته[6] آمين .

---

(١) في المطبوعة: «إليها» .

(٢) تحفظ بمعنى : احترس وادخل برفق ولا تتجزأ . والله تعالى أعلم .

(٣) في المطبوعة: «فتتبع من شموخها» .

(٤) لأن سيدنا جبريل (ع) : يكون عند سدرة المنتهى على خلقته الأصلية ، وإذا نزل إلى النبي (ص) : كان على صورة سيدنا دحية (رضي الله عنه) ، وهو هو جبريل (عليه الصلاة والسلام) : لم ينقص .

(٥) الدهان : الأديم الأحمر .

(٦) الجزئية الصورة ، والكلية الأصيل .

الباب الموفي أربعين
في معرفة أسرار السجود وما يختص
به من : التسبيح والدعاء

وقوله جلّ شأنه : ﴿واسجد واقترب﴾ ولم يقل تقترب ، وسبب عصمة الإنسان في سجوده من الشيطان :

تفطن لوتر في الركوع محقق		وشفع سجود : إن ذا لعجب
لأنك في حال الركوع معبد		وأنت بحالات السجود قريب
وسبح بتسبيح العلو وحمده		فإنك للسر العجيب مصيب

نزل الروح «الأمين» وقال حصل المتجلي في ثلث ليلة في سمائه ، وصرح بما يليق بالوقت من أنبائه ، وقد أمرك أن تنزل نزوله ، وتحقق فصوله ، ودعاك إلى الاقتراب الاسم «القريب»[1] فإنك المحب ليس الحبيب ، ولهذا قال لك ﴿اقترب﴾ ولو كنت محبوبا لقال لك «تقرب فإذا لاحت عبوديتك» في سجودك ، وصحت لك القربة من معبودك ، وتحققت كبرياه فيها ، وقلت عند ذلك توفيها : غلطت وأصبت ، واحطت وخبت ، فانظر في علوه ونزاهته وسموه[2] وسبحه على مقدار ما ظهر ، كما شرع وأمر ، يبدو لك في هذا الخضوع ما بدا لك في الركوع ، من إعادة التنزيه إليك ورده عليك[3] ، فاجتهد في الدعاء ، مع

(١) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٢) في المطبوعة : «في سموه» .

(٣) لأنك إذا نزهت ربك : عادت أنوار التنزيه عليك .

أن قبله في السمـاء ، وقبلتـك في سجـودك في الأرض ، محـل الإنحـطاط والخفض .

لا تجزع أيها الساجد ، فـإنك لفخـذ نقطة الـدائرة : المشـاهد ، وهـو الغيب الحقيقي ، والإلـه الخـالقي[1] ، فمكن كفيـك من لتـراب ، فـإنـك في محـل القرب ، فتفطن لما رمزناه ، وفك المعمى الذي لغزناه .

وأعلم[2] أنك معصوم في سجـودك من الشيطان فـإنه قهـار فليس له[3] عليـك فيه سلطان ، إذا عاين هـذه الحالـة اشتغل بنفسـه ، واحترق في برج نحسـه ، وصار شـاهداً لـك عند ربـك بالـطاعة ، ومشـاهداً لمـا يؤول إليه من الخسـران يـوم قيـام الساعة .

ويكفيك يا أخي هذا القدر في سجودك ، فإن حجابك في استمرار جودك .

جعلنـا الله سبحانـه ممن سجد فـوجد ، وتـوجد ، وتـوجد فتمجـد[4] بمنـه : وكرمه : لا رب غيره ، آمين .

---

(١) الخالقي : أي الذي هو خالقي ، لأنها في أصل اللغة «الخالق لي» .
(٢) الضمير هنا راجع لمن رأيت ساجد له ، وهو الله تعالى .
(٣) الضمير في «له» راجع إلى الشيطان .
(٤) في المطبوعة : «وتهجد فتمجد» .

الباب الحادي والأربعون

في معرفة أسرار الرفع من السجود إن شاء الله

رفعنا للتستر والهداية وجبر لانكسار في البداية
وعافية وعفو عن ذنوب وتحصيل لما فيه الكفاية
فإن جهل الفقيه سبيل قولي أقول له : كذا أتت الرواية
فإن حقيقة الكشف المجلي بتحصيل لتعمل الولاية
وتحصيل التكون عن وجودي بجودي في البداية والنهاية
فذات الشخص جامعة المعاني
وسر الملقيات أمور سعدي وسر الغاويات مع الغواية

نزل الروح على القلب وقال : تنفس الصبح فرحل المتجلي عن سمائه ، إلى حضرة استوائه(١) ، فعاين احتراق(٢) الأفلاك ، وقيام الأملاك . واعتزاز الملأ الأعلىٰ وما حصلت من الحسن والوضائة الراتب العلي ، والحجاب بين يديه مصطفون ، والروحانيات عليه ملتفون ، وحجابة سبعة أعلام ، لهم قضايا في العالم وأحكام ، يقدمهم : الغفار ، ثم الراحم ، ثم الهادي ، ثم الرازق ، ثم الجبار ، ثم المعافى ، ثم العفو ، والله من ورائهم محيط : قياماً أمام عالم جسمانيتك ، ثم في روحانيتك إذا أرادوا تحصيل العلم الأنزل ، وهذا مثاله

---

(١) المقصود به : النهار ، لقوله تعالى : ﴿والنهار إذا تجلى﴾ ومقصود (رحمه الله) ـ فيما نعلم ـ أن النهار رحل من مكانه المقدر له في غيب الله إلى حضرة ظهوره ووضوحه ، بعد أن كان خفياً .

(٢) في المطبوعة : «اختراق» .

(١)

فهم يمشـون بين يديـه ، فوقـع منهم التفات إلى علم الكـائنات ، فقـال لهم : إلى من تلتفـون وإلى من تنـظرون : فيقـولـون : طـائفـة سن عبـادك رفعـوا رؤوسهم من سجودهم إليك ، وسـألونـا أن نهبهم ما هـو خلقه مـوقوف عليـك ، فيقول : أدفعـوا إليهم مـا سألـوه ، مما جعلتكم خـزنـة عليـه ، ومحبـوسين لـديـه ، فـإن بـه يـظهـر سلطانكم ويعلو شـأنكم ، وقد وكلتكم وجميـع الخزنـة على حفظ العالم وكـلائته ، وصـونـه وحمـايتـه ، والأمـر فيـه لمن سبق منكم ، فـإن الـوقت للسـابق ، ويتـأخـر اللاحق .

ثم نظر بنفسه إلى السـائلين ، وتطلع إلى الـداعين الراغبين ، فعنـدما أبصـرته الأرواح المسجونة في أقفاصها ، والواقفة في منـاصها ، بـادرت إلى السجود الثـاني لتجليه ، ومرغت وجهها في التراب لتدليه ، وأثبت بهذا السجد الثـاني ما حصـل له من الحقـائق ، حين في (نقيض)[٢] هذه الحالة من السبـع المثـاني ، فـأرسـل إليهم خزنة السمـاء ، فأخذوا بنواصيهم من السمـاء ، وأجلسـوهـم في بسـاط حضرة مضـاهاه الاستواء .

فهـذا بعض مـا في الـرفـع من السجـود من الأسـرار ، ومـا يتجلى فيهـا من الأنوار .

جعلنـا الله وإيّـاكم ممن عـرف الحجـاب والحجـاب[٣] ، ولازم البـاب ، لتحصيل لب الألباب (آمين)[٤] .

---

(١) في هامش الاصل الذي نقلنا منه هذه العبارة ، (كذا بياض في الأصل) .

(٢ ، ٤) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٣) الأولى بكسر الحاء ، وفتح الجيم المخففة ، والثانية بضم الحاء وفتح الجيم المشددة .

الباب الثاني والأربعون

في معرفة أسرار الجلوس في الصلاة : إن شاء الله تعالى

جلسنا في الصلاة عسىٰ نراكم	على العرش المحاط بالاستواء
يخاطبني جلالك : يا عبيدي[1]	أنا في الأرض عندك والسماء
فما لك طالب عرشاً محيطاً	بسيطاً في ذرى أوج العلاء
وقلبك قد نزلت بغير حد	إليه عند خاتمة السواء
فنعتك بي إذا ما كنت عندي	صحيح في الغناء وفي البغاء

نزل الروح (على القلب) : وقال أيها المضاهي والمباهي هذا العرش قد استوىٰ برحمانه ، ، وظهر المستوىٰ عليه بإنسانه ، وثبت الملك واستقر ، ودام الانفعال واستمر ، وما بقي حجاب على درك هذه الحقائق ، وتحصيل هذه الرقائق : إلاّ حجاب واحد ، وهو : مزج هذا العالم المحسوس المشاهد وإذا وقع الإنفصال ، وزال الإتصال ، وجليت[2]صور البرازخ ، وبان المقام الشامخ للعالم الراسخ : حينئذ تجلت الحقائق ، وعوينت وبان كيفية امتداد الرقائق بالحقائق من الخلائق ، وأدركت ما غاب عنك من الأسرار في اعتمادك على اليسار ، ويأن لك عموم نشأتك بتنوع هيئتك .

جعلنا الله وايّاكم ممّن أستوىٰ به سريره ، وأشرقت بالرؤية الإلهية أساريره

(١) مفعول لفعل محذوف تقديره : قال :

(٢) في المطبوعة : «وجلبت» .

الباب الثالث والأربعون

في معرفة أسرار التشهد في الصلاة : إن شاء الله

إن السعادة سر في التحيات — الكائنات اللواتي في المناجاة
ثم السلام على الرسول[1] مرشدنا — ثم السلام علينا بالكنايات
ثم السلام على السادات أجمعهم — الكائنين هنا أو في السموات
ثم الشهادة بالتوحيد مطلقة — فرض علينا جميعاً والرسالات
فانظر سرائها تأتي على قدر — على القلوب بألطاف الإشارات

نزل الروح (على القلب) وقال أنت قد دخلت حضرة الاستواء ، وتعاليت عن حكم الأرض والسماء ، فحي من ضاهيت ، وسلم على من تولاك حين توليت ، وزك وبارك وطيب وأوجز في الخطاب ، وقرّب تلح لك أنفاس الأنوار ، وتزكو أفعالك قبل إلقائها عصار التسيار ، وتظهر البركة في عموم الحركة . سلّم على من أرشدك فيه[2] من أنت بأن يديه أسعدك ، مقراً بثباته بحرف ندائه ، ثم سلّم تحية من عند الله مباركة طيبة على نفسك ، وعلى أبناء جنسك فإن السلام هناك مولاك : حضرة السلام وحضرت الإسلام[3] مجلاك وأقر بوحدانية الأحد ، وأنت الشريك والولد ، ولا بد لك أن تغيب هناك ، فإن في غيبتك تحصيل مناك .

(١) في المطبوعة : «على المبعوث» .

(٢) في المطبوعة : «من أرشدك وبه من أنت» .

(٣) ما بين القوسين من المطبوعة .

وأشهد للرسول بالخلة والمحبة ، فهي أعلىٰ درجات القربة ، وأثبت له الرسالة العامة الظاهرة ، سيادته يوم الطامة ، وأضفه إلى الله لا إلى غيره ، فإن في ذلك جوامع خيره ، فإذا تجلى القاضي والمفتي على منبره : ذي الخمس الدرجات ، فناده يا عائذ أعذني من هذا المفتي مما يقابل هذه الدرجات من الدركات ، فإن تجلى لك في المنبر ذي السبع الدرجات ، فزد[1] الإستعاذة من المآثم والديون ، فإن رانها أقبح ما يطلع على القلب من الريون .

جعلنا الله واياكم ممن نجا من جحيم دركاته ، حين لجأ إلى نعيم درجاته .

---

(١) في المطبوعة : «فردد» .

الباب الرابع والأربعون

في معرفة أسرار السلام من الصلاة

سلام عليكم أهل بيتي ومسكني فقد جئتكم بالخير عند مسكني
سلام على اسم قد دعاني لحكمه لسلطانه فارتاح سر ممكن
سلام انفصال واتصال[1] بمشهد وعن مشهد أفناه عز تمكني
سلام عليه ، ثم منه سلام به لا بنفسي : لو عرفت تلكني[2]
سلام على ما لاح من حركاتنا علينا فهل يوماً يراني ممكن

نزل الروح وقال : إن أردت أيها المصلي أن يقبل كلامك ، ويتلقى بالترحيب سلامك ، فلا تدخل إلى مصلاك حتى تعرف من تولاك ، وغت من أهلك ودكانك ، وعمارك وسكانك ، فإذا فرغت من الأكوان ، فانصب ذاتك لمشاهدة الرحمن ، و﴿إلى ربك فارغب﴾ في الدوام إن أردت أن تفوز بلذة السلام .

وأعلم أن المسلم في صلاته : رجلان لهما طريقان ، فإن كانا في شخص واحد فقد جمعت له الحقيقتان ، فالعالي من سلّم لكونه انفصل عن أمر ما إلى أمر ما إلى اسم ما من اسم آخر[3] ، فيكون سلام توديع وإقبال : أما من جليل إلى

(١) في المطبوعة : «سلام اتصال وانفصال» .

(٢) في المصباح : ويُقال الألكن : الذي لا يفصح «العربية» وقوله تلكني : يفيد أنه مصطنع لكنة وليس هو بألكن ، ولكن من باب التعمية ، كما هو دأبه في هذا الكتاب بالذات .

(٣) في المطبوعة : «فالعالي من سلم لكونه أنفصل من أمر ما ، إلى أمر ما ، إلى اسم ما عن آخر» .

جـلال ، أو من جميـل إلى جمـال ، والـدون من سلم على الـرحمن ، وعلى الأكـوان ، فسلام على الـرحمن لانفصالـه ، وسـلام على الأكـوان لـرجـوعـه إليهم واتصـالـه ، ولهـذا لا يسلم المصلّي على يسـاره إلاّ إذا جـاوره مثله ، فيظهـر فيـه ظله ، ومن خرج عن هاتين الحقيقتين لم يصـح سلامـه ، ولا قبل كـلامه ، فـإنه لم يكن عنـد الحق فيفصـل عنـه بسـلام ، ولم يغب عن الكـون فيسلم عليـه عنـد الإلمـام ، وهذه صلاة العـوام : بـريـة عن الكمـال والتمـام ، ليس لهـا انـتظام ولا إلتحام .

جعلنـا الله وإيـاكم ممن سلم على اسم (من اسم)[1] ويحكم في حـكم مـن حكم .

---

(١) ما بين القوسين من المطبوعة .

البـاب الخامس والأربعون

في معرفة أسرار سبب السهو والسجود له

ولمـا سهـونـا عن منـاجـاة ربنـا وثـار علينـا ثـائـر الـغـفـلات
تثلم[1] عـرش القـرب منـا فبـادرت محـاجـرنـا[2] تنصب بـالعبـرات
فشـرع مـولانـا السجـود لسهـونـا فحـار اللعين الرجس بـالحسـرات
وكـان لذاك الكسـر بـالفعـل جـابـراً إلـهي ، وأخـفـاه عن الـخـطرات
فعـاد صحيحاً محكم الفعـل قـائمـاً قـوي الـمبـانـي دائم الـلحـظات

نـزل الـروح الأمين على القلب ، وقـال : إذا التفت المصلي إلى[3] نفس صلاته إلى غيـر من يناجيـه ببعض حركـاته ، فقـد ظهر نهـوه[4] وثبت سهوه ، فنـظر إليه من ناجـاه فناداه ، لم زلت عني أنتـظر إلى من خو خيـر مني ؟ فيحن القلب في عـالم الغيب ، وإن لم يشعر بـه المصلّي ، إلى ذلك الخـطاب من ذلك المتجلي ، فيسجـد له إجـلالاً وتعظيمـاً ، فيلقى ـ رؤوفاً رحيماً ـ فيجبر لـه إلتفاتـه ، فتكمـل صلاته ، فيسمى هذا السجود إرغاماً للشيـطان ، ومرضـاة للرحمن ، ولهذا لم يجبـر سهو الصلاة بعد السجود ، لأنه يحزن المطرود ، فأفهم هـذه الإشارة ، فـإنها سنيـة المحتـد ، عزيـة المشهد ، وكـل يسهو على قـدره فمصـل مـع شمسـه ومصـل مـع

---

(١) أصابته ثلمة .

(٢) قال في المصباح : وقال بعض العرب : هو ما دار بالعين من جميع الجوانب .

(٣) في المطبوعة : «في» .

(٤) في المطبوعة: «زهوه» .

بدره[١] ، وتكفيك هذه اللمحة الافقية ، لهذه النية .

جعلنا الله وإيّاكم ممن لم يزه : فلم يسه ، ولم يبعد : فلم يسجد[٢] آمين .

---

(١) في المطبوعة: «فمصل على شمسه ، ومصل على بدره» .

(٢) يعني للسهـو .

الباب السادس والأربعون

في اختصاص الامام بيوم الأحد وما يظهر فيه من الانفعالات

سلام على اليوم السعيد المعظم ... وسلطان أيام الوجود المنظم
تصدى له قلب الوجود من أفقه ... فعلمه من كل سر مكتم[1]
هو الأحد المختار : أول موجد ... به البنية العليا : دون التهدم
تسمى بنعت الحق[2] من دون غيره ... من أمثاله ، فاختصه بالتقدم
به سرت الأرواح في كل مسلك ... فيدعى لها قطب الندى والتكرم
تصدى له قطب[3] الوجود من أفقه ... فعلمه من كل سر مكتم
فأحيا به الأرواح في ملكوتها ... وأحيى به أهل اللظى والتجسم
وناطت به الأفراح[4] منه فلا يرى ... بمشهده أهل الأسى والتذرم[5]

خرجت - أبقاكم الله ووقاكم - من روحانية اسم كريم من الأسماء إلى اسم آخر ليصعد بي إلى السماء ، فعندما تجردت[6] عن هذه السدفة[7] الترابية : لاحت لنا أعلام المشاهد الغيبية ، فركبنا الجادة[8] ، وسألنا المادة ، واستعذنا من

---

(١) هذا البيت من المطبوعة ، وهو منقول من نسخة دار الكتب ، ومكتبة طلعت .

(٢) في المطبوعة : «بوصف الله» .

(٣) في المطبوعة : «قلب الوجود» .

(٤) في المطبوعة : «الأرواح» .

(٥) في المطبوعة : «التندم» .

(٦) في المطبوعة : «تحيرت» .

(٧) السدفة : الظلمة .

(٨) معظم الطريق : وجمعها جواد .

وعثاء السفر وكآبة المنقلب ، وروعة الحذر ، وقطعناها علماً علماً[1] واتخذناها لمعراجنا سلّماً حتى وصلنا السماء المتوسطة ، والحضرة العادلة المقسطة سماء النبي أبي العلا والمهاة[2] - وهما أسنىٰ الآباء والأمهات في ايجاد الحياة ، فلما وصلنا هذه السماء المطلوبة واستأذن لنا حاجب الحكمة المحبوبة ، فأذن السيد فدخلنا ، وقام لقدومنا فقعدنا ، وقال : من أين جاء الركب المحفوظ المصان الملحوظ .

فقلنا : من بلد الجسد الغريب .

فقال : مرحباً بالزائرين من بلد الحبيب ، ما أحسنها من مدينة حصينة ، قامت أركانها على التربيع ، وجعل سلطانها من العالم البديع ، وهذا العالم على جنسين : رفيع[3] ونازل ، وهذا السلطان من الجنس الرفع ، وقامت بها الصفات الإلهية ، فدعيت بالحي العالم المريد القادر ، المتكلم البصير السميع ، وأحكمت بتسع قوى مرصعة : غازية ، ونامية ، ومصورة ، وناطقة ، وعاقلة ، وحافظة ، ومفكرة ، ومتخيلة ، ومحسة ، فجاءت حسنة الترصيع ، واتقت بقوة تجذب المنافع ، وقوة تمسكها ، وقوة تهضم ما حصل في المعدة ، خوفاً من المضار ، وقوة تدفعها .

وشرح ترتيب هذه المدينة يطول ، لكثرة ما فيها من الفصول ، لكنها جمعت حقائق المحدثات ، وبعض حقائق الإلهيات ، ما خلق الله خلقاً أشرف منها ، ولا أخذت حكم عن أحد مثل ما أخذت عنها[4] ، أوتيت جوامع الكلم ، وأودعت فنون الحكم ، يا طول شوقي إليها ، ويا حسرتي عليها ، ما أشتهي قيام الساعة إلّا لردى إليها ونزولي عليها ، هي مدينة لا يعرف قدرها إلّا من عرف سر القدر ، ولهذا جهلها أرباب الفكر ، هي بوطيقي الحكمة ، وموسيقي النغمة ، وبرزخ النور والظلمة ، لازالت أطباقها سافرة ، وأطباقها دائرة ، فخدم الجلساء الحجاب ، وسجدوا لظل الحجاب ، ثم رفعوا وأصاخوا واقنعوا وعاد إلى الكلام : السيد الإمام والنسابة العلام ، وقال : هل عرفتم أن هذا المحل الاسنىٰ ، لا

---

(١) العلم : العلامة ، وهو أيضاً : الجبل .

(٢) المهارة : البلورة .

(٣) رفيع ، بمعنىٰ مرتفع . وهو ضد النازل .

(٤) في المطبوعة : «ولا أحدث حكم عن أحد مثل ما أحدث عنها» .

يجوز عليه التكليف ، ولا يتحكم عليه لطيف ولا كثيف ، أين المفصح عنا ببعض ما نحن عليه ؟ والمترجم عنا بما قدرنا لديه ، فرفع لنا بيت من الذهب الأحمر ، قد فيق بالمسك وجمر بالعنبر ، ونصب فيه منبر من الياقوت الأحمر ، وخرج الترجمان وعلى رأسه تاج من اللؤلؤ والجوهر ، وقد حفت به أقاويل الملأ الأعلىٰ ، وروحانيات السماوات العلى ، بما بقي روح إلاّ حضر ، ولا ملك محجب إلاّ ظهر ، وسطع الشعاع ، وعمر القاع واليفاع[1] ، وسرت الضياءات وأشرقت الأنوار ، وازدانت السموات ، وظهر سلطان الإستواءات ، وتعالىٰ العلا[2] وقام البناء وخلص الولاء وتمكن الصفاء ، وعظم الأشراف وتلألأت الآفاق ، وتبخرت الجداول[3] وأخذ في مراتبها الأقاول[4] وصعد الخطيب المصقع منبره ، وحمى أثره[5] وإذا به معتدل النشأة ، حسن الهيئة ، وضاع الجبين ، أشم العرنين ، سبط البنان ، ذرب اللسان ، من أهل الدين ، وداره بعليين ، في أحسن تقويم ، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، مستنير الوجه الأغر ، كأنما فقيء حب الرمان في خده فاحمر ، فسلم ولم يشر ببيانه ، وضرب بلسانه أرين أنفه ، وأداره في شدقيه ـ ثم شرع في بيانه ، فقال :

«الحمد لله الذي «كان ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه[6] كان» ثم أبدع العالم واخترعه ، ولم يرجع إليه أثر من خلقه الكيان ، أوجد ما علم من ذاته لا من شيء ، وأخرجها من غير ستر[7] كانت فيه ولا خبء ، وكان موصوفاً بالوجود قبل كل موجود ، ولا قبل إلاّ من حيث العبارة ، ولا كان إلاّ من الإشارة ، والمنهج القويم في معرفة إرتباط المحدث بالقديم ، فليس بينهما بينية ولا قبلية ، إذ القبل مخلوق إضافي ، وامتداد زماني ، ولو تحققتم مراتب الموجودات لاستحال عندكم وجود الأزمان ، والتقدم بالمكان وقضيتم فيها بالإحالة بعد

---

(١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض ، وفي المطبوعة : «البقاع» .

(٢) «العلا» بضم العين .

(٣) أي صارت الجداول بحاراً .

(٤) في المطبوعة : «وأخذت مراتبها الأقاول» .

وفي الأصل «الأماثل ، بدل الأقاول» .

(٥) الأثر ـ بسكون الثاء ـ ، حد السيف ، وهو هنا يشبه كلام الخطيب بالسيف إذا عمل في رقاب العدو .

(٦) هذا نص حديث صحيح .

(٧) في المطبوعة : «من غير شيء» .

الإمكان ، فمن ثبت قدمة أستحال عليه صيغ الأزمان[1] والإشارة بصيغ المكان ، إلا من طريق المجاز ، لا على الجواز ، لما في عالم العبارة من العجز والقصور ، وفي ذلك المقام من العلو والأعزاز ، فيطلقها عليه للعقول المعقولة بأفكارها ، ليجوز[2] منها إلى إدراك المعاني المقدسة الموصلة[3] في فطرها المؤسسة ، ولولا الإمداد لهذه العقول المتعطشة لمعرفة بارئها : الحائرة ، ما أحتجنا إلى استعمال هذه العبارات القاصرة ، فله الصفات العلي ، والأسماء الحسنىٰ ، والنبأ الأسنىٰ ، وحجاب العزة الحمى تجلىٰ اسمه الحي فحييت به الموجودات ، والقيوم فقامت به الأرض والسموات ، ومن فيهن من عوالم البقاء والاستحالات ، فعنت لحياته الوجوه ، وسجدت لقيوميته الجباه ، واقنعت لعظمته الرؤوس ، وتحركت بذكره الشفاه ، وحبا سيدنا هذا بفنون المعارف والأسرار ، ومنحه جزيل العوارف في مطالع الأنوار ، فأداره مع الأفلاك ، واسرىٰ به مع الأملاك ، فوقف على الآثار الفلكية ، وتحقق بأسرار اللطائف الملكية ، وخاطب كل روحانية بلغتها ، فعرفته بمكان حكمتها ، فلما حل في أوج العلا نزل في خط الاستوا ، خوفاً أن ينحرف إلى أحد الميلين ، فتذهب بعض معارفه ، وتستحيل إلى الكثافة بعض لطائفه ، وعلم ما يكون من طمو البحور ، فأودع الحكم في الصخور ، ثم عاد إلى مرقاه الأوسط ، وحل منه في الوسط ، وهو مقامكم هذا الذي أنتم به قاطنون ، وعنه عند إنقضاء كلامنا راحلون.

ثم لما وصل محفوظ الجوانب ملحوظ المآرب ، نكح المهاة ، وامهرها الحياة ، فسرت منها في زوايا وجود الكون ، وتخللت مسالك كل عين ، وقام ميزان العدل في قبة الفضل ، وزالت البغضاء وارتفعت الشحناء ، وظهر سلطانه في القلوب ، بانتصاصات الغيوب ، لا زال مجده سنياً ، ومكانه علياً ، ثم نزل فقلت يا أبا العلا لم أختصصت بالقلب ؟ فقال : لكونه الحضرة التي وسعت جلال الله[4] ، الموضوعة على صورة القلب ، قلت ولم اختص بها سر المهاة ، فقال : لكونه معدن الحياة ، وسيبدو لك في روحانية كل سماء ما يقابله منك من

---

(١) في المطبوعة : «فمن ثبت قدمه ، واستحال عليه اطلاق صيغ الأزمان» .

(٢) في المطبوعة : « لتجوز» .

(٣) في المطبوعة : «الموصولة» .

(٤) في المطبوعة : «الرب» .

القوى أو الأعضاء ، فقلت له : أريد أن توقفني مشاهدة عين على تأثيراتك في قلوب العارفين ولعلماء والمريدين من عالم الكون وما تعطيه أفلاكك ، وما تهبه أملاكك ، فأشار إلى بعض جلسائه وأكرم خدمائه ، وقال : أخترق به الدور المربع وأشرق به على الكور المسبع ، فإذا حصل مفاتيح الخزائن ، وموازين المعادن ، رده إلي ، وأحضره بين يدي ، فاخترق بي تسعين فلكاً ، فرأيت مع كل فلك ملكاً ، يرجع (أمر) هؤلاء الأملاك إلى ثلاثة أملاك : الملك الواحد موكل بالحليل ، والملك الآخر موكل بالموت ، والملك الآخر موكل بالأنفاس ، ومدة تدبيرهم في العالم ثلاثة وثلاثون ألف سنة ، وتدبيراتهم شريفة حسنة ، بين أيديهم سبعة أملاك على صور[1] المردان ، كأنهم قضبان خيزران ، لهم انثناء وانعطاف ، وبركات وألطاف ، لانبات بعوارضهم ، ولا تأخر عندهم في أداء فرائضهم ، وأعراضهم طيبة الروائح ، بأيديهم الطوابع والمفاتح ، قد شمروا أذيالهم ، وقصروا أردانهم ، وثبتوا مكانهم ، علامون بما يراد منهم ، محكمون لما يصدر عنهم ، منهم خمسة لهم حركة واحدة ، وأثنان لهم حركتان ، واثنان منهم بين يدي ملك التحليل ، وأثنان منهم بين يدي ملك الأنفاس ، وواحد منهم بين يدي ملك الموت ، ما عندهم علم بغير ما هو سلطانهم عليه .

وأما الأثنان فالواحد منهم له علم التحليل والموت ، والآخر له علم الأنفاس والموت ، فلملك الموت تصريفهما معاً ، ولملك التحليل تصريف الواحد منهما ، ولملك الأنفاس تصريف الآخر ، وهم على درجات معتدلة متساوية في العدد والقوة وأحكام الفعل ، غير أن الاثنين أعلم من الخمسة لتحصيلهم العلمين .

فلما عاينت هذه المراتب سلكت هذه المذاهب ، أشرف بي علي الكون المسبع ، وهو العرش الأكمل المعظم المكرم الأرفع فعاينت ما أحدث الله في قلوب العباد على مراتبهم في تحركات تلك الأفلاك ، وتوجهات أولائك الأملاك ، وذلك أن الله تعالىٰ عنده (هذه) الحركات الفلكية ، والتوجهات الملكية ، يجمع بين الأنوار والأسرار في موقف السوا على رقيقة من الحقيقة في العالم المعقول والمحسوس . ويسرى بين حقائق النفوس ، ويظهر معارف التأسيس ، ويكسر الأرواح أنفاس النور ، ويذهب كل باطل وزور ، ويحل على العلماء بالله وبالأحكام : المسائل المعقدة في العلوم السقيدة وغير المقيدة ، ويوضح

---

(١) في المطبوعة : «على صورة» .

المبهمات ـ ويشرح المشكلات ، وتفتح معالم الصنائع في قلوب الصناع ، ويحسن مواقع النغمات في الأسماع ، وسيل أودية المعارف في قلوب العارفين ، وتنفجر عيون العلوم في نفوس العالمين ، وتعظم أنهار الأسرار والحكم في قلوب الحكماء المحققين ، وتترادف التنزلات الغيبيات ، وترتفع الأسرار الرحموتيات ، إلى أعلىٰ فروع سدرة الانتهاءات ، ويفتح على الشيوخ المربين علوم العلل والأدوية ، ومعرفة اعتدال الأهوية النفسانية المردية وغير المردية ، ويبدو لأهل المجاهدات نتائج المجاهدات ، وتعطي ما فيها بالقوة من الكائنات المستحسنات ، فطائفة منهم تنعم بالمشاهدات الذوقية ، وطائفة منهم تنعم بمشاهدات الانفاس والروائح العطرية ، وفي الخضر تجتمع هذه المقامات ، وعليه تبدو هذه البركات ، وفي هذه التوجهات والحركات تنفخ أرواح المعاني في قلوب أهل البدايات ! وترضع أطفال المريدين ثدي أوائل التجليات ، وينتشر عالم الصعود ويقلب أحوال البقاء ، وتتشوق همم العارفين إلى الوصال ، وتتسابق العباد بالأعمال والمريدون بالأحوال ، ويفني ما يضاد البقاء ، ويموت ما يقابل الحياة ، وينمحي ما يناقض الإثبات .

فهذا ذكر بعض ما عاينت في الكور من تأثير النمط الأول من هذا الدور .

ثم ردني إلى النمط الثاني من هذا الدور ـ فقطع بي تسعين فلكاً ، أبصرت أيضاً مع كل فلك ملكاً ، يرجع أمرهم إلى ثلاثة أمرك ، الملك الأول موكل بالحياة ، والملك الآخر موكل بالتركيب ، والملك الأخر موكل بالفناء ، ومدة تدبيرهم في العالم أربعة ، وعشرون ألف سنة ، بين أيديهم سبعة أملاك مقتبلوا الشباب ، كأنهم أبناء خمسة وعشرين سنة ، معصومون في أغراضهم ، أقوياء في انتهاضهم ، أشداء على التصريف ، علماء بحدود التعديل والتحريف ، وحالهم مع الثلاثة الأملاك كحال السبعة المتقدمين في الخدمة وترتيب الحكمة ، خمسة منهم علماء بفن واحد ، اثنان لملك الحياة وواحد لملك الترتيب ، واثنان لملك الفناء .

والاثنان : الواحد عالم بالحياة والتركيب ، والآخر عالم بالتركيب والفناء .

فلما عاينت منحاهم ، وتحققت مغزاهم أشرف بي على الكور المحبوب ، لأرىٰ تأثيراتهم في القلوب بأنواع الغيوب ، وذلك أنّ الله تعالىٰ عند هذه للحركات الفلكية ، والتوجهات الملكية ، يظهر عالم الأسرار على عالم الأنوار ، ويكون

العلم في المغرب أكثر منه في المشرق ، ويقر العارف الرباني بالسبق الإلهي المحقق ، ويتقوى سلطان الإصطلاح على أهل الأحوال والكرامات ويتمكن العلم النوري في قلوب أهل المقامات ، وطلبت الأسرار عالمها ، وسلطنت عالمها ، وأحتدت شوكتهم ، وقامت مملكتهم ، واستحكم سلطان الشهوات على عالم النفوس ، وبانت حقائق الحس والمحسوس ، وظهر الضعف في العقول ، وانقطعت مواد المعقولات واستمرت مواد المنقول ، واحترقت النفوس شوقاً إلى التجليات واستحكم سلطان الحب في نفوس المحبين حين ظهرت لهم إتصالات النهايات ، ورفعت لهم أعلام الغايات ، وتغمرت بحار المحسوسات بفنون الانفعالات ، ورضع أطفال المريدين ثدي الملقيات ، وتجلت العظمة المعظمة لأسرار الأولياء وتمكنت النشأة البشرية بما أعطيت من الأسماء الإلهية ، من تسخير الأرواح التي أسرارها في أقدامها ، والأرواح التي معارفها في جوانبها .

وهذا بعض ما عاينت في الكون من تأثير النمط الثاني من هذا الدور ، وقطعت كل نمط من هذا الدور بإقامتي فيه خمسة عشر يوماً ونصف يوم ، وست ساعات ، كل يوم منها مقدار ستة أيام ونصف من أيام الدنيا .

ثم ردني إلى النمط الثالث من هذا الدور ، فجبت تسعين فلكاً قد وكل الله مع كل فلك ملكاً يرجع أمرهم إلى ثلاثة أملاك ، الملك الواحد موكل بالنفس ، والآخر موكل بالأرواح ، والثالث موكل بالنيران ، ومدة تدبيراتهم في العالم خمسة عشر ألف سنة ، يتصرف بين أيديهم سبعة أملاك كهول ، قد كملت قواهم وتحكمت عقولهم ، وحسن تدبيرهم في التقسيم على حكم الخدماء المتقدمين في الدرجات ، والتساوي .

فلما أطلعت على سرهم ، وكشفت ما خفي على الناس من أمرهم ، نزلت إلى الكور[1] لأرى تأثيرهم المودع في ذلك الدور .

وذلك أن الله تعالى ساوى في الدقيقة بين عالم الأنوار والأسرار[2] ، وسكن فلق المشتاق ، وخمدت نيران الاشتياق ، وطرأت على القلوب التغييرات ، وقلت المعارف ، وتوقفت التنزلات ، واحتجبت المقامات المتجليات[3] وانقطعت موارد

---

(١) في المطبوعة : «إلى الكون» .

(٢) في المطبوعة : «بين عالم الأسرار وبين عالم الأنوار» .

(٣) في المطبوعة : «المتخيلات» .

علوم العلل والشفا ، وذهبت أسرارهم[١] فكان أصحابها على شفا[٢] ، ورجع العالمون عارفين[٣] بسر الانتقاص ، وحكمة المناص ، وتوفرت دواعي الاخلاص ، وحصل الواقفون في موقف السلب ، وتجلى الاسم (الحفيظ) وسمع للملأ[٤] الأعلى ، لانضغاضهم كظيظ[٥] ، وانتقلت المحبة من المحبوب إلى الحب[٦] المطلوب ، ووقفت العصمة على الخواطر والقلوب ، وأنطردت الوساوس والأبالس ، ولم يكن لعالم الأرواح قوة في التصرف إلّا الخسائس[٧] ، وظهرت أسرار الأكوان ، وما تضمنه الملوان[٨] ، واستوى الخفيف والثقيل ، والبعيد والقريب ، فهذا بعض ما عانيت في الكور[٩] من هذا النمط الثالث من هذا الدور وقطعته في خمسة عشر يوماً ونصف يوم ، وست ساعات ، كل يوم منها مقدار ستة أيام ونصف يوم من أيام الدنيا .

ثم ردني إلى النمط الرابع من هذا الدور ، فدرت مع تسعين فلكاً قد رتب الله لكل فلك ملكاً يرجع أمرهم أيضاً إلى ثلاثة أملاك الملك الواحد ، موكل بالمحو ، والملك الآخر موكل بالإرجاء ، والملك الثالث : موكل بالعلم ، ومدة تدبيراتهم[١٠] ستة آلاف سنة ، بين أيديهم سبعة أشياخ هرم لهم قوة الشباب ، يتصرفون في كل ما يؤمرون ، وحكمهم حكم من تقدم من إخوانهم في التسخير[١١] والإنفراد والاشتراك ، والمساواة وغير ذلك ، فلما فككت رمزهم[١٢] واستخرجت لغزهم: أطلعت على الكور[١٣] لأرى ما ظهر عن بسلط[١٤] هذا الدور

(١) في المطبوعة : «وذهبت أسرار الأقدام» .

(٢) شفا كل شيء : حرفه .

(٣) في المطبوعة : «ورجع العارفون عالمين» .

(٤) في المطبوعة : «وسمع في الملأ» .

(٥) صوت المتضاغطين في الزحام .

(٦) الحب : بكسر الحاء : هو المحبوب .

(٧) في المطبوعة : «في الخسائس» .

(٨) الملوان : الليل والنهار .

(٩) في المطبوعة : «في الكون» .

(١٠) في المطبوعة : «ومدة تدبيرهم» .

(١١) في المطبوعة : «من التسخير» .

(١٢) في المطبوعة : «رموزهم» .

(١٣) في المطبوعة : «من سلطان» .

(١٤) في المطبوعة : «من سلطان» .

في قلوب أهل الغور ، والحور والعدل والجور .

وذلك أن الله تعالىٰ عند هذه الحركات العلويات والتوجهات الافقيات : أظهر عالم الأنوار على عالم الأسرار ، ووقعت النجوم ، وكثرت التنزلات من الحي القيوم وكورت الشمس ، وطمس الحس ، وسيرت الجبال ، ونسفت الرمال ، وعطلت العشار الظاهرة ، وحشرت الوحوش المتنافرة ، ووقع ملطوفان ، وزفر البركان ، وزوجت النفوس وتعشق بالمحسوس ، ونشرت الصحائف ، وتبينت المعارف ، وظهرت اللطائف ، وأوتي بجميع الظرائف ، واتصل حبل التلاق ، وكثر بين المحبين اللثم والعناق ، وثل عرش الفراق ، ونثرت الكيان نجوم أسرارها ، واطلعت البرازخ لوامع أنوارها ، وخلي البرزخ من سكانه ، وتعشق التاجر بدكانه ، وضجر أهل الشكوك[1] وتنعم سمراء[2] الملوك ، ونبت الريحان في النيران ، وظهرت يواقيت اللهب في العيان ، وعمرت المعادن كلها بروح التكوين ، وجاء الرب في ظلل من لغمام ، والملائكة في لحف الظلام ، وكثرت مناجاة الوعد والوعيد ، وتقصفت جوانح المحبين ، وذابت أبدان العارفين ، وسكنت النفوس بآلافها ومألوفاتها ، وحنت لعرافها ومعروفاتها .

فهذا بعض ما عانيت في الكور[3] من تأثير هذا النمط الرابع من هذا الدور ، وقطعته في قدر المدة التي قطعت فيها النمط الذي قبله .

فلما وقفت على هذه المعارف ، وحصلت فنون هذه «الأسرار واللطائف» رددت إلى السيد الإمام «إدريس» صاحب التأسيس ، فقال لي : إيّاك والنسيان ، فإنه سبب الحرمان .

ثم قال لي ركب جوادك ، واشحذ فؤادك ، وسر إلى حضرة أبيك ، وحافظ على ما يحصل لك في تجليك ، واعرف أسرار الإنسان الوحيد وهناك يتبين لك الفرق بين المراد والمريد .

جعلنا الله واياكم ممن عرف نفسه ، وشاهد شمسه . بمنة : لا رب غيره آمين .

---

(١) في المطبوعة : «السلوك» .

(٢) جمع مسامر .

(٣) في المطبوعة : «الكون» .

الباب السابع والأربعون

في اختصاص المأموم بيوم الاثنين ، وما يظهر فيه من الانفعالات

سلام الله يا ابن[1] الأثير — عليك الطيب الزاكي الخطير
لك العليا والفلك المعلي — لك السجين والفلك الأثير
وزيرك مثل ذاتك : لا يجازي — سريع العدو ، كرار يدور
له المحق العلي إذا تعالى — وإبدار إذا يدنو : كبير
له الوصفان والأثنين ملكاً — كما لأبي ذكاء الزمهرير[2]
يفيض على العوالم ما لديه — كريماً مثل ريتنا يفور
فينمو حين ينمو كل شيء — وينحل حين ينحل[3] أو يبور
هو المحيا إذا يدنو إلينا — وإن يعلو هو الموت المبير
تولع بالفراق وبالتلاقي — هو الوثاب والكابي العثور
يقوم بذاته محقان علماً — وإبداران : مدركهم عسير
إذا يدنوا فابدار ومحق — وإن يعلو كذلك يا خبير
وما ينفعك عن محق محيط — وأبدار ، فاظلام ونور
مع الأحيان والأنفاس فيه — تعالى الواحد الرب القدير

---

(١) في المطبوعة: «يا أبت الأثير» .

(٢) ذكاء : اسم للشمس ، وزمهرير : اسم للقمر .

(٣) في المطبوعة: «حين يبخل» .

ولما دعتنا دواعي الاشتياق إلى الكشف على ما أودع الله من الأسرار، في هذه الطباق، رحلنا نريد حضرة الميثاق، وهي حضرة أبي الأباء وعنصر أجسام الأولياء وأعداء. أول بوطيقي تكون أكسيرها، وصار فضة بيضاء، فزد يرها، الجامعة للقبضتين، والحاكمة للحكمتين، واندفعنا من قلب الأفلاك، وقد حفت بركابنا أقاويل الأملاك، فما بقيت حقيقة مررنا بها في طريقنا، إلاّ تجلت بأحسن زي، وقامت وخدمت، لا روحانية إلاّ سألت لنزول عليها واحترمت، وأكرمت، فأخرتهم أن الحاجة الآن في رؤية الوالد. والغرض في مشاهدة الإنسان الواحد، فإذا أنقضت المآرب وتميزت المذاهب، وسالت المذايب[1] وافترقت العواقب، وأتحد الأول بالعاقب، وبانت المطالب، وتخلصت الرغائب، وعقلت تفاصيل المواهب، مع الإقرار بوحدانية الواهب، والتحقت بالعدم والوجود الاكاذب أسرعنا إن شاء الله إليكم الكرة، ونزلنا عليكم عيد ابتداء الدورة، بافستغلوا لحلولنا، وتأهبوا لنزولنا، ثم أخذنا نقطع روب الدائرات، وقلوب الروحانيات، إلى أن نزلنا بفناء الوالد، والإنسان الواحد، الموصوف بالناجي والهالك، والمعروف بالباكي والضاحك، فأرسلت إليه رسول الهمة، ينهي إليه المامي بحضرته، وحبي في القيام بمبرته[2] فادخلني عليه واحضرني بين يديه، فقبلت يمن بساط مقامه، وسجدت تعظيماً لمعالي أعلامه، فإذا به في بيت من اللجين[3] من أحسن ما نظرت إليه عين، قد فتح فيه خوختين الواحدة عن يمينه ينظر منها الى عليين، والأخرى عن شماله ينظر منها إلى سجين.

بواب الخوخة اليمينية بيغاء مستندة (ة)[4] إلى الباب، وبواب الخوخة الشمالية عقاب[5]، وعلى رأس الولد تاج من الياقوت الأبيض، كأنه البرق إذا أومض، وعليه حلة دمشقية، وأمامه مجامير كافورية، تبرق من أسازيز وجهه أنوار ظهيرية، في المجامير بخور المصطكي واللوبان، وبين يديه أطباق البسامين وللسوسن[6]

---

(١) المذايب: ما يذوب من الماء المتجمد - والله تعالى أعلم - وفي المطبوعة: «المذانب» والذنوب الدلو المملوء ماء.

(٢) في اللمطبوعة: «بمسرته».

(٣) الفضـة.

(٤) ما بين القوسين من المطبوعة.

(٥) بضم العين.

(٦) في المطبوعة: «والسوش».

والجرجير والأقحوان ، فإذا استنشق[1] الأقحوان تبسم ، إذا استنشق الجرجير اهتم[2] فلا يزال باكياً ضاحكاً ، مملوكاً ملكاً ، والإنسان الواحد بين يديه قائم ، يبث إليه ما عنده من معالم العوالم ، فقال لي : مرحباً بالابن السعيد ، والطالب المستفيد ، يا أيها الابن ، ما الذي أوصلك إلينا ، وما السبب الذي أنزلك علينا ، فخدمت بساطه ، واستغنمت انبساطه ، وقلت : أدام الله أيام الوالد المعظم المقدم ، وعدل فسطاسه ، وأبرم أمراسه وحرر[3] أنفاسه ، لما عرف العبد أنك صاحب العلمين والصورين ، وحامل سر الأثنين ، أراد أن يقف عليهما منك مواجهة ، وأن يسمعها منك بحضرتك مشافهة ، فقال : همة شريفة ، وداعية سلطانية منيفة ، ثم دعا بترجمانه وصاحب لسانه ، وقل له : أصعد إلى منبر الاستواءين[4] وأذكر بعض ما عندنا ، وعند حاجبنا من سرائر علوم الكونين والصورتين ، فصعد الخطيب وتكلم ، وقال بعد أن بسمل وصلّى ثم سلّم :

الحمد لله الذي جمع لآدم عبده وخليفته برسوله بين يديه ، وحباه بصورتيه ، ومنحه سورتيه ، وأودعه سريرته ، وحصل فيه قبضتيه ، وهداه نجديه ، والحب[5] له سبيليه ، وخاطبه بكلمتيه ، وأمره على ملأيه ، واستخلفه على كونيه ، واصطفاه برسالتيه ، واختصه بخلافتيه ، وكرمه بمشاهدتيه ، وخصه بجنتيه ، ووهبه معرفتيه ، وأنزله بين علميه ، وأشهده مركزه وقاب قوسيه ، وأسكنه في البرزخ بين كتابيه ، لأظهار صفتيه ، فقام عظيم الشأن سلطاناً على الاعيان ، واستوزر له الزبرقان الذي هو نظير الرئة في الأبدان فيعلو فينمو ، فيفضل ويدنو ، فينحل[6] فيذبل ، فوزيره مثله ، وعلى صورته وسورته : له وجهان وطريقان وسيران[7] وتجليان ، أمحاقان وأبداران ، ومحق وأبدار ، في كل أوان ، عند العالمين بما في الصفة العلوية من الحكام والترتيب والاتقان ، واعتدال الأوزان ، وله أمحاق واحد وابدار واحد ، عند العامة ، فله الضدان ، وسرعة التأثير في

---

(١) في المطبوعة : «فإذا شم الأقحوان» .

(٢) في نسخة : «فإذا شم الجرجير أقيم» .

(٣) في المطبوعة : «وحرس أنفاسه» .

(٤) في المطبوعة : «الاستوائية» .

(٥) في نسخة : «وألهب» وفي المطبوعة «وأنجبو» .

(٦) في المطبوعة : «فيبخل» .

(٧) في المطبوعة : «وسران» .

الأكوان ، وهو شبيه بالإنسان من جميع الوجوه : القباح والحسان ، وله التقابلان وإليه منظر الثقلان ، وفيه : كسران ، وبدايتان ، وغايتان ، ونقصانان ، وكمالان ، وسران وأمران ، وتأثيران (وكمالان)[1] وله يدان ، ورجلان وعينان ، وأذنان ، وثديان ، وعلوان ، وسفلان ، ويمينان ، وشمالان ، وفوقان ، وتحتان ، وخلفان ، وأمامان ، ومخاطبتان ، وقلبان ، ولسانان ، (ومغربان ، ومشرقان[2] ومعدنان ، وأثران ، وعرشان ، وكرسيان ، وروحانيتان ، وتحميران) وتبيضان[3] ، وتسويدان ، وتكليمان ، وحياتان ، وموتان ، واعتدالان ، وانحرافان ، عقدتان ، وفيه من كل شيء أثنان .

فسبحان من فطره وفطر الخليفة آدم على هذا الاتقان ، إنه مولى الامتنان .

والصلاة على الحقيقة المحمدية ، صاحبة الإمامة المطلقة ، والخلافة المحققة : «ما اتصلت الأرواح بالأرواح ، والأبدان بالأبدان» .

ثم نزل وتكلم الأب ، فقال : اعلم يا بني شرح الله صدرك، ورفع في ذروة التوحيد قدرك أن الله تعالىٰ لما كنىٰ[4] على الحقيقتين ، وأبان عنهما بالقبضتين في الموطنين ، وأنبأ عنهما في عالم العبادات بالحرفين ، وجعلهما على السواء في الفطرتين والنعيمين والعذابين والطاعتين ، والمعصيتين ، باعتدال الكفتين ، وجعل الآخرة ذات دارين لتحيط بالعالمين ، وفيها يقع الميز بين الفريقين ، كما وقع في أوان القبضتين ، وقبل أخذ ، لميثاقين ، وجعل الدنيا ذات برزخين ، فأظهر الكافر في صورة المؤمن ، والمؤمن في صورة الكافر ، لذي عينين ، وجعلها محل تمحيص وبلوىٰ للطائفتين ، فوجه إليهم على لسان واحد منهم حكمين ، فأمر ونهىٰ لتمييز الكلمتين ، فمن وجد حبي بنار وجنتين ، ومن أشرك جوزي بجنة ونارين .

وأعلم يا بني أن الله تعالىٰ خلق الإنسان بين ستة أعلام : الفوق ، والتحت ، واليمين ، والشمال ، والخلف ، والأمام .

---

(١) في النسخة التي راجعنا عليها «وكلمان» والتصحيح من المطبوعة .

(٢) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٣) في المطبوعة : «وتبيضان وتحميران» .

(٤) في الأصل الذي راجعنا عليه «كان»وهو خطأ وتصحيحه من المطبوعة .

فالفوق والتحت أختص بهما رب العزة من طريق المثل والمثال ، والحقيقة والخيال ، فالفوق للرؤية ، والتحت للحجاب ، فكانت الجنة ثمانية أبواب للرؤية الإلهية ، وكانت النار سبعة أبواب النفسانية ، ولو كان الحجاب ى جحخ ع جحخ عـ جحخ عـ ث ل ج طل ج ظ ، واستوى البصير والأعمىٰ .

وأما بقية الأعلام : اليمين ، والشمال ، والخلف ، والأمام ، فهي مرتبة على مراتب الجنة والنار ، ومنها يأتي الملك بالطاعة المحلة دار القرار ، وإبليس إلى المعصية الموصلة إلى دار البوار ، قال تعالىٰ : ﴿ثم لأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾[1] أخبر بذلك عن إبليس ، وفي مقابلته ملك التقديس ، وهذه قسمة مدينة الإنسان ، وهو مخاطب من ثلاث جهات : روح، ونفس ، وجثمان ، في كل علم من هذه الأعلام الأربعة ، لهذا كانت مدينة مربعة ، وللشيطان في كل علم سبع مردة ، وللملك في كل علم (سبعة وزعة)[2] : ملكان للروح ومريدان ، وملكان للجسم ومريدان ، وملك واحد للنفس ومريد ، وملك سادس بين الروح والنفس ، ويقابله مريد عتيد ، وملك سابع بين النفس والجسم ، ويقابله مريد عنيد ، وهكذا في كل علم من الأعلام ، ومودة للوساوس ، وملائكة للإلهام ، فمتىٰ أتىٰ الملك بلمته وهمته ، أتىٰ إبليس بلمته وعزمته ، ومن أرتقىٰ عن الملك والشيطان بدت لعينيه أصبعاً لرحن ، ولما كانت أعلام الإنسان أربعة ، والجنة أربعة ، والنار[3] أربعة ، كانت (ملائكة)[4] المنازل في الكثيب والحجاب أربعة ، فالمنزل الواحد في الكثيب والحجاب منابر ، والمنزل الثاني أسرة ، والمنزل الثالث : كراسي والمنزل الرابع ، مراتب ، وقد يدخلها كسر كما يدخلها[5] في الأعمال ، وفي عدم تتميم الأحوال ، قال (عليه الصلاة والسلام) : «يقبل من الصلاة : عشرها ، تسعها ، ثمنها . . . .» ، هكذا إلى «نصفها» ، فقد جاء بالعدد المكسور ، مع كونها حضرة النور ، فإذا رأيت في هذه المراتب كسراً فهو على هذا الحد لنقص كان في أداء العهد ، ولقد نبه (عليه الصلاة والسلام) في قتل جعفر بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة ،

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧ .

(٢) في السنخة التي راجعنا عليها«سبع وزرعة» وهو خطأ .

(٣) في المطبوعة : «والناس أربعة» .

(٤) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٥) في المطبوعة : «كما دخلها» .

وعبد الله بن رواحة ، على ما ذكرناه فأخبر أن في سرير عبد الله بن رواحة أزورراد عن أسرة أصحابه ، وكذا شهدنا ، فإن عبد الله بن رواحة توقف قليلاً في (غزاته)[1] عن القتال كما رويناه، ولما كان المصطفون ثلاثة : الروح ، والنفس ، والجسم في حق الموحدين ، وكان المبعدون ثلاثة الروح ، والنفس في حق المشركين . فافهم فافهم ما قررناه لديك ، وأبرزناه إليك ، فالروح : خليفة والنفس : وزيرة ، والجسم مبلغ يشرف[2] به سريره ولكل واحد من هؤلاء الثلاثة ، منبر ، وسرير ، وكرسي ، ومرتبة من شكله ، وعلى مثله ، وقد قال (عليه الصلاة والسلام) في سر التثليث : «لن تهلك أمة أنا أولها وعيسى آخرها ، والمهدي وسطها»[3] فانحفظ الطرفان والوسط ، وأنضم الملك وارتبط ، فأتى بالثلاثة على حكم النشأة ، وتقابل الهيئة ، فادفع رأسك وانظر إلى الصور ، الذي هو قرن من نور ، وانظر إلى اتساعه في عليين ، وما أعطى الله فيه من الدرجات لأصحاب اليمين ، وانظر أيضاً إلى ضيقه في السجين ، في أسفل سافلين وما أودع (الله)[4] فيه من الدركات للمحجوبين ، فنظرت فرأيت الأمر على ما قاله ، وإن كل إنسان لا بد له من إحدى الدارين : لا محالة .

وقد مثلت لي في مثال : هذا بيانه[5] .

وقد تمثل في وقت آخر في صورة أخرى كما قد مثلت النار لابن قسي في صورة حية ، ومثلت لابن مرجان[6] في صورة حامرس ، ومثلت لنا في صورة دار لها طبقات : علواً وسفلاً . فلنقل في بيان ما مثل لي[7] .

إن الدائرة العليا صورة الكثيب الذي تجتمع الناس فيه ، لرؤية الحق ، وهو في جنة عدن (قصبة الجنة)[8] والناس فيه : أربع مراتب : ربع منهم تنصب لهم (فيه) منابر ، وهي الرسل والورثة والأئمة والمهتدون ، وهم فيها بين كامل ، لا

(١) في النسخة التي راجعنا عليها «في عداته» .
(٢) في المطبوعة : «يتشرف» .
(٣) رواه أبو نعيم في أخبار المهدي عن عبد الله بن عباس .
(٤) ما بين القوسين من المطبوعة .
(٥) في المطبوعة : «فهذا ما قيل لي في حضرة التمثيل» .
(٦) في المطبوعة : «لابن برجان» .
(٧) في المطبوعة : «فلنقل في بيان ما مثل في هذه الدائرة» .
(٨) ما بين القوسين ليس في المطبوعة .

وهو جامع المقامات والصفات ، وأهل جلال ، وأهل جمال ، وما ثم طبقة رابعة ، في كل مرتبة ، وفي مقابلتهم في النار ، في منزل الحجارة منها خاصة ، وهو منزل ميها[1] يقابل الكثيب من الجنة ، وهو للأئمة المضلين ، الذين شرعوا ما لم يأذن به الله ، وقالوا لاتباعهم : هذا من عند الله ، وما هو من عند الله ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ .

والمرتبة الثانية : ينصب لهم فيها أسرة ، هي للأنبياء الذين هم على شريعة من ربهم ، في أنفسهم : ما أرسلوا ، ومن جرى مجراهم ممن لهم أخبار إلهي ، ما هو على شريعة خاصة ، وحالهم كحال الرسل : أعني على ثلاثة أحوال [2] لكامل ، وذو جلال ، وذو جمال ، وفي مقابلة ، الدار[3] الدجاجلة ، وأصحاب الخيالات الفاسدة ، الذين ضلوا في الحياة الدنيا ،﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ .

والمرتبة الثالثة : أصحاب الكراسي ، وهي للأولياء الصالحين ، الذين تولاهم الله ، والله ربهم[4] وهي أولياؤه ، وهم فيها على ثلاثة أحوال : كامل ، وذو جلال ، وذو جمال ، ويقابلهم في النار ، أهل الكراسي ، وهم أولياء الشيطان ، ووليهم الطاغوت .

والمرتبة الرابعة : أهل مراتب ، وهم المؤمنون بالله ، وما جاء من عند الله ، وهم أيضاً على ثلاثة أحوال : كامل ، وذوو جلال ، وذو جمال ، ويقابلهم في النار أهل مراتب وهم المؤمنون بالباطل ، قال تعالى : ﴿والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله﴾[5] وإنما سميناهم محجوبين عما يراه أهل السعادة من الله ، وأما هؤلاء فيرون ما اعتقدوا ، وهو المتولي عذابهم ، فيودون أنهم لم يروه ، لما يصيبهم منه .

وأما الشجرة فلها فروع لأهل الجنان عالية ، ولها فروع لأهل النار مستفلة ، هي التي سمي في الشجرة عروق وأصول ، فروعها العالية لأهل الجنان ، تسمى

(١) في المطبوعة : «فيها» .
(٢) في المطبوعة : أعني ثلاثة أقسام» .
(٣) في المطبوعة : «وفي مقابلته من النار» .
(٤) في المطبوعة : «فالله وليهم» .
(٥) سورة العنكبوت ، الآية : ٥٢ .

السدرة ، وفروعها في أهل النار ، تسمى شجرة الزقوم ، فيها من المرارة في الطعم على قدر ما في ثمرها من الحلاوة في الطعم لأهل السعادة ، ويقوم في كل مرتبة خطيب من أفضلهم ، وهو الكامل من هؤلاء ، ومن هؤلاء ، فيخطب بهم ويذكرهم بما يذكره في الخطب بعد هذا : خطيب في السعداء ، وخطيب في الأشقياء ، ويجتمعون حوله ، فإذا فرغ السعيد من خطبته شكرهم وشكروه ، ودعا لهم ودعوا له ، وإذا فرغ خطيب الأشقياء من خطبته لعنهم ولعنوه ، ودعا عليهم ودعوا عليه ، فيكفر بعضهم ببعض ، ويلعن بعضهم بعضاً (ومأواهم النار)[1] وما لهم من ناصرين ، وذلك يكون في الوقت الذي يكون السعداء (في الجنة)[2] بهذه الحالة : تكون من الأشقياء في جهنم بهذه الحالة ، ومنزلهم جهنم خاصة ، فإن غاية القرب : الكثيب ، وغاية البعد : جهنم .

وأعلن أن للسعداء في كل مرتبة درجات . وللأشقياء دركات ، فلأهل المنابر : إحدى وعشرون ومئتان وثلاثة آلاف .

ولأهل الأسرة ، ولأهل الكراسي ألفان وسبعمائة وثمانية ، ولأهل المراتب أربعة آلاف ومائة وسبعة وأربعون فاعلم ذلك[3] .

واعلم أنه إذا تميز فريق في الجنة : دار الثواب ، وفريق في السعير : دار العذاب والنقمة : إذن الرحمن لأئمة السعداء أن يقوموا خطباء في أتباعهم ، وأذن الجبار لأئمة الشقاء أن يقوموا خطباء في أشياعهم .

فصل في أهل المنابر

خطيب السعداء : صعد الخليفة منبره[4] وقام بين يديه خدماؤه الكرام البررة ، وقال : «الحمد لله من غير تقييد بنعت ، كما قيده سادات أهل الوقت : المقدس التحميد ، ذي العرش المجيد ، الذي تردىٰ برداء الكبرياء والعز ، وأودع معرفته في القصور والعجز ـ جاعل الملائكة رسلاً ـ ومعرف العقول إليه سبلاً ،

---

(١) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٢) في النسخة التي راجعنا عليها : ثلاث آلاف ومئتان وإحدىٰ وعشرون» والأصح أن تكتب الأرقام من اليمين وقد تركنا الباقي جرياً على العادة .

(٣) ما بين القوسين مخالف لما في المطبوعة : إذ فيها ما نصه : «ولأهل الكراسي ثمان وسبعمائة وألفان ، ولأهل المراتب سبع وأربعون ومائة وأربع آلاف» .

(٤) في المطبوعة : «صعد الخطيب المنبر» .

نصب المنابر وأقعد عليها ارساله ، وأشهدهم جماله وجلاله ، وأنطقهم بأوضح ما تكلم به أو قاله : تعالىٰ في ذاته عن إدراك المدركين ، وتسامىٰ في قدسه أن تحيط به غايات السالكين ، حارت الأسرار في مشاهدة عظمته ، وعبدت الظلم أنوار كلمته ، واحتجب بسبحات عزة أحديته في أزلته وأبديته ، نزل في علو وعلا في نزوله ، وفصل في إجماله ، وأجمل في تفصيله ، اصطفاكم أيها الحائرون بالنعمة والرؤية ، وأوصلكم إلى منازل القرية والبغية ، وأحلكم الجوار الأحمىٰ ، وحمى سلطانه بعز العماء فانعموا بالمعارف الصمدية ، وجولوا في ميادين الحقائق المحمدية ، وامتطوا متون العتاق الدرية ، وأنفسحوا في فسحات التوحيد ، وترأسوا بخصائص المشاهدة على كل موجود ، فطوبىٰ لكم وحسن مآب وهنيئاً لكم بما طوعتموه[1] من لباب معارف الألباب ، غضضهم الأبصار المشاهدة ، لم أزل في دنياكم أرغبكم في هذه المشاهدة للموافقة والمساعدة ، فقرت أعينكم بالمعاينة في المقدسة ، وأشوقكم إلى هذه المناصب المؤسسة ، وأحرضكم على تحصيل المقام المحمدي ، والتجلي الحدىٰ ، فيقولون : «صدقت جزاك الله عنا خير ما جازىٰ مرشد حق ، واقعدك عنده مقعد صدق» .

خطيب الأشقياء

صعد الخليفة الناطق ، منكوس الرأس ، وقام خدماؤه بين يديه : أهل الريب واللبس ، وقال : «الحمد لله الذي لا أحكم عليه بوصف ، ولا أقيده بنعت ، فاني في موطن وقف أحتجب عن أبصار المعطلين ، وأهل الأصرار والذين أشركوا بين الاريسيين[2] والذين تملكوا ، فسألهم عن ذلك الرسول الأخفىٰ ، فقالوا : ﴿ما نعبدهم إلاَّ ليقربونا إلاَّ الله زلفىٰ﴾ فاهلكتهم عادتهم ، ولم تنفعهم عبادتهم ، ولم تغن عنهم من الله شيئاً آلهتهم ، وتبرأ منهم عند اضطرارهم أئمهم فلم تنبع البراءة أولئك الأئمة ، وضوعف عليهم العذاب خلف حجاب الظلمة ، فكانوا وأتباعهم عن سعادتهم بمعزل ، وأنزلوا في هذه الدار التي أنتم فيها ماكثون شر منزل ، أيها الحاضرون والجماعة السوء الخاسرون ، هذا مقام الأسف الذي لا ينجي حين لم يساعد الجد ، وهذا مواطن الأعتراف الذي لا

(١) في المطبوعة : «بما طعمتموه» .
(٢) في المطبوعة : «من الأدميين» .

يـرد[1] حين لم ينفـع الجحـد ، أنـا شـر متبـوع ، وأنتم أخسـر أشيـاع ، أوردتكم المهالك ، وأهلكتكم بساحة مـالك ، أخـذت بنواصيكم إلى معـاصيكم ، وأنزلتكم إلى الشـرك من مغافـل فـطركم وصيـامكم ، فـزورت لكم الأقـاويـل المـزخـرفـة ، وأوضحت لكم المناهج المتلفـة ، ونصبت يصد عقـولكم جبائـل الجهلة والخدع ، فوقعت[2] فيها شر وقوع لا يـرام منه أنفكـاك ولا يستطاع ، وقلت لكم : لـو كان ثم بـاله الحمى سبله ، وجعلت عنـدكم فيمن تخلص منهم ، إنما تخص بغـراره وعدم قـراره ، أو بـإتبـاعـه الأزادل وأشيـاعـه الأسـافـل ، وألحقت المعجـزات بـالسحـر والخيالات ، وقلت : إنما جعلهـا كما فعلت أنـا لصيد العقـول القاصـرة حبالات ، فـركبت بكم بكم جـادة الكفـر والاضـلالات ، وخضت بكم لجـج الغمـرات ، وأنـزلتكم منـازل الحسـرات ، ونصصت لكم أن في الأخـذ بمـا دللتكم عليـه سبـل نجـاتكم ، وتحصيـل درجـاتكم ، وارتقـاء عقـولكم ، عن حضيض حسهـا ومعـراج أرواحكم عن خسـائس نفسها ، وعـطفت على بعضكم بأنـه مائم إلاّ هـذا الـدولاب للدائـر ، وهـذه التكـوينـات عن هـذه العنـاصـر ، ولا يـزال هـذا الـدولاب راجعـاً وسائراً ، فإنه المعبر عنه بالإله ، وما شاهـدنا فـاعلاً فنيـاً نثبته سـواه[3] وأن التناسـخ صحيح ، والقائل بغير هذا يخبط في مهامـه للجهالـة قبيح ، وكـذبت بيوم الـدين ، فحرمت شفاعة الشافعين ، وقلت بإحالـة حشر الأجسـاد ، لكون الآخـرة ليست بدار كون ولا فساد ، وإن النبـوة سياسـة حكيمة ، ليس لهـا أصول أصليـة ، وأن الميزان عبـارة عن إقـامـة العـدل في ذاتكم ، وأن الصـراط عبـارة عن آخـذكم في تـطهيـر خلقكم وصفـاتكم ، وأن الحـوض في الحكم عبـارة عن العلم ، وكـون آتيـة عـدد النجـوم إشـارة إلى فنـون العلوم ، وجعلتهـا عنـدكم رمـوزاً فلسفيـة[4] وإشـارات تمويهية ، ليس وراءها غير ما ذكرنـاه ، ولا يوجـد فيها سـوى ما قـررناه ، وسخـرت بالشريعـة ، وبايعت سلطان الـطبيعة ، وكـذبت الرسـل ، وأعميت السبل فيهـا سوء مذهبي ، وياشؤم من أغتر بي ، يا شر منقلبي» .

فيقولون : «لعنك الله من مضل ، كـذلك فعلت جـزاك الله عنّا شـر ما جـازى

(١) بفتح الياء وضم الراء ، أي لا يرد شيئاً .

(٢) في المطبوعة : «فوقعتم» .

(٣) في المطبوعة : «فيما يثبته سواه» .

(٤) لتعرف أنه لا يؤمن بالفلسفة ولا يحبها .

بالأمان ، به ملحداً ، وجعل لك في أسوء المنازل مقعداً» .

﴿ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ .

فصل في أهل الأسرة

خطيب السعداء : استوىٰ الخطيب الناطق على سريره باسميه ، وقام وزراؤه الأدباء بين يديه ، وقال : الحمد لله الذي استوىٰ على العرش اسمه الرحمن عند إستواء الألوهية على عرش الإنسان ، فقال : وما وسعني أرض ولا سماء ، وسعني القلب الموصوف بالإيمان ، فأقام علم البيان مقام العيان ، حين عجزت عن درك هذا الضرب من العلم حقائق الكيان ، أفاض على الأكوان عامة أنوار رحمانيته ، وحكم فيهم أسماء ربانيته ، ونظم اثنى عشر نقيباً في سلكه ، وأقربهم سائسين في ملكه ، وجعل لكل نقيب أمداً ينتهي إليه حكمه ، وحدا يقف عنده علمه ، وجعلهم على أربعة مذاهب : لايجاد[1] الرسالة والنبوة والإيمان بالمنابر والأسرة والكراسي والمراتب .

فمنهم من وصلت مادته إلى الفلك الأثير واستقرت ، فتكونت المعادن والنبتات والحيوانات النارية فاستمرت ، ومدتهم أربعة وعشرون ألف سنة .

ومنهم (من)[2] وصلت مدته إلى فلك الهوىٰ ولبثت ، فتكونت المعادن النباتات والحيوانات الهوائية وثبتت ، مدتهم ثمان عشرة ألف سنة .

ومنهم من بلغت مادته إلى فلك الماء وسكنت ، ومدتهم خمس عشرة ألف سنة .

ومنهم من بلغت مادته إلى الأرض فتكون الإنسان والمعادن ، والنباتات والحيوانات الترابية ، ومدتهم إحدى وعشرون ألف سنة ، وقال (الله)[3] تعالىٰ وخاطب هؤلاء النقباء ولسادات النجبا الذين اختصهم بالاستوا المعبود ، والظل الممدود ﴿اني معكم لئن أقمتم الصلاة وأتيتم الزكاة وأمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتهم الله قرضاً حسناً﴾[4] فاقاموا صلاتهم ، فضاعف صلاتهم ، وأد وا

---

(١) في المطبوعة: «الاتحاد الرسالة» .

(٢ و٣) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٤) سورة المائدة ؛ الآية : ١٢ .

زكاتهم فقدس ذواتهم ، وآمنوا بالرسل فأوضح لهم السبل ، وعزروهم فعززوا ، وأقرضوا الله قرضاً حسناً فوفاهم سراً وعلناً من كونه محسناً ، فلما استوىٰ على سرير ملكه افأثر ، وكان الإمام المكبر ، نظرت العقول في آياته ، وما أودع الرحمن من التكوينات في حركاته ، وأنتم أيها الحاضرون المصطلون الأخيار ، والمقربون المجتبون الأبرار ، أتذكرون إذ أبنت لكم في الدار الدنيا عن إستواء الرحمن : أنه ليس كاستواء الأكوان ، وأنه لو جلس عليه جلوساً كما يدعيه المشبهة لحده لمقدار ، وقام به لافتكار إلى مخصص مختار ، لا تحيط به الجهات والأقطار ، والإفتقار على الله محال ، والاستقرار بمعنىٰ الجلوس عليه محال ، ولا سبيل إلى هذا الاعتقاد بحال ، وما بقي لكم فيه سوىٰ أمرين مربوطين بحقيقتين .

الأمر الواحد : أن يصرف لفظ ذا الإستواء إلى الاستيلاء.

والأمر الآخر : أن يؤمن بها كما جاءت، من غير تشبيه ولا تكييف، ونصرف العلم بها إليه، فإنه أسلم بالمؤمنين عند قدومهم عليه ، ولهذا يختم المنزه تأويله بقوله : ﴿**والله أعلم**﴾ لمعرفته بأن التنزيه قائم بذاته، ولكن صرف هذه الآية إلى هذا الحكم خاصة لا يلزم، وعرفتكم أن أسماء الله تعالىٰ لها حقائق ورقائق، وأن بامتداد تلك الرقائق المعنوية المنزهة الأقدسة ، يظهر فيكم سلطانها ، ويضلكم ويهديكم إغماضها وتبيانها ، وقلت لكم : تحفظوا من مكر الله في التأويل واستدراجه ، وأسألوه لثبوت والإستقامة على منهاجه ، وطهروا قلوبكم بماء التقديس والتنزيه ، من التجسيم والشبيه ، فإنه: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ ويستوي ، وينزل ، ويجيء ، وهو في السماء والأرض كما قاله ، وعلى المعنىٰ الذي أراده من غير تشبيه ولا تكييف ، وهو العليم القدير .

على هذا دللتكم ، وإليه دعوتكم ، فأوصلكم استعمال ذلك إلى ما أنم فيه الأن من النعيم المقيم ، في دار القرار ، واختصكم بلذة الجوار ، فانعموا بخير جار في خير دار «فيقولون» صدقت ﴿**الحمد لله الذي صدقنا وعده**﴾ ورضي الله عنك رضاء لا سخط بعده ، وجازاك عنا أفضل ما جازى به ناصحاً ، وجعلك لكل باب مقفل من التجليات الإلهية فاتحاً .

خطيب الأشقياء

استوىٰ الخطيب الناطق على سريره : ذليل النفس ، وقام وزراءه بين يديه في أضيق حبس ، وقال : «الحمد لله المنزه في علوه ، المقدس في سموه ، الذي لا يحده مكان ولا يحويه زمان ، ولا يقيده آن ، ولا تختلف عليه الحالات ، ولا يتعذر عليه حل الأمور المشكلات ، تنزه عن الحد والمقدار ، واتصف بالإرادة والإختيار، وتقدس عن الحركة والإنتقال ، وتعالىٰ عن الأشكال والأمثال ، ﴿ليس كمثله شيء﴾ في ذاته ، ولا يشبهه مخلوق في صفاته : أيها الحاضرون الخاسرون : سمعاً[1] : أنتم الذين ضل سعيكم في الحياة الدنيا وأنتم تحسبون أنكم تحسنون صنعاً أنا الذي سلكت بكم مسالك الغي والضلال ، وقررت في نفوسكم كل ما هو على الله محال ، وزينت لكم سوء أعمالكم ، وأعميت عليكم ضرر أحوالكم ، فبئس المعلم كنت فيكم ، وبئس ما قبلتموه ، فبئس الوارد الذي قد وردتموه ، شبهتهم معدبكم سبحانه وتعالىٰ بذواتكم ، وجعلتم كلامه ككلامكم في حروفكم وتقطيع أصواتكم ، تكتبون حروف المصحف بآلات موضوعة وأدوات مصنوعة ، ثم تصنعون تلك الحروف التي صنعتموها بالقدم ، وتدعون أنكم في ذلك على الطريق الأتم[2] وأنكم قد فضلتم بهذا الاعتقاد على سائر الأمم ، (ثم)[3] عمدتم إلى خالقكم وعلامكم ، وجعلتم له أجساماً كأجسامكم ، وجوارح كجوارحكم ، وصورة كصورتكم ، وتبشبشاً كتبشبسكم ، وقدماً كقدمكم ، وفرحاً كفرحكم ، وإستواء كاستوائكم ، وضحكاً كضحككم .

وأصل ضلالكم (في)[4] هذا كله من أضلالي ، ومن زور قولي لكم ومحالي ، فلعنكم الله من أتباع» .

فيقولون : «لعنك الله من متبوع غوىٰ ، أورثنا اتباعه عذاباً لا يستطاع» .

---

(١) مفعول لفعل محذوف تقديره : أعيروني .

(٢) في المطبوعة : «الأمم» وكلا اللفظين صحيح المعنىٰ ومستقيم ، إذا الطريق الأمم : المقصود ، و «الأتم» التامة المعبدة .

(٣ و ٤) ما بين القوسين من المطبوعة .

فصـل في أهل الكراسي

خـطيب السعداء : قعـد الخطيب النـاطق على كرسيـه الأسنىٰ ، وقـام وزراؤه بين يـديـه على قـاب قـوسين أو أدنىٰ ، وقـال : «الحـمـد لله الـذي وسـع كـرسيـه السمـوات والأرض ، ووضـع فيـه ميزان الـرفع والخفض ، ودلى إليـه قـدم[١] النهي والأمر وصيره طريق روحانيات[٢] التدبيـر في السر والجهـر ، رتب لهم فيها المنـازل ليحل فيها المنازل .

فأما الروحانيات الأدمية فتنزل منزلـة كل ليلة وتستمـد في كل منزل[٣] من ربها كرامته ونيله ، فإنها سريعة الحركة كثيرة البركة .

وأما أخواتها وإن أجتمعوا معها في سرعـة السير ـ فـإنه يبطىء بهم عنها ـ حكم الدور فإن عتاق أفلاكهم يسري بهم وبحقاق أملاكهم .

أيها الحاضـرون السعداء هـل تسمعون ؟ أتـذكرون حين رويتكم نـزول الحق في الليـل إلى السماء الـدنيـا من أجـل الخلق ، وينصب لـه في كـل سمـاء كـرسي يقعد عليه ، والملائكة بين يـديه ، فنفيت التشبيـه ، وقلت إن صح هـذا الخبر فقد عرف المراد ، والبـاري على وصفه من التنـزيه ، فـإن النبي (عليه الصـلاة والسلام) قـال : «كـان الله ولا شيء معـه ، وهـو الآن على مـا عليـه كـان»[٤] ، فنـزهـه عن المكـان بوجـود الأكوان ، لكن الـرسـول (عليـه الصـلاة والسـلام) أمر أن يخـاطب النـاس على قدر عقـولهم ، ويبين لهم على (قـدر) طـاقـة تحصيلهم ، وقـد قيـل إيمـان السـوداء في أشـارتهـا إلى السمـاء[٥] مـع علمنـا أن الله في عماء عن إدراك العلماء .

---

(١) في المطبوعة : «قدمي» .

(٢) في المطبوعة : «الروحانيات» .

(٣) في المطبوعة : «فتنزل كل ليلة ، وتستمر في كل منزل ، من ربها كرامته ونيله» .

(٤) رواه الإمام مسلم ، راجع ص للإمام الشنقيطي (رحمه الله تعالىٰ) في تفسير هـذا الحديث وقـوله : «وهـو الآن على مـا عليـه كـان» تفسيـر من الـراوي وهـو الصحـابي الـذي روى هـذا الحديث ، وليست من صلب الحديث ، يعني مدرجة والله تعالىٰ أعلم .

(٥) أشارت إلى السماء ، لأنها كانت خرساء ، و «قالت» التي في لفظ الحديث لما سألها رسول الله (ص) : أين الله ؟ قالت : في السماء ، تعني أشارت.

ثم أثبت لكم أن الرب هو النازل ، ومعلوم أن الثابت غير الزائل فهذا حظ السر بالعلم من نزول هذا الاسم . فقضى الحاجات ، وقبل السعايات ، وتاب على التائبين ، وغفر للمستغفرين ، وأعطىٰ للسائلين وأجاب الداعين ، وشملت رحمته المتهجدين والنائمين ، فأنزل من كرسيه كلمتيه ، وأرسلهما على قبضتيه ، فتميزت بالأخذ والترك ، وانفصلت بالتوحيد والشرك ، فانقلب أهل الشرك والترك إلى دركاتهم ، وانقلب أهل التوحيد والأخذ إلى درجاتهم[1] ، وهم أنتم ، طاب مسكنكم ونعمتم ، فأعطىٰ الكرسي بالقوة حقيقته ، وأبرم في العالم رقيقته .

يا أيها الحاضرون : ألم أكن فيكم نعم الداعي والحافظ ؟ .

فيقولون : صدقت : «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ـ(ورضي الله عنك ، فلقد كنت نعم الواعظ ، جازاك الله عنا أفضل ما جازى به داعياً ، وجعل لك في كل مقام من مقامات الجمع المقدس نادياً» .

خطيب الأشقيا : «قعد الخطيب الناطق على كرسيه في النار ، وقام بين يديه وزراؤه الفجار ، وقال : «الحمد لله الذي خلق اللوح والقلم ، وفيه ما هو كائن إلى يوم القيامة مما علم ، وجعل الكرسي موضع قدم (القدم[2] المنزه وجوده أن يكون مسبوقاً بعدم ، فحقت الكلمات في اللوح علينا أهل الخسران ، وعلى أهل الريحان والروح ، إذ جعلنا كرسيه علمه لا غير ، وكذبنا نبيه فناط بنا الضير ، واخرمنا الخير ، دللتكم أيها الحاضرون الضالون المكذبون ، على ما فيه شقاؤكم ، وحرضتكم على ما تسلط به عليكم بلاؤكم ، وخاطبت كل طائفة منكم على قدر نقصان علمها ، وقهرها تحت سلطان علمها[3] ، فمن غلبت منكم روحانيته على (حسية)[4] جسمانيته ، جعلت له هذه العبارات الحسية إلى أمور معنوية ، وكل من ألحقها بالمحسوس فنظره معكوس ، وحشره منكوس . وقلت في قوله تعالىٰ : ﴿يا جبال أوبي معه﴾ أنه أراد الرجال ، وقلت في ذلك[5] (انه) محال ، واعطاؤه لسليمان تسخير الرياح إنما أراد به الأرواح ، وكون مريم حين تمثل الروح بشراً إليها أن خيالكم حكم عليها ، وكذبت بالملك والشيطان والمس ، وقلت : أن

---

(١) الدرجات في الجنة ، والدركات في النار ، أو «ونسأل الله تعالىٰ الجنة ونعوذ به من النار» .

(٢) ما بين القوسين ليس في المطبوعة .

(٣) في المطبوعة : «وهمها» .

(٤ و ٥) ما بين القوسين من «المطبوعة» .

هـذه كلها من المخـاطبات التمـويهية لإيقـاع اللبس ، وأن ذلـك عبـارة عن أخـلاط فـاسدة[1] ، تحـدث عن أغذيـة رديئة ، وأن المـلائكة قـوى في النفس روحانيـة ، وخواطر نفسانية ، وأنه ما في الأفلاك سوى نجـومها ، وأن المـلائكة عبـارة عن قوى سلطان علومها ، وأمثال هذا الهذيان ، الذي لا يقوم عليه برهان .

وأما من غلبت منكم جسمانيتـه على روحانيتـه ، فخاطبتـه على ما علمت من قصـور فهمه ، وعـدم علمه ، وقلت لـه : إذا لم يكن كلام ربـك بحرف وصـوت ، فمـاذا تسمع ، وأنـزلت له الصفـات المقدسـة المعنوية على مثال مـا يصححه أول عقله ، فقبل ولـم يدفـع ، فلحق بأمثـل التشبيه والتجسيم ، ووصف القـديم بصفات الحـدوث ، فـالحق بـالجحيم ، فلعنكم الله : لقصـور أفهـامكم وعـدم نـظركم في معاني منقولكم» .

فيقـولون : «صـدقت» لعنـك الله من مفسـد مضـل ، وألبسـك ثيـاب الهـون والذل» .

فصـل في أهل المراتب

خـطيب السعداء : ظهـر الخطيب النـاطق في مرتبتـه ، وقام وزراؤه بين يـديه قائلين بحرمته ، وقال : «الحمـد لله رب العالمين ، ونعمت العـاقبة للمتقين ، هـذا الحمد هو آخـر دعواكم معـاشر السعـداء[2] ، ويرجـع الأمر على الابتـداء ، وهكذا تكون الدرجات في الجنان ، والأحوال على ترتيب مـا كان عليـه الإنسان ، فـالحمد لله بمـلء الميزان ، وهي آخـر موضـوع ، ولا إلـه إلاّ لله تثبت الإيمـان ، وهي أول مسمـوع[3] وأنعموا (رضي الله عنكم) بين طـرفين شـريفين ، وحقيقتين عـظيمتين ، توحيد وثنـاء ، فسنا وسنـاء ، فالتـوحيد للسنـا ، والسنا : للثنـاء فقد جمـع لكم بين الـرفعة والضيـاء ، فـالحمـد الـذي أعلمتكم بهـذه الأمـور ، ونهجت لكم منـاهـج الأمـور»[4] . فيقـولـون : «صـدقت : الحمـد لله رب العـالمين (رضي الله عنــك) جازاك الله عنا أحسن ما جازى بـه الداع ، ومنحـك لذة الاستمـاع في السماع عنـد الإيقاع» .

---

(١) في المطبوعة : «تجسدت أغذية» .

(٢) لقوله تعالى : ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ سورة يونس ، الآية : ١٠ .

(٣) عندما يولد الصبي يؤذن في أذنه ، فيكون أول كلام يسمعه لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص) .

(٤) في المطبوعة : «ونهجت بكم مناهج النور» .

خطيب الأشقياء :

قعد الخطيب الناطق على مرتبته من الغضى[1] وقام وزراؤه بين يديه في لظى ، وقال : «الحمد لله ، ولا أدري كيف ؟ لأني في موطن العطب والخوف ، لم أذل في ربقة التقليد مغلولاً ، وبقيد الشرك مقيداً مكبولاً ، (لا أدري)[2] أما المعبود فيكون مني الإقرار والجحود ، فلما قبلتم يدي لعنكم الله وعظمتموني ، وجعلتموني إماماً وقدمتموني ، فرحت نفسي الخسيسة بتلك الرئاسة المحوشة ، ولم تأخذوا في تعظيم حالي إلاَّ رغبة في جاهي وطمعاً في مالي ، ولم يكن عندي علم ألقيه إليكم ، ولا معرفة أسردها عليكم ، ومنعني الكبر أن أسأل العلماء العمال ، ورأيت العلماء السوء منكم يخدون بابي ، ويلازمون ركابي ، رغبة فيما عندي من الأموال ، فأن قلت قولاً باطلاً صححوه ، وإن زورت كذباً حققوه وشرحوه ، وقالوا : هذا هو الحق الذي لا يرد ، والعلم الأقدس الذي لا يحد ، لقد أعطيت أيها السيد من الذكاء والفطنة وجودة القريحة ما لم يعطه أحد ، فاغتر الجاهلون بهم على ذلك ، فجروا على مذهبهم ، فأوردهم المهالك ، فغالطتني نفسي واحتجبت عن صرف عقلي برئاسة حسي ، فصرت أخترع الأكاذب ، وأشرع المذاهب، وفتحت بيوت الأموال، وملكت بها العلماء السفال ، وتبعتموني على كل باطل ، فكنتم قوماً بوراً ، فوتدعوا اليوم ثبوراً واحداً وأدع ثبوراً كثيراً ، تخيلتم أن ربوبيتي دائمة ، ومملكتي لا تزال قائمة ، واغتررتم بوعدي، فأجهدتم نفوسكم في شكري وحمدي ، فاليوم أقول لكم ما قال الشيطان الرجيم ، حين قضى الأمر في سواء الجحيم **﴿إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلاَّ أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾**[3] «زادكم الله إلى عذابكم عذاباً، وفتح لكم إلى كل شر باباً» .

فيقولون : «صدقت وأنت الكذوب ، لعنك الله واخزاك ، وأهانك وأرداك ، جازاك الله عنا أسوأ ما جازى به مفسداً ملحداً ، وجعل لك في كل منهل من السوء مورداً» .

---

(١) الغضى نوع من الشجر: جمره أحر جمر عُرف ، وفي المطبوعة: «الفضا» بالفاء .

(٢) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٣) سورة إبراهيم؛ الآية: ٢٢ .

فلما عاينت هذه المشاهدة المتقابلة وعرفت سبب ضحك الأب[1] في المنازل العالية ، وبكائه في المنازل السافلة ، قلت له يا أبت أريد أن تخبرني بما علمت ، من الأسماء ، وهل كانت لكم خلافة في السماء ، فقال : يا بني من القدم الواحدة مخصوصة بالسماء ، والخلافة ذات قدمين ، فلا يصح فيها وجود الخلفاء .

وأما ما سألت عنه من معالم الأسماء ، فإن الله عرض الحقائق قبل تأليفها ، وعرفني بأسمائها وأسماء ما يتألف منها ، وأعلمني بكيفية تركيبها وتصريفها ، ثم عرض على الملائكة تلك الحقائق ، وأخفى عنهم ما أشهدني من الرقائق ، لما تقدم منهم في حتى من التجريح ، كما رأيته في النبأ الصحيح **﴿فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾** وأشار إليهم ، لكونهم[2] حاضرين ، ولو أراد الأسماء خاصة ، لقال **﴿عرضها﴾** وفي قوله ـ عرضهم محجة واضحة[3] يعرفها من فرضها ، فعرفت الملائكة أسماء الحقائق في حال افتراقها ، حين اختصصت أنا بمعرفة أسماء تركيبات حقائقها ، فقالوا : **﴿سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم﴾** قال الله جلّ ثناؤه : **﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾** فألفت الحقائق بطريقة ما ، وقلت : هذا فرس وألقنها بطريق آخر ، وقلت : هذا إنسان ، فأنبأتهم بأسمائهم ، فظهرت حجة الله على خلقه ، وقام لهم برهان حقه .

فمثل هذه الأسماء اختصصت وهي التي على الملائكة نصصت ، وإلاّ فليست في الاسماء عند وجود الأعيان معرفة غامضة عند الأرواح ، لأنها علي مجرد الإصلاح ، ولهذا اختلفت عوالم العبارات عنها عند شهودها ، ولم تختلف المعاني التي بها قوام وجودها ، ولهذا قالت الأعراب : هذا فرس وهو جواد ، وهو طرف ، وقالت الإفرنج فيه «كفالة» وقالت الروم فيه «ألوغ وقالت الترك فيها آات[4] وقالت الأرمن فيه : سي ، وقالت العجم فيه : أسب ، فالنفس تعقل

---

(١) الأب هو : آدم (ع) .

(٢) في النسخة التي راجعنا عليها «لكنهم» والتصحيح من المطبوعة .

(٣) في المطبوعة : «بحجة صادقة» وفي الأصل الذي راجعنا عليه «بحجة واضحة» .

(٤) في المطبوعة : «أط» بسكون الطاء .

معـانيها وان اختلفت أسـاميها في مبـانيها ، فقلت لـه هذه الأسمـاء الكيانيـة[1] فهل اختصصت أيضاً بالاسماء الإلهية ؟ فقال : عليها فطرت الصورة الإنسـانية ، انـظرها فهي في مصـرمك ، وتحققهـا فهي معرفتـك بمعرفتـك[2] تفـاضلت أشخـاص هـذا الجنس ، وبمشاهدتها تقدس العقل وزكت النفس .

فقالت له : كذلك وجدتها ، ولهـذا عبدتهـا وما عبـدتها[3] ثم قلت : يـا أبت أنت جـامع القبضتين ، وصـاحب الحكمتين ، وحـامـل الصـورتين ، فـأخبـرني عن السـر الـذي يـرد المعـادن إلى معـدنين ، وأوقفني على الكنـزين الأحـمـرين والأبيضين ، وعن سـر كل وصفين ، كـالجلال والجمـال ، والانفصـال والإتصـال ، والتـركيب والتحليل ، والتجميـل والتفصيل ، والغـذاء والبقاء ، والثبـات والمحـو ، والسكر والصحو ، الـرب والعبد ، والحـر والبرد ومـا أشبه ذلـك ، فأما أن يخبـرني بحقيقة تجمع لي هذه المعاني ، وأما بتفصيل هذه المباني .

فقـال : أما التفصيـل فيـطول ، وايضـاح الحقيقـة الجـامعـة أولى بـالـوقت ، فـأقـول : إن الأشيـاء المنفعلة إنمـا تنبعث من فـاعلهـا على حقيقـة وجـوده في الأعيان ، ولهذا «لم يبق أبدع من هذا العالم في الإمكان» وأبين مـا يكون ذلـك في الإنسـان إذ له أجـود المطلق ، والفيض المحقق ، فـإن تفـطنت فقـد أبنت لـك عن درج التحقيق ، وألقيتـك على الطريق ، فـادرج عليه ، حتى تعـاين أسرار التفصيـل لديه .

وأما بحثك عن الكنزين ، والأمر الـذي يرد المعـادن إلى معدنين ، فـاعلم أن هذا الأمر على مرتبتين :

المرتبة الواحدة: في الشاهد، تسمىٰ خرق العوائد، وهي تصريف المحسوس على حكم همم النفوس مختصة بأرباب الهمم ومعادن الحكم، فقوتهم تسري في الأرواح، تقلب[4] صفات أعيان الأشباح، فهذه صناعة علمية، وصورة حكميـة، آلاتها روحانية، وموادها سماوية، أكسيرها مقرون بسعادة الأبد، وفعله: مشاهدة الأحد، يتصرف في العقلاء تصرف الأفعال بالاسماء.

---

(١) في المطبوعة: «الكائنة» .

(٢) في المطبوعة: «فهي معرفتك ، وبمعرفتها تفاضلت أشخاص هذا الجنس» .

(٣) الأولى : مشلدة الباء ، من التعبيد ، وهو التذليل ، يُقال : طريق معبد أي مذلل وممهد .

(٤) في المطبوعة: «بقلب صفات» .

وأما المرتبة الأخرىٰ : فهي صناعة علمية، موقوفة على عناية أزلية، تورث الجنان ومجاورة الرحمان . ولهذا قال في الكتاب المبين ﴿نتبوأ من الجنة حيث نشاء، فنعم أجر العاملين﴾[1] ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ - وفيه - ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾[2] فمن أراد أن يقف عليها، ويتصل إليها ، فإنها الكنز الذي لا يهد جداره، والزند الذي لا يظهر أواره، هي حكمة لا يودعها الله إلّا الأمناء من عباده ، والمتألهين[3] بحضرة أشهاده ، فإذا أراد الشيخ أن يظهر في المريد ربوبيته : يخفي عنه سببيته[4] ويضرب له ميقاته ، ثم يحجب عنه أوقاته ، ويأمره بالقصد إلى خط الإستواء حيث يكون الليل والنهار ، والحر والبرد فيه على السواء واعمد فيه إلى الجبل الشاهق في السماء ، فستجده جبلاً على الذرى[5] صعب المرتقىٰ ، فيه أنواع من الحيوان ، وكهوف وغيران ، يغمره بيض وسودان[6] ، جردته أكثر من خضرته[7] ، يخترقه الرياح ، ويغمره النارية والنور[8] من الأرواح ، لهم سلطان عظيم ، يسكن في قُننه[9] ،وزرعته ،حافون بقبته[10] له أجناد امراء ، وحكام وحكماء ، فقام لنفسي الملك خاطر السعادة ، والتوجه إلى طريق المستفادة ، بخرق العادة ، والبحث عن الأمر الذي به دوام الملك بيده إلى أبد ، فاستعمل الفكر المحرق لما قام به من الشوق المقلق ، فانتج له : أن هذا الأمر موقوف على معركة الحكمة ، وأنها موضوعة بين النور والظلمة ، موقوفة على المعدن والنبات ، محكوم عليها بعدد شهود الزناة ، ولكن قصر به الفكر عن تعيين ذاته ، وعن الإدراك بجميع صفاته ، فقال له بعض حكمائه ، وأخص علمائه : أيها الملك : مطلبك في قدرتي ، وحاجتك بحيث قوتي ، ولكن قد لا تعرف

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٧٤ .

(٢) في المطبوعة : «فليعمل العاملون وفيه فليتنافس المتنافسون» . سورة المطففين ، الآية : ٢٦ .

(٣) في المطبوعة : «والمتأهلين» والمتأله المتعبد .

(٤) في المطبوعة : «شيئية» والربوبية هنا بمعنىٰ التربية ، وفي «المختار» : ورب ولده من باب رد : وربه ، تربية ، بمعنىٰ : أي رباه ، والمقصود بها هنا : أثر التربية . والله أعلم .

(٥) في المطبوعة : «عالي الذرىٰ» .

(٦) السودان : جمع أسود ، وليس هنا البلاد المعروفة .

(٧) أرض مجرودة : لا نبات فيها .

(٨) في المطبوعة : «والنورية» .

(٩) في المطبوعة : «قنته» و «القنة» بضم القاف : أعلىٰ الجبل .

(١٠) في المطبوعة : «وزعته حافون بقنته» .

قـدرهـا ، فيحـرمـك الله خيـرهـا ، فـأنـا أنبهـك أولاً على كيفيـة إيجـادهـا وحسن اسعادها ، فانها من الله بمكان ، وكأنها مشاركـة للقدرة في وجـود الأعيان[1] ، فهي حكمة علوية ، مدرجة في صناعة علمية .

لتعلم أيهـا الملك أن الله هو الحكيم الخبيـر ، وأنـه على كـل شيء قـديـر ، وأنـه قبل كـل شيء ، وأنه أوجـد الأشيـاء : لا من شيء ، لكن مـع اتصـافـه بهـذه القـدرة المحققة ، النـافذة المـطلقة ، لم تـوجد هـذه المعـادن ابتـداء ، حتى خلق الأفلاك العلوية ، والروحانيـات السماويـة ، واللمحات[2] الأفقيـة ، وأودع كل فلك روحـانية كـوكبية تحتـوي على خـاصيـة بهـا ، وعنـد وجـودهـا خلق الأرض والمـاء والهـواء الأثير ، ثم أوجـد فيها منهـا دائرة الـزمهريـر[3] ، ثم أجرى الشمس والقمـر والنجـوم : مسخرات بـأمره ، وخص كـل متكون عن هـذه الأجزاء بسـر من مكنـون سـره ، فظهـرت المعادن في أعيـانها ، وتخلصت بكـرور[4] زمانهـا[5] فإذا كـان الله تعـالىٰ ـ مع قـدرته ونفـوذ إرادته وقـوة علمه ـ لم يـوجد شيئـاً من هـذه المعـادن إلاّ بعد خلق هذه الأدوات ، وأجـزاء هذه المسخـرات ، فكيف تطمـع أنت أيها الملك أن تكـون فعّالاً لهـذه الحكمة ، مـع عدم هـذه الأدوات ، وتحصيل هـذه الآلات ، فإن قدرتـك قاصـرة ، وصفقتك ـ أن لـم تحصـل هذه الأدوات ـ خـاسرة ، ومـا فعل الله شيئـاً من هـذه الأدوات ، وقـدم هـذه (المقـدمـات)[6] : ـ الآلات ، مــع غنـاء عنها ـ إلاّ لحكم [7] علمها من علمها ، وجهلها من جهلها .

قـال الملك : فكيف السبيـل إلى تحصيـل هـذه الأدوات ، وتـركيب هـذه المقدمات .

فقـال الحكيم : أيها الملك ، ألست سـاكناً تحت خط الإستـواء ، وأنـك من أهل السواء .

---

(١) في المطبوعة : «وكأنها مشاركة للقدر في ايجاد الأعيان» .

(٢) في المطبوعة : «واللمحيات» .

(٣) لعله يقصد القمر ، لقول الشاعر :

وليـلـة ظـلامـهـا قـد اعـتـكـر　　　قـطعتـهـا والـزمـهـريـر مـا زهـر

(٤) في المطبوعة : «بكر أزمانها» .

(٥) في نسخة دار الكتاب ونسخة طلعت «بكرور أدوار منازلها» .

(٦) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٧) في المطبوعة : «الا لحكمة» .

فقال الملك : نعم .

فقال الحكيم : من أراد أن يعرف أصل نشأة العالم ، وترتيب هيئته : من خط الإستواء يعرفه .

فقال الملك : فكيف أصنع ، فإني لا أجد في نفسي قوة تصور هذه الأسباب والمقدمات ، وإيجاد هذه التأليفات والمركبات .

فقال الحكيم : إن الله سبحانه وتعالىٰ قد منحني القوة على بناء ما يماثلها ، وإقامة ما يشاكلها ، ووهبني أسرار كيفياتها ، وكميات حركاتها ، ولي أصحاب من الحكماء من أهل الفطنة والذكاء ، أشد بهم أزري ، أحكم بمشاورتهم ورأيهم أمري ، ليقضي المولىٰ ؛ وتقوم له هذه الروحانيات العلىٰ .

فسر الملك بما قاله الحكيم ، وزال عنه ما كان أحاط به من الهموم ، وقام الحكيم فاخترق مخاريق هذا الجبل العظيم ، ينظر فيه : أين نقطة دائرة المركز الذي تقوم عليه النشأة ، ويترتب عليه نظام الهيئة ، فرأىٰ الرياح والبخارات التي تنحل من مسام ذلك الجبل تصير كالدائرة تتحرك في موضعها ، ولا تتعدىٰ إلى غير مهيعها ، فأعمل الحيلة حتى روحن[1] ذاته ، فالتحق بالاطيار وسوىٰ جناحيه وطار ، واخترق معظم تلك الرياح : محلقاً في جوها ، ينزل بنزولها ، ويسمو بسموها ، إلى أن انتهىٰ إلى موضع لا يتعدىٰ النازل فيه على الصاعد ، ولا الصاعد على النازل .

فقال الحكيم : الله أكبر ، قام الملك وظهر ، فإذا بذلك المركز المعقول أرضاً ذات أشجار وبقول ، وأدار عليها الماء فدار ، وأدار عليه الهواء فصفق النسر بجناحيه فيه وطار ، وأدارته دائرة الزمهرير ، وحلق به الفلك الأثير ، فلما أكمل هذه الأركان لإنشاء ما يريد من المعادن والنبات والحيوان ، لم ينفعل عنها ما أراد ، لأنها أشباح بلا أرواح ، وأناث بلا ذكور ، فاحتاج إلى إقامة النجوم الثابتة والبروج الحاكمة ، والكواكب السّيارة ، وحركات أفلاكها ، وفتح مسالك أملاكها ، وأقامها فكانت الآباء العلويات وهذه الأمهات السفليات ، فتناكحا بالحقائق

---

(١) في المطبوعة: «روض ذاته» ، ومعنى روحن ذاته : طيبها وأراحها ، وفي المختار «مكان روحاني» بفتح الراء : طيب .

الروحانيات ، والدقائق السماويات ، فتولد منهما[1] بنات الحكم المعونيات والنباتيات والحيوانيات ، ولم تبلغ قوة هذا الحكيم (فوق)[2] هذا الحد ، ولكنه وفي بالمقصد ، فلما أستوت هذه البنية على حسب ما أعطته الرؤية وحسن النية ، وجرت الأفلاك ، وأعطت قواها الروحانيات ، وظهرت التكوينات والانفعالات ، وأشرف الملك الكريم على ما فعله الحكيم ، وعاين تعيين[3] الحكمة في هذا الأجر وأن عرف أن الأمر[4] لا يقوم إلاّ بوجود الأرض والسماء ، وأعجبه ما رأى من حسن الرأي ، فأدركه الطيش والتوله ، فخاف عليه الحكيم التأله ، فأعمل الحيلة والنظر ، حتى لاح له ما أراد [5] وظهر ، وشرع في إنشاء بستان ذي أفنان ، فيه من كل وليد وقهرمان ، ومن الجواري الحسان ، والنخيل والأعناب والرمان ، ضروب وألوان ، تنساب فيه الجداول انسياب الثعابين بين تلك الأزهار والبساتين ، وابتنىٰ فيها قصوراً من الذهب والفضة البيضاء ، وأسكنها من كل جارية غضاء[6] وفرشها بالحرير من السندس والاستبرق والعبقري المرتق ، وجعل حصباءها الياقوت والمرجان ، والزمرد والجوهر ، وترابها فتيت المسك وآكامها العنبر ، ثم شرع في إنشاء دار أخرىٰ ذات لهب وسعير ، وبرد وزمهرير وسعير ، وقيود وأغلال ، وسرابيل من القطران ، وأفاعي كأنها البخت ، وأساود عظيمة الشخت وعقارب مكونة من السحت ، وبيوت مظلمة ومسالك ضيقة ، وكروب وغموم ، ومصائب وهموم .

ثم أشرف الملك على الدارين، وقال : انظر ما بين المنزلتين ، فراعه ما رآه ، وسأله : ما السبب الذي دعاه ؟ .

فقال الحكيم : جعلت لك هذا الدار : دار الرضا تنعم بها من أطاعك ووالاك ، وجعلت لك هذه الأخرىٰ : دار الغضب ، تعذب بها من عصاك وعاداك .

---

(١) في المطبوعة : «فتولد بينهما بنات» .

(٢) في النسخة التي راجعنا عليها «ولم تبلغ قوة هذا الحكيم فوق هذا الحد» .

(٣) في المطبوعة : «تكون» .

(٤) في المطبوعة : «في هذه الأجزاء وعرف» الخ .

(٥) في المطبوعة : «حتىٰ بدا له ما أراده وظهر» .

(٦) كل ناضر : «غضر» تقول : شاب غض يعني لم يصلب عوده .

وأعلم أن الله تعالىٰ ما أسكنك في هذه الدار إلاّ ليجعلها دار اعتبار ، فتفكر وتعتبر ، وتذكر وتزدجر ، وتعظم من سواك فعدلك ، وصورك فجملك ، وولاك وملكك ، وعلمك وحنكك ، فإن كنت مطيعاً لربك ، عادلاً في رعيتك فستصير إلى النعيم عند الله ، كما تصير أنت من أطاعك إلى هذا النعيم .

وإن كنت عاصياً جائراً في حكمك ، ظالماً ، فستصير إلى ضيق وعذاب جحيم ، كما تصير أنت من عصاك وناواك إلى عذاب أليم ، فخف ربك وذنبك ، وأصلح مع الله قلبك ، وأنذر قومك ، وطهر ثوبك ، ولا يحجبنك سلطان عادتك عن تحصيل أسباب سعادتك ، فإن الدنيا لمحة بارق ، وخيال طارق ، كم من ملك مثلك ملكها ، ثم رحل عنها وتركها ، ولا بد لك من الرحلة (عنها إلى)[1] الآخرة فأما أن تعمر درجها ، وإما أن تعمر دركها .

واعلم أن الله تعالىٰ ما جعلك ملكاً على خلقه ، وأقامك بين الباطل والحق في مقام حقه ، لقصور قدرته عن إصلاح الخلق وتدبيره ، وتصريفه في أظهار الملك وتسخيره ، وإنما ضرب لك بك مثالاً في عالم الفناء ، لتستدل به على ترتيب الملك الإلهي في دار البقاء ، ولهذا جعل هذه الدنيا ظلاً زائلاً ، وغصناً مائلاً ، وجعلك عنها راحلاً ، فهي جسر منصوب على بحر الهلاك ، وميدان موضوع لمصارع الهلاك ، كم أبادت من القرون الماضية والأمم الخالية ، والجبابرة المتألهين[2] الطاغين . والحكماء والفضلاء . والأدباء والعقلاء . والأنبياء والأولياء ، فهل ترىٰ لهم من باقية[3]؟ .

وأنت أيها الملك على قارعة مذهبهم ، وعن قريب تلحق بهم ، فأما إلى نعيم في دار الخلد[4] بجوار الصمد ، وأما إلى عذاب الأبد ، فاجهد في تحصيل أدوات النجاة والبقاء ، فإن الدنيا متاع ، والآخرة خير لمن اتقىٰ ، والعارية مردودة ، وأعمالك بين يديك موجودة غير مفقودة ، في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ، ولا علانية ولا سريرة .

---

(١) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٢) المتكبرون على خلق الله ، المدعون للألوهية .

(٣) في المطبوعة : «والحكماء ، والأدباء ، والعقلاء والأولياء ، والأنبياء ، فهل ترىٰ لهم من باقية» .

(٤) في المطبوعة : «الخلود» .

وهـذا الـذي تعين على من نصيحتكم ﴿إن كنتم تعلمـون﴾ و ﴿مـا عـلى الرسول إلاّ البلاغ﴾ ﴿والله يعلم ما تبدون ومـا تكتمـون﴾.

فالسعادة كـل السعادة في المحـافظة على الأمـور الشرعيـة ، والقيام بـالحدود الوضعية»[١] .

فقال الملك : جزاك الله خيـراً ، لقد وعـظت فأبلغت ، (وقـذفت بالحق على الباطل فأدمغت)[٢] .

فـأقبل الملك معتبراً على تلك الانفعـالات الـدوريـة ، والأحكام الكوريـة ، ولاحت لعينـه نشأة الحكمـة التي أرقته وشـوقته ، فـأقلقتـه ، فـاغتـر بهـا سلطانـه ، وتقـوت بوجـودها أركـانه ، فـإن دخلت في هذا الجبـل وشرح لـك الملك استقصاء مسـالكه ، مـع من يعرفـه من ممالكـه ، فستقف على تكـونهـا ، وقـوة تمكنهـا بعـد تلونها .

وفي هذا الجبل العزيز يتكون الحجر المـرموز ، وليس بكـامل في ذاتـه ، ولا متمم في صفـاتـه ، فـأدر سمـاواتــك واستـنـزل روحــانيتـك ، عسى تنجلي عنــك غمامها ، ويبدو لك بـدر تمامهـا ، وكذلـك أن لقيت روحانيـة متجسدة ، ذات همـة متعبـدة ، فستبين لك عينـه ، وتريـك أينه ، وتجـود عليك بتمـام تدبيـره ! وتعرفـك بكيفية تسخيره .

(فـإن التدبيـر[٣] بالأثقـال) لا يـزال في سفـال ، فـإن الحقـائق الـروحـانيـة ، والرقائق السماوية تتأذى مما تتأذى منه الإنسانية ، فالحذر الحذر من صفقة الغرر ، واطلب الشيء من معدنه ، ودبره في موطنه ، فإنـه من تولـد من الحقائق الـطيبة[٤]) الممزوجة بـالأثقال لا بـد أن أراد[٥]أن يكمل ذاتـه من مباشـرة الأذيال[٦] فـإنه عنهـا تكون ، وبها تحقق وجوده وتعين ، ولا يغرنك إلتحاق الأسـافل بـالأعالي ، وإلتحـام الأباعد بالأداني ، فإن للمعادن مواطناً ، ولكل سـاكن مسكناً ، فمن حـال بينها وبين

---

(١) أي التي وضعها لك الله تعالى وأمرك بالتزامها .

(٢) في نسخة : «وقدّمت بالحق على الباطل فادمغت» .

(٣) في المطبوعة : «فإن التقديس بالأثقال» .

(٤) في المطبوعة : «فإنه من الحقائق الطيبة» .

(٥) في المطبوعة : «لا بد لمن أراد» .

(٦) في المطبوعة : «الأذيال فإنها» .

معدنها ، ودبرها لغير موطنها سقط في يديه ، وحار[1] وباله عليه ، وكانت صفقته خاسرة ، وتجارته بائرة ، فإن كنت إلى تدبير هذه الصنعة[2] وايجاد هذه الحكمة بالأشواق ، فانزل عن هذه الأطباق ، وسل عن الجبل المعروف ، فستجد مطلبك في الحروف .

فنزلت في طلب ما عنه سألت ، فوفق لي روحانية متجسدة ، في محرابها متعبدة ، تقطع الليل ساجدة وقائمة ، ولباب ربها لازمة ، فلما سلمت من صلاتها ، وفرغت من دعواتها ، كوشفت بغرضي ، فأخذت في إزالة مرضي ، وقالت أنا على علم : ما سلب العقول فقدانه ، وعسير على أهل الطلب والذكاء وجدانه ، وعشقهم في هذا الأمر حيرهم فيه ، فصرفهم عنه وأعماهم ، فلو صحوا وآثروا الزهد فيه ، لحصل لهم (لوقوفهم على ما هم فيه)[3] وما هم ؟ وأنا أريد أن أودعك إيّاه ، وأنزهك في محياه ، واعرفك : لمعناه ، واتحفك بسر معناه ، وأفرق لك بين حكمته (في مماته ، وبين حكمته في محياه)[4].فانتهض معي بلا حول ولا قوة إلّا بالله ، فرحل إلى خط الاستواء فإذا بالجبل المذكور يعانق عنان السماء ، فنزل إليه شخص من سراة الأرواح ، في نسيم الأرواح : لطيف الإشارة ، فصيح العبارة فقال : مرحباً وأهلاً ، وسعة وسهلاً ، فقال الشيخ : هذا الغلام قد أنزلته عليك ، وسلمته إليك : له همة في طلب الحكمة ، وتشوف إلى معدن الرحمة ، فسلمني إليه ، ووقف وقبلني الآخر ولم يتوقف ، وسرت معه وانصرف إلى أن أدخلنا على الملك ، فقبلت يمين بساطه . وأنبسط ، فسررت بانبساطه ، وعرف مقصدي فأخذ فيه بيدي ، وأشار إلي بعض وزعته ، وقال : سر به في ملكي ، ثم مكنه من حاجتي ، فأخذني المملوك ، وكان من أحسن المماليك ، فاخترق بي جميع المسالك ، فرأيت ملكاً عظيماً ، وسلطاناً جسيماً ، بديع الترتيب والنظم ، رفيع الكيف موزون الكم ، ما من مسلك فيه إلّا عليه

(١) في المطبوعة : «وعاد» .

(٢) في المطبوعة : «هذه الصيغة» .

(٣) في المطبوعة : «لحصل لهم توقوفهم على ما هم فيه» ، والمعنى أنهم لو أستيقظوا وفطنوا ، وزهدوا فيما يريدون : «لأتاهم» واللام في قوله «لوقوفهم» لام السببية ، والمعنى لمعناه : يعني لأجزائه ، واللام في «لمعناه» بمعنى الباء ، وحروف الجر ينوب بعضها عن بعض في كثير من الأوقات .

(٤) في المطبوعة : «وحكمته في محياه» .

حافظ ، ولا مجلس إلاّ وفيه واعظ ، فمما رأيت فيه : نهراً عظيماً يجري منه وينتهي فيه ، ينبعث من صهريج محكم البناء ، يخرج منه ترع لمزارعهم وجداول لسقي أشجارهم وبساتينهم ، فإذا كثرت الأمطار عليهم ، وترادفت السيول ، وعظمت الترع والجداول ، وسالت الجعافر والمذانب[1] خافوا على أنفسهم الدمار ، لترادف تلك السيول ، وتوالي الأمطار ، ولهذه الأنهار أسداد مدبرة محكمة ، لا يقوىٰ كل أحد على فتحها ، إلاّ العالمون بذلك .

وإلى جانب ذلك الجبل قرية فيها عالم حكيم صنع[2] اسمه مالك قد ورث فتح تلك الأسداد عن الآباء والأجداد ، فيفتح منها بصنعة معلومة ما يخاف منه ، فينتشر على الأرض، فيغيض الماء ، وتقلع السماء ، فتصلح الأحوال بوجود الاعتدال فإن النقص والتطفيف سبب البوار ودليل الدمار .

فأخبرني الصاحب أن ذلك الماء لما أخرجه الحكيم في ذلك الجبل ، وأجراه وأقام مجراه سواه كالأصاد ، وأوقف منفعته على الاقتصاد ، وضرب لابتداء جريته ميقاتاً ، وربط لايجاد أقوات ما يعطيه أوقاتاً ، فمن عرف ما أودع في تدبيره الحكيم من العلوم ، دبر منه حكمته بصنعة تقويمية[3] ينظر إليها روحانيات النجوم .

ومما رأيت في ذلك الجبل : صهريجاً معلقاً في الهواء عليه قبة عظيمة محكمة البناء ، يسقط من تلك القبة حجارة رخوة ، بصنعة هندسية روحانية ، في ذلك الصهريج ، وفيه سرب منه إلى صهريج آخر معلق في الهواء ، ترسب تلك الأحجار فيه ، فتنتقل ، وعندهم نهر يسمىٰ : النهر الغريب ، يجري في أوقات مدبرة في سرب ، حتى ينتهي إلى ذلك الصهريج ، فإذا امتلأ طفت الحجارة على وجه الماء ، وذلك الصهريج مصنوع من الكبريت ، فيعود ذلك الماء حميماً ، فتطبخ تلك الأحجار ، فتكون منها الحكمة ، وهي التي تسمىٰ الكيمياء ، وما نزل عن روحانيتها صار ثفلاً وماء ، فلا تزال هكذا أبداً .

ورأيت في ذلك الجبل : مرجلاً ، على صورة الإنسان ، له سربان : كبير

---

(١) الجعفر : النهر الصغير ، والمذانب : جمع مذنب وهو : الموضع الذي ينتهي إليه سيله .

(٢) صنع : بضم الصاد وفتح النون .

(٣)) في المطبوعة : «فمن عرف ما أودع في تدبيره الحكيم تدبر منه كحمته بصنعة قيومية» .

وصغير ، يسمىٰ البرقان(١) تخرج منه نار محرقة ، وقد وكل الحكيم به شخصاً مدبراً مجوفاً شبه الروبان(٢) يلقف منه حرارة ذلك النار ، وله سرداب له فتح إلى الهواء فتخرج تلك الحرارة على باب ذلك السرداب ، ولولا ذلك لانهد(٣) ذلك الجبل ، واحترق كل من فيه من ساكنيه .

ولقد أخبرني تجار أهل البحر بهذه النيران في جزيرة صقلية وأن(٤) جبلاً عظيماً خارجاً في البحر ، قد عانق العنان ، يُقال له البركان ، تخرج منه نار عظيمة تفور كما يفور المرجل على النار ، وترمي بأحجار رخوة على وجه البحر ، وهي الأحجار التي تستعمل لاخراج الوسخ من الأقدام في الحمامات وغيرها .

وكذلك هذا الموضع الذي ذكرته في هذا الجبل .

ثم نهض بي إلى قصر الملك ، فرأيت قريباً منه بيتاً عظيماً من الورد الأحمر ، ورأيت فيه سردابين عظيمين ، قد أودع فيه الحكيم طلسمين : الطلسم الواحد يعطي هبوب الرياح الزعازع ، والطلسم الآخر يعطي نسيم الحياة ، وله حكم في الغارب والطالع ، وفي ذلك البيت عشر جماعات ، قد رتبهم الحكيم لأعمال بعض الصناعات ، وقد قام فيهم شخيص عريض ، لين الشمائل ، معتدل (القد)(٥) أريض(٦) يدعى تاج الأقاويل ومعتمد الأقاويل(٧) له قدم في اختراق الهواء ، وباع متسع في علوم الأرض والسماء ، يحمل من عالم الغيب والشهادة ما ترونه في مستقر العادة ، ويختص بسر ذلك العلم المحققون من أهل الإرادة ، فغمزني صاحبي وقال أنظر إلى أوسط جماعة وتحققهم ، فإنهم مطلوب أرباب الصناعة ، فمن حصل واحداً فقد استغنىٰ . وحصل على المعنىٰ وتهنىٰ ولم يتعنى ، وطوبىٰ لمن أخرجهم من أماكنهم ، وغربهم من مواطنهم ، وشاهدت في

---

(١) هو البركان .

(٢) يعني خاثر النفس مختلط ، وقيل هو من السكر ، كما قال الشاعر :

فأما تميم : تميم بني مر   فألفاهم القوم : روبي نياما

(٣) في نسخة : «لانهدم» وفي المطبوعة «لتهدم» .

(٤) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٥) من المطبوعة .

(٦) يُقال : أرض أريضة : يعني زكية معجبة للعين .

(٧) في نسخة : ومعتمد الأوائل .

ذلك[1] الجبل من العجائب والأرواح المسخرة ، والسيميا الصحيحة ، والانفعالات التامة الكاملة ، والانبعاثات المحققة الشاملة الفاعلة ما تضيق به هذه العجالة عن شرح أمره وإيداع سره ، فلما طالعت هذه الأعلام المنصوبة ، وعاينت الغاية المطلوبة ، وأخذت في الإسراء والرجوع إلى سماء معلم الأسماء ، فقلت للوالد ، أريد أن أعرف ما للإنسان الواحد من التصرف في أهل الإرادة السالكين طريق السعادة ، فقال : شأنك وإيّاه ، ولا تغفل طرفة عين عن الله ، فناديته يا هلال ، يا قمر ، يا بدر : فما أجاب ، وقال : خسر من دعاني هنا بهذه الأسماء ، فناديته يا سلطان الأنوار والظلم[2] ، فضحك وقال : لا أجيب لمن ناداني في سمائي بغير أخص أسمائي ، وأما من ناداني بغير أسمائي ، فكل اسم يناديني به فهو من جملة أسمائي .

فقلت : أريد أن تخبرني بما لك من التصرفات في أهل الأحوال والمقامات ، وما تعطيهم من التنزلات والتجليات والكرامات ؟ فقال : إن الله قدر لي المنازل في الأعالي والأسافل ، فلي في كل يوم منزلة ، وأحوالنا في هذه المنازل مختلفة ، فإذا نزلت بالنطح ، والبطين ، والجبهة ، والخرثاء ، والصرفة ، والنعائم ، والبلدة : أعطيت من الأعمال المجاهدات ، ومن التنزلات الإشارات ، ومن التجليات الإصطلاميات ، ومن الكرامات المشي على البحور الزاخرات ، وإذا نزلت بالثريا ، والدبران ، والهقعة ، والعوا ، والسماك ، والذابح ، وبلع : أعطيت من الأعمال الرياضيات والحلقيات، ومن التنزلات : برد الأنامل الحاملات لجميع العلوم الكائنات ، ومن التجليات ما يختص بالنزول في السماوات ، ومن الكرامات قطع ما بعد من المسافات بيسير الخطوات ، وإذا نزلت بالهنعة ، والذراع ، والغفر والزبانا ، والسعود ، والأخبية ، والمقدم : أعطيت ما تكثر فيه الحركات ! ويسرع فيه تغير الحالات ، ومن التنزلات ما تحمله المعصرات ، ومن التجليات ما يظهر في المواطن البرزخيات ، ومن الكرامات اختراق الهواء كالطير والذاريات ، وإذا نزلت بالنثرة ، والطرق ، والأكليل ، والقلب ، والشولة ، والمؤخر ، والرشا : أعطيت من الأعمال الوصال في الهاجرات ، ومن التنزلات

---

(١) في المطبوعة : «في هذا الجبل» .

(٢) في هذا الكلام من أوله إلى آخره رد على عباد النجوم والكواكب والفلاسفة أبلغ رد على بطلان مذاهبهم .

ما يختص بسريان الحياة في الحيوانات ، ومن التجليات ما يأتي على أيدي المرسلات ، ومن الكرامات إحياء الموات .

فهذا يا أخا الأجلال ذكر حالتي معكم على طريق الإجمال .

وأقمت في هذه السماء ، في تحصيل هذه الأنباء ، يومين : كل يوم منهما على قدر أربعة عشر يوماً من أيام الدنيا .

جعلنا الله وإياكم ممّن عقل معناه ، وأكرم مثواه ، وبر أباه وحفظه وتولاه ، وقدس في كل موطن معناه ، وأبين له طريق هداه ، ونزه في كل وجهة محياه ، وأكرمه مولاه ، في مماته ومحياه ، وحياه عند اللقاء الأنزه بالتحتيات الطيبات المباركات ، وبياه .

فالفائز ـ والله ـ من زكى روحه ، والخائب من دساه .

البــاب الثامن والأربعون

في اختصاص العشاء بيوم الثلاثاء ، ومن هو الامام فيه ، وما يظهر فيه من الانفعالات

سـلام عـلى يـوم الثـلاثـاء أنـه ... لـه همـة خصـت بعشق محمـد
لهـا الـدرج العـالي إلى كـل غـايـة ... من العـالم العلوي في كـل مشهـد
به كان بـأس الله في الأرض ظاهـراً ... ولـكنـه فـي كـل عضـب مـهنـد

ثم انشأ لي جواداً من المرة الصفراء ، والتحفت بالبردة الحمراء ، وسرت أريد سماء الخلافة النبوية ، والإمامة البشرية ، فلما وصلت الفلك الخامس إذا بالخليفة جالس ، مرتدياً برداء العزة والسلطان ، عديم النظراء والأقران ، فسلمت فرحب وأهل ، وسع وسهل ، وأمر بذبح ما حضر من الحيوان (وتسعير النيران)[1] ، فحمرت القدور الراسيات ، وأحضرت جفان كالجابيات ، وجيء بالكوامل المستديرات ، عليها من الخبز المرقق واللحم المدقق : ما تسر برؤيته الحياة في الأشباح ، وتنعم بمشاهدته لطائف الأرواح ، ناهيك عن طعام صدر عن سر الحرفين ، ونزل من كرسي القدمين ، فلما تملأنا من الطعام ، وحمدنا الله تعالى على ما منحنا من سوابغ الأنعام ، أظهر الخليفة غرة نفسه وقوة بأسه ، وبيمينه قضيب من الذكر[2] اليماني رقيق الأشفار ، ماضي الغرار فقلت : حذار من أسد العرين حذار ، وبين يديه جماعة من الأنجاد الأجود ، قد امتطوا متون

---

(١) ما بين القوسين من المطبوعة .
(٢) السيف .

الصافنات الجياد ، عليهم الدروع المحكمة السرد ، وبأيديهم رماح الخطي[1] وقواضب الهند ، وهم عازمون على إيقاع البلايا والمحن وأظهار الحروب والفتن ، وإهلاك الأعداء من النحل والملل ، والفتك فيهم بحد القواضب والأسل ، وقد ظهر سلطان الغضب المقلق ، وارتفع لنار الحمية : اللهب المحرق ، وبان الطريقان ، وامتاز الفريقان ، وكل فريق يذب عن سننه ، ويحمىٰ ذمار سننه[2] فقلت يا سوء المكر الذي يحيق لعالم الخفض ، وبأبوس لأهل الأرض ، وقام وزير الخليفة خطيباً في ذلك الملاء الأعلىٰ ، عن اذن الخليفة المولى ، بيده عصاً من الحديد ، يلحق بها القريب والبعيد ، متوجاً بغمامة حمراء ، مرتدياً برداء أحمر ، عليه فظاظة نكير ومنكر ، فعندما أراد الشروع في خطبته العمياء ، والتحريض على فتنة الداهية الدهياء : أقام المؤذن صلاة العشاء ، فبادرت إلى الصف الأول خلف الإمام ، فبينا أنا أحضر نية الأحرام ، إذ سنح بخاطري رسول الإلهام بأبيات سمائية في أسرار صلاة عشائية (والله الموفق : لا رب غيره)[3] وهي :

دعاني للمسامرة المنادي ... مع المحبوب حين أتى العشاء
فأسبغت الوضوء وجئت قصداً ... إليه ولم ينهنهي اللقاء
فكبرنا نشير بأن أتينا ... فما رفع الحجاب ولا اللواء
فأثنينا بحمديه جميعاً ... فشال الستر وارتفع الغطاء
وقال أصبت خيراً يا سميري ... وصح لنا السنا ، ثم السناء
تسامرني بلفظك من بعيد ... وللمعنى على القرب استواء
فلا شرق ولا غرب لذاتي ... وليس لها الإمام ولا الوراء
وليس لها الأسافل والأعالي ... وليس لها الكفاح ولا الأزار
لنا الظلمات ، والأنوار حجب ... على الأبصار ، ثم لنا العماء
فإن أكني بنيت على وجودي ... لتعليمي ، فأنت له لحاء
فيا قوم اسمعوا ما قال ربي ... وما أعطى التعبد والحياء
فلما أن صفا الود : اتحدنا ... فكان المرتدي وأنا الرداء

(١) الخطى : ساحل للسفن التي تحمل القنا إليه وتعمل به اهـ. من المصباح ملخصاً .
(٢) الأولى : ما أسته لنفسه : والثانية : الوجه من الأرض .
(٣) ما بين القوسين من المطبوعة .

فلما أحرمنا بدت ظلمات العمى ، فلما افتتحنا المخاطبة أجبنا من غير أرض ولا سما ، فلما جهرنا قيل : من أنتم ؟ ومن أنا ؟ فلما أسررنا ، وقعنا في العنا ، فلما كبرنا للركوع هيمنا في الهوى ، فلما رفعنا . ظهر سلطان الحيرة ، فلما سجدنا أسدل حجاب الغيرة ، فلما أستوينا جالسين رأينا المستوى على السرير غيره ، فلما سلمنا سلبنا المعرفة ، ورمىٰ بنا في بحر الصفة ، ولما فرغ الإمام من صلاته ، وأكمل جميع تسبيحاته ودعواته ، أخذ الخطيب عصاه ، وقام إلى ما كان قبل ذلك نواه ، وقال :

«الحمد لله واضع الملك ، وشارع النحل ، تارة بالوحي وتارة بالإلهام ، فوقتاً خلف حجاب الاشراق ، ووقتاً خلف حجاب الأظلام ، فأضل وهدى ، وأنجى وأردى ، وأقام أعلام الضلالة والهدىٰ ، ففصل بها بين الأولياء والأعدا ، فجعل الهدىٰ لحزب السعادة سلماً ، ونصب الضلالة لحزب الشقاوة علماً وأوقع بينهما الفتن والحرب ، في عالم الشهادة والغيب ، وثبت في صدورهم الشحناء ، وبدت بينهما العداوة والبغضاء ، فسفكت الدماء ، واتبعت الأهواء ، فالسعيد منا من ناضل عن عرشه المؤيد بالآيات ، وقاتل عن وضعه المقرر بالمعجزات ، والشقي من احتمىٰ بحمىٰ الضلالات ، ودافع عنها بمجرد المحميات[١] ، وأعمى نفسه عن ملاحظة الصواب ، فيما وقع من الخطاب ، فبادروا إلى نصرة الدين الملكي[٢] وقاتلوا بما ثبت في قلوبكم[٣] من اليقين اليميني ، وقد خاب من طلب أثراً بعد عين ورجع بعد معرفته بعلو مرتبة الصدق إلى المين»[٤] .

جعلنا الله وإيّاكم ممن ذب عن شرعه المعصوم ، وناضل عن دينه المعلوم .

وأنا أيها الأشراف الأقاول[٥] ، والربانيون الأوائل ، روح المقام المحمدي ،

---

(١) في المطبوعة : «الحمايات» ومجرد المحميات هو : ما تجعله الدولة من التجاريد لحماية الأماكن ، والبلاد ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) في نسخة : «دين الملك الوهاب» .

(٣) في المطبوعة : «في نفوسكم» .

(٤) المين : الكذب .

(٥) الأقاول : الرؤساء . في المصباح : المقول . بكسر الميم : الرئيس ، وهو دون الملك ، والجمع : مقاول .

ومعطيه سيف منزل الاستخلاف الكلي ، لنا الحياة والنمو ، والاعتدال والسمو ، ومعالي الدرجات ، وبلوغ الغايات ، والترقي إلى المعالي ، والتلقي من المقام الأنزه العالي ، وتحليل الجامد ، والترحيب بالقاصد ، والعز القاهر ، والسلطان الظاهر ، والنضال عن الدين ، وسفك دماء الملحدين ، ونصرة الغزاة والموحدين ، ونيل الأغراض ، وسرعة الانتهاض إلى إزالة الأمراض .

فله الشكر سبحانه على ما أولىٰ ، وله الحمد في الآخرة والأولىٰ .

البـاب التاسـع والأربعون

في اختصاص العصر بيوم الأربعاء ومن هو الامام فيه ، وما يظهر فيه من الانفعالات «بعون الله ومنه وكرمه»[1]

سلام على عيسىٰ المسيح بن مريما ... نـبـي لــه الأرواح أيــان يـمـمـا
تبـدي ونور الشمس في الأفق طـالع ... فلم أدر ممن[2] أشرق الكون منهمـا
تــولـد في الأرحام من غيـر شهـوة ... عن النفخـة العليا : فصـار محكمـا
على سر أحياء المـوات ونشرهــا ... فـكــان ليــوم الأربعــاء متـمـمــا
وكــاتبــه الــوهمـي أرســل همــه ... على روح فــرار ، فيسمىٰ مجسمـا
فكـان لطيفـاً في التحـاليـل صـانعـاً ... وكـان شجاعـاً في التراكيب مقـدمـا

فلمـا فرغ خـطيب الفلك الخامس من خـطبته ، وقـرع الأسماع بمـوعـظتـه ، وأثنىٰ على نفســه بعلو درجتـه : خــرجنـا تــريـد السيــاحـة في فلوات المعــاني ، والسبـاحة[3] في الفلك الثـاني ، فسحت في مسـاحـات الأكـوار والأدوار ، وسبحت في ساحات الأنـوار والأسرار ، فتلقتني (النفحـة)[4] الروحـانية[5] المنبعثـة من القوة اللوحية ، بالشعلة اليوحية[6] المتكونة في الأرحام من غير التحام .

(١) ما بين القوسين من المطبوعة .
(٢) في الأصل الذي راجعنا عنيه «من» .
(٣) في المطبوعة : «السباحة» .
(٤) ما بين القوسين من المطبوعة .
(٥) في مخطوطة دار الكتب ومكتبة طلعت «الروحية» .
(٦) في نسخة دار الكتب : «بالعلة اليوحية» ، وفي نسخة طلعت : «بالأشعة اليوحية» .

فقلت : سلام[1] على الكلمة والروح الإلهي ، والمنزه عن الإستنكاف الرباني[2] فقال «وعليك السلام أيها الطالب» علو المراتب ، والذاهب في أقصد[3] المذاهب .

فقلت : الحمد لله على شهادة اعتصامية حاكمة ، من نبوة خاتمة .

فناداني بالحبيب المضاف إليه : ودعا لي بالتثبيت المعول عليه ، وسألني : هل وقفت على حقائقي وميزت بين لطائف دقائقي ، فإن موارد أرواح القدس إنما تكون بعد تقدم معرفة النفس ، فانشدت (هذه الأبيات أقول) [4] :

أن القلوب بذكر الله وآلهة — والسر في مشهد المذكور مشغول
والنفس في البرزخ الكوني قابلة — والروح في الفلك العلوي مقبول
والعقل بين أمينيه : جليسهما — والحس في الفلك السفلي مغلول

فقال : أبدعت في تفصيلك ، ونعم ما أودعت في تجميلك ، فهل بان لك نور الخلق والإبداع ، فتعشق بك القاع البقاع[5] .

فأنشدته[6]:

النور نور المبدعات الوله — في أوجها إلاّ على القريب الأنبه[7]
يبدي الذي يخفيه في ملكوته — من ملكه الأدنى القريب الأنوه
فانظر إلى روح تجسد في الثرى — (وأنظر إلى جسم تروحن أنزه)[8]
تبصر عجائب في منازل خلقها — بمشبه فيها وغير مشبه

---

(1) في نسخة : «والسلام» .

(2) من قوله تعالى : ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون﴾ والروح الإلهي هو المسيح (ع) الذي كان بكلمة «كن» ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ والله تعالى أعلم .

(3) في المطبوعة : «في أقصى» .

(4) ما بين القوسين من المطبوعة .

(5) القاع : ما أطمأن من الأرض ، والبقاع : ما ارتفع منها .

(6) ما بين القوسين ليس في المطبوعة .

(7) في المطبوعة : «في أوجه» .

(8) في المطبوعة :

فانظر إلى روح تجسد في الثرى — وانظر إلى جسم مريض أشوه

فالروح تشبه جسمه إن شاءه[1] والجسم ليس كذاك عند تأله[2]

فقال : وهل سلكت أول طريق السعادة ، وهو الإيمان بالغيب والشهادة ، فعرفت منزل صاحبه ، وأين يبلغ جواده الكريم السابح بركابه ؟ .

فأنشدته :

قل للذي يؤمن بالله أنت على نور من الله
أنت الإمام المصطفىٰ ، والذي يأتي من الله إلى الله
أنت الذي دان لك المستوىٰ وعز سلطانك بالله
فافخر فإن الفخر لا ينبغي إلا لمن يعتز بالله
لولا الذي عندك من صدقه ما كنت في ظل من الله
واحذر فإن الله مستدرج نفس الذي يغتر بالله
وأحسب على نفسك أنفاسها واهرب من الله إلى الله

فقال : هذا الإيمان قد حصل (لك)[3] فهل ألم بك الإسلام، ونزل فاعطاك فائدته ، وأجرىٰ فيك عادته[4] ؟ :

فأنشدته (هذه الأبيات)[5] :

إذا أسلم العبد وأستسلما وكان لأمر الهدىٰ محكما
ينادي به في طباق العلا الأقربوا السيد (الملهما)[6]
فيأتي إليه براق الهدىٰ يكون له : للعلا سلما
فيعلو عليه بانكاره فينزله المحضر المعلما
وينزله في ذرى أوجه فيسمع من حينه : من وما[7]
(وينطق في سره : سيدي أتسأل عني بـ «من ذا ، وما»[8]

---

(١) في المطبوعة : «أن جاءه» .
(٢) في المطبوعة : «توله» .
(٣) ما بين القوسين ليس في المطبوعة .
(٤) في المطبوعة : «عائدته» .
(٥) ما بين القوسين من المطبوعة .
(٦) في الأصل الذي راجعنا عنيه «الهمهما» .
(٧) وما : أشار : كذا في القاموس .
(٨) ما بين القوسين ليس في المطبوعة .

وأنت الذي جئت بي قاصداً إليك وخاطبت كي أفهما
فهمت الذي همت فيه ، وما يفيد الفؤاد إذا أسلما[1]

فقال : هذا قد شهد لك الإسلام بالتمام ، فهل للإحسان بساحتك المام ، فإنه يعطيك أسرار الكمال ، وتصريفات الجلال والجمال .

فأنشدته (هذه الأبيات)[2]:

إذا كان إحساني شهودي خالقي وكوني مشهودا فمالي إحسان
فإن وجودي من[3] وجود مشاهدي واني في عين المشاهد إنسان
لئن كنت قد ساءت ظنوني برؤيتي وجودي يا جودي فإنك محسان
تراني إذا جاء الشتاء بمنزلي كئيباً ، ومسروراً إذا جاء نيسان
وما ذلك إلاّ أن في الصدق ثلمة تدلي لها عاد بذل وساسان

فقال : هذا الإحسان قد ظهرت منك أعلامه ، وانتشرت فيك أحكامه ، فهل انتقلت عنه إلى سر السرى ، فعلمت أنه لا يعلم ولا يرى .

فأنشدته (هذه الأبيات)[4]:

سرى بسر السر للسر موصول ولا تكيف : أن الكيف تضليل
إذا عجزت عن إدراك الإله بما يعطيه برهانه ، فالعجز تحصيل
فلا تفصل ففي التفصيل تجملة ولا تجمل ففي الإجمال تفصيل
العلم بالله : نفي العلم عن خلد لكن مشهده للعقل معقول
إذا شهدت الفنا فيه : شهدت وقد أتى بذلك معقول ومنقول
العلم بالله ذوق لا دليل له ما الله في العقل للبرهان مدلول

فقال : هذا سراك ظاهر[5] ، وسرك به قاهر ، فهل أوقفك على سر الأيام المقدرات ، الموجودة عنها الأيام المسخرات ؟ وهل أشهدك سر الأبدية في يوم الاستحالات ، وكيف جمع المحالات .

---

(١) في المطبوعة : «سلما» .
(٢) ما بين القوسين من المطبوعة .
(٣) من ، بمعنى الباء : أي قائم بإيجاد الله الذي أنا مشاهده في سري .
(٤) ما بين القوسين من المطبوعة .
(٥) في المطبوعة : «هذا سرك ظاهر» .

فأنشدته (هذه الأبيات)[1] :

فقد كان الوجود بلا زمان ... ولا كون ، وكان له التمام
فلما أن أراد وجود عيني ... وكان الخلف قيده الأمام
فما يدري الوجود بغير ضد ... كما المأموم ميزه الإمام
فأول ما بدا : روح تعالىٰ ... وصح له الإقامة والدوام
فيوم ، ثم يوم لا يجاري ... وأربعة ، فقام بها النظام
وأيام الإله مقدرات ... فليس لها وجود : والسلام
فمنها ستة ظهرت وبانت ... وقيدها التصرف والمقام
وواحدها عزيز سرمدي ... له القدم الصحيحة والمقام
وذاك السبت رفعته نهار ... بأقوام ، وشتوته ظلام
إلى الأبد الذي ما فيه وقف ... وفيه كان للنفس القوام

فقال : نعم ما به أتيت ، وصحيحاً يا حبيبي كل ما رأيت ، لقد جمع لك بين مشاهدة العين ، ومكاشفة الكون ، فأنت الإمام الذي لا يجاري ، والعلام[2] الذي لا يباري ، ثم أقيمت في عالم المثال صورة الدجال ، فقتله في عالم المعاني ، بحيث أرى ، وألحقه بالثرى ، ثم جيء بكساء صوف من النور الأصفر ، فانتزع من عرضه قدر أربع أصابع ، ليس أكثر ، ولم يكن لطول ذلك الكساء ابتداء ولا انتهاء ، وقال : هذا كفنك ، وفيه مسكنك ، ثم أمرني بالزهد والسعاية ، والجد ، واحضرت بين أيدينا مائدة الابتداء فأكلنا معرفين بالنعمة والنعماء[3] ثم منحني عوارف اللطائف ، وفنون المعارف ، وترتيب المواقف ، ومنازل العلوم ، وأسرار ما يحمله في ساحتها[4] النجوم ، وميز لي بين الخواطر ، وأوقفني على المراتب والكراسي ، والأسرة والمنابر ، وأدخلني حضرة الإلهام والوحي ، وحذرني من موارد القياس والرأي ، ورفع لي عن منازل المبشرات ، وكشف لي عن معادن النبوات ، ونصب لي موازين الفكر ، وعرض على مقادير النظم والنثر ، وخاطبني بغرائب السجع والشعر .

---

(١) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٢) العلام : العلامة حذف آخره .

(٣) في المطبوعة : «بالمنعم والنعماء» .

(٤) في المطبوعة : «في سياحتها» .

وأبـان لي عن سـر الصعـود بـالتحليـل[1] وفـرق لي بين التحقيق والتخيـل ، وأوقفني على غلطات الأذهـان والنفـوس في الأعيـان ، وسـر المشي على المـاء ، وإبراء الأكمـة وإحيـاء المـوتىٰ ، وكشف (لي)[2] عن خـواص المعـادن والأحجـار ، وقـال : ليس أقبل للسـر من الفرار ، ولقـد تطاول إليـه الحيـوان ، ومـا حـواه نبـات المعارف في كل جنان .

ثم قـال لي : (ع)[3] ما أسمعتـك ، وخـذ مـا أودعتـك ، وأنـزل بـه في الآن فستـري (آثاره)[4] في أعيـان الأكوان ، وهـذا وقت صلاة العصـر قد حـان ، فصـل معنـا وانصرف ، حيث شئت ، من الـطريق الذي عليـه جئت ، فـأقيمت الصـلاة ، وتقدم الإمام واستوت الجماعـات ، وتـرتـبت الصفـوف ، وطال الـوقوف ، فخـطر في النفس أن أقـرع الأسمـاع بـأبيـات من الشعـر ، في أسـرار صـلاة العصـر ، وهي[5] :

دعـاني إلهي كي ينـاجيـه سـري — فنادى المنادي : قد أتىٰ مشهد العصر
فقمت وأسبغت الـوضـوء ولم أزل — بعلمي عمـري : على أسبغ الـطهـر
فكـان لنـا نـوراً على نـورنـا الـذي — أهنأ به[6] من قبل في مشهد العصـر
فقـال عبيـد : قلت لبيـك سيـدي — أتـدري بأني واهب النفـع والضر[7]
وأن لي التحـريـك في كـل حـالـة — وأن لي التسكين !! ؟ قلت له : أدري
فـقـالي أشرع فـي الصـلاة فـانـني — أنـاجيـك فيهـا بالبشـارة في السـر
وأعـطيـك علم الإلتحـام بصـورتي — وكـونك مني في الـوجـود على قـدر
فتلثم منهـا الثغـر في روضـة المنى — فبـورك من لثم ، وبـورك من ثغـر
ويمتص منهـا ريـق علم ولا تـرىٰ — تشبهـه بـالسلسبيـل وبـالخمـر
تعـانقهـا الليـل الـطويـل بحضـرتي — تنكحهـا بالـوهب : من غير مـا مهر

(١) في المطبوعة : «وأبان لي عن سر التحقيق بالتحليل» الخ .
(٢) ما بين القوسين من المطبوعة .
(٣) ع : فعل أمـر .
(٤) ما بين القوسين في المطبوعة .
(٥) في المطبوعة : «وهذه هي الأبيات الحسان» .
(٦) في المطبوعة : «دعاني إلهي كي أناجيه بالسر» .
(٧) في أول الشطرة الثانية محذوف تقديره : «قال» .

ولا شيء أحلىٰ من نكـاح بـلا مهـر ... ولا شيء أعلىٰ من صـلاة بـلا طهـر
فما أحسن اللغز الذي سقت في شعري ... فـإن ظهـور العبـد نقصـان سـره[1]

فلما كبر الإمام ، صح الإلمام ، فلما افتتحنـا التحفنا ، فلمـا ركعنا امتـطينا ، فلما دفعنا : اعتنقنا ، فلما سجدنا اضـطجعنا ، فلمـا جلسنا استـوينا ، فلمـا سلمنا علمنا بأنا وهمنا فيمن همنا وما فهمنا .

ثم قمت بعـد أن فـرغنـا من الصـلاة : أسمـع الحـاضـرين تعـظيم الأرواح والكلمات ، فقلت :

الحمـد لله الـذي اختص هـذه الحضـرة بـالعلمين ، ونـزه امـامنـا هـذا عن الشهـوتين ، وأعـطاه لـواء الختمين ، وأضـافـه إلى كلمـة ، وسبـح بـه في لجـج حكمـه : انتسب إليـه فعبـد ، واستـوىٰ عليـه فقصـد ، اختص بخصـائص الفهم ، ووهب غـرائب العلم . ونطق في المهـد بـالاقـرار والجحـد ، فقـال ﴿إنـي عبد الله آتـاني الكتـاب وجعلني نبيـاً * وجعلني مبـاركـاً أيـن مـا كنت وأوصـانـي بـالصـلاة والزكاة ما دمت حياً﴾ فعرف مآله[2] قبل فـطامه، وحكم على نفسـه بالاستقـامة قبـل استحكـامه ، وشهـد لنفسه بقبـول الوصيـة الإلهيـة ، بـالصـلاة النـوريـة ، والـزكـاة البرهانية ، وسلم على نفسه (في)[3] الثلاثة الأحوال ، ثم نزه نفسه تعالىٰ عمـا قالـه أهـل الضلال ، فقـال : ﴿ذلك عيسىٰ بن مـريـم قول الحق الـذي فيه يمتـرون * ما كـان الله أن يتخذ من ولـد سبحانـه إذا قضىٰ أمراً فـإنما يقـول له كن فيكـون * وإن الله ربي وربكم فـاعبدوه هـذا صراط مستقيم * فـاختلف الأحزاب من بينهم فـويـل للذين كفـروا من مشهـد يـوم عـظيم﴾ فبـادروا أيهـا الحـاضـرون إلى هـذا النبي الكريم ، بالتوقير والتعظيم، وتفوزوا بالمقام الجسيم عند الرؤوف الرحيم .

جعلنـا الله وايـاكم ممن رحم الصغيـر وعـرف شـرف الكبيـر . فنـال المقـام الخطير ، آمين .

(١) في المطبوعة : «فإن ظهور القيد برهان نقصه» .
(٢) في المطبوعة : «فعرف ما : له» .
(٣) ما بين القوسين من المطبوعة .

الباب الموفي خمسين

في اختصاص الظهر بيوم الخميس، ومن هو الامام فيه وما يظهر فيه من الانفعالات

سلام على موسى الكليم المكلم ... سلام عليه من نبي مكرم
أتانا على يوم الخميس [يوماً] محكماً ... فأظهر فيه كل روح محكم
واخلىٰ له قاضي السماء محله ... فروحن[1] فيه كل شخص مجسم
وبيض فيه كل شيء مسود ... وفتح فيه كل باب مختم
وشال حجاب الغيب عن عين قلبه ... فشاهد فيه كل وسم مسوم

ثم رحلنا نبتغي سماء الكلام، لنقف على وراثنا من موسىٰ (ع)، فلما دخلنا عليه، وحضرنا بين يديه، سلمنا وخدمنا، فاكرمنا واحترمنا، وجمع لنا بين إقبال الأخوة والأبوة، إثباتاً لشرف مقام النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) ووفاء بمقام النبوة، فقلنا له: هات حظنا منك، لنخبر به عنك، وأوقفنا على ما لديك، وما صرف الرحمن فيه من النظر إليك، فشال الحجاب، فانفتح الباب من خلفه جنتان: **﴿ذواتا أفنان - فيهما عينان تجريان - فيهما من كل فاكهة زوجان - فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان - كأنهن الياقوت والمرجان﴾** فقال هذا لمن حرم في دنياه الأمان، ثم شال عن يساره الحجاب، فانفتح الباب، من خلفه جنتان **﴿مدهامتان - فيهما عينان نضاختان - فيهما فاكهة ونخل ورمان - فيهن خيرات حسان - حور مقصورات في الخيام - لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان - متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان﴾** فقال: هذا لمن عاش

---

(١) في المطبوعة: «فزوج».

بالأمان، وبقيت الأعيان تطلب العيان بالعيان، فشاهدنا ما أخبرنا الله به في السورة التي يذكر فيها : ﴿الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان﴾ غير أن جني الجنات ليس بدان ، فلما قصرت أيدينا عن تناول شيء منها ، سألته ما السبب الذي قصر بنا عنها ؟ فقال : يا وليي ، تناولها موقوف على التركيب الثاني ، إن قمت بتعظيم معرفة المثاني ، وأنت في التركيب الأول ، فاصبر حتى يتحول ، فإذا سترت روحانيتك جسمك ، ووسمت وسمك ، وعرفت سعادتك واعادتك واسمك ، وصرت في الصور الحول ، القلب يذهب فيها كل مذهب ، حينئذ تتناول ما بسق عن أشجارها ، وتستنشق ما شئت من روائح أزهارها ، وتقف على سر حجرها وأحجارها ، فهنالك يبدو شرف الاعتدال ، وصورة التمام والكمال ، وسر الثوب الذي مال ، وروح الضياء والظلال ، والتحاق النساء بالرجال ، وشغوفهن عليهم في جنات الأحوال ، ويظهر لعينيك استواء المنحرف الميال ، ويبقىٰ العلم ويذهب الخيال ، وتتضح المعاني ، ويزول الأشكال ، وينحفظ الترتيب باعتدال التركيب ، وتبرز حقيقة الأبد ، ويدوم البقاء بالديمومية الإلهية من غير أمد ، وتلوح كيفية التولد ، وما هية التعبد ، وأسرار الصلوات والصدقات ، وسبب الأولياء والشهود في النكاح والصدقات ، ومعالم الوقوف بعرفات ، وسفك دماء القرابين بمنىٰ لابتغاء القربات ، ومقام الذاكرين الله [فيه][(1)] كثيراً والذاكرات ، المقرون بذكر الآباء والأمهات ، وانتظام الشمل بالحبائب ، والتحاق ، الأجانب بالأقارب ، وتنوع المراتب ، باختلاف المذاهب ، وسرور الروح والنفس بتحصيل الجمال والأنس وتقف على سر إجابة دعوة المضطر وإن كان كافراً ، وهدي الطالب إذا كان حائراً ، وتعلم أن الله لا تضره معصية عاص ، ولا تنفعه طاعة طائع ، ولم تسمىٰ بـ «المانع» .

نـاد : يا حنان يا منان ، يا رؤوف يا محسان ، يا من جعل معدن النبوة أشرف المعادن ، وموطن الأحكام أرفع المواطن ، أنت الذي سويت فعدلت ، وفي أي صورة ما شئت ركبت ما سويت ، يا واهب : إذ لا واهب ، ويا مانع المثوبات أهل المكاسب ، أنت الذي وهبت التوفيق ، وأخذت بناصية عبدك ، ومشيت به على الطريق ، وجعلت فيه الأعمال الرياضية ، والأقوال الزكية ، وأنطقته بالتوحيد والشهادة ، ويسرت له أسباب السعادة ، ثم أدخلته دارك ،

---

(1) ما بين القوسين ليس في المطبوعة .

ومنحته جوارك ، وقلت له : هذا بعملك ، ولك ما انتهىٰ إليه خاطر أملك .

فناديته كما أمرني فأجاب ، وقرعت بابه بهذه الكلمات ، ففتح ورفع الحجاب ، فلما تجلىٰ دك الجبل الراسي ، وخررت على راسي ، فأنصرف الإدراك إلى القلب فأبصر ، وقال : أين هذا من مقام «الله أكبر» وهو : «الله أكبر» .

فلما أفقت بعد الصعق ، وأبدرت بعد المحق : نطقت بالتنزيه الذي إلاّ في غير هذه الدار ، وأخلصت المتاب ، فمن الله وتاب .

فقلت لموسىٰ (ع) : هذا ميراث مشهدك ، وأسنىٰ مقعدك ؛ صدق [الأنبياء][1] في إبانته عن مرتبة العلماء ، بأنهم ورثة الأنبياء .

فالحمد لله الذي أورثنا ، ثم أماتنا وبعثنا .

فقال موسىٰ : هل رأيت معدن النورين ، ومحل السردرين ؟ .

فقلت : وأين ذلك ؟ .

فقال : صلاة الظهر : نور في نور ، وسرور في سرور .

فقلت : لو حان وقتها ، صليتها في حضرتك ، ووقفت عليها من مرتبتك فإنك الأخ من ثمينك الأنفس ، والسيد [من][2] المقام النبوي الأقدس .

فقال : أما ترىٰ الشمس في مدرجة السلوك قد شرعت ، فأقم الصلاة وأحرم ، وحلل كل ما يأتيك فيها ولا تحرم حتى تسلم ، فإذا سلمت حرمت عليك الأشياء ، وحكمت عليك الأنباء .

فوقع في نفسي من أسرار صلاة الظهر أشياء ضمنتها أبياتاً من الشعر ، فأسمعتها الإمام ، قبل أن أشرع في القيام ، وهي : [هذه الأبيات][3] :

دعاني للمناجاة السلام ... وقال لنا التكلم والكلام
فأسبغت الوضوء على حضور ... إلهي : يؤيده التمام
وأحرمنا فحرمنا المغاني ... وكبرنا ، فكبرنا الأنام

(١) في المخطوطة : «النبئاء» وما أثبتناه من المطبوعة .
(٢ و ٣) ما بين القوسين من المخطوطة .

تناجينا طويلاً بالمعاني | على كثب ، وقد رفع القرام
وفاتحناه بالتحميد كيماً | يراجعني ، فيثبت لي المقام
فمني اللفظ ، والمعنى إليه | ومنه إلى معنىً والسلام
فيظهرني به فيها لديه | على كوني إذا اشتد اللزام[١]
ويظهر لي ، فأكتمه فيخفي | فأظهره فيستره الغمام
ويأتي الأمر منه إلي حتماً | بأن الكشف في الدنيا حرام
فأستره فيسترني فيبدو | لدي الستريين آيات جسام
فأرجع للأنام من الكلام | وعندي منه أهوال عظام
فمنها العين والتحكيم فيها | ومنها الإنزعاج والاصطلام
أكاسير ترد الميت حياً | ويمطر عند رؤيتها الجهام[٢]
وكان الحق مأموماً ورائي | على تعظيمه ، وأنا الإمام
وذلك في الظهيرة حين زالت | غزالتنا ، فصح لها المقام
فهذا اللغز إن فكرت فيه | وجدت الحق حقاً يا غلام

فلما أحرمنا أحللنا ، فلما فتحنا منحنا ، فلما ركعنا أسمعنا ، فلما رفعنا أطعنا ، فلما سجدنا وجدنا ، فلما جلسنا أنسنا ، [فلما أسلمنا أحرمنا][٣] فلما فرغ الإمام من جزيل المثوبات ، واستعاذ من وبيل العقوبات ، صعدت منبر النور ، وبيدي عصا من البلور ، وقلت :

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

الحمد لله الذي ألحق العلماء بأنبيائه ، وأسكن أرواحهم مع ملائكته في سمائه ، وجعلها طيارة في فسحات الأفلاك ، سيارة في روحانيات الأملاك ، أفاض عليها من نور تجليه ما أداها إلى الصعق ، وأبان لها من مقامات القرب [ما حكم عليها به][٤] سلطان السحق ، دعتها نغمات إيقاع السماع في الأسماع إلى الاستماع ، فاشتاقت إلى خطاب الأحباب بمدارك لباب الألباب ، من غير حجاب ولا حجاب ، فوقعت المحاورة والمخاطبة ، والمؤانسة والمعاتبة ، وزالت المراسلة

---

(١) اللزام: الملازمة، ومنه قوله تعالى: ﴿فسوف يكون لزاماً﴾ مستديماً لا يفارقهم ، والله تعالى أعلم .

(٢) بفتح الجيم : السحاب الذي لا ماء فيه .

(٣ و ٤) ما بين القوسين من المطبوعة .

والمكاتبة، فسطعت أنوار أسرار نور ذاتها، وبلبلت بلابل سرها بكلماتها، فقالت وقال ، وأطالت وأطال ، ثم منحها الوصيات القدسيات ، والتدبيرات الإلهيات ، وأطلعها على أسرار النبات في المناجاة بالنيران المتخيلات ، وقيل لها أن جل الخير في السعي على الغير ، فمن أراد مني قضاء مآربه فليقضي حاجة صاحبه وإن لم يستند فيها إلى جانبه ، ولو ذهب في غير مذاهبه ، يا أيتها الأرواح الطاهرة ، والأنفس الزاكية المتظاهرة ، ها أنا أقرب إليكم منكم إليكم ، ولكن لا تغتروا ، فكما أنا لكم : عليكم ، وقد أبنت لكم في مقام المعرفة أنه لا تقيدني صفة ، فالزموا مواطن العدل ، وانعموا بسوابغ الفضل .

فإني الشهيد الذي لا يقبل الرشا ، والبصير الذي لا يقوم ببصره عشا ـ فلا تحاسدوا ولا تدابروا، ولا تقاطعوا ، ولا تهاجروا ، ولا تباغضوا ، ولا تنافروا ، وكونوا عباد الله إخواناً ـ تنالوا بذلك رفعة وأماناً ، فأنتم السابقون المقربون ، وأنتم الرسل المقربون ، وأنتم المرشدون الأعلون ، فلا ينجوا بكم الغير وتشقون ، فاحفظوا وصيتي ولا تنسوا .

فرجعت الأرواح بألوية رسالاتها منشورة ، ونصبت كل لواء بإزاء كل صاحب سورة ، وخاطبت النهي ، ومنحت اللهى[١] .

جعلنا الله وإياكم ممن تميّز في صدر الجلال وألبها ، وتعزز بالسمو على سدرة المنتهى .

---

(١) النهى : العقول ، واللهى : جمع لهوة ، بضم اللام : «العطية : دراهم كانت أو غيرها ، والجمع : اللهاء كذا في المختار .

الباب الحادي والخمسون

في اختصاص المعرفة بيوم الجمعة ، ومن هو الامام فيه ، وما يظهر فيه من الانفعالات

يوم العروبة آخر الأيام | الستة المشهورة الأعلام
فيه تلقف لوحنا أسراره | من ربه بوسائط الأقلام
في كل ما يجريه في تعريفه | بوسائط [الأحكام](١) في الأحلام
فالسر [بالنفوس](٢) وبالنهي | كتلاعب الأفلاك بالأيام
حتى إذا ما تنقضي أيامه | يبقىٰ جهولاً بالمقام السامي

ثم نزلنا من سماء النظام إلى سماء التصوير التام ، بحسن الانتظام لنأخذ ورثنا من يوسف (ع) ، فوجدناه على سرير قدسه ، فاستتر لنا روحانية نفسه ، فنزل في حسنه البديع ، موافقاً زمان حركة الربيع ، فأبصرنا وجهاً كأنه البدر التم ، أو الشمس انجلىٰ عنها الغيم ، فتصدعت القلوب وتيمت النفوس ، وهيمت الأرواح ، وتقيدت العقول ، وتوقفت الحواس ، وانكشف البال ، وتغير الحال ، وبليل بليل الوجد بين الجوانح ، وتقصفت الأعضاء ، وخدرت الجوارح ، ودعا داعي الأشواق ، وقام بالقلب الإصطلاح والإحراق ، وتمكن الأرق واشتد القلق ، واستوىٰ سلطان الذبول بجيش النحول ، وأرسلت سماء الدموع على أرض

---

(١) في المخطوطة : «الاحلام» .

(٢) في المخطوطة : «بالعقول» والتصحيح .

الخضوع ، فقلنا له : «هذا فعلك على النصف ، فكيف لو اجتمع الموصوف بالوصف» وبين يديه صورة ينشؤها وبنية يهيؤها ، قد زينها أحسن تزيين ، وأسرى في مسالكها أحوال التلوين ، وأرسلها في الكون محبوبة إلى كل عين ، تسحر الناظر ، وتقيد الخاطر ، وتعطي اللذة قبل النيل ، وتحير السمع في ترجيع القول : إن غنت : غنت ، وإن نظرت : سحرت ، وإن لمست أبلست ، وإن ملكت : فتكت ، وإن لعبت : أتعبت ، وإن لهت ولهت ، وإن عرفت : أرعفت : على رأسها تاج من الغمام وعلى جبينها أكليل من الدر التام ، وفي أصبعها خاتم الحمام : إن هجرت : أقبرت ، وإن وصلت قتلت .

إلّا أن لها سياسة مدنية ، ورئاسة إنسانية ، تتواضع فتهتك السرائر ، وتترافع فتتعب البصائر ، والهيبة منوطة بذاتها ، والجلال من جملة صفاتها .

فبينا أنا أنظر في جمالها ، وأهيم بين دلها ودلالها ، إذ أقيمت صلاة المغرب ، فقالت : (قم لمشاهدة الأمر المغرب)[1] فقمت .

وقد رويت أبياتاً من الشعر في أنزه ما يكون في المغرب من الأمر ، في غيابات السر ، وهي هذه [الأبيات : رب يسر كل عسير][2] :

أفلت شمسنا بمغرب ذاتي	فدعاني إلى الصلاة الشهيد
فتوضأت ثم جئت إليه	من قريب ، وأنه لبعيد
قلت : ربي ، فقال لبيك عبدي	اين حمدي فقلت : أنت الحميد
فافتتحنا به ، فرد علينا	[مثله][3] وأكتفى ، وكان المزيد
وتدانى ، فكان مني كأني	ثم ولى فقلت : أين تريد ؟
قال : تمضي ، فإن قومك جاءوا	ومقامي مع الكيان شديد
قم فحييهم ، فقلت : السلام[4]	وبقلبي من الفراق : وقود
ما ألذ الخلو بالله ليلاً	لو تصح العصور[5] صح الوجود
فاستمع رمز ما أغار عليه	يا حبيبي ، وأنه لكنود[6]

(١) في المطبوعة : (قم نشاهد الأمر المغرب) والمعنى : نشاهد الأمر الذي يدعو إلى الغرابة ، أو الاستغراب .

(٢ و ٣) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٤) في المطبوعة: «فقلت سلاماً» .

(٥) في المطبوعة: «المقصود»: ولا تعطي معنى صحيحاً .

(٦) في المطبوعة: «وانني لكنود» والكنود : كافر النعمة .

يشبهه العسجد الكريم وجودي — وهو شخص وجدي : منه الوريد
لو رأى عالماً به ، لا بذاتي — لتوالى علي منه الشهود
فأنا عالم به وبذاتي — فوصال . وقتاً ، ووقتاً صدود

فلما كبرنا : كبرنا ، فلما قرأنا أنبئنا ، فلما ركعنا رفعنا ، فلما رفعنا وضعنا ، فلما سجدنا : شهدنا ، فلما جلسنا يئسنا ، فلما سلمنا : حكمنا ، فلما فرغت الصلاة وأجيبت الدعوات ، قمت إلى منبر من الياقوت الأكهب[1] بخطبة ذهبت فيها أحسن مذهب ، وقلت :

«الحمد لله الذي ـ أحسن كل شيء ، وبدأ خلق الإنسان من طين . ثم يواه ونفخ فيه من روحه ـ المسكين[2] فلما أقامه في أحسن تقويم ، رده إلى أسفل سافلين ، فلما أناطه بالمركز ليقيم به دولة العز : أعطاه سر التدبير والتفصيل ، ووهبه في كل ما علمه قوة التحصيل ، فما بقي روح مجرد إلاّ سجد ، ولا ريح معبد إلاّ شهد ، ولو تكبر وجحد ، ولا صامت إلاّ تكلم ، ولا مائت[3] إلاّ حيا وسلّم : فإنه النور الأعلىٰ ، والقطعة المثلىٰ ، ولولا ما هو من ذلك المقام ما انقادت لسلطانه الروحانيات الجسام ، فشقت هذه السدفة الترابية أنواره ، وتخللت مسالكها أسراره ، ونفذت إلى حضرة توحيد موجودها ، وعاينت كريم مشهدها ، من غير أن تؤثر فيها هذه الظلمة ، لما هي عليه من نفوذ الهمة ، فأقرت الأرواح المجردة بعلو منصبها ، واعترفت بسمو مذهبها ، وأن لها أرفع المناصب ، وأشرف المناسب ، ثم اختصت دونها بالمكاسب ، وتعظمت لديها المواهب ، فكم روح مجرد تكلم فيها بما لا يعلم ، قبل أن يعلم منها ما علم ، ثم أقر لها بعد ذلك بكمال المقام ، وأن الروح المجسد له الكمال والتمام ، وحسن التقويم والنظام ، ثم صبغها في الجمال العرضي للتعشق الغرضي ، فعشقت نفسها بنفسها ، حتى لا تتعلق بغير جنسها فتذعن لغير الجنس ، فكان يذهب عنها ما كان لها من العز بالأمس ، ويظهر التيه عليها ممن نقص عن مقامها ، وتقاصر عن تمامها ، فبقيت بذلك عزتها عليها موقوفة ، وهمم غير جنسها إليها بالخدمة

---

(١) الأكهب : الأغبر ، المشرب بسواد ، أو الأدهم ، (كذا من هامش المطبوعة) .

(٢) الضمير راجع إلى الإنسان والتقدير : ثم ، وبدأ خلق الإنسان المسكين من طين ، وفي المطبوعة: «المكين» بدل «المسكين» .

(٣) في المطبوعة: «ولا ميت» .

مصـروفة ، وهي بـذاتها في ذاتهـا مشغوفـة ، وجعل لهـا هـذا الشغف الغـرضي في الجمـال العـرضي : حجـابـاً على الجمـال المـطلق ، والحسن البـديـع الفـائق المحقق ، القـائم بذات الحق ، الـذي لا يتقيد بـالوقت ، ولا يـدرك بالنعت ، ومن مراتب الكمال قـوله (عليـه الصلاة والسـلام) : أن الله جميل يحب الجمـال[1] ومن غوامض السـر المكنون قوله تعالىٰ : ﴿ومن آيـاته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجـاً لتسكنوا إليهـا وجعل بينكم مودة ورحمـة إن في ذلك لآيـات لقوم يتفكـرون﴾[2] فمن أنحجب من هذه الأرواح المجسدة بهـذا الحجاب عن هـذا الجمال : لم يـزل في سفال العوال ، ومن لم ينحجب به : [صح لـه المقام العـالي ، وسجدت[3] لـه الـظلال بـالغـدو والآصـال ، ومن انحجب عنهـا بهـذه الأرواح المعبـدة عن هـذا الحجاب ، لم يزل في سفال السفال].

جعلنا الله وايّاكم ممن تعشق بربه ، وأن لم ير به : آمين بعزته .

---

(١) رواه الإمام مسلم والترمذي ، وابن عدي ، والبيهقي في شعب الإيمان والطبراني في الأوسط .

(٢) سورة الروم ؛ الآية : ٢١ .

(٣) في المختار : «سجد : خضع» ، وليس المقصود به السجود المعروف ، وفي المطبوعة : «صح له المقال العالي ، ويحدث له الظلال بالغدوة والأصال».

الباب الثاني والخمسون

في اختصاص الصبح بيوم السبت، ومن هو الامام فيه، وما يظهر فيه من الانفعالات

لم يبق للأيام فعل[1] ينتمي ... فيه إليها[2] غير يوم السبت
يوم له فضل على اخوانه ... فيه وضعنا سرنا بالسبت
يوم إذا رفعت لنا أعلامه ... قطعت إليه ركابنا بالسبت
منها[3] منطقة عزيز نيلها ... وقلائص: موصوفة بالصمت
وقلائص حرنت على ركابها ... وقلائص: موسومة بالسمت
(وقلائص تشكو الطوى في سيرها)[4] ... وقلائص شغلت برعي النبت
وقلائص تشكو؟ الوجا وقلائص ... حفيت [وتوضع][5] في السرى المنبت
لا تشتكي ألم الوجا لخلوصها ... في سيرها من سطوات السبت
لله من يوم كثير فعله ... في الكون محمود كريم الشخت
يوم تصرف في جهات ستة ... ملك على الأيام سامي التخت
شمس اليمين مع الإمام، وفوقه ... ليل الشمال وخلفه والتحت
ما زال مخصوصاً على إخوانه ... بالجمع في تصرفه والشت
فله المشيئة في سرائر ملكه ... بالوصل في ترتيبها والبت

(١) في المطبوعة: «بوم ينتمي».
(٢) في المطبوعة: «إليه».
(٣) في المطبوعة: «منهن».
(٤) في المطبوعة: «وقلائص في سيرها تشكو الطوى».
(٥) في المطبوعة: «وتسرع».

لا تنتمي لحقيقة علوية	إلاّ إذا جاءت بوفق البخت
للشرع منه شفاعة مقبولة	مقسوسة من أجل أهل المقت
بين الذي ما زال يعبد واحداً	في الفطرتين وبين أهل التخت
يدني سعادته من أهل جلاله	وكذا شقاوته من أهل السحت
فكأنه صو في وقت وجوده	ما زال يسكن تحت حكم الوقت

ثم جاءت الروحانية المسرحة الإنسانية ، بأيديهم الرايات السود الخراسانية ، ومعهم براق أدهم ، كأنه قطعة ليل مظلم ، فامتطوته عشاء ، واندفعت طالباً اعتلاء ، إلى أن وصلنا سماء الخليل ، فاستأذن الرسول ، وإذا بإبراهيم (ع) ، قد غشيته الأنوار الليلية ، والضياءات الإلِّية[1] ، فعندما أبصرت هذا الأب الثاني ، سويت المثاني ، واندفعت أقول (بهذه الأبيات)[2] :

الأمن مبلغ عني مقاماً	وقفت : عليه يا أبت السلاما
وملتزماً دعوت به إلهي	لقلبي ، والتزمت به التزاما
وقبلت اليمين : يمين ربي	وراعيت المودة والذماما
وكانت قبلة قبلت لكوني	أردت بها التقدم والأماما
فخاطبني اليمين وزاد وجدي[3]	وهيمني فأورثني السقاما

وقد أستند إلى البيت المعمور ، المغشي بأستار النور ، «يدخله ـ كما قال (عليه الصلاة والسلام) ـ سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً» فهفا إليه الروح ، وتأخرت التربة ، وهاجت به الأشواق إلى الطواف بالكعبة ، فانبعث الحس من زاوية تربته ، مخبراً ما استقر عنده من الشوق إلى الكعبة :

اني إلى الكعبة الغراء مشتاق	فيها لعشاقها في السر أعلاق
إذا تذكرت أسراري ومشهدها	فيهـ تحركني للبين أشواق
الله يعلم أني لست أذكرها	إلاّ وعندي لذاك الذكر أحراق
فالروح تائهة ، والنفس والهة	والقلب محترق والدمع مهراق

---

(١) الإلية : بكسر الهمزة ، وتشديد اللام المكسورة والياء المسكورة المشددة أيضاً : نسبة إلى الآل ، وهو اسم من أسماء الله تعالى ، وفي المطبوعة : «الإلهية» .

(٢) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٣) في المطبوعة : «خاطبني فزاد وجدي» .

فلما سمع بذلك الوالد الإسلامي ، والسيد النجدي التهامي ، قال : يا بني أبعد الوصول إلى البيت المعمور ، ووقوفك في مشهد النور ، تحن إلى البيت الذي لا يبور[1] القائم بالتراب وبالصخور ؟ فقلت : يا أيها السيد (الأميلد)[2] لا حرج على من حن إلى جنسه ، فإنه اشتاق إلى نفسه ، الا ترىٰ كيف هفا إلى البيت المعمور ، وهم بالخروج من حبسه ، فهو ينزعج ويمسكه الأجل المسمىٰ ، فهو كمقعد يحمله أعمىٰ ، فلو تخلص من ناشئه ليلته ، وشدة وطأتها ، وتحرر من ثقل الكلمة التي ألقيت عليه ، وعظيم سطوتها ، فلو وهب السراح : راح ، ولو منح المفتاح : استراح .

يا أبت : كيف لا أشتاق إلى تلك المناسك والأعلام ، وأنت الذي أسستها لعالم الأجسام ، وأعليته للمتثاقلين عن النهوض إلى هذه المشاهد الكرام .

فقال : ظننت أن سرك أنحجب بتربته ، ولهذا حن إلى كعبته ، ثم قال يا أبا رزين ، ويا أيها العاشق المسكين ، المشغوف بالحجارة والطين ، كيف تركت سرك بالكعبة حبيساً ، وصرت في العالم العلوي رئيساً .

فتنفس أبو رزين الصعداء ، وقال : واشوقاه إلى أعلام الهدىٰ ، وعظم هيجانه (واشتد)[3] ورق أنينه ، وأنشد (هذه الأبيات)[4] :

قل لبيت الحبيب رفقاً قليلاً ... بقليب أمسي عليلاً ذليلا
لست أنسىٰ بلابلاً بفؤادي ... يوم نودي بنا الرحيل الرحيلا
ليت أني يوم النوى والتداني ... للوداع أبقىٰ لديه[5] قتيلاً
لست أنسىٰ ببطن بكة يوماً ... قوله لي : بالله صبراً جميلاً
إن بي مثل ما بكم فلتكن ... بي طيب النفس : للسرور وصولا
لم أزل حين بنت عنهم وقاموا ... (اشتكي)[6] الوجد والجوي والغليلا

---

(١) لأن الكعبة نفسها سترتفع قبل يوم القيامة ، وستدخل الجنة يوم القيامة : يزفها كل من زارها ، كما تزف العروس كما ورد في الحديث الصحيح .

(٢) ما بين القوسين من المطبوعة ، والأمليد هو : «الناعم اللين» ، وفي المخطوطة «الشيخ» بدل «الأمليد» .

(٣ و ٤) ما بين القوسين من المطبوعة .

(٥) في النسخة التي راجعنا عليها «أبقي إليه» والتصحيح من المطبوعة .

(٦) ما بين القوسين من المطبوعة .

وأنـادي فـي كـل فـج فـؤادي وأقـاسـي منـه عـذابـاً وبـيـلا

فرق له المولىٰ ، وقال : النزول إلى الكعبة بهذا المسكين الواله أولىٰ .

فقلت : يا أبت إذا مشينا بأخينا هذا أبداً الى معناه ، متى يلتذ السر بمعناه .

فقلت : يـا بني إذا سريت بفكـرك إلى عـالم المعـاني ، أنحجب حسـك عن التلذذ بـالمغاني ، وإذا سـري حسك في المغنىٰ ، لم ينحجب سـرك عن مشـاهـدة المعنى ، فـالبقاء مـع الحس أولىٰ في الآخـرة والأولىٰ ، وسيبـدو لـك شـرفـه عنـد الرؤية في جنة المنية .

فقلت يا أبت فما تراني صانعاً ؟ .

قـال : أنزل بـه الآن إلى البيت بعمرة ، قبـل أن يبدو الفجـر طالعـاً ، «فنزلت بهمـة مهمة» فـوقعت في بيداء مـدلهمة ، ليس فيهـا نبات سـوىٰ السمرات[1] ، ولا سكان إلاّ الأفاعي والحيات ، قد درست طرقها ، فناة طارقهـا ، عديمـة الأنس ، لم يسكنهـا جن ولا أنس ، وحشة الـطبع ، كـريهة الـوضع ، فقـطعتها بجهـد وعنـاء ، ومقـاسـات وبـلاء إلى أن أشـرفت على الأعـلام ، فلبيت بعمـرة يـاذا الجـلال والإكرام ، فلما عـاينت البيت : هاج القلق ، وعـظم الحرق ، وبـادرت إلى الحجر الأسـود فقبلته ، وشـرعت في الطواف فـأكملته ، واستجـرت بالمستجـار ، والتزمت بـالملتزم ، ثم ركعت في المقـام ، وشربت من مـء زمزم ، ثم سعيت ، وأحللت ، ثم نهضت إلى السمـاء ورحلت ، فلما رآني الخليـل قال : مرحباً بالابن الجليـل ، هذا الفجر قد بدت دلائله ، وطلعت منازله ، وبدت أعلام الفتـح ، من أجل صـلاة الصبـح ، فتوضـأ يا بني من السلسبيـل ، فإنـه موقـوف على أبناء السبيـل ، فغسلت يـدي ، ولم يكن بهـا أذىٰ ، فقـال أمين النهـر : من ذا ؟ ثم مضمضت فـأفـرطت ، ثم استنشقت فعبقت ، ثم استنثـرت فـأوتـرت ، ثم غسلت وجهي فـأربت ، ثـم غسلت يـدي إلى المـرافق فسـورت ، ثم مسحت بـرأسي فتـوجـت ، ثم مسحت بـأذني فكلمت ، ثم غسلت رجلي فـدملجت ، ثم أقيمت الصـلاة فـأقمت ، فلمـا أحرمنا أحرمنا ، فلما كبرنا كبرنا ، فلما افتتحنا سرحنـا : فلما رفعنـا : رفعنا ، فلمـا سجـدنا عبـدنا ، فلمـا جلسنـا رأسنـا ، فلمـا سلمنـا حكمنـا ، فـرقيت في منبـر من السبح ، وقمت فيه خطيباً في سابع درج ، وأنشدت :

ولمـا بـدا الفجـر الـذي لاح من قلبي دعـاني ودادي للحـديث مـع الـرب

(١) السمر : شجر الطلح ، وهو نوع من العضاة : ذو شوك .

فطهرت أثوابي ، وطهرت بقعتي
وطهرت أعضائي ، وناديت بالحب
حبيبي تراني عند باب جلالكم
فهل لي إليكم من سبيل ومن قرب
تريد جفوني أن ترى نور وجهكم
فتشهدكم عيني ويرعاكم قلبي
ترفق بمن أضحىٰ قتيلاً بحبكم
وبالكلف المشتاق وألوانه الصب
أتاكم من الكون الغريب لترفعوا
بفضلكم عنه مشاهدة الحجب
يناجي الذي في قبله من وجودكم
بما جاء منكم في الصحائف والكتب
فمنوا عليه بالوصال فإنه
أسير هوى الجو : إن كان ذا سحب
فوالله مالي راحة دون وجهكم
وما لي شفيع أرتضيه سوىٰ حبي
فاطلع شمس الذات في القلب فانتفى
وجودي ، ولم يثبت سوىٰ عالم القرب
فسلمت من تلك الصلاة مقدماً
على عالمي كوني ، وعدت إلى غيبي

الحمد لله الذي جعل الهوى خير ما تحج إليه قلوب الأولياء : وكعبة تطوف بها أسرار ألباب الظرفاء ، وجعل الفراق أمر كأس يذاق ، وجعل التلاقي عذب الجنى طيب المذاق .

تجلى اسمه الجميل سبحانه فوله الألباب ، فلما غرقت في بحار حبه أغاق دونه الباب ، وأمر اجناد الهوىٰ : أن يضربوها بسيوف النوى ، فلما طاشت العقول وقيدها الثقيل ، ودعاها داعي الاشتياق ، وحركتها دواعي الأشواق ، رامت الخروج إليه عشقاً ، فلم تستطيع : فذابت في أماكنها الضيقة ، ومسالكها الوعرة ، وجداً وشوقاً فاشتد أنينها ، وطال حزنها وحنينها ، ولم يبق إلاَّ النفس الخافت ، والإنسان الباهت ، ورثىٰ لها العدو الشامت ، وإذا بها الأرق ، وأقلقها القلق ، وأنضجتها لواعج الحق ، وفتك فيها الفراق بختامه ، وجرعها مضاضة كأس مدامه ، واستولىٰ عليها سلطان البين ، فمحق الأثر والعين ، ونزلت بفنائها عساكر الأسف ، وجردت عليها سيوف التلف (وأيقنت بالهلاك وعاينت مصارع الهلاك)[1] وما خافت ألم الموت ، وإنما خافت حسرة الفوت ، فنادت : يا جميل يا محسان ، يا من قال ﴿هل جزاء الإحسان إلاَّ الإحسان﴾ يا من تيمني بحبه وهيمني بين بعده وقربه ، تجليت فأبليت ، وعشقت[2] فأرقت ، وأعرضت فأمرضت ، فيالتك مرضت[3] فافرطت فقطعت ، وأيبست فأيست ، وقربت

(١) جمع هالك .
(٢) بتشديد الشين المفتوحة .
(٣) بتشديد الراء .

فـذويت ، وبعـدت فـأبعـدت ، وأجلست فـآنست . وأسمعت فـأطمعت ، وكلمت فـأكلمت ، وخـاطبت فـأتعبت ، وملكت فهتكت ، وأملت فـأهلكت ، واتهمت ففرحت ، وانجدت فأترحت ، ونـوهت فولهت ، وزينت فـأفتنت ، وألهت فنبهت ، وفـوهت فتـوهت ، وغلطت فنشـطت ، وعـززت فعجـزت ، وأسلبت فـأغفلت ، وأمسكت فنسكت ، ووسعت فجمعت ، وضيقت ففـرقت ، وأحـرمت فـأحللت ، وأحللت فـأحرمت ، وهـذا كله سهـل إذا مـا أنت أقبلت ، فيـاليتني لم أخلق ، وإذا خلقت لم أتحقق ، وإذا تجمعت لم أعشق ، وإذا عشقت لم أهجـر ، وإذا هجـرت لم أقبـر ، وإذا قبرت لـم أنشـر ، وإذا نشرت لـم أحشر ، وإذا حشـرت لم أعتب ، وإذا عـوتبت لـم أزجر ، وإذا زجـرت لـم أطرد ، وإذا طـردت لم أسعـر في النـار التي فيها على الحجب أن أنظر .

فلمـا سمـع نـدائي ، وتقلبي في أنـواع بـلائي بـادر الحجـاب إلى رفـع الحجاب ، وتجلىٰ المراد فنعمت العين والفؤاد .

جعلنا الله واياكم ممَّن عشق فلحق ، وصبر فظفر .

ثم رددت وجهي إلى المقـاتل المشغـوغ بالمقـاتل ، وقلت يـا صـاحب الغين والرين ، إلى كم تنتهي حقائقك التي أعطاك الله في تدبير الكون .

فقال : إلى مائتي ألف حقيقة ، واثنين وستين ألفاً ، وثمانمائة .

ثم نزلت إلى المشتري ، فسألته عن كمية حقائقه التي أودعهـا الله في تدبيـر خلائقه ، فقال : مائة ألف حقيقة ، وخمسة آلاف ومئة وعشرين .

ثم نزلت إلى المريـخ ، فرأيت لـه ثمانيـة آلاف وأربعمائـة ، وثمانيـة وأربعين رقيقة .

ثم نـزلت إلى الشمس ، فرأيت لهـا ثمـانية آلاف ، وسبعمـائـة وستـاً وستين رقيقـة ، ونزلت إلى الـزهـرة فـرأيت لهـا ثمـانيـة آلاف وسبعمـائـة (وخمسـاً) وستين رقيقة .

وكذلك عطارد مثل الزهرة .

ونزلت إلى القمر فرأيت له ستمائة واثنين وسبعين رقيقة .

ثم نزلت على بعض الرقائق الشمسية في الصـورة الدحيـة ، إلى أن استويت

على الأرض المدحية ، وقد عرفت ترتيب حركات الأفلاك ، ووقفت على مراتب الأملاك ، وتحققت بما في القوى الروحانيات من الانفعالات الكونيات ، فسرحت في ميدان معارف النسب ، وفزت بمدارك وضعية السبب ، وعلمت أن الله قد رتب الوجود أحسن ترتيب ، وحصره في تحليل وتركيب ، وحكم عليه بالبقاء فلا ينفد ، وعلى عالمه بالسعادة والشقاء ، فلا يبعد .

أسعدنا الله وإياكم بما أسعد به أولياؤه وأحباؤه .

الباب الثالث والخمسون

في أن يوم السبت هو يوم الأبد ، وهو يوم الاستحالات

السبت يوم للبقاء والاستحالات ... والشغل يصحبه مع البطالات
عجبت من يومنا فيه الفراغ ... وفيه الشغل جمعها من المحالات
ليس الهدى في جناب السر فالذ ... كر أولى به من تصاريف الضلالات
فانظر إلى بدء يوم السبت تحظ به ... فقد تقدس عن وصف النهايات
نهاره في جنان الخلد رؤيتنا ... وليله في لظى حجب الزيارات
فالليل : منه على أهل الشقاوات ... كما النهار على أهل السعادات

سري يوم السبت في الموجودات سريان العدد في المعدودات : والدوام في الدائمات ، والقيام في القائمات ، فهو : لا معدوم ولا موجود ، ولا حاضر ولا مفقود ، فيه استلقى الفاعل من ايجاد الأجناس والأمهات ، وشهدت له بالملك والثبات ، وذلك أن الله جل أن يسبق وجوده عدم أو يتصف بما يناقض القدم ، خلق الخلق أسفله وأعلاه ، في ستة أيام من أيام الله ، فلما كملت أجناس العوالم ، وتميزت المراتب والمعالم ، ابتدأت يوم السبت : الاستحالات والتكوين ، والتغيرات والتلوين ، فتنوعت الصورة والأشكال ، وتغيرت المناصب والأحوال ، فصارت (فتغيرت) لآباء أبناء ، والأبناء آباء ، وتداخلت الموجودات بعضها في بعضها ، وحصل خفضها في رفعها ، ورفعها في خفضها وإستحال المعدن نباتاً والنبات حيواناً ، والحيوان إنساناً ، والإنسان معدناً ، وضرب الكل بالكل ، وظهرت القوة بالفعل ، وعاد العزيز ذليلاً ، والذليل عزيزاً ، والحديد لجيناً ، والنحاس ذهباً إبريزاً ، والمركب محللاً منفصلاً ، والمحلل مركباً موصلاً :

وهكذا في الآخرة ، وقد بان في قوله ـ في الحافرة ـ وقوله في غائط السعداء أنه عرق مثل المسك ، ووصفه الأشقياء بنضيح المسك .

ولما كانت الآخرة لا تنفد ، وسكانها لا تبعد ، انسحب عليها حكم يوم السبت ، إذا كان يوم النصب والسبت فلا ليل لنهاره في دار القرار ولا نهار لليله في دار البوار ، ولا منتهىٰ راحة لظلمة وأنواره ، ولا قاهر لسلطان أسراره .

ولقد شهدت روحانية البتىٰ (محمد بن هارون الرشيد في الطواف) وهو يجنح إلى الأطراف وكان قد اختص في وقت حياته أن يسعىٰ يوم السبت في تحصيل أقواته ، ويتعبد فيما بقي من أيام الجمعة مغمراً لأوقاته : فسألته لم خصصت يوم السبت للخدمة ، فقال : أبقاء للحرمة فإن الغني في الستة الأيام من الأسبوع المقدر : اعتني بإظهار أعياننا لمن تفكر ، فاشتغلنا فيها بما شرع من خدمته وقدر .

ولما أنفرد يوم السبت لمعناه : لهذا خصصته بتدبير مغناه .

فقد بان أن السبت هو يوم الأبد ، وعنده انتهىٰ العدد ، وليس وراءه يوم ينتظر ، ولا وقت يقدر .

وقد ثبتت أعيان الذوات ، ودخلت الاستحالات والتغيرات في الأشكال والصفات .

جعلنا الله واياكم ممن عرف أنه لا بد من يومه ، فلم يعجل من قومه .

الباب الرابع والخمسون

في بيان الصلاة الوسطى : أي صلاة هي ، ولماذا سميت الوسطى

السر منا في البرزخ الوسط وهو بسر القديم مرتبط
فانظر إلى بدئه وعنايته يجمع أسرار دينك الوسط
وانظر إلى الفوز بين راجية وبين قوم من ربهم قنطوا
فمن أراد الوقوف منه على غايته ، فالخفاء مشترط
يا فرحة القوم لو بدا لهم سر وأبدوا ذاك الظهور واغتبطوا

أقول من المعارف الرسمية ، والعلوم الرسمية : أن الوسط من الوساط والفضيلة فمن جعلها الوسط ، فهي في المغرب ، لما جاء في الخبر أن أول صلاة صلاها جبرائيل بالنبي (عليهما الصلاة والسلام) صلاة الظهر ، وقد ثبت ذلك وظهر ، ومن جعلها من الفضل ، فتكون العصر لاقتران فواتها بمصيبة الأهل والمال وتغير الحال والأحوال ، وقد جاء في الخبر الحق في يوم الخندق ، أنه (عليه صلاة والسلام) أبدل العصر من الوسطى بدل الشيء من الشيء ، وهما لعين واحدة ، فمن المختارة المثلى : وقد أثبتها عائشة أم المؤمنين في مصحفها بواو التوكيد وهذا في المسألة من أعظم تأييد ، ومن خالف ما ذكرناه من علماء الآراء والرواية ، فروايات واهية ، وآراء ما عليهما من طلاوة ، فسلطان هذا الحكم من معارف الرسم وعلوم الوسم .

ثم نرجع فيها إلى الحكم بعلم الكشف المحقق بالنور المطلق ، فأقول : شاهد عين السر في حضرة الوتر «ان الصلاة الوسطى هي صلاة العصر» ، لأن الظهر لظهوره في مقام الفناء ، والمغرب لظهوره في مقام البقاء : والعشاء لظهوره

في مـزج الأولياء بـالأعداء ، والصبـح لظهـوره من طرائق أخبـار السفراء ، والعصـر لظهوره في خط الاستواء ، لأن شجرة المشاهدة ﴿لا شرقيـة ولا غـربية يكـاد زيتـها يضيء ولـو لم تمسسه نـار﴾ والمـراد بقـاء الأبصـار، فجمـع بين عـالم البسيط اللطيف ، وبين عـالم التخطيط ؟ الكثيف ، ولم يغيـر في هـذا المشهـد شيء من أشكال نظام الأحوال ، فشاهـده الإنسان في كمـاله : بقـوة اعتدالـه ، وما عـدا هذا المقـام فـانحـراف عن الاعتـدال بنـور أو ظـلام ، والحق المـطلوب والفضيلة عنـد الـرجال إنمـا هي في المشاهـدة والاعتدال ، فضمـه إليه عنـد صحوه ، وأثبتـه بعـد محوه ، وألحفه لحق الجمـال والأنس وأمره أن يخلع على عـالم النفس ، فلا يفـرق الحقائق الروحانية إلاّ بتنزلات الرقائق الإلهية .

ولتكف هـذه الإشـارة في الـوسـطى من الـوسط الأوسط ، فـإنهـا تنـزيـل من الحكيم المقسط .

وجعلنا الله وإيّاكم من الأئمة الوسـطية : وخصنـا وإيّاكم بمـا خص به إبـراهيم الفرع الكريم الباسق من الأرض القبطية[1] .

---

(١) هو ابن رسول الله (ص) : فإن أمه (ع) من أرض مصر ، فلذلك أكرمت وجعلت ـ أي مصر ـ في رباط إلى يوم القيامة ، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من المرابطين في سبيل الله ، آمين .

الباب الخامس والخمسون

في معنى قوله : «والذين هم على صلاتهم دائمون»

إذا ما صح لعبد الدوام يصح له الدوام على الصلاة
ففي ديمومية السر المعلى بشارات الاقامة والثبات
أقامك في المعارج تبتغيه لتلحقه رداء المكرمات
ففاجأها بنعت لا يسامي ويعلو عن سمات المحدثات
فعانقها وضاجعها قليلاً فأولدها بسر الذاريات
فلما عاينت شخصاً سوياً تعالى عن لحوق المرسلات
تولت نحو حضرتها وقالت عشقنا الدائمات الملقيات
وقلنا حين قالت ما سمعنا عشقنا الجاريات الحاملات

من عرف سر وضع الصلوات : لم يزل يستعمله في عموم الحالات ، على تنوع التصرفات ، فلا يبرح على صلاته دائمٌ ، ولسرها حاكماً ، ولا يقنع بالاقتصار على محافظة الأوقات ، فإنه لأهل الأشغال والغفلات ، ولا شغل للعارفين إلاّ بربهم : ولا مراقبة لهم في شيء إلاّ في قلبهم ، فإن الذي وسعه ، وناداه فسمعه ، فهو في كل الأحيان شاهده وسره ، مع الأنفاس عابده ، فقابل الدوام بالدوام ، وزاد عن التعيين المنفصل عند أصحاب الليالي والأيام ، فجواد همته في ميدان الديمومية سابح : ونون سره في بحرها المتلاطم سابح وإن كانت للصلاة مرتبتان محققان مرتبة عميمة ومرتبة مخصوصة ، وأسرارها عند المحققين الذين هم على بينة من ربهم منصوصة ، والدوام إنما يقع في المرتبة العامة وهي المناجاة ، وأما المرتبة المخصوصة فلا يتمكن فيها الدوام ، لاختلاف المقامات ،

وتنوع التنزلات ، لتنوع الحالات فمن وقف على سر الحضور : لم يقتصر به على بعض الأمور ، وفيه يصح الدوام عند علماء الإلهام .

فقد تبينت الرتب وتحققت النسب .

جعلنا الله وإياكم ممن داوم على صلاته في الحكمين ، ففاز بالعلمين .

وقد تمّ الباب : وبتمامه تم جميع الكتاب .

وجميع ما فيه من الأبيات هو من سنوح الخاطر ، على ما أعطاه الوقت الحاضر ، إلاّ البيتان اللذان في الباب الأول ، فإنهما لغيري ، وهما :

يا رب جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولا ستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

الحمد لله رب العالمين ، وصلاته على محمد وآله
أجمعين ، وسلّم تسليماً دائماً
كثيراً كثيراً

(٣)

رد المتشابه إلى المحكم
من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

● فصل البطش .

● فصل الأيدي واليدين .

● فصل القدم .

● فصل الكلام .

● فصل الجنب .

● فصل صفة الفوقية .

● فصل الاسراء .

● فصل الاستواء .

● فصل النزول .

● فصل المجيء والاتيان .

● فصل المعية .

● فصل الحب .

● فصل لفظة عند .

● فصل لفظة أين .

● فصل : الضحك ، والرضا ، والغضب .

تقديم

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين .

والصلاة والسلام على سيّدنا محمد سيد المرسلين وآله وصحبه وأتباعه وأحبابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن هذا الكتاب : «رد المتشابه إلى المحكم» لابن عربي (رحمه الله تعالى) ، من أفضل ما كتب (رحمه الله تعالى) وأجزل ثوابه : تناول فيه أمراً من أهم أمور الإسلام ، وهو : تفسير المتشابه من القرآن والحديث ، بالمحكم منهما ، لم يستعمل فيه رأياً ، ولا قال فيه كلمة إلاّ وهي من كلام أهل السنة والجماعة .

علماً بأن أولى ما فسّر كتاب الله : هو كتاب الله تبارك وتعالى ، وكذلك السنة الشريفة .

والحقيقة : أن فيه دلالة واضحة على سعة أفق الرجل ، وطول باعه في هذا الفن .

وجله ، بل كله : رد على الذين لا يخشون الله وافتروا عليه ما افتروا .

ويبدو فيه واضحاً : انه كان معادياً للفلاسفة أشد العداء ، كما سترى في أسلوبه وكلامه (رضي الله عنه) .

وما يدعيه بعضهم أنه كان فيلسوفاً ، إنما هو ناتج من الجهل بمنهج الرجل ، وما أذاع هذا إلّا الذين تشبعوا بآراء الفلاسفة الأفلاطونيين وغيرهم من أهل أوروبا قديماً وحديثاً ، ومن تتلمذ لهم من المسلمين .

على أنني - والحمد لله أولاً وأخيراً - أخذت على نفسي عهداً بيني وبين ربي - وأسأل الله تعالىٰ أن يعينني على الوفاء به ، فإنه حسبي وكفى - أن أخرج للناس كل ما يقع تحت يدي من كتب هذا الرجل ، دفاعاً عن ديني ، ولأزيل - بقدر إمكاني - الغشاوة التي غطت قلوب كثير من الناس في هذا المجال .

والذي أعلمه علم اليقين : أن هذا الرجل (رضي الله عنه) ابتلىٰ بافتراء الناس عليه ، ووضعهم في كثير من كتبه الكلام الذي لم يقله ، خصوصاً في «الفتوحات المكية» التي تناقلتها أيدي من لا يؤمنون بالله ولا يخافون حسابه من اليهود والنصارى - والسفهاء الذين تتلمذوا لهم ممن يدعون الإسلام - ودسوا فيها كلاماً في الحلول والاتحاد بما يشبه عقائد النصارى واليهود : ليقولوا للمسلمين : «ها هم علماؤكم يقولون كما نقول ، فنحن وأنتم سواء» .

وكذبوا والله الذي لا إله إلّا هو : ما قال حرفاً واحداً من هذا ، والله الحاكم بينه وبينهم يوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة .

ثم انني أثناء قراءتي لهذا الكتاب : علقت بعض التعليقات على مقدمة الأستاذ الفاضل السيد - «أبو بكر عبد الرحمن مخيون» - (رحمه الله تعالىٰ) : إتماماً للفائدة ، وتركت تعليقاته على الكتاب كما هي ، فإنه (رحمه الله) كان أقدر مني على شرح هذا الكتاب ، إلّا أن الله تعالى لم يحرمني من أن أضع عليه ما رأيت أنه محتاج إليه ، وإن كان الأمر كما يقولون : «ما ترك الأول للآخر شيئاً» ولكن الله تبارك وتعالىٰ أعطىٰ الهدهد والنملة ما لم يعط سليمان (ع) ، فلا حرج على فضله تبارك وتعالىٰ وجوده على من يشاء من عباده ، وله الفضل كله .

شرحت بعض الكلمات التي تحتاج إلى شرح ، وذكرت مصادر الحديث التي لم يذكر مصدرها : سواء كان في الكتاب أو في الهامش : لمزيد الفائدة .

إلّا أني حذفت صفحة الإهداء التي أهداها لوالديه وأخيه الأكبر : (رحمهم الله جميعاً) : لعدم جدواها لهذه الطبعة .

وقد ميزت كلامه بأن كتبت بعده «مخيون» .

كان في الإمكان أن نفعل كما يفعل كثير من سفهاء هذا العصر : أن نحذف المقدمة والتعاليق ، أو ننسبهما لأنفسنا بغير وجه حق

لكن : لما كان المقصود هو نفع المسلمين ، ورد الضال والشارد منهم إلى حظيرة الحق : تركنا هذه المقدمة على طولها ، كما هي ، وكذلك التعاليق ، لنستفيد ونفيد .

على أن الطبعة التي راجعنا عليها طبعت بمطبعة الصدق الخيرية بدرب الأتراك بجوار الأزهر : عام ١٣٦٨ هجرية .

والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل

عبد الرّحمن حسن محمود

مقـدمة

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الحمد لله العلي المجيد رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله خاتم النبيين ، وآله وصحبه أجمعين .

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، خاتم النبيين : البشير النذير ، الصادق المصدوق الأمين .

صل اللّهم عليه صلاة تؤته بها الوسيلة ، وأضعاف أمداد الكلم وسلّم تسليماً ، وعلى آله .

أما بعد :

فباسم الله العلي الكبير ننشر على «خير أمة أخرجت للناس» كتاب : «رد المتشابه إلى المحكم» للشيخ محيي الدين بن العربي ، راجين الله الحليم أن يجعل عملنا لوجهه الكريم .

على أنه محاولة كريمة من محاولات الفكر ، ولمعة من نور العبقرية المعبر عنها بـ «علوم الوهب» في فهم الأيات المعجزة والأحاديث الجوامع كلمها ، معتقدين أن الإنسانية تعجز بجمعها ـ بل والملكية تعجز أيضاً ـ عن ادراك التأويل المراد لله تعالى ولرسوله (ص) ، إلاّ بوحي من الله تعالى ، وبتبيّن من رسوله (ص) ، وأن الطريق الأسلم الكامل ، هو : التسليم الشامل والتفويض لله العليم فيما يريد ،

مع الإيمان الوثيق والتنزيه الطلبق .

أنظر الحديث الشريف الذي رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول .

«إن الله تعالىٰ قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار ، وأن الملأ الأعلىٰ يطلبونه كما تطلبونه» .

ويكفي لبيان مقصودنا : أن الشيخ محيي الدين نفسه (رحمه الله) - على ما أوتيه من مواهب وعبقرية ورسوخ - يقول في هذا الكتاب «ص ٣(*) وكان من أدبهم (رضي الله عنهم) - يعني الصحابة - أن لا يثق أحد بفهمه في استيعاب المراد منها» الخ . . .

وقال ص ٨(**) عن نفسه «ولنشرع في التفصيل ، مع بسط يد الفاقة والإفتقار ، عسىٰ أن يهديني ربي سواء السبيل» .

ثم قال في نفس الصفحة(***) : «وكل من له من الله نور ، له في مرجعها إلى المحكم فهم ، على حسب نوره ، ونحن إن شاء الله نذكر مبلغ علمنا وفهمنا ، ونسأل الله تعالىٰ أن يهدينا لما أختلف فيه من الحق باذنه» .

فالرجل يذكر مبلغ فهمه وعلمه ، وظاهر من كلمه : اقراره بعجزه عن إدراك المدىٰ ، والله أكبر .

نشرنا هذه الرسالة من نسخة خطية قديمة مؤرخة أوائل شهر ربيع الآخر سنة ١٠٣١ هـ ضمن مجموعة من مؤلفات ابن عربي أطلعنا عليه الإنسان الكامل المخلص لله الشيخ «على عبد العزيز حميدة» شيخ السادة البرهامية الشاذلية ، وهو من مخلفات والده أستاذنا المرحوم العارف بالله تعالىٰ السيد «عبد العزيز حميدة» المنتقل لرحمة الله ليلة الثلاثاء ١٠ من ذي القعدة سنة ١٣٦٤ الموافق ١٦ أكتوبر سنة ١٩٤٥ : وكنا نظن أن هذه الرسالة لم تطبع قبل ، ولكن أخانا في الله عزّ وجلّ الشيخ «إسماعيل الصاوي» أمتع الله به ، وجد نسخة بدار الكتب طبع بيروت سنة ١٣٢٨ وإن غاير عنوانها عنوان الأصل الذي طبعنا منه ، فقد

(*) راجع ص ٣٨٩ من هذه الطبعة .

(**) راجع ص ٣٩٥ من هذه الطبعة .

(***) راجع ص٣٩٧ من هذه الطبعة .

عنونت : (رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات) منسوب تأليفها لابن عربي .

وتبيّن لنا أن صاحب كشف الظنون نسبها لابن اللبان[1] . ولكن تحقيقنا شككنا في روايته - مع أنه ثقة - حتى تكرم علينا بعد طبع الملزمة الأولى الأستاذ المحقق الصوفي السيد «عبد الحميد الشيمي» الوفائي الحاتمي شيخ السادة الشيمية الحاتمية بنسختين : طبعة بيروت السالفة . وأخرى طبعة الآستانة نشرها سعادة الأستاذ «حافظ وهبة» سفير الحجاز بلندن الآن ، ولكنها منسوبة لابن اللبان المصري وعنوانها : (رد الآيات المتشابهات إلى الآيات المحكمات) ذكر ناشرها أنه استخرجها من مكاتب الآستانة ، فعذرنا صاحب «كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون» الذي قال : «رد المتشابه إلى المحكم» للشيخ محمد بن أحمد بن اللبان الأشعري المصري المتوفى سنة ٧٤٩ هـ من الآيات القرآنية ، أوله : «أما بعد حمد الله الواحد بذاته وصفاته» الخ . ذكر فيها متشابهات القرآن ا هـ .

وإن كانت مخالفته لعنوان الرسالة المطبوعة تستلفت النظر ، وكذلك قصره وصفها على متشابهات القرآن .

وسبب تشككنا في كلمته ، وهو «مصطفى بن عبد الله الحنفي المعروف بكاتب جلبي ، وبحاجي خليفة» أنه مولود سنة ١٠١٧ هـ ، ومتوفي سنة ١٠٦٧ فعمره كان قريباً من أربعة عشر عاماً ، أي لا زال في أول عهده بتحصيل العلم ، في وقت كتابة المخطوطة الذي طبعنا منه الرسالة ، وتاريخ كتابته كما قدمنا سنة

---

(١) لفظ صاحب كشف الظنون بتمامه ص ٥٣٦ جـ ١ طبع : دار سعادة : «رد المتشابه الى المحكم» للشيخ محمد بن أحمد بن اللبان الأشعري المصري المتوفي سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة «من الآيات القرآنية» أوله : «أما بعد حمد الله الواحد بذاته وصفاته» الخ : ذكر فيه «متشابهات القرآن» ا هـ .

هذا لفظه (رحمه الله تعالى) وأورده في ص ٣٧٥ جـ ٢ مرة أخرى باسم : «متشابه القرآن» للشيخ الإمام : سمش الدين محمد بن عبد المؤمن المصري الشافعي الشهير بابن اللبان ، المتوفي سنة ٧٤٩ تسع وأربعون وسبعمائة مختصر أوله «أما بعد حمد الله الواحد بذاته» .

ولنا هنا ملاحظات ، منها :

كتاب ابن اللبان اسمه : «متشابه القرآن» وكتابنا هذا اسمه : «رد المتشابه الى المحكم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية» فكتاب ابن اللبان خاص بالقرآن فقط - حسب كلام صاحب كشف الظنون - وكتابنا شامل للقرآن والحديث .

ومنها أن بداية كتاب ابن اللبان المصري : «أما بعد حمد الله . . . » وكتابنا يبدأ بقوله : «الحمد لله . . . » .

١٠٣١ ، وقد نسبها المخطوط الذي نقلناها عنه لابن عربي . ومع أن صاحب الكشف حجة ، فلم نجد أحداً وافقه فيما يذكر ، حتى أن الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه : «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» في ترجمته لابن اللبان ، لم يذكرها في مؤلفاته ، ولما أطلعنا على النسخة التي نشرها سعادة حافظ وهبة ، وذكر أنه استخرجها من مكاتب الآستانة ، وصاحب كشف الظنون تركي ، وجدنا له عذراً فيما قال : زاد وضوحاً إذ وجدنا في «اليواقيت والجواهر» للشعراني جـ ١ المبحث الثامن في وجوب اعتقاد أن الله معنا أينما كنا .

ذكر الشعراني : «عقد مجلس في الجامع الأزهر سنة خمس وتسعمائة بين الشيخ بدر الدين العلائي الحنفي ، والشيخ زكريا ، والشيخ برهان الدين بن أبي شريف ، وجماعة ، وبين الشيخ إبراهيم المواهبي الشاذلي ، قرر فيه المواهبي اعتقاده في مسألة المعية ، وانها بالذات لا بالأسماء والصفات ، كما يقولون .

فسألوه عمن وافقه غير العلامة الغزنوي في «شرح عقائد النسفي» فقال : ذكر شيخ الإسلام ابن اللبان في قوله تعالىٰ : ﴿ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ ان في هذه الآية دليلاً على أقربيته تعالىٰ من عبده قرباً حقيقياً ، كما يليق بذاته ، لتعاليه عن المكان» .

وذكر المواهبي كلاماً يقرب من كلام هذه الرسالة ، في مسألة القرب ، مما برهن لنا أن الشك في نسبتها قديم ، لأن هذا النص ألقىٰ ظلاً من الشك في أنها كانت معروفة في بعض الأوساط ، بأنها لابن اللبان من سنة ٩٠٥ ، أي قبل صاحب الكشف بمائة سنة ونيف .

ثم وجدنا في معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف سركيس ص ٢٢٩ ضمن مؤلفات ابن اللبان «إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المشتبهات» و «رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات» في التفسير ، فلم نخرج باختلاف العناوين بطائل ،واحتاجت المسألة لبحث دقيق ، لأن الأدلة تقريباً تعارضت : فتقرير صاحب كشف الظنون ، من النص الذي نقله الشعراني عن المواهب ، يوحيان بأنها لابن اللبان ، في مقابل النسخة التي نقل عنها الأستاذ يوسف سنو: طبعته ببيروت ، والمخطوط القديم الذي طبعناها عنه ـ وهو مغربي في أغلب الظن ـ يثبتانها لابن عربي .

ولكنا رجحنا أنها لابن عربي لما يلي :

ابن عـربي أقـدم من ابن اللبـان بمـائـة سنـة ونيف ، فـلا شـك أنـه استعـان بمؤلفات ابن عربي ، وطالعها واقتنى منها .

ولم يذكر ابن حجر في ترجمته لابن اللبان هذه الرسالة ضمن مؤلفاته .

وفي اجـازة ابن عربي للملك المـظفر غـازي ، أو الظاهـر صاحب حلب نيف وأربعمائة مؤلف .

وقد وجدنا في هذه الـرسالـة كثيراً من الأعـلام ، ذكرنـا وفياتهم في محلهم ، وكلهم سـابقون ابن عـربي ، اللّهم إلاّ القرطبي ، الـذي لم نعرف من يعني ، فـإنه ذكـره في معرض روايـة حديث ، بـاعتبار أنـه محدّث ، ومن أشتهـر بهذا اللقب من المشتغلين بـالحـديث عـديـدون ، فمنهم بقي بن مخلد القـرطبي الحـافظ ، شيـخ الإسلام المتوفى سنة ٢٧٦ .

ولكن يظهر أنه ليس هو المعنىٰ بهـذه الجملة (ذكر القـرطبي حديث يعلى عن أبي بكر النجاد) إذ النجاد متأخر عنه ، فهـو : الحافظ أبـو بكر أحمـد بن سليمان بن الحسن بن إسـرائيل النجـاد البغدادي الحنبلي ، المتـوفى في ذي الحجة سنـة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، وله كتاب في السنن كبير .

فاللائـق بالأخذ عنه نذكرهم بترتيب الأُخرىٰ منهم :

الأول : القرطبي : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبـد البر النمـري المالكي ، حافظ المغرب والمشرق ، المتوفى بشاطبـة بالأنـدلس سنة ثـلاث وستين وأربعمائة ، وهذا في نظري أقوىٰ المعنيين .

الثـاني : صـائن الـدين يحيى القـرطبي : أحـد الأئمـة في القـراءات وعلوم القـرآن والحديث والنحـو واللغة وغيـر ذلـك ، تـوفي بـالمـوصـل سنـة سبـع وستين وخمسمائة .

الثالث : أبو العبـاس : أحمد بن عمـر القرطبي ، شـرح بعض صحيح مسلم وسمـاه : «المفهم لما أشكـل من تلخيص كتاب مسلم» ولم نجـد له تـرجمة ، غيـر أنه كان أستاذاً .

الرابع : القرطبي محمد بن فـرح الأنصاري المتـوفى سنة ٦٧١ مؤلف تفسيـر الجـامع لأحكـام القرآن ، وهـذا وإن كان معـاصراً لابن عـربي ، فقـد كـان حـدث

السن بالنسبة لابن عربي ، ولم يشتهر شهرة الآخرين بالحديث .

الخامس : أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج القرطبي ، مسند الأندلس المتوفى سنة ثلاثين وثلاثمائة ، وهذا وإن كان معاصراً للنجاد ، فجائز أخذه عنه أيضاً .

أليس من الغريب : إن كانت الرسالة لابن اللبان حقاً ، أن لا يكون ذكر فيها اسم شخص بعد عصر ابن عربي ؟ وان من ذكر فيها كلهم سابقون ابن عربي ، أو لم يتجاوز أحدهم ابن عربي ، على التشكك الفرضي .

هذا مع دقة مؤلف الرسالة في نسبة الكلمات لقائليها ، حتى اللغوية .

ثم ان ابن عربي : شاعر بليغ ، وله ديوان شعر كبير[1] ، وفي كل مؤلفاته يذكر شيئاً من أشعاره مناسباً للمعنىٰ ، ولم يذكر مترجم ابن اللبان في صفاته : انه كان شاعراً .

وفي الرسالة أشعار نسبها المؤلف لنفسه ، تعبر عن روح ابن عربي الشعرية الرقيقة ، فضلاً عما ذكرنا ، مما قوي أنها لابن عربي ، فقد كان (رحمه الله) مغرماً بضرب المثل بالواحد في الأرقام .

قال في هذه الرسالة في الحديث :

«كان الله ولم يكن معه شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء» .

أخرجه البخاري من حديث عمران بن حصين .

وقد كثر ذكر معية الله بغيره في مواضع من الكتاب والسنة ، وهو من المتشابه ، ورجوعه إلى المحكم ، بأن يعلم بأن الله سبحانه في الموجودات قد ضرب لنفسه مثلاً بالواحد في الأعداد ، ومن المعلوم ان ما من عدد إلاّ وهو في الحقيقة يرجع إلى الواحد ، فالأثنين من شهود الواحد مرة ومرة ، والثلاثة من شهوده مرة ، ومرة ، ومرة ، وهكذا جميع الأعداد ، فلو طلبت لعدد من الأعداد حقيقة مجردة عن الواحد : لم تجده . ولسبب ذلك كانت الأعداد لا تتناهىٰ ، لأن تجليات الواحد لا تتناهىٰ ، ولولا معية الواحد للواحد ما ثبتت الشفعية ، ولولا

---

(١) مطبوع .

إحاطته بالشفعية ما ثبتت الوترية ، وهو الأول والآخر ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم﴾[1] الآية ، فمن أشهده الله آخرية معيته له ، فقد شفعه . فإن أشهده مع ذلك أولية معيته فقد أوتره «أن الله وتر يحب الوتر»[2] ، ومن أشهده سر وحدانيته في نفسه ورجوع الأعداد إليه فقد وحده «ما وحد الواحد إلاّ الواحد»[3] ، وبهذا يفهم السر في قوله : «من عرف نفسه عرف ربه»[4] .

وقال ابن عربي في رسالة «الحجب» : والتوحيد إنشاء العديد من الواحد ، كالواحد إلى الواحد في ظهور الأثنين ، وزاد واحداً يكن ثلاثة ، بالغاً ما بلغ من أسماء العدد ، فبالواحد تظهر أعيان الأشياء ، وبزواله تزول ، كالأتحاد : غيبوبة العدد في واحده الذي به ظهر ، وفناؤه فيه من حيث الواحد ، فليس العدد غير الواحد ، ولا هو نفس الواحد .

وقال أيضاً في كتابه «مراتب الحروف» : فمهما نظرت الوجود جمعاً وتفصيلاً وجدت التوحيد يصحبه ، لا يفارقه ألبتة ، صحبة الواحد للأعداد . فإن الاثنين لا يوجد أبداً ما لم يضف إلى الواحد مثله ، وهو الاثنين ، ولا تصح الثلاثة ما لم يزد واحد على الاثنين ، وهكذا إلى ما لا يتناهىٰ .

فالواحد نفس العدد ، وهو عين العدد ، أي به ظهر العدد . فالعدد كله واحد : لو نقص من الألف واحد : أنعدم اسم الألف وحقيقته ، وثبتت حقيقة أخرىٰ ، وهي تسعمائة وتسعة وتسعون ، لو نقص عنها واحد لذهب عنها .

فمتى انعدم الواحد من شيء عدم ، ومتى ثبت : وجد ذلك الشيء .

هكذا التوحيد : أن حقيقته : ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ .

إلى أن قال : كما جمع العدد كله كما قدمناه في الواحد .

وهناك أمثلة أخرىٰ كما في كتاب «الهو» ، فاقتصرنا على هذه ، لأنها في

(١) سورة المجادلة ؛ الآية : ٧ .

(٢) رواه ابن نصر عن أبي هريرة ، وعن عبد الله بن عمر ، ورواه أبو يعلىٰ عن ابن مسعود بلفظ «ان الله وتر يحب الوتر ، فإذا استجمرت فأوتر» والترمذي عن ابن مسعود : «ان الله وتر يحب الوتر فأوتروا يا أهل القرآن» .

(٣) هما بيتان للشيخ ابن عربي (رحمه الله) .

(٤) مشهور عن الصوفية ، وهو من قول يحيى بن معاذ .

علمنا : لم تطبع .

وظاهر أن هـذه التشبيهات مصـدرها واحـد ، فلو كانت الـرسالـة لابن اللبان ـ وهـو كما أسلفنـا ـ متأخـر عن ابن عـربي ، للزمـه أمـانـة أن يشيـر إلى مصـدره في ضرب المثل ، ، وهو : ابن عربي .

وقد وجدنا من الأعلام المذكورين في الـرسالـة الشيخ أبـا النجا ، وهي كنيـة غـامضة ، ولكنهـا كنية أبي مـدين الغوث المحبـوبة عنـد ابن عـربي ، وسيـدي أبـو مـدين الغوث متـوفىٰ سنة ٥٩٤ ، نبهنـا لهذا الأستـاذ الشيمي ، وهـو حجـة في ابن عربي :

قال : «لم أجد من كناه بأبي النجا ، سوى الإمام محيي الدين : تلميذه .

وإليـك بيان ذلـك من كتابـه : «مواقـع النجوم ومـطالع أهله الأسـرار والعلوم» جـاء في بـاب الفلك اليميني ص ٩٦[١] مـا نصـه : «وكـذلـك اتفق لشيـخ الشيـوخ بمغربنا أبي النجا ، المعروف بأبي مدين الخ . .» .

وفي ص ١٥١[٢] من نفس الكتاب في باب «الفلك القلبي» مـا نصه : «ولقـد بلغني عن ثقـة : أن الشيخ أبـا النجا ، المعـروف بأبي مـدين (رحمـة الله عليـه) ، وجـه إليـه بعض الأبـدال في مسـألـة ، وهي : لأي شيء لا يعتـاص علينـا ، وأنت تعتـاص عليك الأشيـاء ، ونحن راغبون في مقـامكم ، وأنت غير راغب في مقـامنا» اهـ .

وإذا قـرأنا تـرجمة ابن اللبـان : نرىٰ أنـه منع من الكـلام لضبط كلمات عليـه على طريق الاتحادية ، كما يقول ابن حجر .

وهـذا الممنـوع من الكـلام بحكم القضـاء الـذي لم ينقـذه منـه إلاَّ مكـانـة ووجـاهة ابن فضـل الله ، وتشفعه ، لا يسـوغ له التـأليف فيما منـع منـه ، كمـا هـو معروف حتى في عصرنا هذا .

وفي هذه الرسالة مواضع لا تقبل إلاَّ ممن أجمعوا على تـأويل كـلامه ، كـابن عربي .

---

(١) ص ٨٩ طبعة مكتبه صبيح .

(٢) ص ١٣٩ من نفس الطبعة .

وقد ذكر المؤلف كتاب «الأمالي» من تأليفه ، ولم نجده في مؤلفات ابن اللبان .

أما ابن عربي فلم نعثر على ثبت بكل مؤلفاته ، وهي أربعمائة ونيف كما ذكر[1] .

أما السر في خطأ نسبتها ، فربما كان غلطاً من الناسخ ، أو كان مكتوباً عليها اسم ابن اللبان : ملكاً لا تأليفاً ، وعلم ذلك عند كلام الغيوب .

وسواء أكانت هذه الرسالة لابن اللبان ، أو لابن عربي ، فهي علم ينتفع به على الحالين .

وابن اللبان كان من الأعيان ، وكان يلقب بشيخ الإسلام ، ولم يكن ممن يستهان به : فنرى لزاماً علينا ذكر ترجمته .

بقي أن نقول : . . . أن نسختنا هذه ـ وكان أصلها المخطوط المغربي ـ كثير التحريف والخطأ مفقودة منه المقدمة إلى قوله : (وفرعها في السماء) قد راجعناها على نسختي بيروت والأستانة المطبوعتين ، وكانتا أكثر تحريفاً وخطأ .

أما نسخة بيروت : فهي كالمخطوط الذي طبعنا منه ، لولا مواضع تقديم وتأخير في فصولها ، ونقصها قليل بالنسبة لنسخة الأستانة المنسوبة لابن اللبان ، ففيها مغايرات كثيرة ، ونقص كثير ، واختصار ، حتى أن ناشرها قال : (ولقد تصرفت في بعض عبارات الكتاب التي لم أقف على أصلها ، وكان بعضها ممزقاً من تصرفات الأيام) وعلى ذلك كان من السعد أن خرجت نسختنا هذه في غاية من الدقة والضبط (بحمد الله تعالى) ، فضلاً عن التعليق عليها .

ونرى لزاماً أن نشكر السادة الأشراف : «الشيخ علي عبد العزيز حميده» الذي سمح لنا بالأصل القديم الذي طبعنا منه ، والأستاذ العلامة «أحمد بك خيري .

---

(١) في دار الكتب صورة اجازة إلى السلطان الملك المظفر : بهاء الدين بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وأولاده رقم ١٥٨ ، ذكر فيها مصنفاته ، وهي ضمن مجموعة من ورقة ١٠٤ ـ ١٠٩ .

وأخرى ذكر فيها مصنفاته أيضاً رقمها ٦٣٣ مجاميع طلعت أرسلها إلى الملك العادل أبي بكر بن أيوب وأولاده ، وذكر فيها مؤلفاته أيضاً ، وكان ذلك عام ٦٣٢ هـ بدمشق .

الحسيني» الـذي وضع مكتبتـه الثمينـة تحت أمـرنـا ، ونفعنـا بعلمـه الغـزيـر ورأيـه الصـائب ، والسـيد «عبـد الحميد الشيمي» الـوفائي الحـاتمي الذي كـان من كـرمـه ونصحـه للمسلمين أن أرسل لنـا نسخته من الـرسالـة ، على غير معـرفة ، لمـا علم أننا نطبع الكتاب ، حتى أمكننا المراجعة والتصحيح عليهما .

وقد نفعنا بعلمه أيضاً الأستاذ «الهادي عبد القادر» التونسي .

وكذلك نشكـر كل من عـاوننا على إخـراج هذه الـرسالـة ، جزاهم الله تعـالى خير الجزاء ، والحمد لله رب العالمين .

ترجمة ابن اللبان

نقلاً عن الحافظ ابن حجر العسقلاني ، المتوفى سنة ٨٥٢ ، قال في الجزء الثالث من «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» .

«محمد بن أحمد الأسعردي (اسعرد(*) بلد ذكره في القاموس) ثم الدمشقي ، نزيل القاهرة شمس الدين بن اللبان ، ولد سنة ٦٨٥ هـ أو نحوها ، وسمع بدمشق من ابن غدير وغيره ، وبالقاهرة من الدمياطي وغيره ، وتفقه وبرع في الفنون ، ودرس بزاوية الشافعي بالجامع(1) ، وتكلم على الناس ـ على طريق الشاذلية ـ فطار له بذلك صيت عظيم ، ولكنه ضبطت عليه كلمات على طريق الاتحادية ، فقام عليه الفقهاء ، وحضر إلى مجلس القاضي جلال الدين القزويني ، وادعى عليه عنده ، وانتصر له ابن فضل الله ، إلى أن استنقذ من يد القاضي المالكي : شرف الدين عيسى الزواوي ، بعد أن منع من الكلام ، وله ترتيب الأم للشافعي ، واختصر الروضة ، ولكنه تعانى تعقيد الألفاظ ، فلا يفهم ، واختصر علوم الحديث ، وله مختصر في النحو وتفسير سور ، وكتاب على لسان الصوفية ، وفيه من إشارات أهل الوحدة ، وهو في غاية الحلاوة لفظاً ، وفي المعنى سم ناقع .

قال الأسنوي : كان عارفاً بالفقه والأصلين والعربية ،أديباً ذكياً فصيحاً ، ذا

(*) وهي «بكسر العين» .

(1) كانت للإمام الشافعي زاوية في مسجد عمرو بن العاص

همة وصرامة وانجماع ، وعمل في «كائنة الكمال جعفر الأدفودي» مقامة حط عليه فيها .

قال العثماني قاضي صفد : رأيته بمكة وقت صلاة الجمعة ، وأمير الحج يضرب الطائفين ، ويقول أجلسوا للصلاة ، فقام عليه وأمسك بكتفيه ، وقال : نبيك قال : «لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت ، أي ساعة شاء من ليل أو نهار» فسقطت العصا من يد الأمير ، وقبل يد الشيخ» .

قال : «فاتفق أنه لما خرج الخطيب جلس الناس دفعة واحدة . مات في الطاعون العام سنة ٧٤٩ هـ» ا هـ .

ترجمة الشيخ محي الدين بن العربي

مختصرة عن كتاب :

«إزالة الشبهات من قول الأستاذ الأكبر : كنا حروفاً عاليات» .

تأليف الأستاذ المحقق «أحمد بك خيري الحسيني» عن فوات الوفيات ، ونفح الطيب، وغير ذلك من المراجع التي تنص عليها إن رأينا ضرورة .

هو : الشيخ الأكبر : محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي ، من ولد عبد الله بن حاتم ، أخي عدي بن حاتم الصحابي ، يكنىٰ أبا بكر ، ويلقب بمحي الدين ، يعرف بالحاتمي ، وبابن عربي ، بدون ألف ولام ، كما أصطلح عليه أهل المشرق ، فرقاً بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي المتوفىٰ سنة ٥٤٣ ، وكان يعرف بالمغرب بابن العربي ، بالألف واللام ، وكان أيضاً يعرف في الأندلس «بابن سراقة» ، ولد بمرسية ، يوم الاثنين سابع عشر شهر رمضان ، سنة ٥٦٠ ستين وخمسمائة ، وانتقل منها إلى أشبيلية سنة ٥٦٨ فأقام بها إلى سنة ٥٩٨ ، ودخل بجاية(*) من بلاد المغرب سنة ٥٩٧ ، ثم ارتحل إلى المشرق حاجاً ، ولم يعد بعدها للأندلس .

قال عن نفسه في «رسالة الحجب» : «كنت يوماً بمدينة قرطبة وأنا ماش إلى صلاة الجمعة ، ومعي جماعة من إخواني ، وذلك في أيام جهالتي» وذكر حكاية بيتين من الشعر .

(*) بضم البـاء .

ويفهم من هـذا النص تنقله في الأنـدلس ، ودخـل مصـر حـاجـاً ، وأقـام بالحجاز مدة ، ودخل بغداد سنة ٦٠١ ، وسنة ٦٠٨ والموصـل ، وبلاد الـروم ، ثم سكن دمشق ، واستقر بها إلى أن مات .

قـال الشعراني في الـطبقات : «تـرجمة الشيـخ صفي الدين بن أبي المنصـور وغيـره بالـولاية الكبـرىٰ والصلاح ، والعـرفان والعلم ، فقـال : «هو الشيـخ الإمـام المحقق ، رأس أجـلاء العـارفين والمقـربين ، صـاحب الإشـارات الملكـوتيـة ، والنفحات القدسيـة ، والأنفاس الـروحانيـة ، والفتح المـونق ، والكشف المشرق ، والبصائر الخارقة ، والسرائر الصادقة ، والمعارف الباهرة» .

إلى أن قال : «وهو أحد أركان هذه الطريق» .

وكـذلك تـرجمة الشيـخ العارف بـالله تعالىٰ سيـدي محمد بن أسعـد اليـافعي (رضي الله عنه) ، وذكره بالعرفان والولاية ، ولقبه الشيـخ أبو مـدين (رضي الله عنه) بـ : «سلطان العارفين» .

وكـلام الرجـل أدل دليل على مقـامه البـاطن ، وكتبه مشهـورة بين النـاس ، لا سيمـا بأرض الـروم ، فإنـه ذكـر في بعض كتبـه في صفـة الـسلطان : جـد السلطان سليمان بن عثمان الأول ، وفتحة القسطنطينية في الوقت الفلاني ، فجـاء الأمر كمـا قال : وبينه وبين السلطان نحو مائتي سنة .

وقد بني عليه قبة عظيمة وتكية شريفة بالشام ، فيهـا طعام وخيـرات ، واحتاج إلى الحضـور عنده من كـان ينكر عليـه من القاصـرين ، بعد أن كـانوا يبـولون على قبره (رضي الله عنه) ، وذكر حكاية في ذلك وكرامة للشيخ .

ثم قـال : وكان (رضي الله عنـه) أولاً يكتب الإنشـاء لبعض ملوك المغـرب ، ثم تـزهد وتعبـد وساح ، ودخـل مصر والشـام والحجـاز والـروم ، ولـه في كـل بلد دخلها مؤلفات .

وكـان الشيخ عـز الدين بن عبد السلام ـ شيـخ الإسلام بمصـر المحـروسـة ـ يحط عليـه كثيراً ، فلمـا صحب الشيخ أبـا الحسن الشاذلي (رضي الله عنـه) وعرف أحوال القوم ، صار يترجمه بالولاية والعرفان والقطبية ا هـ .

محنته بمصر : ذكر المقري في «نفح الطيب» : «ثم قـال صاحب العنـوان ،

أي «عنوان الدراية»[1] : أن الشيخ بمحي الدين رحل إلى المشرق واستقرت به الدار ، وألف تآليفه ـ وفيها ما فيها ـ أن قيض الله من يسامح ويتأول سهل المرام ، وإن كان ممن ينظر بالظاهر فالأمر صعب ـ وقد نقد عليه أهل الديار المصرية ، وسعوا في اراقة دمه ، فخلصه الله تعالىٰ على يد الشيخ أبي الحسن البجائي المتوفى سنة ٦٥٢ ، فإنه سعىٰ في خلاصه ، وتأول كلامه .

ولما وصل إليه بعد خلاصه ، قال له الشيخ (رحمه الله تعالىٰ) : «كيف يحبس من حل منه اللاهوت في الناسوت» .

فقال له : «يا سيدي تلك شطحات في محل سكر ، ولا عتب على سكران» .

(١) هو كتاب «عنوان الدراية في تاريخ بجاية» و «بجاية» بضم الباء وفتح الجيم ، من بلاد المغرب .

مؤلفاته

ألف الشيخ كثيراً من المؤلفات ، وجلها ـ إن لم يكن كلها ـ في التصوف والعلوم الغيبية ، وهي : نيف وأربعمائة مؤلف ، عد منها العظم في كتابه «عقود الجوهر» ٢٤٣ مؤلفاً ، وقال : «وللشيخ مؤلفات غير هذه لم أقف عليها» .

اجتهاده : نقل عنه الشعراني : «أنه كان مجتهداً» في الباب السابع والستين وثلثمائة من الفتوحات المكية .

قال : «ليس عندنا ـ بحمد الله تعالىٰ ـ تقليد إلّا للشارع (ص)» وأظن هذا كاف للرد على من ترجم بأنه ظاهري المذهب ، ولا حاجة لتأويل هذه الكلمة ، لأن قوله : «للشارع» يدل على اجتهاده في الفقه بنوع خاص .

قال في ديوانه في «باب التبري من التقليد» :

نسبوني إلى ابن حزم ، وانـي ... لست ممن يقول : قال ابن حزم

لا ولا غيره ، فإن مقالي : ... قال نص الكتاب : ذلك علمي[1]

أو يقول الرسول أو أجمع الخلـ ... ـق على ما أقول : ذلك حكمي

وابن حزم أكبر شيوخ الظاهرية

ثم أنظر لقوله في الفتوحات ج ١ ص ٥١٨ : «اتفق المسلمون على أن

(١) وهذا يدل على أنه ليس ظاهري المذهب ، وإنما مجتهد ، وربما وافق اجتهاده الظاهرية في بعض الأحكام عفو الخاطر وإن كان هو اختصر «المحلى» لابن حزم ، وسمّاه «المجلى في اختصار المحلى» .

التوجه إلى القبلة - أعني الكعبة - شرط من شروط صحة الصلاة ، فلولا أن الإجماع سبقني في هذه المسألة لم أقل : أنه شرط ، فإن قوله تعالى : **﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾** نزلت بعده ، وهي آية محكمة ، غير منسوخة» .

أليس في هذا الكلام روح الاجتهاد ؟ .

وأنظر الفتوحات أيضاً ج ١ ص ٤٤٧ «فمنهم من أجاز إمامة المرأة على الإطلاق ، بالرجال والنساء ، وبه أقول ، ومنهم من منعها مطلقاً ، ومنهم من أجازها بالنساء دون الرجال ، وقد شهد رسول الله (ص) لبعض النساء بالكمال ، كما شهد لبعض الرجال بالكمال ، وإن كانوا أكثر من النساء في الكمال ، والأصل امامة المرأة ، فمن أدعىٰ منع ذلك من غير دليل ، «لا يسمع له ، ولا نص للمانع في ذلك» اهـ .

وكتبه مشحونة بمثل هذه الأمثلة التي تدل على الاستقلال في الرأي ، والاجتهاد في الحكم .

وأظنه ما اعترف لأحد عليه بالفضل ما اعترف للإمام جعفر الصادق (رضي الله عنه) .

قال ابن عربي في كتابه «ستة وتسعون» في «الكلام على الميم والواو والنون» : «وهذه طريقة الإمام جعفر الصادق (رضي الله عنه) ، وغيره كان يقول بصورة الحيوانات ، ولكن نقول بالأشكال ، وما أظن - والله أعلم - إلا أنه لمكذوب عليه في ذلك ، من حيث أنه صورها أو أمر بها ، وأما ان كان نبه عليها ، فصورها التلميذ من غير معرفة ، فهذا هو الذي يليق بمقامه ورتبته ، فإنه أجل من أن يجري عليه لسان ذنب ، فاني - وإن كنت من بعض حسناته - لا أقول بهذا ، وأحرى بمثل ذلك السيد المجتبىٰ حسياً وعلماً» .

نقلنا أكثر نصه ، لأنه - فيما نعلم - لم يطبع ، وظاهر منه إقراره بالفضل للإمام جعفر ، مع استقلاله في الرأي .

حفظه :

قال الشيخ المفسر المحدّث : إسماعيل العجلوني الجراحي المتوفىٰ سنة ١١٦٢ في «كشف الخفا ومزيل الألباس ، عما أشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس» ج ٢ ص ٢٦٢ ناقلاً عن الغرس ، ذكر لنا شيخنا الشيخ حجازي الواعظ

«شارح الجامع الصغير للسيوطي» بأن الشيخ محي الدين بن عربي ، معدود من الحفاظ ـ أنظر التعليق على حديث : «من عرف نفسه عرف ربه» فإنه فيه بطوله ـ والحافظ في مصطلح المحدثين ، يطلق على من يحفظ مائة ألف حديث .

أولاده :

رزق بولدين ، أحدهما : سعد الدين محمد ، ولد بملطية ، وهي بلدة من الأناضول ، في شهر رمضان ٦١٨ وسمع الحديث ودرس ، وقال الشعر الجيد ، وله ديوان شعر مشهور ، توفي بدمشق سنة ٦٥٦ ، وهي السنة التي توفي فيها أيضاً أستاذنا الكامل سيدي أبو الحسن الشاذلي ، سنة دخل «هولاكو» بغداد ، وقتل الخليفة المستعصم .

ودفن عند والده بسفح قاسيون ، بتربة القاضي بن الزكي .

وفاته :

وليلة الجمعة ، الثامن والعشرون من شهر ربيع الآخر ، من شهور سنة ٦٣٨ توفي الأستاذ الأكبر بمدينة دمشق ، بعد أن عمر ١١ يوماً ، ٧ شهور ، ٧٧ سنة ، بدار محي الدين بن الزكي ، ودفن يوم الجمعة بجبل قاسيون ، بتربة بني الزكي اهـ .

وأختم هذه المقدّمة بالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، حمداً يؤدّي شكر كل آلائه على جميع خلقه .

الأربعاء ١١ من شعبان ١٣٦٨

٨ يونية ١٩٤٩

أبو بكر عبد الرحمن مخيون

عزبة مخيون ـ بأبي حمص ـ بحيرة

كلمة في الصوفية ، لا بد منها

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

أحمده سبحانه ، وأصلّي على رسوله خاتم النبيّين ، وبعد :

فهذه الرسالة فيها ألفاظ على مصطلح الصوفية ، موهمة لغيرهم ، يصعب تأويلها إلاّ على عارف منهم .

ولأن لكل قوم من ذوي العلم إصطلاحات خاصة بهم ، ولأني لم أتشرف بنهج منهجهم الوعر على أمثالي ، ولأنه لا يصح الكلام إلاّ بذوق وحال ، فقد رأيت إيراد بعض نصوص لها خطر من كلامهم ، تعين على فهم المراد حتى يحسن الاعتقاد فيهم ، ويقام : لهم العذر ، أو يسلم لهم حالهم إلى ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ وقد أطلت في إيراد النصوص كاملة لأنها مشردة في الكتب ، وبدأت بكلمة حجة الإسلام الغزالي في كتاب : «المقصد الأسنىٰ شرح أسماء الله الحسنىٰ» فانها ، وإن كانت وافية بالمرام ـ حتى لقد أحال عليها في كتابه «المنقذ من الضلال» ـ إلاّ أن ما يأتي بعدها كزيادة شرح وإيضاح لها ، وبه فوائد لم تذكر فيها ، فنقول وتوكلنا على الله :

قال الغزالي : «في المقصد الأسنىٰ» بعد شرحه لأخر الأسماء الحسنىٰ التي ذكرها الحديث :

«خاتمة لهذا الفصل واعتذار» .

إعلم أنه إنما حملني على ذكر هذه التنبيهات ـ ردف هذه الأسامي

والصفات ـ قول رسول الله (ص) : «تخلقوا بأخلاق الله تعالىٰ»[١] ، وقولـه (ص) : «إن الله تعالىٰ كذا وكذا خنقاً ، من تخلق بواحد منها دخل الجنة» .

(رواه في الجامع الصغير : «ان لله تعالىٰ مـائة خلق وسبعـة عشر خلقـاً ، من أتـاه بخلق منها دخـل الجنة»[٢] وذكـر أن رواه الحـكيـم ، وأبـو يعلى في مسنـده ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن عثمان بن عفان ، ووضع أمامه علامة الحسن) .

وما تداولتـه ألسنة الصـوفية من كلمـات تشير إلى مـا ذكرنـاه ، لكن على وجه يـوهم عند غيـر المحصل شيئـاً من معنىٰ الحلول أو الاتحاد ، وذلـك غيـر مـظنـون بعاقل ، فضلاً عن المميزين بخصائص المكاشفات .

وقـد سمعت الشيـخ أبـا علي القـارمـدي يحكي عن شيخـه أبي القـاسم الكـركاني (قـدس الله روحهما) ، أنـه قال : «أن الأسمـاء التسعة والتسعين : تصير أوصافاً للعبد السالك ، وهو يعد في السلوك غير واصل» .

وهـذا الذي ذكـره : إن أراد فيه شيئاً ينـاسب مـا أوردنـاه فهـو صحيـح ، ولا يـظن به إلاّ ذلـك ، ويكون في اللفظ نـوعـاً من التـوسـع والإستعـارة ، فـإن معـاني الأسماء ، هي : صفات الله تعالىٰ ، وصفاتـه لا تصير صفـة لغيره ، ولكن معنـاه أن يحصـل له مـا يناسب تلك الأوصـاف كما يُقـال : فلان حصـل علم أستاذه ، وعلم الأستاذ لا يحصل للتلميذ ، بل يحصل له مثل علمه[٣] .

وإن ظن ظان ، أن المراد بـه ليس ما ذكـرناه ، فهـو باطـل قطعـاً ، فإني أقول قول القائل : «إن معاني أسماء الله صارت أوصـافاً لـه» ، لا يخلو : إما أن عني بـه غير تلك الصفات أو مثلها ، فإن عني به مثلها ، فـلا يخلو : إما أنـه عني به مثلهـا مطلقاً من كـل وجه ، وإمـا أنه عني بـه مثلها من حيث الاسم والمشـاركة في عمـوم الصفات ، دون خواص المعاني ، فهذان قسمان .

---

(١) وقـال (عليه الصـلاة والسلام) : «الخلق زمـام من رحمه الله» رواه الحـاكم في تاريخـه ، وقال (ص) : «الخلق وعاء الدين» رواه الحكيم .

(٢) مع شهادة أن لا إله إلاّ الله .

(٣) وكما تقول مثلاً : «ـ فلان رجل صبور ـ» أي يتحمل الأذى كثيراً ، ولكنها ليست كالصفـة التي وصف الله تعالى بها نفسـه ، فإن العبد ليس له منها إلاّ الاسم فقط ، والمعنى الكامـل لله تبارك وتعالى ، وشتان بين هذا وذاك .

وإن عني بها عينها ، فلا يخلو : إما أن يكون بطريق إنتقال الصفات من الرب إلى العبد ، أو لا بالانتقال ، فإن لم يكن بالانتقال ، فلا يخلو : إما أن يكون باتحاد ذات العبد بذات الرب ، حتى يكون هو هو ، فيكون صفاته صفاته ، وإما أن يكون بطريق الحلول ، وهذه أقسام ثلاثة ، وهو : الانتقال ، الاتحاد ، والحلول ، فهذه خمسة أقسام ، الصحيح منها قسم واحد ، وهو أن يثبت للعبد من هذه الصفات أمور تناسبها على الجملة ، وتشاركها في الاسم ، ولكن لا تماثلها مماثلة تامة ، كما ذكرناه في التنبيهات .

وأما القسم الثاني : وهو : أن يثبت له أمثالها على التحقيق فمحال ، فإن من جملتها : أن يكون له علم محيط بجميع المعلومات ، حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وأن يكون له قدرة واحدة تشمل جميع المخلوقات ، حتى يكون بها خالق السماوات والأرض وما بينهما ، وكيف يتصور هذا لغير الله تعالىٰ ؟؟؟

وكيف يكون العبد خالق السماوات والأرض وما بينهما ، وهو من جملة ما بينهما ؟؟؟ .

فكيف يكون خالق نفسه ؟ .

ثم إن ثبتت هذه الصفات لعبدين ، يكون كل واحد منهما خالق صاحبه ، فيكون كل واحد منهما خالقاً من خلقه .

وكل ذلك ترهات ومحالات .

وأما القسم الثالث : وهو انتقال عين صفات الربوبية ، فهو أيضاً محال ، لأن الصفات يستحيل مفارقتها للموصوفات ، وهذا لا يختص بالذات القديمة .

بل لا يتصور أن ينتقل عين علم زيد إلى عمرو .

بل لا قيام للصفات إلاّ بخصوص الموصوفات ، لأن الإنتقال ووجب فراغ المنتقل عنه ، فيوجب أن تعري الذات التي عنها إنتقال صفات الربوبية عن الربوبية وصفاتها .

وذلك أيضاً ظاهر الإستحالة .

وأما القسم الرابع : وهو الإتحاد ، فذلك أيضاً أظهر بطلاناً ، لأن قول

القائل : «أن العبد صار هو الرب» كلام متناقض في نفسه ، بل ينبغي أن ينزه الرب سبحانه عن أن يجري اللسان في حقه بأمثال هذه المحالات ، ويقول قولاً مطلقاً ، إن قول القائل : إن شيئاً صار شيئاً آخر محال على الإطلاق ، لأنا نقول : إذا عقل زيد وحده ، وعمرو وحده ، ثم قيل : إن زيداً صار عمراً ، واتحد به ، فلا يخلو عند الاتحاد إما أن يكون كلاهما موجودين ، أو كلاهما معدومين ، أو زيد موجوداً وعمرو معدوماً ، أو بالعكس ، ولا يمكن قسم وراء هذه الأربعة ، فإن كانا موجودين فلم يصر أحدهما عين الآخر ، بل عين كل واحد منهما موجود ، وإنما الغاية أن يتحد مكانهما ، وذلك لا يوجب الاتحاد . فإن : العلم ، والإرادة ، والقدرة ، قد تجتمع في ذات واحدة ولا يتباين محالها ، ولا تكون القدرة هي العلم ولا الإرادة ، ولا يكون قد أتحد البعض بالبعض .

وإن كانا معدومين فما أتحدا ، بل عدما ، ولعل الحادث شيء ثالث ، وإن كان أحدهما معدوماً والآخر موجوداً فلا اتحاد ، إذ لا يتحد موجود بمعدوم ، فالاتحاد بين الشيئين مطلقاً محال ، وهذا جار في الذوات المتماثلة ، فضلاً عن المختلفة ، فإنه يستحيل أن يصير هذا السواد ذاك السواد ، كما يستحيل أن يصير هذا السواد ذلك البياض أو ذلك العلم .

والتباين بين العبد والرب : أعظم من التباين بين السواد والعلم .

فأصل الاتحاد أذن باطل ، وحيث يطلق الإتحاد ، ويُقال : هو هو ، لا يكون إلاّ بطريق التوسع والتجوز اللائق بعادة الصوفية والشعراء ، فانهم ـ لأجل تحسين موقع الكلام من الافهام ـ يسلكون سبيل إستعارة ، كما يقول الشاعر :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا[1] ـ

وذلك مؤول عند الشاعر ، فإنه لا يعني به أنه هو تحقيقاً ، بل كأنه هو : فإنه مستغرق الهم به ، كما يكون هو مستغرق الهم بنفسه ، فيعبر عن هذه الحالة بالاتحاد على سبيل التجور .

وعليه ، ينبغي أن يحمل قول أبي زيد حيث قال : «انسلخت من نفسي كما

---

(١) أنا من أهوى ومن أهوى أنا روحان حلا جسدا
وهل يمكن أن يكون ذلك على سبيل الحقيقة . . . لا . . . ولكنه كناية عن الحب الخالص ، ولغة العرب مليئة بمثل هذا .

تنسلخ الحية من جلدها ، فنظرت فإذا أنا هو» ، ويكون معناه : ان من ينسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها ، فلا يبقىٰ فيه متسع لغير الله ، ولا يكون له هم سوىٰ الله تعالىٰ .

فإذا لم يحل في القلب إلاّ جلال الله وجماله ، حتى صار مستغرقاً به ، يصير كأنه هو ، لا أنه هو تحقيقاً ، وفرق بين قولنا : «كأنه هو» وبين قولنا : «هو هو» . لكن قد نعبر بقولنا : هو هو عند قولنا : «كأنه هو» كما أن الشاعر تارة يقول : «كأني من أهوىٰ» ، وتارة يقول : «أنا من أهوىٰ» ، وهذه مزلة قدم ، فإنه ليس له قدم راسخ في المعقولات ، ربما لم يتميز له أحدهما عن الأخر ، فينظر إلى كمال ذاته ، وقد تزين بما تلألأ فيه من حلية الحق ، فيظن أنه هو ، فيقول : «أنا الحق» وهو غالط غلط النصارى ، حيث رأوا ذلك في ذات عيسى (ع) ، فقالوا : هو الإله . بل غلط من ينظر إلى مرآة قد انطبع فيها صورة متلونة ، فيظن أن تلك الصورة هي صورة المرآة ، وأن ذلك اللون لون المرآة ، وهيهات ، بل المرآة في ذاتها لا لون لها ، وشأنها قبول صور الألوان على وجه يتخايل إلى الناظرين إلى ظاهر الأمور : ان ذلك هو صورة المرآة ، حتى أن الصبي إذا رأى إنساناً في المرآة : ظن أن الإنسان في المرآة ، فكذلك القلب خال عن الصورة في نفسه ، وعن الهيئات ، وإنما هيئته : قبول معاني الهيئات والصور والحقائق ، فما يحله يكون كالمتحد به ، لا أنه متحد به تحقيقاً ، ومن لا يعرف الزجاج والخمر ، إذا رأى زجاجة فيها خمر لم يدرك تباينهما ، فتارة يقول : لا خمر ، وتارة يقول : لا زجاجة ، كما عبر عنه الشاعر حيث . قال :

رق الزجاج وراقت الخمر فتشابها ، فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر[1]

وقول من قال منهم : «أنا الحق» فإما أن يكون معناه معنى قول الشاعر : ـ أنا من أهوىٰ ومن أهوىٰ أنا ـ وأما أن يكون قد غلط في ذلك كما غلطت النصارى في ظنهم اتحاد اللاهوت بالناسوت .

وقول أبي يزيد ـ إن صح عنه ـ : «سبحاني ، ما أعظم شاني» . إما أن يكون ذلك جارياً على لسانه في معرض الحكاية عن الله تعالىٰ ، كما لو سمع وهو

(١) هما للحسن بن هانيء «أبو النواس» .

يقول : (لا إله إلاّ أنا فاعبدني) لكان يحمل على الحكاية[1] .

واما أن يكون قد شاهد كمال حظه من صفة القدس ـ على ما ذكرنا في الترقي بالمعرفة عن الموهومات والمحسوسات وبالهمة عن الحظوظ والشهوات ـ فأخبر عن قدس نفسه ، فقال : «سبحاني» ورأي عظم شأنه بالإضافة إلى شأن عموم الخلق ، فقال : «ما أعظم شأني» وهو مع ذلك يعلم أن قدسه وعظم شأنه بالإضافة إلى الخلق.

ولا نسبة له إلى قدس الرب تعالىٰ ، وعظم شأنه .

ويكون قد جرىٰ هذا اللفظ على لسانه في سكر وغلبة حال ، فإن الرجوع إلى الصحو ، واعتدال الحال يوجب حفظ اللسان عن الألفاظ الموهمة .

وحال السكر ربما لا يحتمل ذلك .

فإن جاوزت هذين التأويلين إلى الإتحاد ، فذلك محال قطعاً .

فلا تنظر إلى مناصب الرجال حتى تصدق بالمحال .

بل ينبغي أن تعرف الرجال بالحق ، لا الحق بالرجال .

وأما القسم الخامس : وهو الحلول ، فذلك يتصور بأن يُقال : «أن الرب حل في العبد ، أو العبد حل في الرب» : تعالىٰ رب الأرباب عن قول الظالمين .

وهذا ـ لو صح ـ لما أوجب الإتحاد ، ولا أن يتصف العبد بصفات الرب ، فإن صفات الحال(*) لا تصير صفة المحل ، بل تبقىٰ صفة الحال كما كان ، ووجه استحالة الحلول لا يفهم إلاّ بعد فهم معنىٰ الحلول ، فإن المعاني المفردة إذا لم تدرك بطريق التصور ، لم يمكن أن يعلم نفيها أو إثباتها من لا يدري معنى الحلول ، فمن أين يدري أن الحلول موجود أو محال ؟ .

فنقول : المفهوم من الحلول أمران :

أحدهما : النسبة التي بين الجسم وبين مكانه الذي يكون فيه ، وذلك لا

---

(١) بل قالها على سبيل التهكم بمن التف حوله ، لأنه دخل بلداً من البلاد ، فأخذ أهل هذا البلد يعظمونه ويلتفون حوله لا يبارحونه فكأنه أشتم منهم رائحة الأعظام الزائد له ، فقالها : على سبيل التهكم والزجر لهم عما يفعلون به .

(*) بتشديد اللام .

يكون إلاّ بين جسمين .

فالبريء عن معنى الجسمية يستحيل في حقه ذلك .

والثاني : النسبة التي بين العرض والجوهر ، فإن العرض يكون قوامه بالجوهر، فقد يعبر عنه بأنه حال فيه ، وذلك محال على كل ما قوامه بنفسه .

فدع عنك ذكر الرب تعالى في هذا المعرض، [فإن كل ما قوامه بنفسه يستحيل أن يحل فيما قوامه بنفسه إلاّ بطريق المجاورة الواقعة بين الأجسام](*) .

فلا يتصور الحلول بين عبدين ، فكيف يتصور بين العبد والرب تعالى .

وإذا بطل الحلول والانتقال والاتحاد والاتصاف بأمثال صفات الله تعالى ، على سبيل الحقيقة ، لم يبق لقولهم معنى ، إلاّ ما أشرنا إليه في التنبيهات ، وذلك يمنع من إطلاق القول بأن معاني أسماء الله تصير أوصافاً للعبد إلاّ على نوع من التقييد ، خال عن الإيهام . وإلاّ فمطلق هذا اللفظ موهم .

فإن قلت : فما معنى قوله : إن العبد مع الاتصاف بجميع ذلك سالك لا واصل ؟ فما معنى السلوك ؟ وما معنى الوصول ؟ .

فاعلم أن السلوك هو «تهذيب الأخلاق والأعمال والمعارف» ، وذلك اشتغال بعمارة الظاهر والباطن ، والعبد في ذلك مشغول بنفسه عن ربه ، إلاّ أنه مشتغل بتصفية باطنه ليستعد للوصول ، وإنما الوصول هو : أن ينكشف له حلية الحق ، ويصير مستغرقاً به ، فإن نظر إلى معرفته فلا يعرف إلاّ الله تعالى ، وإن نظر إلى همته ، فلا همة له سواه ، فيكون كله مشغولاً بكله ، مشاهدة وهما ، لا يلتفت في ذلك إلى نفسه ، ليعم ظاهره بالعبادة وباطنه بتهذيب الأخلاق ، وكل ذلك طهارة ، وهي البداية .

وإنما النهاية أن ينسلخ من نفسه بالكلية ، ويتجرد له ، فيكون كأنه هو ، وذلك هو : الوصول .

فإن قلت : كلمات الصوفية تنبىء عن مشاهدات انفتحت لهم في طور الولاية ، والعقل يقصر عن درك الولاية ، وما ذكرتموه : تصرف ببضاعة العقل .

فاعلم : «أنه لا يجوز أن يظهر في طور الولاية ما يقضي العقل باستحالته .

(*) هكذا هذه العبارة .

نعم يجوز أن يظهر فيما ما يقصر العقل عنه ، بمعنىٰ أنـه لا يدركـه بمجرد العقـل ، مثـال أنه يجـوز أن يكاشف الـولى بـأن فـلانـاً سيمـوت غـداً ، ولا يـدرك ببضـاعـة العقـل ، بل يقصـر العقل عنـه ، ولا يجوز أن يكـاشف بـأن الله غـداً سيخلق مثـل نفسه ، فإن ذلك يحيله العقل ، لا أنه يقصر عنه .

وأبعد من ذلك أن يقول : «ان الله سيجعلني مثل نفسه» .

وأبعد منه أن يقـول : ان الله سيصيرني نفسـه ، أي أصير أنـا هو ، لأن معنـاه اني حـادث ، والله يجعلني قـديمـاً ، ولست خـالق السمـوات والأرضين ، والله يجعلني خالق السموات والأرضين .

وهذا معنىٰ قوله : «نظرت ، فإذا أنا هـو» إذا لم يؤول[1] وحمل على ظـاهره ، ومن صدق بمثل هذا المحال ، فقـد انخلع عن غريـزة العقل ، ولم يتميـز عنده مـا يعلم عما لا يعلم . فليصدق بأنه يجوز أن يكاشف ولي بـأن الشريعـة باطلة ، وانهـا إن كانت حقاً فقد يقلبها الله باطلاً ، وانه جعل جميع أقاويل الأنبياء كذباً .

وان من قـال : يستحيـل أن ينقلب الصـدق كـذبـاً ، فـإنمـا يقـول ببضـاعـة العقل .

فإن انقلاب الصـدق كذبـاً : ليس أبعد من انقـلاب الحادث قـديماً ، والعبـد رباً .

ومن لا يفـرق بين ما أحـاله العقـل ، وبين ما لا ينـاله العقـل ، فهو أخس من أن يخاطب ، فليترك وجهله ، اهـ المراد» .

فـانـظر ـ رعـاك الله ـ إلى هـذا الكـلام الـواضـح المعـاني ، وليس فيـه من الغموض إلاّ قوله «كانـه هو» فـالمراد ـ والله أعلم ـ التعبير بها عن حـالة السكـر حباً في المعبود .

وأما قوله : «تلألأ فيـه من حلية الحق» فـأظن المقصود بهـا : الوجـود ، وعبر

---

(١) وتأويله أن يكون : مرادي مراده .

يعني أحب ما يحب هو ، كما تقول لشخص : أنا وأنت شيء واحد ، لا فرق بيننا ، ولسنـا كذلك ، ولكنه من باب الكناية .

والله تعالى أعلم .

عنه بالحلية : ليفهم أنه وجود جائز ، محدث مغاير لوجود الحق تعالىٰ الواجب القديم .

أما قوله قبل ذلك : «عني بها مثلها من حيث الاسم» فانظر لوصفه تعالىٰ نبيه (ص) بقوله عنه : ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[1] فخلع سبحانه عليه (ص) خلعة وصف اسمين من أسمائه تعالىٰ ، فالمراد كما قال : المشاركة في عموم الصفات ، دون خواص المعاني ، وقد وجدنا له كلمة في «معراج السالكين» نثبتها هنا زيادة في الإيضاح .

قال الغزالـي :

«فظاهر مذهبهم يشير إلى الحلول ، وقد أنشدوا في ذلك :

«رق الزجاج وراقت الخمر» البيتين .

قلنا : عين الحلول واعتقاده ، خطأ محض ، وسفاهة صرفة .

فإن قيل : قول الصوفية مشهور ، حتى قال أحدهم : «أنا الحق» وقال آخر : «سبحاني» وقال آخر : «ما في الجبة إلاّ الله» .

قلنا : إذا قررنا إبطال الحلول أتينا على مذهبهم . فنقول حقيقة الحلول : انطباق جوهر على جوهر ، أو جسم على جسم ، أو عرض في جوهر ، وقد قدمنا بالبرهان الحق : أن العقول والنفوس قائمة بأنفسها ، لا تحمل شيئاً البتة ، ولا هي محمولة ، فأغنانا ذلك عن إعادته ، وهذا في رب العزة أعظم .

فإن قيل : فيرجع الكل إلى الإله ، وتكون العقول والنفوس لا يفارقها الباري تعالىٰ إلاّ بالفصل ، فانهم اجتمعوا في الجوهرية وحقيقة الحياة والقيام بالنفس .

قلنا : لا نثبت للباري تعالىٰ ما أثبتناه للنفس ، فإنها لا قوام لها دونه ، وقد قام البرهان على حدوثها ، وذلك يبطل أن تكون هي هو ، فإن في ذلك لزوم أن يكون العالم كله آلهة ، وهو محال ، ويبطل أن يحل في النفوس أو ينطبع فيها إنطباع الخمر في اللبن ، كما زعمت النصارى في المسيح ، فإن ذلك من صفات الأجسام .

---

(١) آخر سورة التوبة ، الآية : ١٢٨ .

فلم يبق إلاَّ أن اللازم راجع إلى معنى الانفعال وإيجاده بالفعل ، أي وقوف الإشارات والحركات عليه ، فيكون هو المحرك القابض الباسط ، والنفوس معه كالحديد مع المغناطيس ـ على وجهة التمثيل ـ ولله المثل الأعلى ، ونفي الوساطة على الطريق التي قدمناها .

ومن حقق من الصوفية ، وعلم وقوف الأشياء عليه ، وأن الأمور لا قوام لها دونه ، قال أحدهم : «ما في الجبة إلاَّ الله تعالىٰ»[1] مبالغة في التوحيد[2] ، وقال آخر: «سبحاني»، فإنه رأى الياء مكان الإضافة، فان الفرق ضرب من الشرك، في قوله : «سبحان الله» فاجراء الأوصاف لا يعتد بها إلاَّ لفصل ، فإن قولنا : «سبحان الكريم» نفي للبخل : وإذا قلنا : «سبحان الله» فمعناه نفي الشريك ، ولا يكون النفي إلاَّ مع توهم الشريك ، فالموحدون منهم بلغ بهم التوحيد إلى أن رأوا التبري منه سوء أدب ، ولكن الكلام إذا وقع بالضرورة إليه ، والتجيء إلى النطق به : لا معنىٰ للهرب ، فقد وقعوا في «أشد» كما زعمت الفلاسفة : «أن الباري تعالىٰ لا يُقال له موجود ، فإن ذلك يؤدّي إلى دخوله مع الموجودات تحت الجنس ، وهذا نفي معنىٰ ، وهو سهل» ، اهـ .

وكل فاهم للتصوف الإسلامي ، ولأقوال صوفيته على غير كلمة الإمام الغزالي في «المقصد» فهو أحد أثنين :

إما مخدوع وإما متحكم .

وكل كلام لأهل «صوفة» غاير في ظاهره الشريعة ، فأما مؤول ، وإما مدسوس عليهم من الزنادقة ، وإما من صاحب حال في حال سكر[3] لم تسعفه الألفاظ ، ولسان العلم قاصر أيضاً كلسان التعبير ، لأنهم يتكلمون عمن قال عن نفسه سبحانه : ﴿لا يحيطون به علماً﴾ وقال عنه سيد البشر وأعلمهم به (ص) : «سبحانك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك» فكم من سامع

---

(١) وفي النحو قولهم : «حذف ما يعلم جائز» ومعلوم أن الله تبارك وتعالى ليس في الجبة قطعاً وإنما فيها صنعته. ويكون التقدير «ما في الجبة إلاَّ صنعة الله تبارك وتعالىٰ» ، والله تعالى أعلم .

(٢) وهو ما يعبر عنه بمحق النفس ، وإثبات أن لا موجود إلاَّ الله تعالىٰ .

(١) هو ما يعبر عنه بغلبة الحال ، والمغلوب في حالة غياب عن نفسه .

لهم في حالة سكرهم ، فوقع فيهم ، وكم من معتقد لهم أخذ كلامهم في سكرهم المؤول حقيقة ، فضل وأهلك نفسه الهلاك الأبدي ، إذ ألقى من يده ميزان الشريعة لقول غير معصوم ، فقال مقاله ، ولم يكن في حال كحاله . . ولا نطيل ، فاتل كلمة إمامنا الغزالي التي أحال فيها على كلمته السابقة في «المقصد الأسنى» ، وتنبه لقوله : (ولا يحاول معبر أن يعبر عنها ، إلاَّ أشتمل لفظه على خطأ صريح ، لا يمكنه الاحتراز عنه) .

قال الإمام الغزالي : في كتاب «المنقذ من الضلال» في فصل «القول في طريق الصوفية» .

وعلمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل ، وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى ، وتحليته بذكر الله .

وكان العلم أيسر عليَّ من العمل .

فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم ، مثل : «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ، وكتب الحارث المحاسبي ، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد ، والشبلي ، وأبي يزيد البسطامي ، وغير ذلك من كلام مشايخهم ، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية ، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع ، وظهر لي أن أخص خواصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم ، بل بالذوق والحال ، وتبدل الصفات ، فكم من الفرق بين أن يعلم : حد الصحة ، وحد الشبع ، وأسبابهما ، وشروطهما ، وبين أن يكون صحيحاً وشبعان» .

ثم قال : «فعلمت يقيناً أنهم أرباب أحوال ، لا أصحاب أقوال ، وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته ، ولم يبق إلاَّ ما لا سبيل إليه بالسماع والتعلم ، بل بالذوق والسلوك» .

إلى أن قال :

«ثم دخلت الشام ، وأقمت به قريباً من سنتين ، لا شغل لي إلاَّ العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة ، اشتغالاً بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، كما كنت حصلته من علم الصوفية ، ثم جذبتني الهمم ودعوات الأطفال إلى الوطن ، فعاودته بعد أن كنت أبعد الخلق عن الرجوع إليه ،

وآثرت العزلة حرصاً على الخلوة وتصفية القلب للذكر ، وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات المعاش تغير في وجه المراد ، وتشوش صفوة الخلوة ، وكان لا يصفو الحال إلاّ في أوقات متفرقة ، لكني ـ مع ذلك ـ لا أقطع طمعي منها ، فتدفعني عنها العوائق وأعود إليها .

ودمت على ذلك مقدار عشر سنين ، وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها .

والقدر الذي أذكره لينتفع به : اني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالىٰ خاصة ، وأن سيرهم احسن السير ، وطريقهم أصوب الطريق ، واخلاقهم أزكى الأخلاق ، بل لو جمع عقل العقلاء ، وحكم الحكماء ، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه ، لم يجدوا إليه سبيلاً ، وأن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم ، مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به .

وبالجملة : فماذا يقول القائلون في طريقة طهارتها ، وهي أول شروطها : تطهير القلب بالكلية عما سوىٰ الله تعالىٰ .

ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة : استغراق القلب بالكلية بذكر الله ، وآخرها الفناء بالكلية في الله ، وهذا آخرها بالاضافة إلى ما يكاد يدخل تحت الاختيار وانكسب من أوائلها ، وهي على التحقيق : أول الطريقة ، وما قبل ذلك كالدهليز للسالك إليه .

ومن أول الطريقة : تبتدىء المكاشفات والمشاهدات ، حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ، ويسمعون منهم أصواتاً ، ويقتبسون منهم فوائد ، ثم يترقىٰ الحال من مشاهدة الصور والأمثال ، إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق ، ولا يحاول معبر أن يعبر عنها إلاّ اشتمل لفظه على خطأ صريح ، لا يمكنه الاحتراز عنه .

وعلى الجملة : ينتهي الأمر إلى قرب : يكاد يتخيل منه طائفة : الحلول ، وطائفة الاتحاد ، وطائفة : الوصول ، وكل ذلك خطأ ، وقد بيّنا وجه الخطأ فيه في كتاب «المقصد الأسنىٰ» بل الذي لا بسته تلك الحالة ، لا ينبغي أن يزيد

على أن يقول :

وكـان مـا كـان مـمـا لسـت أذكـره فظن خيراً، ولا تسأل عن الخبر» اهـ

ومن تـطرق إليه الشـك في قول الإمـام الغزالي : فليتـدبر قـول المعصوم من الخطأ (صلوات الله وسلامه عليه): «يقـول الله : من عـادى لي وليـاً فقـد آذنتـه بـالحرب ، ومـا تقرب إلى عبـدي بشيء أحب إلي مما افتـرضتـه عليـه ، ولا يـزال عبدي وتقرب إلي بـالنوافـل حتى أحبه ، فـإذا أحببته كنت سمعـه الذي يسمـع بـه ، وبصـره الـذي يبصـر بـه ، ويـده التي يبـطش بهـا ، ورجله التي يمشي بهـا ، فبي يسمـع ، وبي يبصـر ، وبي يبـطش ، وإن سـألني لأعـطينـه ، وإن استعـاذ بي لأعيـذنه ، ومـا تـرددت في شيء أنـا فـاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن : يكـره المـوت ، وأنا أكـره مسـاءتـه» رواه البخـاري في صحيحـه عن أبي هـريـرة ، ورواه أحمـد ، والحكيم ، وأبـو يعلى ، والـطبـراني ، وأبـو نعيم ، وابن عسـاكـر ، عن عـائشة بـألفاظ مختلفـة ، وبزيـادات ، منها : «وفؤاده الـذي يعقـل بـه» وفي روايـة الـطبراني في الكبيـر عن أبي أمامـة : «ولسانـه الذي ينـطق به ، وقلبـه الذي يعقـل به» .

وفي روايـة الطبراني في «الكبيـر» عن أبي أمامـة «ولسـانـه الـذي ينـطق بـه ، وقلبه الذي يعقل به» .

ورواه أيضاً ابن السني عن ميمونة[1] بألفاظ مختلفة .

وقـول الغـزالي (رضي الله عنـه) : «ينتهي الأمـر إلى قـرب يكـاد يتخيـل منه طـائفة الحلول ، وطـائفة الاتحـاد ، وطائفـة الوصـول ، وكل ذلـك خطأ» قـاطع في العجـز عن ادارك كنه ذات الإلـه جلّ وعـلا ، وقـد قـال الصـديق الأكبـر (رضي الله عنـه) : «غايـة معرفتـه القصـور عن وصفـه» (ص ٤٣ زرقـاني على المـواهب ج ١) المعبر عنها : «العجز عن درك الإدراك أدراك»[2] .

أعني أن قـول الإمام الغـزالي قاطـع عند كبـراء الصوفيـة ، فلا التفـات لمدع غير ذلك .

---

(١) أم المؤمنين (رضي الله عنها) .

(٢) مشهور أنه من كلام سيدنا أبي بكر (رضي الله عنه وأرضاه) .

قال الغزالي في «المضنون» الكبير : «وليس لله تعالىٰ مثل» ، كما قال : ﴿ليس كمثله شيء﴾ ولكن له مثال : وقول النبي (عليه الصلاة والسلام) : «إن الله تعالىٰ خلق آدم على صورته»[1] إشارة إلى هذا المثال ، فإنه لما كان تعالىٰ وتقدس موجوداً قائماً بنفسه ، حياً ، سميعاً ، بصيراً ، عالماً ، قادراً ، متكلماً ، فالإنسان كذلك ، ولو لم يكن الإنسان بهذه الأوصاف موصوفاً : لم يعرف الله تعالىٰ ، ولذلك قال النبي (عليه الصلاة والسلام) : «من عرف نفسه فقد عرف ربه» . فإن كل ما لم يجد الإنسان له من نفسه مثالاً : يعسر عليه التصديق به ، والإقرار .

وقد أوحىٰ الله تعالىٰ إلى بعض الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) : «أيها الإنسان أعرف نفسك تعرف ربك» ولذلك لا يحيط علم الإنسان بأخص وصف لله تعالىٰ ، لأنه ليس في المبدعات والمخلوقات مثال وأنموذج من ذلك الوصف الخاص ، وكذلك الاسم للوصف الخاص الذي له تعالىٰ ، لأن الإنسان إنما يسمي الشيء بعد معرفته إياه ، وإذا لم يكن للإنسان إليه طريق وأنموذج ، فلا علم له به ، ولا اسم له عنده ، ولا علامة ، فكيف يعرفه ، فلذلك «لا يعرف الله إلّا الله» أعني أخص وصفه وكنه معرفته» .

فمن قال : إن الإنسان : حي ، عالم ، قادر ، سميع ، بصير ، متكلم ، والله تعالىٰ كذلك ، لا يكون هذا القائل مشبهاً ، فإن التشبيه إثبات المشاركة في الوصف الأخص .

ومن قال : السواد عرض موجود ، وهو لون ، والبياض عرض موجود ، وهو

---

(١) حديث صحيح ، وسببه أن النبي (ص) رأى رجلاً من اصحابه يضرب عبداً له على وجهه فنهاه عن ذلك ، وقال له : «ان الله خلق آدم على صورته» أي على صورة هذا الرجل .

فمن ضرب رجلاً على وجهه فكأنما ضرب أباه آدم (ع) .

وإنما استعمله الصوفية (رضي الله عنهم) ، على اعتبار إطلاق الضمير ، لا على أن لله صورة خلق آدم عليها ، إذ لو أنهم قصدوا ذلك ، لما ساعدتهم لغة العرب التي نطق بها رسول الله (ص) ، ومعاذ الله أن يقصدوا شيئاً يمس العقيدة من قريب أو بعيد .

ويكون عندهم : «على صورته» التي أراد ، والهيئة التي قدرها سبحانه وتعالىٰ له .

وفي القاموس : الصورة : النوع ، والصفة . وقد كتب الشيخ محمد الشنقيطي (رحمه الله) فصلاً طيباً عن الصورة في كتابه «أستحالة المعية بالذات» . فطالعه تجد فيه متعة أي متعة .

لون ، لا يكون مشبهاً السواد بالبياض[1]» الخ انتهىٰ المراد .

أما قوله في وصف الله تعالىٰ قائماً بنفسه : فهو حق .

أما قوله : «إن الإنسان كذلك» ، فيقصد به الظاهر ، لا الحقيقة ، وإلاَّ غاير قوله تعالى : ﴿أفمن هو قائم على كل نفس﴾ والمشهور من شرحه لاسمه القيوم ، قال : «لأن قوامه بذاته ، وقوام كل شيء به ، وليس ذلك إلاَّ الله تعالىٰ ، ومدخل العبد في هذا الوصف بقدر استغنائه عما سوىٰ الله تعالىٰ» اهـ .

وفي قول المصطفىٰ (ص) في السجود ، من حديث فضل نصف شعبان الذي رواه البيهقي : «لا أُحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك» إقرار من البشرية ، حتى في أكمل صورها وأفضلها : بالعجز دون إيفاء الحق تعالىٰ ما يستوجبه لعظمته جل جلاله .

وروىٰ الحديث أيضاً مسلم .

وروى ابن النجار عن حضرة نبينا (ص) : «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا

---

(١) لولا أمانة العلم لحذفنا هذا الكلام . لأن كتاب «المضمون به على غير أهله» موضوع برمته على الغزالي : لم يقل منه حرفاً واحداً . وحاشاه أن يقول .

قال في «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» جـ ٢ ص ٤٥١ ما نصه : «قال ابن السبكي في طبقاته : ذكر ابن الصلاح أنه منسوب إلى أبي حامد الغزالي» .

وقال : معاذ الله أن يكون له «وبين سبب كونه مختلفاً وموضوعاً عليه» .

والأمر كما قال :

وقد اشتمل على التصريح بقدم العالم ، ونفي علم القديم بالجزئيات ، ونفي الصفات ، وكل واحد من هذه يكفر الغزالي قائله هو وأهل السنة أجمعون ، فكيف يتصور أنه يقول ذلك» اهـ بحروفه .

من هذا نعرف أن هناك مؤامرات على علماء المسلمين ، تولى كبرها عصابات من لا خلاق لهم قديماً وحديثاً من اليهود والنصارىٰ ومن تتلمذ لهم من المسلمين .

وقوله : «من عرف نفسه فقد عرف ربه» قال صاحب المقاصد الحسنة ص ٤١٩ : قال أبو المظفر السمعاني في الكلام على التحسين والتقبيح لعقلي من القواطع : أنه لا يعرف مرفوعاً ، وإنما يحكي عن يحيىٰ بن معاذ الرازي ، يعني من قوله : وكذا قال النووي : أنه ليس بثابت .

وقيل : في تأويله : «من عرف نفسه بالحدوث : عرف ربه بالقدم ، ومن عرف نفسه بالفناء ، عرف ربه بالبقاء» . اهـ بحروفه .

في الله»[1] .

وروى عنه (ص) أبو الشيخ ابن حبان : «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله»[2] .

ويكفي لبيان المقصود قوله تعالى : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾[3] ، وقوله : ﴿ولا يحيطون به علماً﴾[4] جل جلاله : من قول الإمام الغزالي السابق «في المنقذ» : «درجات يضيق عنها نطاق النطق ، ولا يحاول معبر أن يعبر عنها إلاّ اشتمل لفظه على خطأ صريح ، لا يمكنه الاحتراز عنه» ظاهر أن تعبيرات الصوفية عن التوحيد ، يضيق عنها نطاق النطق ، فتراهم يعبرون بالإشارات ، ومن صرح منهم وقع في الخطأ الصريح ، حتى اتهموا كثيراً منهم بالكفر والضلال ، وهم برءاء، وقرأت كلمة منسوبة لأبي حيان الجياني صاحب البحر المحيط كما قال : «أن أصعب العلوم على الإطلاق علم التوحيد ، لأن الخطأ فيه يجر للشقاء الأبدي» .

وهذا الشيخ ابن تيمية ـ وكان من المتشددين على الصوفية المتهمين لكثير منهم ـ يقول في كتابه : «التحفة العراقية في الأعمال القلبية» وقد يقع لبعض المعطلين «هكذا الأصل» من أهل الفناء في المحبة : أنه يغيب بمحبوبة عن نفسه وحبه ، ويغيب بمذكوره عن ذكره ، وبمعروفه عن معرفته ، وبموجوده عن وجوده ، حتى لا يشهد إلاّ بمحبوبه ، فيظن ـ في زوال تمييزه ونقص عقله وسكره ـ أنه هو محبوبه ، كما قيل : أن محبوباً وقع في اليم فألقي المحب نفسه خلفه ، فقال : أنا وقعت ، فأنت ما الذي أوقعك ؟ فقال : غبت بك عني فظننت انك أنا ، فلا ريب أن هذا خطأ وضلال . لكن إن كان هذا لقوة المحبة والذكر ، من غير أن يحصل عن سبب محظور زال به عقله كان معذوراً في زواله ، فلا يكون مؤاخذاً بما يصدر منه من الكلام في هذه الحال التي زال فيها عقله بغير سبب محظور . كما قيل في عقلاء المجانين : انهم قوم آتاهم الله عقولاً

---

(١) ورواه كذلك أبو نعيم في الحلية .

(٢) والطبراني في الأوسط ، وابن عدي ، والبيهقي في شعب الإيمان .

وروى أبو الشيخ قوله (ص) : «لا تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في الله فتهلكوا» .

(٣) سورة الزمر ؛ الآية : ٦٧ .

(٤) سورة طه ؛ الآية : ١١٠ .

وأحوالاً ، فسلب عقولهم وأبقى أحوالهم ، واسقط ما فرض بما سلب ، وأما إذا كان السبب الذي به زوال العقل محظوراً ، لم يكن السكران معذوراً ، وإن كان لا يحكم بكفره - في أصح القولين - كما لا يقع طلاقه في أصح القولين ، وبكل حال ، فالفناء الذي يفضي بصاحبه إلى مثل هذا : حال ناقص ، وإن كان صاحبه غي مكلّف ، ولهذا لم يرد مثل هذا على الصحابة الذين هم أفضل الأمة ولا على نبينا محمد (ص) ، وإن كان لهؤلاء في صعق موسىٰ نوع تعلق ، وإنما حدث زوال العقل عند الواردات الإلهية ، على بعض التابعين ومن بعدهم . . . الخ» ا هـ المراد .

فيقر ابن تيمية بمعذرة أهل المحبة والذكر والفناء ، ويعترف بزوال العقل عند الواردات الإلهية ، وإن هذا جرى لبعض التابعين .

والمقصد من كل هذا : أن أهل المحبة المستهلكين لا يؤاخذون بظاهر كلامهم ، لأنه لا يعرف - على التحقيق - حقيقة حالهم إلاّ الله تعالىٰ .

وقد اتهم الكثير منهم بالكفر والإلحاد والزندقة ، والقول بالحلول والاتحاد ، والقول بالوحدة المطلقة على وجهها الخطأ ، وهو أن وجود المخلوق عين وجود الخالق ، تعالىٰ الله سبحانه عن ذلك علواً كبيراً .

وقد سألت العارف الرباني ذا الكرامات الظاهرة السيد «محمد عبد الوهاب» الحصافي : شيخ السادة الحصافية الشاذلية (رضي الله عنه) ، المتوفى في ١٤ ربيع أول سنة ١٣٦٨ - ١٤ يناير سنة ١٩٤٩ عن القائلين بأن الله هو كل شيء ، أو هو هذا العالم ، أي بالوحدة فأجابني (رحمه الله تعالىٰ) بما معناه ، بـ «ان من كان مغلوباً فهو معذور .

أما من أخذ يقيم البراهين والأدلة على قوله الفاسد ، فهو كافر والعياذ بالله تعالىٰ» .

وفي رسالة المرحوم والده الولي السيد «حسنين» الحصافي الشاذلي (رضي الله عنه) (نور البصائر والأبصار) : «والشريعة هي الأحكام الشرعية ، والطريقة : هي العمل بتلك الأحكام ، مع قصد وجه الله . والحقيقة : هي ذكر القلب وحده الله ذاتاً وصفات وأفعالاً . فالشريعة بلا حقيقة عاطلة ، والطريقة والحقيقة بلا شريعة باطلتان ، فمن علم الأحكام الشرعية ولم يعمل بها فهو فاسق ، وكل

عمل غير موافق للشريعة فهو باطل ، ومن لم يستغرق في الله بكمال فنائه عن الأشياء ، حتى شعوره بنفسه ، واستباح محرماً من المحرمات ، أو اعتقد سقوط فرض من الفرائض ، مع التكليف ، فهو كافر ، وبهذا تعلم بطلان ما أدعاه بعض الهالكين كقوله : «إن الله هو هذا العالم» وقوله : «إن هذا الزمن زمن فترة» وقوله : «إن الطريقة غير العمل بالشريعة» مع استباحة المحرمات التي حرمها الله ورسوله ، وأجمع الأمة على تحريمها ، وتركه الفرائض : يتوصل بذلك إلى جمع الدنيا من الهالكين مثله ، وإلى أعلام الناس بأنه بلغ درجة مقام الوحدة ، فإن قوله : «إن الله هو هذا العالم» يفيد نفي المخلوقات ، مع أن الله أثبتها ، ويفيد أيضاً أن الله جسم وروح ، وجرم بلا روح ، وانه متعدد ، وانه يأكل ويشرب ويبول ويتغوط ويوصف بالصغر والكبر ، والسواد والبياض ، والتناكح والتوالد ، والنمو وعدمه ، والموت والحياة ، والقدرة والعجز ، والعلم والجهل ، وأنه قديم وحادث ، وأنه معذب ومنعم ، وأنه ظرف ومظروف .

ولا يخفي بطلان ذلك على كل ذي عقل» ا هـ المراد .

وهو : كلام واضح ، ليس بعده بيان ، فهؤلاء الضالون يكذبون القرآن العظيم ، ويصفون الله تعالى بما يخالف قوله جلّ وعلا : ﴿ليس كمثله شيء - لا تدركه الأبصار﴾ وبما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله (ص) بوحيه ، وفيما سننقله عن السيد الرفاعي في ذمهم والتحذير منهم مقنع : «جاء في الكوكب البدري على استغفار سيدي مصطفى البكري - للشيخ محمد حلاوة المرصفي : «المقالات الواردة من القطب الرفاعي» في ذم الشطح ، منها قوله : «الغلو والشطح وما شاكلهما زندقة بشكل تصوف ، والحق أبلج من هذا وهذا ، والله يتولى الصالحين» . وقوله : «ما رأينا من عواقب أهل الغلو والشطح ، الا أنهم ضلوا وأضلوا» .

وما رأينا من عواقب المتشرع إلاّ السلامة .

وقوله : «لفظتان هما ثلمتان في الدين : القول بالوحدة ، والشطح المجاوز حد النعمة» .

وقوله : «إيّاك والشطح ، فإن حجاب الذنوب أولى من الحجاب بالكفر» .

وقوله : «إن الناس اليوم تعلقوا بأهل الحرف والكيمياء والوحدة والشطح

والدعاوي العريضة ، فإيّاك ومقارنة مثل هؤلاء الناس ، فانهم يقودون من تبعهم إلى النار ، وغضب الجبار ، إذا رأيتهم حسبتهم سادات الدعاة إلى الله تعالىٰ ، حسبك الله ، إذا رأيت أحداً منهم فقل : ـ يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ـ إن جاهلاً يأمرك بذكر الله وملازمته ، والكتاب والسنة : خير لك من هذه الطائفة كلها» انتهىٰ .

وقول سيدي محيي الدين (رضي الله عنه) : «احذر أن تكون كما قال العاشق (أنا من أهوى ومن أهوىٰ أنا) لأنك أنت أنت ، وهو هو .

هل من قال ذلك القول يقدر على أن يجعل الذات واحدة ، لا والله لا يقدر : لأنه جهل ، والجهل لا يستطاع ، فلا تغالط نفسك» ا هـ المراد .

نقلنا كل هذه النصوص : ليتضح منها أن أهل التصوف أهل جد وحق ، وأن القليل منهم شاذ لعقبة من العقبات .

فمن أي الفريقين صاحب هـذا الكتاب : «أعني الشيخ محيي الدين بن العربي ؟» .

من أكابر الطاعنين عليه : الشيخ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفىٰ سنة ٧٢٨ هـ (رحمه الله) ، قال في كتابه النبوات ص ٨١ : «والذين سلكوا خلف أبي حامد أو ضاهوه في السلوك كابن سبعين وابن عربي : صرحوا بحقيقة ما وصلوا إليه ، وهو أن الوجود واحد ، وعلموا أن أبا حامد لا يوافقهم على هذا ، فاستضعفوه ، ونسبوه إلى أنه مقيد بالشرع والعقل ، وأبو حامد بين علماء المسلمين وبين علماء الفلاسفة : علماء المسلمين يذمونه على ما شارك فيه الفلاسفة مما يخالف دين الإسلام ، والفلاسفة يعيبونه على ما بقي معه من الإسلام ، وعلى كونه لم ينسلخ منه بالكلية إلى قول الفلاسفة ، ولهذا كان الحفيد ابن رشد ينشد فيه :

يوماً يمان إذا ما جئت ذا يمن　　　وإن لقيت معدياً فعدناني

وابن عربي له أربع عقائد :

الأولىٰ : عقيدة أبي المعالي وأتباعه، مجردة عن حجة.

والثانية : تلك العقيدة مبرهنة بحججها الكلامية .

والثالثة : عقيدة الفلاسفة : ابن سينا وأمثاله ، الذين يفرقون بين الواجب والممكن .

والرابعة : التحقيق الذي وصل إليه ، وهو أن الوجود واحد .

ثم قال : «فإنه لما أنتشر الكلام في مذهب أهل الوحدة ، وكنت لما دخلت إلى مصر بسببهم ، ثم صرت في الإسكندرية ، جاءني من فضلائهم من يعرف حقيقة أمرهم ، وقال : إن كنت تشرح لنا كلام هؤلاء ، وتبيّن مقصودهم ثم تبطله : وإلّا فنحن لا نقبل منك كما لا نقبل من غيرك ، فإن هؤلاء لا يفهمون كلامهم .

فقلت : نعم أنا أشرح لك ما شئت من كلامهم مثل كتاب «اليد والإحاطة» لابن سبعين ، وغير ذلك .

فقالَ لي : لا ، ولكن «لوح الأصالة» فإن هذا يعرفون ، وهو في رؤوسهم .

فقلت له : هاته ، فلما أحضره شرحته له شرحاً بيناً ، حتى تبيّن له حقيقة الأمر ، وأن هؤلاء ينتهي أمرهم إلى الوجود المطلق .

فقال : هذا حق ، وذكر لي أنه تناظر اثنان ، متفلسف سبعيني ، ومتكلم على مذهب ابن التومرت.

فقال : ذاك : نحن شيخنا يقول بالوجود المطلق .

فقال الأخر : ونحن كذلك . . .» الخ .

وجاء في نفس الكتاب ص ١٧٢ : «والمقصود هنا الكلام على النبوة ، فهؤلاء المتفلسفة ما قدروا النبوة حق قدرها ، وقد ضل بهم طوائف من المتصوفة المدعين للتحقيق وغيرهم .

وابن عربي وابن سبعين ضلوا بهم ، فانهم اعتقدوا مذهبهم ، وتصوفوا عليه ، ولهذا يقول ابن عربي :

«إن الأولياء أفضل من الأنبياء ، وأن الأنبياء وسائر الأولياء يأخذون عن خاتم الأنبياء علم التوحيد ، وانه هو يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسول» .

فإن الملك عنده هو : الخيال الذي في النفس ، وهو جبريل عندهم ، وذلك الخيال تابع للعقل ، فالنبي عندهم يأخذ عن هذا الخيال ما يسمعه من الصوت في نفسه ، ولهذا يقولون : أن موسىٰ تكلم من سماء عقله ، والصوت الذي سمعه كان في نفسه ، لا في الخارج ، ويدعىٰ أحدهم أنه أفضل من موسىٰ ، وكما ادّعىٰ ابن عربي : انه أفضل من محمد ، فإنه يأخذ عن العقل الذي يأخذ منه الخيال ، والخيال عنده هو الملك الذي يأخذ منه النبي (ص) ، فلهذا قال : فإنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحىٰ به إلى النبي (ص) .

فإن عرفت هذا فقد حصل لك العلم النافع .

ويبسط الكلام على هؤلاء له مواضع أُخر»[1] . انتهىٰ المراد .

ولعل الشيخ ابن تيمية أطلع على الكتب المدسوسة على الشيخ محيي الدين بن عربي كما سيأتي بيانه ، وإن كان هو نفسه لم يسلم من المطاعن من علماء عصره .

جاء في الجزء الأول من رحلة ابن بطوطة ص ٥٧ المطبعة الأزهرية طبعة أولىٰ : «حكاية : وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام ، يتكلم في الفنون ، إلّا أن في عقله شيئاً ، وكان أهل دمشق يعظمونه أشد التعظيم ، ويعظهم على المنبر ، وتكلم مرة بأمر أنكره الفقهاء ورفعوه إلى الملك الناصر ، فأمر باشخاصه إلى القاهرة ، وجمع القضاة والفقهاء بمجلس الملك الناصر ، وتكلم شرف الدين الزواوي المالكي ، وقال : ان هذا الرجل قال كذا وكذا ، وعدد ما أنكر على ابن تيمية ، وأحضر العقود بذلك ووضعها بين يدي قاضي القضاة .

وقال قاضي القضاة لابن تيمية : ما تقول ؟ قال : لا إله إلّا الله ، فأعاد عليه ، فأجاب بمثل قوله ، فأمر الملك الناصر بسجنه ، فسجن أعواماً ، وصنف في السجن كتاباً في تفسير القرآن سماه بـ «البحر المحيط» في نحو أربعين مجلداً ، ثم أن أُمه تعرضت للملك الناصر وشكت إليه ، فأمر بإطلاقه ، إلى أن وقع منه مثل ذلك ثانية ، وكنت إذ ذاك بدمشق ، فحضرته يوم الجمعة ، وهو يعظ

---

(١) إلى هنا انتهى كلام ابن تيمية (رحمه الله تعالى) .

الناس على منبر الجامع ، ويذكرهم ، فكان من جملة كلامه أن قال : «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ، ونزل درجة من درج المنبر» فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء ، وأنكر ما تكلّم به ، فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً ، حتى سقطت عمامته ، وظهر على رأسه شاشية حرير ، فأنكروا عليه لباسها ، واحتملوه إلى دار عز الدين بن مسلم قاضي الحنابلة ، فأمر بسجنه وعزره بعد ذلك ، فأنكر فقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعزيره ، ورفعوا الأمر إلى ملك الأمراء سيف الدين تنكيز ، وكان من خيار الأمراء وصلحائهم ، فكتب إلى الملك الناصر بذلك ، وكتب عقداً شرعياً على ابن تيمية بأمور منكرة ، منها : أن المطلق بالثلاث في كلمة واحدة لا تلزمه إلاّ طلقة واحدة ، ومنها المسافر الذي ينوي بسفره زيارة القبر الشريف ـ زاده الله طيباً ـ لا يقصر الصلاة ، وسوى ذلك مما يشبهه وبعث العقد إلى الملك الناصر ، فأمر بسجن ابن تيمية بالقلعة ، فسجن بها حتى مات في السجن» . ا هـ المراد .

ونبدأ الآن إن شاء الله تعالىٰ في ذكر أقوال من دافع عن الشيخ محيي الدين بن العربي وقد نقتصر على ما قاله الشيخ عبد الوهاب الشعراني (رحمه الله تعالىٰ) في كتابه «لطائف المنن ج ٢ ص ٢٦» : وممّا من الله تبارك وتعالىٰ به على عدم تمكيني أحداً من أصحابي من التصدر للرد على أحد من الفرق الإسلامية ، إلاّ أن خالف كلامه صريح السنة المحمدية ، أو قواعد علمائها فمثل هذا يجب الرد عليه وذلك دليل على عدم كماله ، لأنه لو كان كاملاً لغار على ظاهر الشريعة ، لكون الشارع (ص) قد أمنه على شريعته من بعده .

وقد نقل الشيخ محيي الدين بن العربي في الفتوحات المكية إجماع المحققين على أن : «من شرط الكامل أن لا يكون عنده شطح عن ظاهر الشريعة أبداً ، بل يرىٰ أن من الواجب عليه أن يحق الحق ويبطل الباطل ، ويعمل على الخروج من خلاف العلماء ما أمكن» ا هـ .

وهذا لفظه بحروفه ، ومن تأمله وفهمه عرف أن جميع المواضع التي فيها شطح في كتبه مدسوسة عليه ، لا سيما كتاب الفتوحات المكية ، فإنه وضعه حال كماله بيقين ، وقد فرغ منه قبل موته بنحو ثلاث سنين ، وبقرينة ما قاله في الفتوحات المكية في مواضع كثيرة من : «أن الشطح كله رعونة نفس ، لا يصدر قط من محقق» وبقرينة قوله أيضاً في مواضع : «من أراد أن لا يضل فلا يرم

ميزان الشريعة من يده طرفة عين ، بل يستصحبها ليلاً ونهاراً ، عند كل قول وفعل واعتقاد» اهـ .

وفي ص ٢٧ : «وقد أجمع أهل الحق على وجوب تأويل أحاديث الصفات كحديث «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا»[1] وخالف في ذلك الكرامية : المجسمة ، والحشوية ، المشبهة ، فمنعوا تأويلها ، وحملوها على الوجه المستحيل في حقه تعالىٰ من التشبيه والتكييف ، حتى أن بعضهم كان على المنبر فنزل درجاً منه ، وقال للناس : «ينزل ربكم عن كرسيه الى سماء الدنيا كنزولي عن منبري هذا» ، وهذا جهل ليس فوقه جهل ، وكل هؤلاء محجوجون بالكتاب والسنة ودلائل العقول ، وإذا تعددت وجوه الحمل لآيات الصفات وجب الأخذ بالوجه الراجح عند الشيخ أبي الحسن الأشعري ، لقوله تعالى : ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾[2] ولقوله تعالىٰ : ﴿فبشر عباد* الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾[3] وذهب سفيان الثوري والأوزاعي وغيرهما إلى أنه يطرح التشبيه والتكييف ، ويقف عند تعين وجه من وجوه التأويل» .

وفي ص ٢٨ : «قال الإمام العلامة عمر بن محمد الأشبيلي الأشعري (رضي الله عنه) في كتابه المسمىٰ بـ «لحن العوام» : «وليحذر من العمل بمواضع من كتاب الأحياء للغزالي» ، ومن كتاب «النفخ والتسوية» له ، وغير ذلك من كتب الفقه ، فإنها إما مدسوسة عليه ، أو وضعها أوائل أمره ، ثم رجع عنها ، كما ذكره في كتابه «المنقذ من الضلال» ، إلى أن قال ص ٢٩ : «وليحذر أيضاً من مطالعة كتب الشيخ محيي الدين بن العربي (رضي الله عنه) ، لعلو مراقيها ، ولما فيها من الكلام المدسوس على الشيخ ، لا سيما : «الفصوص» و «الفتوحات المكية» فقد أخبرني الشيخ أبو طاهر ، عن شيخه ، عن الشيخ بدر الدين بن جماعة ، أنه كان يقول : جميع ما في كتب الشيخ محيي الدين من الأمور المخالفة لكلام العلماء ، فهو مدسوس عليه . وكذلك كان يقول الشيخ مجد الدين صاحب «القاموس» في اللغة .

---

(١) «حكى ابن فورك أن بعض المشايخ ضبط الحديث بضم أوله على حذف المفعول» كذا في «أستحالة المعية بالذات» للعلامة الشنقيطي (رحمه الله) ص ٣٠٢ . وفيه بحث كبير فاقرأه لتستفيد .

(٢) سورة الحشر ؛ الآية : ٢ .

(٣) سورة الزمر ؛ الآيتان : ١٧ ـ ١٨ .

قلت : «وقد اختصرت الفتوحات المكية ، وحذفت منها كل ما يخالف ظاهر الشريعة ، فلما أخبرت بأنهم دسوا في كتب الشيخ ما يوهم الحلول والاتحاد ، ورد على الشيخ شمس الدين المدني بنسخة الفتوحات التي قابلها على خط الشيخ بقونية ، فلم أجد فيها شيئاً من ذلك الذي حذفته ، ففرحت بذلك غاية الفرح ، فالحمد لله على ذلك» اهـ .

وجاء في كتاب «اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر» للشيخ عبد الوهاب الشعراني ، وبهامشه كتابه «الكبريت الأحمر» في بيان علوم الشيخ الأكبر ، طبعة «شقرون» الأولىٰ : الفصل الأول ج ١ ص ٦ وما بعدها في بيان نبذة من أحوال الشيخ محيي الدين (رضي الله عنه) : «كان (رضي الله عنه) أولاً من الموقعين عند بعض ملوك المغرب ، ثم انه طرقه طارق من الله عزّ وجلّ ، فخرج في البراري على وجهه ، إلى أن نزل في قبر ، فمكث فيه مدة ، ثم خرج من القبر يتكلم بهذه العلوم التي نقلت عنه ، ولم يزل سائحاً في الأرض ، يقيم في كل بلد بحسب الأذن ، ثم يرحل منها ، ويخلف ما ألفه من الكتب فيها ، وكان آخر إقامته بالشام ، وبها مات سنة ثمان وثلاثين وستمائة (رضي الله عنه) .

وكان (رضي الله عنه) متقيداً بالكتاب والسنة، ويقول : «كل من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك» ، وسيأتي قوله : «وكل ما خطر ببالك فالله تعالىٰ بخلاف ذلك» ، وهذا اعتقاد الجماعة إلى قيام الساعة ، وجميع ما لم يفهمه الناس من كلامه ، إنما هو لعلو مراقيه ، وجميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة وما عليه الجمهور ، فهو مدسوس عليه كما أخبرني بذلك سيدي الشيخ أبو الطاهر المغربي ، نزيل مكة المشرفة ، ثم أخرج لي نسخة الفتوحات التي قابلها على نسخة الشيخ التي بخطه في مدينة قونية ، فلم أر فيهاشيئاً مما كنت توقفت فيه وحذفته حين اختصرت الفتوحات .

وقد دس الزنادقة تحت وسادة الإمام أحمد بن حنبل في مرض موته عقائد زائغة ، ولولا أن أصحابه يعلمون منه صحة الاعتقاد لافتتنوا بما وجدوه تحت وسادته .

ثم قال : وكذلك دسوا على الإمام الغزالي عدة مسائل في كتاب الإحياء ، وظفر القاضي عياض بنسخة من تلك النسخ فأمر بإحراقها ، وكذلك دسوا علي أنا في كتابي المسمىٰ بـ «البحر المورود» جملة من العقائد الزائغة ، وأشاعوا تلك

العقائد في مصر ومكة نحو ثلاث سنين ، وأنا بريء منها ، كما بينت ذلك في خطبة الكتاب لما غيرتها ، وكان العلماء كتبوا عليه وأجازوه ، فما سكنت الفتنة حتى أرسلت إليهم النسخة التي عليها خطوطهم .

إذا علمت ذلك فيحتمل : أن الحسدة دسوا على الشيخ في كتبه كما دسوا في كتبي أنا ، فإنه أمر قد شاهدته عن أهل عصري في حقي ، الله يغفر لنا ولهم آمين .

وأما من أثنىٰ على الشيخ من العلماء ومدح مؤلفاته ، فقد كان الشيخ مجد الدين الفيروز آبادي صاحب كتاب «القاموس» في اللغة يقول : «لم يبلغنا عن أحد من القوم أنه بلغ في علم الشريعة والحقيقة ما بلغ الشيخ محيي الدين أبداً» وكان يعتقده غاية الاعتقاد ، وينكر علي من أنكر ، ويقول : «لم يزل الناس منكبين على الاعتقاد في الشيخ ، وعلى كتابة مؤلفاته بحل الذهب في حياته وبعد وفاته ، إلى أن أراد الله ما أراد من انتصاب شخص من اليمن اسمه «جمال الدين بن الخياط» فكتب مسائل في درج ، وأرسلها إلى العلماء ببلاد الإسلام ، وقال : هذه عقائد الشيخ محيي الدين بن العربي ، وذكر فيها عقائد زائغة ، ومسائل خارقة لاجماع المسلمين ، فكتب العلماء على ذلك بحسب السؤال ، وشنعوا على من يعتقد ذلك من غير تثبت ، والشيخ عن ذلك كله بمعزل . . .» .

قال : «والذي أقوله وأتحققه وأدين الله تعالىٰ به ، ان الشيخ محيي الدين كان شيخ الطريقة حالاً وعلماً ، وإمام التحقيق حقيقة ورسماً ، ومحيي علوم العارفين فعلاً واسماً ، إذا تغلغل فكر المرء في طرف من مجده غرقت فيه خواطره ، لأنه بحر لا تكدره الدلاء ، وسحاب لا يتقاصى عنه الأنواء ، كانت دعواته تخرق السبع الطباق ، وتغترف بركاته فتملأ الآفاق ، وهو يقيناً فوق ما وصفته ، وناطق بما كتبته ، وغالب ظني انني ما أنصفته :

وما علي إذا ما قلت معتقدي ... دع الجهول يظن الجهل عدوانا
والله ، والله ، والله العظيم ومن ... أقامه حجة للدين برهانا
إن الذي قلت بعض من مناقبه ... ما زدت ، إلاَّ لعلي زدت نقصانا

قال : «وأما كتبه (رضي الله عنه) ، فهي البحار الزواخر ، التي ما وضع الواضعون مثلها .

ومن خصائصها : ما واظب أحد على مطالعتها إلاّ وتصدر لحل المشكلات في الدين ، ومعضلات مسائله ، وهذا الشأن لا يوجد في كتب غيره أبداً» .

قال : «وأما قول بعض المنكرين : ان كتب الشيخ لا تحل قراءتها ولا اقراؤها ، فكفر» .

قال : «وقد قدّموا لي مرة سؤالاً صورته : ما تقول في الكتب المنسوبة إلى الشيخ محيي الدين بن العربي ، كالفصوص والفتوحات ، هل يحل قراءتها واقراؤها ؟ وهل هي من الكتب المسموعة المقروءة أم لا ؟» .

فأجبت : «نعم هي من الكتب المسموعة المقروءة ، وقد قرأها عليه الحافظ البرزلي وغيره ، ورأيت اجازته بخط الشيخ محيي الدين على حواشي الفتوحات المكية بمدينة قونية ، وكتابة طبقة بعد طبقة من العلماء والمحدّثين ، فمطالعة كتب الشيخ : قربة إلى الله تعالىٰ ، ومن قال غير ذلك فهو جاهل ، زائغ عن طريق الحق ، فلقد كان الشيخ والله في زمنه صاحب الولاية العظمىٰ ، والصديقية الكبرىٰ ـ فيما نعتقد وندين الله تعالىٰ به ـ خلاف ما عليه جماعة ممن مقتهم الله تعالىٰ ، فحرموا فوائده ، ووقعوا في عرضه بهتاناً وزوراً ، وحاشا جنابه الكريم أن يخالف كلام نبيه» .

وقد رأيت اجازة بخط الشيخ : كتبها للملك الظاهر بيبرس صاحب حلب «في نفح الطيب» : «المجاز هو المظفر غازي بن الملك العادل المتوفىٰ سنة ٦٤٥» ورأيت في آخرها وأجزت له أيضاً أن يروي عني جميع مؤلفاتي ، ومن جملتها : كذا وكذا ، حتى عد نيفاً وأربعمائة مؤلف منها تفسيره الكبير في خمسة وتسعين مجلداً وصل فيه إلى قوله تعالى : ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾[1] فاصطفاه الله لحضرته .

ومنها : «تفسيره الصغير» في ثمانية أسفار على طريقة المحققين من المفسرين .

ومنها كتاب «الرياض الفردوسية في بيان الأحاديث القدسية ، فهل يحل لمسلم أن يقول : لا يجوز مطالعة كتب الشيخ محيي الدين مطلقاً ، ما ذاك إلاّ كفر(*) وتعصب وعناد» .

---

(١) سورة الكهف ؛ الآية : ٦٥ .

(*) أي ستر ، وليس المقصود : الكفر المعروف . راجع القاموس .

ومَمن أثنى عليه أيضاً الشيخ كمال الدين الزملكاني (رحمه الله تعالى) ، وكان من أجل علماء الشام ، وكذلك الشيخ قطب الدين الحموي .

وقيل له لما رجع من الشام إلى بلاده : كيف وجدت الشيخ محيي الدين ؟ .

فقال : «وجدته في العلم والزهد والمعارف بحراً زاخراً لا ساحل له» .

وممن أثنى عليه الشيخ صلاح الدين الصفادي ، في «تاريخ علماء مصر» وقال : «من أراد أن ينظر إلى كلام أهل العلوم الدنية ، فلينظر في كتب الشيخ محيي الدين بن العربي (رحمه الله)» .

وسئل الحافظ أبو عبد الله الذهبي عن قول الشيخ محيي الدين في كتابه «الفصوص» : «انه ما صنعه إلاّ بإذن من الحضرة النبوية» ، فقال الحافظ : «ما أظن أن مثل هذا الشيخ محيي الدين يكذب أصلاً» ، مع أن الحافظ الذهبي كان من أشد المنكرين على الشيخ وعلى طائفته الصوفية هو وابن تيمية .

وممن أثنى عليه أيضاً الشيخ قطب الدين الشيرازي ، وكان يقول : «ان الشيخ محيي الدين كان كاملاً في العلوم الشرعية والحقيقية ، ولا يقدح فيه إلاّ من لم يفهم ولم يؤمن به» .

وكان الشيخ مؤيد الدين الخجندي يقول : «ما سمعنا بأحد من أهل الطريق أطلع على ما أطلع عليه الشيخ محيي الدين» وكذلك كان يقول الشيخ شهاب الدين السهروردي ، والشيخ كمال الدين الكاشي ، وقال فيه : «انه الكامل المحقق صاحب الكمالات والكرامات» مع أن هؤلاء الأشياخ كانوا من أشد الناس إنكاراً على من يخالف ظاهر الشريعة .

وممن أثنى عليه الشيخ فخر الدين الرازي ، وقال : «كان الشيخ محيي الدين ولياً عظيماً» .

وسئل الإمام محيي الدين النووي عن الشيخ محيي الدين بن العربي ، قال : «تلك أمة قد خلت ، ولكن الذي عندنا أنه يحرم عليّ كل عاقل أن يسيء الظن بأحد من أولياء الله عزّ وجلّ ، ويجب عليه أن يؤول أقوالهم وأفعالهم ما دام لم يلحق بدرجتهم ، ولا يعجز عن ذلك إلاّ قليل التوفيق» .

قال في شرح المهذب «ثم إذا أول فليؤول كلامهم إلى سبعين وجهاً ، ولا نقبل عنه تأويلاً واحداً : ما ذاك إلاَّ تعنت» ا هـ .

قلت : وقد صنف الشيخ سراج الدين المخزومي كتاباً في الرد عن الشيخ محيي الدين ، وقال : «كيف يسوغ لأحد من أمثالنا الإنكار على ما لم يفهمه من كلامه في الفتوحات وغيرها ؟ وقد وقف على ما فيها نحو من ألف عالم ، وتلقوها بالقبول» ، قال وقد شرح كتابه الفصوص جماعة من الأعلام : «الشافعية وغيرهم ، منهم الشيخ بدر الدين بن جماعة» ا هـ المراد باختصار كلام كثير .

وجاء في الفصل الثاني من الكتاب ج ١ في تأويل كلمات أضيفت إلى الشيخ محيي الدين ص ١٣ : «ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ يقول : «الولي أفضل من الرسول» .

والجواب : أن الشيخ لم يقل ذلك .

وإنما قال : «اختلف الناس في رسالة النبي وولايته ، أيهما أفضل ؟ والذي أقول به : أن ولايته أفضل : لشرف المتعلق ودوامها في الدنيا والآخرة ، بخلاف الرسالة ، فانها تتعلق بالخلق وتنقضي بإنقضاء التكليف» انتهىٰ .

ووافقه على ذلك الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام ، فالكلام في رسالة النبي مع ولايته ، لا في رسالته ونبوته مع ولاية غيره ، فافهم . . . ا هـ المراد ، وجاء في ج ٢ ص ٧٢ في المبحث الثاني والأربعين ، في بيان أن الولاية وإن جلت مرتبتها وعظمت فهي آخذة عن النبوة شهوداً ووجوداً . «واعلم أن من جملة ما أشيع عن الشيخ محيي الدين ، أنه يقول : «مقام الولاية أتم من مقام الرسالة ، على الإطلاق» والشيخ (رضي الله عنه) بريء من ذلك .

وقال : أي الشيخ محيي الدين في شرحه «لترجمان الأشواق» إعلم أن مقام النبي ممنوع لنا دخوله ، وغاية معرفتنا به من طريق الارث: «النظر إليه ، كما ينظر من هو في أسفل الجنة إلى من هو في أعلىٰ عليين ، وكما ينظر أهل الأرض إلى كواكب السماء» .

وقال في الباب الثاني والستين وأربعمائة من الفتوحات : «إعلم أنه لا ذوق لنا في مقام النبوة لنتكلم عليه ، وإنما نتكلم على ذلك بقدر ما أعطينا من مقام

الارث فقط ، لأنه لا يصح لأحد منا دخول مقام النبوة ، وإنما نراه كالنجوم على الماء» .

وقال في الباب السابع والستين وثلثمائة : «لقد أعطيت من مقام العبودية التي أختص بها رسول الله (ص) مقدار الشعرة الواحدة من جلد الثور ، فما استطعت القيام به» اهـ .

فهذه نصوص الشيخ محيي الدين (رحمه الله) : تكذب من افترىٰ عليه انه يقول الولاية أعظم من النبوة ، والله تعالىٰ أعلم اهـ المراد .

فالظاهر ان الكلام الذي حكاه الشيخ ابن تيمية عنه سابقاً مدسوس على الشيخ في نسخة فاسدة ، فلذلك ساء اعتقاد ابن تيمية فيه ، والله أعلم .

تنبيهات على بعض متشابهات

الأول : في معنى «وحدة الوجود» الحقيقي[1] :

جَاء في شرح الحبر الكامل الشيخ أحمد الدردير على منظومته «الخريدة» في التوحيد : ـ السابعة ، وهي أعظم النفوس قدراً ، وأكملها فخراً ، ومع ذلك لا ينقطع ترقيها أبداً لأن الكامل يقبل الكمال ، فلم تزل تترقى حتى تشهد الحق تعالىٰ قبل الأكوان ، ومشاهدته تعالىٰ قبل كل شيء هو المسمىٰ عندهم بالمعانية ، وهذا هو عين اليقين ، بعد أن حازت علم اليقين ، الذي هو معرفته تعالىٰ بالبراهين ، ثم حق اليقين ، وهو مشاهدته تعالىٰ في كل شيء من غير حلول ولا اتحاد ، ولا إتصال ولا إنفصال ، كالمرآة ترىٰ فيها وجهك من غير حلول الوجه فيها ، ولا اتحاد ، وهذا مشهد ذوقي ، لا يدركه إلَّا أهله ، وصاحب هذا المقام لا يفتر عن العبادة ، لأنها صارت طبعه ، اما باللسان وإما بالجنان ، وإما بالأركان ، فحركاته حسنات ، وأنفاسه عبادات . . . » الخ .

تنبيه ـ أعزك الله ـ إلى قوله لا يفتر عن العبادة ، لتعرف المحق من المبطل .

وفي كتاب «الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية» للشيخ عبد الغني النابلسي ص ١٣ ج ١ : «وذكر الشيخ عبد الرؤوف المناوي في شرح الجامع

(١) الضمير راجع إلى لفظ «معنىٰ» .

الصغير في قوله (عليه الصلاة) : قال موسىٰ : «يا رب كيف شكرك آدم . . .» الحديث .

قال :«ومن نظر بعين التوحيد المحض عرف أنه الشاكر وأنه المشكور ، وأنه المحب وأنه المحبوب ، وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجوه غيره ، وان ﴿كل شيء هالك إلاّ وجهه﴾ لأن الغير ، هو : الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ، وهذا محال أن يوجد ، إذ الوجود المحقق هو هذا القائم بنفسه ، وما ليس له بنفسه قوام ، فليس له بنفسه وجود ، بل هو قائم بغيره ، فهو موجود بغيره ، فإن اعتبر من حيث ذاته : لم يكن له وجود البتة ، وإنما الموجود هو القائم بنفسه ، ومن كان مع قيامه بنفسه : يقوم بوجوده وجود غيره ، فهو قيوم ، ولا يتصور أن يكون القيوم إلاّ واحداً ، فليس في الوجود غي الحي القيوم الواحد ، فالكل منه مصدره ، وإليه مرجعه ، ويعبر الصوفية عن هذا بـ «فناء النفس» أي فني عن نفسه ، وعن غير الله ، فلا يرىٰ إلاّ الله ، فمن لا يفهم هذا ينكر عليهم ويسخرمنهم فيسخرون منه هذا كله كلام الغزالي (رحمه الله تعالىٰ)» . اهـ .

وهذا المعنى هو المراد بـ «وحدة الوجود» و بـ «الوحدة المطلقة» وغير ذلك من العبارات التي يذكر العارفون من أهل التحقيق ، وليس مرادهم المعنىٰ الفاسد الذي عند أهل الزندقة والإلحاد ، وقد أنكرته علماء الكلام ، وقد كشفت عن ذلك في رسالة سميتها «إيضاح المقصود من معنىٰ وحدة الوجود . . .

وفي ص ١١٨ منه : قال سيد الطائفة الصوفية الجنيد : «الطريق كلها مسدودة إلاّ على من أقتفىٰ أثر الرسول (ص)» .

إلى أن قال : «فإن جميع العقائد الباطلة واقعة من معتقديها على مظاهر تجليات الحق تعالىٰ من حيث حضرات أفعاله سبحانه ، وكفر أهلها باعتبار دعواهم أن بعض مظاهر تجليات تلك الحضرات الأفعالية هي ذات الحق سبحانه ، على ما هي عليه في الغيب المطلق ، وهو خطأ محض ، وجهل وكفر .

وهذا المعنىٰ هو الذي سدت به تلك الطرق كلها ، وما انفتحت إلاّ للمحمديين من ورثة الأولياء ، فأخذوا منها الألذ والأطيب ، وهو : شهود تجليات حضرات الأفعال الإلهية ، وتركوا ما أنسدت به هذه الطرق من دعاوي ما فوق ذلك من تجليات الذات الإلهية المطلقة ، مع بقاء شهود آثار أفعالها الكونية . . .» الخ اهـ .

قـال الغزالي في مشكـاة الأنوار : «والـوجود بنفسـه ايضـاً ينقسم الى : مـالـه الوجود من ذاته ، وإلى ماله الوجود من غيره .

وماله الوجود من غيره ، فوجوده مستعار ، لا قوام له بنفسـه ، بل إذا اعتبـرت ذاتـه من حيث ذاته ، فهـو عدم محض ، وإنمـا وجوده من حيث نسبتـه إلى غيـره ، وليس ذلك بوجود حقيقي ، كما عرفت في مثال إستعارة الثوب والغنىٰ ، فـالموجـود الحق ، هو : الله تعالىٰ ، كما أن النور الحق هو : الله تعالىٰ» .

حقيقة الحقائق

من هٰهنا يترقى العارفون من حضيض المجاز إلى ذروة الحقيقة ، واستكملوا معراجهم ، فرأوا بالمشاهدة العيانية : إن ليس في الوجود إلاَّ الله ، وإن ﴿كل شيء هالك إلاَّ وجهه﴾ لا أنه يصير هالكاً في وقت من الأوقات ، بل هو هالك أزلا وأبداً : إذ لا يتصور إلاَّ كذلك ، فإن كل شيء سواه إذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته ، فهو عدم محض ، وإذا اعتبر من الوجه الذي يسري إليه الوجود من الأول الحق ، رؤى موجوداً لا في ذاته ، بل من الوجه الذي يلي موجده ، فيكون الموجود وجه الله فقط :

ولكل شيء وجهان : «وجه الى نفسه ، ووجه إلى ربه ، فهو باعتبار وجه نفسه عدم ، وباعتبار وجه الله : وجود ، فإذن : لا موجود إلاَّ الله ووجهه ، فإذن كل شيء هالك إلاَّ وجهه ، أزلاً وأبداً ، ولم يفتقر هؤلاء إلى قيام القيامة ليستمعوا نداء الباري ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبداً» .

ثم قال : «الله : أكبر من أن يدرك غيره كنه كبريائه : نبياً كان أو ملكاً ، بل لا يعرف كنه معرفته إلاَّ هو ، إذ كل معروف داخل تحت سلطان ، العارف واستيلائه ، وذلك ينافي الجلال والكبرياء» .

إشـارة

العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة : اتفقوا على أنهم لم يروا في

الوجود إلاَّ الواحد الحق ، لكن : منهم من كان له هذه الحالة عرفاناً علمياً ، ومنهم من صار له ذوقاً وحالاً ، وانتفت عنهم الكثرة بالكلية ، واستغرقوا بالفرادنية المحضة ، واستهوت فيها عقولهم ، فصاروا كالمبهوتين فيه ، ولم يبق فيهم متسع لذكر غير الله ، ولا لذكر أنفسهم أيضاً ، فلم يبق عندهم إلاَّ الله ، فسكروا سكراً وقع دونه سلطان عقولهم ، فقال بعضهم : «أنا الحق» وقال الآخر : «سبحاني ما أعظم شأني» وقال الأخر : «ما في الجبة إلاَّ الله» .

وكلام العشاق في حال السكر : يطوي ولا يحكي .

فلما خف عنهم سكرهم ، وردوا إلى سلطان العقل ، الذي هو ميزان الله في أرضه ، عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد ، بل يشبه الإتحاد ، مثل قول العاشق في حال فرط العشق .

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا[1]

فلا يبعد أن يفجأ الإنسان مرآة فينظر فيها ، ولم ير المرآة قط ، فيظن أن الصورة التي رآها في المرآة هي صورة المرآة متحدة بها.

ثم قال : وهذه الحالة إذا غلبت سميت بالإضافة إلى صاحب الحال «فناء» بل «فناء الفناء» لأنه فني عن نفسه ، وفني عن فنائه ، فإنه ليس يشعر بنفسه في تلك الحال ، ولا بعدم شعوره بنفسه ، ولو شعر بعدم شعوره بنفسه لكان قد شعر بنفسه .

وتسمى هذه الحال بالإضافة إلى المستغرق فيها بلسان المجاز «إتحاداً» وبلسان الحقيقة «توحيداً» . اهـ المراد .

ومن استبعد كلمة الغزالي هذه ، فليتدبر قوله (ص) : «أصدق كلمة قالها الشاعر ، كلمة لبيد : «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» رواه البخاري ، ومسلم في الصحيح ، وغيرهما(*) .

وهذه مقامات من وصلها أفراد .

---

(١) سيشرحها الشيخ بعد قليل شرحاً طيباً .

(*) ورواه ابن ماجة .

وأحب أن أسجل رأياً لي ، وهو : «أن من تجرد لمعرفة الحق والتقرب اليه ، ربما تجلى له حظه من خلافته ﴿اني جاعل في الأرض خليفة﴾ ﴿جعلكم خلائف الأرض﴾ فظن من لم يكمل : أنه وصل الغاية ، وربما ضل من لم يعرف قدر نفسه .

ومن هٰهنا ـ والله أعلم ـ ضلال القائلين بالإتحاد ، أو بالحلول ، ورحم الله من عرف قدر نفسه» .

الثاني : قوله ص ٥ : «ظهر بمعيته في باطن وترتيبه ، فنشأت أعداد مصنوعاته . . .» الخ ما قال من كلمات الصوفية التي تحتاج لتوضيح بعض نصوصهم .

في اليواقيت : «المبحث العاشر» : قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي (رضي الله تعالىٰ عنه) : «قد محق الحق تعالىٰ جميع الأغيار ، بقوله : ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ .

فقيل له : فأين الخلق ؟ فقال : موجودون ، ولكن حكمهم مع الحق تعالىٰ كالأنابيب التي في كوة الشمس ، تراها صاعدة هابطة ، فإذا قبضت عليها لا تراها ، فهي موجودة في الشهود ، مفقودة في الوجود» اهـ .

وفي المبحث السادس منه : قال الشيخ ، أي ـ محي الدين بن العربي ـ في عقيدته الصغرى : «تعالىٰ الحق ، تعالىٰ : أن تحله الحوادث أو يحلها» .

وقال في عقيدته الوسطىٰ : «أعلم أن الله تعالىٰ واحد بإجماع ، ومقام الواحد يتعالىٰ أن يحل فيه شيء ، أو يحل هو في شيء ، أو يتحد بشيء» .

وقال في الباب الثالث من الفتوحات : «أعلم أنه ليس في أحد من الله شيء ، ولا يجوز ذلك عليه بوجه من الوجوه» .

وقال في باب الأسرار : «لا يجوز لعارف أن يقول : أنا الله ، ولو بلغ أقصى درجات القرب ، وحاشا العارف من هذا القول حاشاه ، إنما يقول أنا العبد الذليل في المسير والمقيل» .

فإن قيل : فما معنىٰ حديث «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ورجله التي يمشي بها ، ويده التي يبطش بها» ، فإن

جماعة كثيرة فهموا منه وجود اتحاد الحق تعالىٰ بالعبد ، وحدوثه فيه ؟ .

فالجواب : أن معنى «كنت سمعه» الخ : «إن ذلك الكون الشهودي مرتب على ذلك الشرط، الذي هو حصول المحبة ، فمن حيث الترتيب الشهودي : جاء الحدوث المشار إليه بقوله «كنت سمعه» لا من حيث التقرير الوجودي» قاله الأستاذ سيدي علي بن وفا (رحمه الله) .

وقال الشيخ محي الدين : «في الباب الثامن والستين» في الكلام على الأذان : «المراد بكنت سمعه وبصره» إلى آخره : انكشاف الأمر لمن تقرب إليه تعالىٰ بالنوافل ، لا أنه لم يكن الحق تعالىٰ سمعه قبل التقرب ثم كان الآن ، تعالىٰ الله عزّ وجلّ عن ذلك ، وعن العوارض الطارئة» .

قال : «وهذه من أعز المسائل الإلهية» ا هـ .

وقال في باب الأسرار : «من قال بالحلول فهو معلوم ، فإن القول بالحلول مرض لا يزول ، ومن فصل بينك وبينه : فقد أثبت عينك وعينه ، ألا ترىٰ قوله : «كنت سمعه الذي يسمع به» فأثبتك بإعادة الضمير إليك ، ليدلك عليك ، وما قال بالإتحاد إلاّ أهل الإلحاد ، كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول ، فإنه أثبت حالاً ومحلاً ، فمن فصل نفسه عن الحق فنعم ما فعل ، ومن وصل فكأنه شهد على نفسه بأنه كان مفصولاً حتى أتصل ، والشيء الواحد لا يصل نفسه ، وما ثم إلاّ ذاته ومصنوعاته» ا هـ .

وقال في باب الأسرار أيضاً : «الحادث لا يخلو عن الحوادث ، لو حل بالحادث القديم : لصح قول أهل التجسيم ، فالقديم لا يحل ولا يكون محلاً ، ومن ادّعىٰ الوصل ، فهو في عين الفصل» ا هـ .

وقال في هذا الباب أيضاً : «أنت أنت ، وهو هو ، فإيّاك أن تقول كما قال العاشق : «أنا أهوىٰ ومن أهوىٰ أنا» . فهل قدر هذا أن يرد العين واحدة ؟ لا ، والله ما استطاع ، فإنه جهل ، والجهل لا يتعقل حقاً ، ولا بد لكل أحد من غطاء ينكشف عند لقاء الله» .

وقال فيه أيضاً : «أعلم أن العاشق إذا قال «أنا من أهوىٰ ومن أهوىٰ أنا» فإن ذلك كلام بلسان العشق والمحبة ، لا بلسان العلم والتحقيق ، ولذلك يرجع أحدهم عن هذا القول إذا صحا من سكرته» ا هـ .

وقال في اليواقيت ، في المحبث الأول : وقال الشيخ أيضاً في الباب الحادي والثلاثين ومائة من الفتوحات المكية : «وإنما لم يكفر من قال ان الله تعالىٰ ثالث اثنين ، أو رابع ثلاثة ، لأنه[1] لم يجعله من جنس الممكنات ، بخلاف من قال : إن الله ثالث ثلاثة ، أو رابع أربعة ، أو خامس خمسة[2] ، ونحو ذلك ، فإنه يكفر ، فتأمل ، فإن الله تعالىٰ واحد أبداً لكل كثرة وجماعة ، ولا يدخل معها في الجنس ، لأنه إذا جعلناه رابع ثلاثة ، فهو واحد منفرد ، أو خامس أربعة ، فهو واحد منفرد ، وهكذا بالغ ما بلغ» .

قال : «وليس عندنا في العلم الإلهي أغمض من هذه المسئلة ، لأن الكثرة حاكمة في عين وجود الواحد بحكم المعية ، ولا وجود لها فيه ، إذ لا حلول ولا إتحاد» انتهىٰ .

وقال في الباب «التاسع والسبعين وثلاثمائة» من الفتوحات أيضاً في قوله تعالىٰ : ﴿ما يكون من نجوىٰ ثلاثة إلاّ هو رابعهم ولا خمسة إلاّ هو سادسهم﴾ الآية : «اعلم أن الله تعالىٰ مع الخلق أينما كانوا ، سواء كان عندهم شفعاً أو وتراً ، لكن لا يكون الله تعالىٰ واحداً من شفعيتهم ، ولا واحداً من وتريتهم ، إذ صفته التي ظهرت للمشاهد : لا يمكن أن تقف في المرتبة العددية التي وقف فيها الخلق أبداً ، فمتىٰ انتقلوا إلى المرتبة التي كان فيها صفة الحق تعالىٰ ، انتقلت صفة الحق تعالىٰ إلى المرتبة التي تليها قبل انتقالهم» قال : «وهذا تنزيه عظيم لا يصح للخلق فيه مشاركة مع الحق تعالىٰ أبداً» ا هـ المراد .

وإقرأ مضرب الأمثال بالواحد في العدد ، ليتبين بعض المراد ، وهذا بلا شك من المواضع التي يقع المعبر عنها في الخطأ ، كما قال الغزالي في كلمته ، فيظن به أو يعتقد على غير وجهه ﴿وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر﴾ .

ويحسن هنا ذكر كلمة المقري في نفح الطيب ج ١ ص ٥٧١ .

«ومن كلام ابن عربي :

يا من يراني ولا أراه كم ذا أراه ولا يراني

---

(١) قال الله تعالىٰ في سورة المجادلة ؛ الآية : ٧ ﴿ما يكون من نجوىٰ ثلاثة إلاّ هو رابعهم ولا خمسة إلاّ هو سادسهم﴾ .

(٢) لأنه جعله ، من جنسهم ، ولذلك ﴿كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ .

وقد سأله بعض اخوانه لما سمع هذا البيت ، كيف تقول : أنه لا يراك وأنت تعلم أنه يراك ، فقال :

يا من يراني مجرماً ولا أراه آخذا
كم ذا أراه منعماً ولا يراني لائذا

قال المقري : «من هذا وشبهه ، نعلم أن كلام الشيخ (رحمه الله) مؤول ، وأنه لا يقصد ظاهره ، وإنما له محامل تليق به» .

ثم قال : «فأحسن به الظن ولا تنتقد ، بل اعتقد ، وللناس في هذا المعنىٰ كلام كثير ، والتسليم أسلم ، والله سبحانه وتعالىٰ بكلام أوليائه أعلم» .

الثالث: قال الإمام الغزالي في «فصل التفرقة» : «الكفر هو تكذيب الرسول (عليه الصلاة والسلام) في شيء مما جاء به ، والإيمان تصديقه في جميع ما جاء به» .

إلى أن قال : «اعلم أن الذي ذكرناه مع ظهوره تحته غور ، بل تحته كل الغور ، لأن كل فرقة تكفر مخالفها وتنسبه إلى تكذيب الرسول (عليه الصلاة والسلام) .

فالحنبلي[1] يكفر الأشعري زاعماً أنه كذب الرسول في إثبات الفوق لله تعالىٰ ، وفي الإستواء على العرش .

والأشعري يكفره : زاعماً أنه مشبه وكذب الرسول في أنه ﴿ليس كمثله شيء﴾ .

والأشعري يكفر المعتزلي زاعماً أنه كذب الرسول في جواز رؤية الله تعالىٰ : وفي إثبات العلم والقدرة والصفات له .

والمعتزلي يكفر الأشعري : زاعماً ان إثبات الصفات تكفير للقدماء وتكذيب للرسول في التوحيد .

ولا ينجيك من هذه الورطة إلاّ أن تعرف حد التكذيب والتصديق وحقيقتهما فيه ، فيكشف لك غلو هذه الفرق ، وأسرافها في تكفير بعضها بعضاً» .

---

(١) هذا من بعض الحنابلة ، لا كلهم .

فأقول : «التصديق إنما يتطرق إلى الخبر ، بل إلى المخبر ، وحقيقته : الاعتراف بوجود ما أخبر الرسول (ص) عن وجوده ، إلاَّ أن للوجود خمس مراتب ، ولأجل الغفلة عنها نسبت كل فرقة مخالفها إلى التكذيب .

فإن الوجود : ذاتي ، وحسي ، وخيالي ، وعقلي ، وشبهي فمن اعترف بوجود ما أخبر الرسول (عليه الصلاة والسلام) عن وجوده بوجه من هذه الوجوه ، فليس بمكذب على الإطلاق» ا هـ .

الرابع : وقال الشيخ محي الدين في الجزء الخامس من كتابه «مراتب الحروف» : «فاعلم أيها الحميم ، والصفي الكريم : ان المحقق العارف بما تقتضيه الحضرة الإلهية من التقديس والتنزيه ، ونفي المماثلة والتشبيه ، لا يحجبه ما نطقت به الآيات والأخبار في حق الحق تعالى من أدوات التقييد بالزمان والجهة والمكان ، كقوله (عليه الصلاة والسلام) للسوداء «أين الله ؟» فأشارت إلى السماء ، فأثبت لها الإيمان» .

فسأل (ص) بالظرفية عما لا يجوز عليه المكان في النظر العقلي ، والرسول أعلم بالله ، والله أعلم بنفسه .

وقال في الظاهر ﴿أأمنتم من في السماء﴾ بالفاء ﴿وكان الله بكل شيء عليماً﴾ ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلاَّ هو رابعهم﴾ ، «وكان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان» و «يفرح بتوبة عبده» ، و «يعجب من الشاب الذي ليس له صبوة» وما أشبه ذلك من الأدوات اللفظية ، وقد تقرر بالبرهان العقلي : خلقه الزمان والأمكنة والجهات والألفاظ والحروف والأدوات والمتكلم بها والمخاطبين من المحدثات ، كل ذلك خلق الله تعالى ، فيعرف المحقق أنها مصروفة إلى غير الوجه الذي يعطيه التشبيه والتمثيل ، وأن الحقيقة لا تقبل ذلك أصلاً .

ولكن تتفاضل العلماء السالمة عقائدهم من التجسيم ، فإن المشبهة والمجسمة ـ أرشدهم الله ـ قد يطلق عليهم علماء من حيث علمهم بأمور غير هذه .

فتفاضل العلماء في هذا : الصرف عن هذا الوجه الذي لا يليق بالحق تعالى .

وطائفة لم تشبه ولم تجسم ، وصرفت ذلك الذي ورد في كلام الله ورسوله إليه تعالىٰ ، ولم تدخل لها قدماً في باب التأويل ، وقنعت بمجرد الإيمان بما يعلمه الله في هذه الألفاظ والحروف من غير تأويل ولا صرف إلى وجه من وجوه التنزيه ، بل قالت : لا أدري جملة واحدة ، ولكني أحيل(*) بقاءه على وجه التشبيه ، لقوله تعالىٰ : ﴿ليس كمثله شيء﴾ لا لما يعطيه النظر العقلي .

وعلى هذا العقد : فضلاء المحدثين من أهل الظاهر ، السالمة عقائدهم من التشبيه والتعطيل .

وطائفة أخرىٰ من المنزهة : عدلت بهذه الكلمات على الوجه الذي لا يليق بالله تعالىٰ في النظر العقلي إلى وجه ما من وجوه التنزيه ، على التعيين مما يجوز في النظر العقلي أن يتصف به الحق تعالىٰ ، بل هو متصف به ولا بد .

وما يبقىٰ النظر إلا أن في هذا(**) النظر ، هو : المراد بها ذلك الوجه أم لا ؟ ولا يقدح ذلك التأويل في الألوهية ، وربما عدلوا بها إلى وجهين ، وثلاثة ، وأكثر ، على حسب ما تعطيه الكلمة في موضع اللسان ، ولكن من الوجوه المنزهة لا غير ، فإذا لم يعرفوا لذلك الخبر أو الآية عند التأويل في اللسان إلا وجهاً واحداً ، قصروا الخبر على ذلك الوجه النزيه ، وقالوا «هذا ليس إلا : في علمنا وفهمنا» ، وإذا وجدوا له مصرفين فصاعداً : صرفوا الخبر أو الآية إلى تلك المصارف .

وقالت طائفة من هؤلاء : يحتمل أن يريد كذا ، ويحتمل أن يريد كذا ، ويقدر وجوه التنزيه .

ثم تقول ـ والله أعلم ـ أي ذلك أراده ؟ .

وطائفة أخرىٰ تقول عندها في وجه ما من تلك الوجوه النزيهة بقرينة ما قطعت لتلك القرينة بذلك الوجه على الخبر وقصرته عليه ، ولم تعرض على باقي الوجوه في ذلك الخبر ، وإن كانت كلها تقتضي التنزيه ، وتنفي التعطيل والتشبيه .

(*) يعني أقول : انه محال .

(**) في المطبوعة : «هذه» .

وطائفة : من المنزهة ـ وهي العالية ، وهم أصحابنا ـ : فرغوا قلوبهم من الفكر والنظر وأخلوها ، إذا كان المتقدمون من الطوائف المتقدمة المتأولة أهل فكر ونظر وبحث .

قامت هذه الطائفة المباركة الموفقة ـ والكل موفقون بحمد الله تعالىٰ ـ وقالت : حصل في نفوسنا تعظيم الحق جلّ جلاله ، بحيث لا نقدر أن نصل إلى معرفة ما جاءنا من عنده بدقيق فكر ونظر ، فأشبهت في هذا العقد : المحدثين السالمة عقائدهم ، حيث لم ينظروا ولا أولوا ، ولا صرفوا ، بل قالوا : ما فهمنا ، فقال أصحابنا بقولهم ، ثم انتقلوا عن مرتبة هؤلاء بأن قالوا : لنا أن نسلك طريقاً أخرى في فهم هذه الكلمات ، وذلك بأن نفرغ قلوبنا من النظر الفكري ، ونجلس مع الحق تعالىٰ بالذكر على بسائط الأدب والمراقبة والحضور ، والتهيؤ لقبول ما يرد علينا منه تعالىٰ ، حتى يكون الحق تعالىٰ يتولىٰ تعليمنا على الكشف والتحقيق ، لما سمعته يقول : ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ ويقول : ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ ﴿وقل رب زدني علماً﴾ ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ فعندما توجهت قلوبهم وهمتهم إلى الله تعالىٰ ، ولجأت إليه ، وألقت عنها ما استمسك به الغير ، من دعوى البحث والنظر ، ونتائج العقول ، كانت عقولهم سليمة ، وقلوبهم مطهرة فارغة(*) ، فعندما كان منهم هذا الاستعداد ، تجلىٰ لهم الحق عياناً ، فأطلعتهم تلك المشاهدة على معاني هذه الأخبار والكلمات دفعة واحدة ، وهذا ضرب من ضروب المكاشفة ، فانهم إذا عاينوا بعيون القلب من نزهه العلماء المتقدم ذكرهم بالإدراك الفكري ، لم يصح لهم عند أهل الكشف والمعاينة أن يجهلوا خبراً من هذه الأخبار التي توهم ، ولا يبقوا ذلك الخبر منسحباً على ما فيه من الاحتمالات النزيهة من غير تعيين ، بل يعرفون الكلمة والمعنىٰ النزيه ، الذي سيقت له ، فيقصروها على ما أريدت له ، وإن جاء في خبر آخر ذلك اللفظ عينه ، فله وجه آخر من تلك الوجوه المقدسة معين : عند أهل المشاهدة .

هذا حال طائفة منا .

طائفة أخرىٰ ـ منا أيضاً ـ ليس لهم هذا التجلي ، ولكن لهم الإلقاء والإلهام والخطاب والكتابة ، وهم معصومون فيما يلقى إليهم بعلامة عندهم ، لا يعرفها

(*) من الذي ذكره كله .

سواهم ، متحيرون بما خوطبوا به . وبما ألهموا به ، وبما ألقي إليهم أو كتب .

فقد تقرر عند جميع المحققين الذين سلموا الخبر لقائله ، ولم ينظروا ، ولا شبهوا ، ولا عطلوا ، والمحققين الذين بحثوا واجتهدوا على طبقاتهم أيضاً ، والمحققين الذين خوطبوا وألهموا : أن الحق تعالىٰ لا تدخل عليه تلك الأدوات المقيدة بالتحديد والتشبيه ، على حد ما تفعله في المحدثات ، ولكن تدخل عليه بما فيها من معنىٰ التنزيه والتقديس .

وبقي التجسيم والتشبيه على طبقات العلماء والمحققين ، في ذلك لما فيه ، وتقتضيه ذاته من التنزيه ونفي التعطيل والتشبيه .

وإذا تقرر هذا ، فقد تبيّن أنها أدوات التوصيل إلى افهام المخاطبين ، وكل عالم على حسب فهمه فيها وقوة تقريره وبصيرته .

فعقيدة التكليف هينة الخطب ، نظر العالم عليها(*) ولو بقيت الشبهة مع ما فطرت عليه ، ما كفرت ولا جسمت ، وإن كان ما أرادوا التجسيم ، وإنما قصدوا إثبات الوجود ، لكن لقصور افهامهم ما ثبت لهم إلاّ بهذا التحيل ، فلهم النجاة .

وإذ قد ثبت هذا عند المحققين - مع تفاضل رتبهم في درج التحقيق - فلنقل : أن الحقائق أعطت - لمن وقف عليها - أن لا يتقيد وجود الحق مع وجود العالم بقبلية ولا معية ، ولا بعدية زمانية ، فإن التقدم الزماني والمكاني في حق الله تعالىٰ ترمي به الحقائق في وجه القائل به على التحديد .

إن قال به من باب التوصل ، كما قال الرسول ونطق به الكتاب ، إذ ليس كل أحد يقوى على كشف هذه الحقائق ، فلم يبق لنا إلاّ أن نقول : إلاّ أن الحق موجود بذاته لذاته ، مطلق الوجود ، غير مقيد بغيره ، ولا معلول عن شيء ، ولا علة لشيء ، بل هو خالق المعلولات والعلل ، والملك القدوس الذي لم يزل ، وان العالم موجود بالله تعالىٰ ، لا بنفسه ولا لنفسه ، مقيد الوجود بوجود الحق في ذاته ، فلا يصح وجود العالم البتة إلاّ بوجود الحق ، وإذا انتفى الزمان عن وجود الحق ، وعن وجود مبدأ العالم ، فقد وجد العالم في غير زمان ، فلا نقول من جهة ما هو الأمر عليه : إن الله موجود قبل العالم ، وإذ قد ثبت ان القبل من صيغ الزمان ، ولا زمان ، ولا ان العالم موجود بعد وجود الحق ، فإن الحق هو الذي

(*) يعني : هي محط نظره .

أوجده ، وهو فاعله ومخترعه ، ولم يكن شيئاً .

ولكن كما قلنا «الحق موجود بذاته ، والعالم موجود به» .

فإن سأل ذو وهم : «متى كان وجود العالم ، من وجود الحق ؟ قلنا : متى سؤال زماني ، والزمان من عالم النسب ، وهو مخلوق لله تعالىٰ ، لأن عالم النسب له خلق التقدير ، لا خلق الإيجاد ، فهذا سؤال باطل ، فانظر كيف تسأل .

فإيّاك أن يحجبك أدوات التوصيل عن تحقيق هذه المعاني في نفسك وتحصيلها ، فلم يبق إلاّ وجود صرف خالص ، لا عن عدم ، وهو وجود الحق تعالىٰ» ، و : «وجود عن عدم ، وهو غير وجود الموجود لنفسه» وهو وجود العالم ، ولا بينية بين الموجودين ، ولا إمداد إلى التوهم المقدر الذي يحيله[1] العلم ، ولا يبقىٰ منه شيئاً ، ولكن وجود مطلق ومقيد ، وجود منفعل : «هكذا أعطت الحقائق ، والسلام» اهـ المراد ، نقلناه بأكمله ، لأنه ـ فيما نعلم ـ غير مطبوع ، وقد تعمدنا الإطالة في إيراد النصوص ، وقصر التعليق عليها ، لأنها واضحة في نفسها ، واختصارها يخل بها ، والمقصود : تبيين مرامهم وتحسين الظن بهم .

وفي كلمة الغزالي الأخيرة : (إن للوجود خمس مراتب ، من اعترف بوجه من الوجوه الخمسة فليس بمكذب) .

وكلمة ابن عربي بعد ذكر الطوائف ، قال : «وكلهم موفقون بحمد الله» تبيين سعة أفقهم (رحمهم الله تعالىٰ) .

بقي أن نذكر كلمة الشيخ محي الدين في كتابه «مراتب الحروف» عن الحديث ، حتى لا يشتبه أحد في مقصده .

قال : «والله سبحانه لم يزل في أزله بذاته وصفاته وأسمائه ، لم تتجدد عليه حال ، ولا يثبت له وصف ـ من خلق العالم[2] ـ لم يكن قبل ذلك عليه ، بل هو الآن على ما عليه كان قبل وجود الكون ، كما وصفه (ص) حين قال : «كان الله

---

(١) يعني يقول العلم : انه مستحيل ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) هكذا هي والمقصود أنه تعالىٰ : لا تتجدد عليه الصفات بتجدد الأحوال في المخلوقين .

ولا شيء معه» وزيد في قوله[1] : «وهو الآن على ما عليه كان» فاندرج في الحديث ما لم يقله (ص) ، ومقصودهم : «أن الصفة التي وجبت له قبل وجود العالم» هو عليها والعالم موجود ، اهـ المراد .

فإن البعض جعل الجملة التي زيدت في الحديث لتبيين المعنى ، زادها زنادقة[*] .

الخامس : ويحسن هنا ذكر مسألة الزمان والمكان ، فإننا اختصرنا الكلام عنها في حديث «النزول كل ليلة إلى سماء الدنيا» هامش ص ٧٦ والتعليق عليه ، وهامش ص ٨١[*] وما بعدها ، فإن من البديهيات في علم الفلك أن الوقت يحدث ويتغير بحركة الأرض حول نفسها ، قال تعالى : **﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ ﴿جعل الليل والنهار خلفة﴾** .

والليل بطرفيه : يشمل نصف الكرة الأرضية سرمداً ، وكذلك النهار إلى يوم القيامة ، وبدوران الأرض حول نفسها ، وبرهانه المشهور من القرآن **﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب﴾**[2] و **﴿يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً﴾**[3] ، يحدث تخالف الليل والنهار وتعاقبهما ، فثلث الليل لا يكون في كل الأقطار في وقت واحد ، اللهم إلا في المواضع التي على خط الزوال الواحد، فإن وقتها يكون واحداً ، وهي قليلة بالنسبة لحجم الكرة الأرضية ، وذلك لأنه ينتقل من بلد لبلد بدوران الأرض حول نفسها ، فلا تخلو ساعة من الأربع والعشرين ساعة من أنها توصف بأنها ثلث الليل في بقعة ما من الأرض (دع عنك الدائرتين القطبيتين ، وفيهما يمكث النهار ستة أشهر تقريباً ، وكذلك الليل ، فهل لهما نزول آخر ؟) فثلث الليل : لا ينقضي أبداً ، بل هو سرمدي ليوم القيامة ، لا ينقضي من مكان إلا ليحل في مكان ، وكذلك كل ساعة من ساعات الليل والنهار ، فإذا أخذنا بظاهر الحديث «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء

---

(١) يعني في قول المصطفى (ص) ، وهو ما يعبر عنه المحدثون بـ «المدرج» لتفسير الحديث وإيضاحه .

(*) هذا في الطبعة الأولى ، عند قول الشيخ محي الدين (رحمه الله تعالى) : «تبصرة» إذا سمعت بنزول ربنا كل ليلة الحديث.

(٢) سورة النمل ؛ الآية : ٨٨ .

(٣) سورة الأعراف ؛ الآية : ٥٤ .

الـدنيا حين يبقىٰ ثلث الليـل الآخر» وقيـدنـا الله بـالـزمـان ، لاستمـر الـوقت الـذي يـوصف فيه سبحـانه بـالنـزول ، ولم يبق ثمـة وقت يـوصف فيـه بـالصعـود ، كنص الحديث هامش ص ٨٢(*) .

«فـإذا طلع الفجـر صعـد إلى العـرش» أو «ثم يعلو إلى السمـاء الـعليـا» وبالعكس ، فلذلك تحتم التأويل ، لأنه سبحانه لا ينقسم ، ولو كنـا أخذنـا بالـظاهر كنا كالقائلين بأنه «هو العالم» من حيث لا نشعر ، وكما قال العيني في شـرحه لهـذا الحـديث «ليس في هـذا البـاب وأمثـالـه إلاّ التسليم والتفـويض إلى مـا أراد الله من ذلـك ، فـإن الأخـذ بـظاهـره يؤدّي إلى التجسيم ، وتـأويله يؤدّي إلى التعـطيـل ، والسلامة في السكوت والتفويض» .

وأظنـه بـالـغ في أن التـأويـل يؤدّي للتعـطيـل ، إذ أن الشيـخ الشعـراني في لـطائف المنن ج ٢ ص ٢٧ وص ٤١ من هذه المقـدمة نقل إجماع أهـل الحق على وجوب تأويل أحاديث الصفـات ، كحديث النـزول هذا ، والحقيقـة ان الله تعالىٰ لا يجري عليه زمان ولا يتقيد بمكان ، كيف وهو خالقهما جلّ جلالـه ، وما الـزمان إلاّ حركة المادة بكل صورها وأعراضها ، ولـو كانت تفكراً يجريـه العقل ، فمـا هو إلاّ حـروف أو معان تتتـالى وتتداعىٰ ، فـإذا وقفت المادة عن الحـركة : انقـطع الزمـان واندثر .

أما زمان لا يتناهى فهذا حكم ذهني خيالي ، لا وجود له في الخارج .

قـال ابن رشـد في «فصـل المقـال» «الزمان عنـدهم ـ أي المتكلمين ـ شيء مقارن للحركات والأجسام» ا هـ المراد .

أما المكان فهو وجود المادة ، فإذا أندثرت ، فلا مكان .

قال الغزالي في «معـراج السالكين» : قـد تبرهن في العلم الـطبيعي : «انه لا يجوز أن يكون عالم خارج الكرة التاسعة ، وأن لا خلاء البتة» .

وستأتي كلمة ابن رشد في الجهة .

وقال الشيخ محـي الـدين في كلمته السـابقة في مـراتب الحروف : «قـد تقرر بالبرهان العقلي خلقة الأمكنة والأزمنة والجهات» .

(*) من الطبعة السابقة .

وقال غير ذلك : أنظرها .

وقال الإمام أبو المعين النسفي في «بحر الكلام» في تقرير عقيدته في الله تعالىٰ : «لم يزل كائناً قبل أن يخلق المكان ، وقبل أن يخلق الوقت والزمان ، ثم انه خلق الوقت والعرش واستوىٰ على العرش ، وهو مستغن عن العرش ، وليس العرش له بمستقر ، ولا بمكان ، بل هو ممسك العرش والمكان ، وهو أعظم من أن يسعه المكان ، وهو فوق كل مكان . . .» الخ .

وروي عن سيدنا الإمام علي (كرم الله وجهه) أنه سئل : «أين كان ربنا قبل أن خلق العرش ؟ فقال (رضي الله عنه) : أين السائل عن المكان ؟ . : كان الله ولا مكان ولا زمان ، وهو الآن كما كان» ا هـ .

ونقل عنه في بعض خطبه في وصف الله تعالىٰ : «ما أختلف عليه دهر فيختلف منه الحال ، ولا كان في مكان فيجوز عليه الإنتقال» والنصوص كثيرة ، وكتب الكلام مشحونة بتنزيهه تعالىٰ عن الزمان والمكان ، ويكفي التمعن في اسمه تعالىٰ : الأول ، والآخر ، والمبديء والخالق .

ومما يبرهن ذلك من الكتاب ، فضلاً عن الأسماء الحسنىٰ قوله تعالىٰ : **﴿الله خالق كل شيء﴾**[1] **﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾**[2] **﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾**[3]**﴿أو لا يذكر الإنسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾**[4] وغير ذلك من الآيات الكريمة .

وفي لفظ حديث ابن عمر : رأيت رسول الله (ص) على المنبر وهو يقول : «يأخذ الجبار سمواته وأرضه ، وقبض بيده وجعل يقبضها ويبسطها ، ويقول : أنا الرحمن ، أنا الملك ، أنا السلام ، أنا المؤمن ، أنا المهيمن ، أنا العزيز ، أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئاً ، أنا الذي أعدتها أين المتكبرون ؟ أين الجبارون ؟» .

والحديث مروى في الصحيح ، والمسانيد وغيرهما بألفاظ يصدق بعضها بعضاً .

---

(١) سورة الزمر ؛ الآية : ٦٢ .

(٢ ، ٣) سورة القمر ؛ الآيات : ٤٩ ، ٥٠ .

(٤) سورة مريم ؛ الآية : ٦٧ .

وثبت في صحيح البخاري ، عن عمـران بن حصين ، عن النبي (ص) أنـه قـال : «كان الله ولم يكن شيء غيـره ، وكان عـرشه على المـاء ، وكتب في الذكـر كل شيء ، وخلق السموات والأرض» .

وفي رواية له : «كـان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عـرشه على المـاء ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب في الذكر كل شيء» .

وفي رواية لغيره صحيحة : «كان الله ولم يكن شيء معـه ، وكان عـرشه على الماء ، ثم كتب في الذكر كل شيء» .

ولرب قائل يقول فمـا بال قـوله تعـالىٰ : ﴿إن ربكم الله الذي خلق السمـوات والأرض في ستـة أيـام ثم استـوىٰ على العـرش يغشي الليـل النهار يـطلبه حثيثاً والشمس والقمـر والنجوم مسخـرات بأمـره ألا له الخلق والأمـر تبارك الله رب العـالمين﴾[1]، وقـوله: ﴿يـدبـر الأمـر من السمـاء إلى الأرض ثم يعـرج إليـه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾[2] .

وفي صحيح مسلم ، عن عبد الله بن عمـرو ، عن النبي (ص) أنه قـال : «ان الله قـدر مقـاديـر الخـلائق قبـل أن يخلق السمـوات والأرض بخمسين ألف سنـة ، وكان عرشه على الماء» .

وقـولـه (ص) في خـطبـة الـوداع «إن الـزمـان استـدار كهيئتـه يـوم خلق الله السموات والأرض» وغير ذلك .

فنقـول : ان الله تعـالىٰ يقـول : ﴿ألا لـه الخلق والأمـر﴾ ثم يقـول : ﴿إنمـا قـولنـا لشيء إذا أردنـاه أن نقـول لـه كن فيكـون﴾ ﴿ومـا أمـرنـا إلاّ واحـدة كلمـح بالبصر﴾ ﴿كلمح البصر أو هو أقرب﴾ فما كان من شـأنه سبحـانه وأمره فلا قيد له من زمن وإن قل ، لأنه نفى عنه الزمن بقوله : ﴿كلمح البصر أو هو أقرب﴾ .

أما ما كان من شأن خلقه فهو مقيد بالزمن ، والله تعالىٰ أعلم .

السـادس : كلمة ابن رشـد في كتابـه «الكشف عن مناهـج الأدلة» فـإنها تعين على فهم المـراد : قـال في ص ٦٧ : والشبهـة التي قـادت نفـاة الجهـة إلى نفيهـا

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ٥٤ .

(٢) سورة السجدة ؛ الآية : ٥ .

هي انهم اعتقدوا ان إثبات الجهة يوجب إثبات المكان ، وإثبات المكان يوجب إثبات الجسمية .

ونحن نقول : «ان هذا كله غير لازم ، فإن الجهة غير المكان ، وذلك أن الجهة هي إما سطوح الجسم نفسه المحيطة به ، وهي ستة . وبهذا نقول : ان للحيوان فوق وأسفل ويميناً وشمالاً وأمام وخلف ، وأما سطوح جسم آخر محيط بالجسم ذي الجهات الست .

فأما الجهات التي هي سطوح الجسم نفسه ، فليست بمكان للجسم نفسه أصلاً . وأما سطوح الأجسام المحيطة به ، فهي له مكان ، مثل سطوح الهواء المحيطة بالإنسان ، وسطوح الفلك المحيطة بسطوح الهواء ، هي أيضاً مكان للهواء ، وهكذا الأفلاك بعضها محيطة ببعض ومكان له . وأما سطح الفلك الخارج فقد تبرهن أنه ليس خارجه جسم ، لأنه لو كان كذلك لوجب أن يكون خارج ذلك الجسم جسم آخر ، ويمر الأمر إلى غير نهاية ، فإذا سطح آخر أجسام العالم ليس مكاناً أصلاً ، إذ ليس يمكن أن يوجد فيه جسم ، لأن كل ما هو مكان يمكن أن يوجد فيه جسم ، فإذن ان قام البرهان على وجود موجود في هذه الجهة ، فواجب أن يكون غير جسم ، فالذي يمتنع وجوده هنالك هو عكس ما ظنه ، وهو موجود ، هو جسم ، لا موجود ، ليس بجسم . وليس لهم أن يقولوا ان خارج العالم خلاء ، وذلك أن الخلاء قد تبيّن في العلوم النظرية امتناعه ، لأن ما يدل عليه اسم الخلاء ليس هو شيء أكثر من أبعاد ليس فيها جسم ، أعني طولاً وعرضاً وعمقاً ، لأنه إن رفعت الأبعاد عنه عاد عدماً ، وان أنزل الخلاء موجوداً : لزم أن تكون أعراض موجودة في غير جسم ، وذلك أن الأبعاد هي أعراض من باب الكمية ولا بد ، ولكنه قيل في الآراء السالفة القديمة ، والشرائع الغابرة : أن ذلك الموضع هو مسكن الروحانيين ، يريدون الله والملائكة . وذلك أن ذلك الموضع ليس هو بمكان ، ولا يحويه زمان . . .» الخ . وبه يتضح نفي الزمان والمكان .

السابع : الحديث : «البيت المقدس أرض المحشر والمنشر» رواه ابن ماجه ، لعله المقصود بما جاء في ص ٤٢(*) من هذه الرسالة ، ومن المعلوم أن

(*) هذا في المطبوعة التي راجعنا عليها ، وأما في هذه ، فالتمسها عن قوله «إشارة» قوله تعالى : ﴿اخلع نعليك﴾ .

بعثة الخلائق وحشرهم يكون من الأرض المقدسة» الخ .

الثامن : أما كرية الأرض ، فمن بعض براهينها من الكتاب قوله تعالىٰ : ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ ومن السنة قوله (ص) في الحديث المروى في الصحيح والمسانيد وغيرهما بألفاظ يصدق بعضها بعضاً ، وفي بعض ألفاظه ، قال : «قرأ على المنبر ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ الآية قال : مطوية في كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة» وفي لفظ «يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده ، فيجعلهما في كفه ، ثم يقول بهما هكذا كما تقول الصبيان بالكرة : أنا الله الواحد» .

وفي الشاهد : شكل ظل الأرض الدائري على القمر في الخسوف وغير ذلك ، وكتب السلف مشحونة بهذه المسألة . وأعجب لمن رمي علماء المسلمين بإنكارها ، وهي بديهية عندهم ، وتفاخر بالبهتان إذ جعل السبق في معرفة ذلك للغرب .

ذكرت هذا لمناسبته لدوران الأرض ـ البند الخامس ـ والله تعالىٰ أعلم . والحمد لله حمداً كثيراً خالداً مع خلوده . . .

أبو بكر مخيون
بابي حمص ـ بحيرة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الواحد بذاته وصفاته . المنزه في أحديته عن مشابهة مخلوقاته . وصلواته على محمد عبده ورسوله ، الموضح بسنته متشابه آياته . الباقي مدده لأوليائه بعد مماته كما كان لهم في حياته . وعلى آله وصحبه الذين كان أحدهم إذا زاره في قبره سلم عليه ، ورفع يديه كما كان يرفعهما عند أفتتاح صلاته[1] وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد : فقد سألتني ـ أرشدني الله وإيّاك ـ عن أمر عظيم في هذا الزمان خطبه وعم ضرره ، وهو ما تظاهر به بعض المبتدعة المنتسبين زوراً وبهتاناً إلى الحديث والفقه ، وأشاعه في العامة والخاصة من اعتقاد ظواهر الآيات المتشابهة في أسمائه تعالى وصفاته ، من غير تعرض لصرفها عما لا يليق بجلاله وكبريائه ، ويوهم التشبيه والتجسيم ، ويزعم أنه في ذلك متمسك بالكتاب والسنة ، وماش

---

(١) روى القاضي عياض في الشفاء جـ ٢ ص ٧٦ قال بعضهم رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي (ص) ، فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة ، فسلم على النبي (ص) ، ثم انصرف .

قال شارح الشفاء «علي القاري» تعليقاً : لا يعرف استحباب رفع اليدين في ذلك المقام عن أحد من الأعلام ، ولعله دعا الله سبحانه وتشفع به (ع)» اهـ .

وفي الزرقاني على المواهب جـ ٨ : روى البيهقي في كتاب «حياة الأنبياء» وصححه وغيره كأبي يعلى ، والبزار ، وابن عدي ، من حيث أنس أنه (ص) قال : «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» اهـ مخبون .

في طريقة السلف الصالح ، ويشنع على من تعرض إلى شيء منها بتأويل ، أو صرفه عن ظاهره بدليل ، إلى ما تعارف في عرف العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، وبنسبة في ذلك إلى مخالفة الصحابة والتابعين (رضوان الله عليهم أجمعين) ، لكونهم ما نقل عنهم التعرض لشيء من ذلك ، وقد ضل وأضل كثيراً ، وما يضل به إلّا من هو قاصر الفهم ضعيف النور .

وحيث : سألتني عن ذلك ، ورغبت في إملاء شيء عليك ، فلا بد من الإجابة على سبيل النصيحة لله تعالىٰ ولرسوله (ص) ، ولأئمة المسلمين وعامتهم (رضي الله عنهم أجمعين) .

فاعلم ـ أمدني الله وإيّاك بمدد توفيقه ـ أن من أجل منح الله تعالىٰ على عبده : طهارة قلبه وسلامة فطرته ، وقلة منطقه ، فإنه بذلك يلقن الحكمة ، ويسمع هواتف الحق في كل نفس من أنفاسه ، ويضيء له في ليل المتشابه مصباح المحكم ، فيرسخ قدم صدقه في معرفة ربه سبحانه ، ويحيي بلده الطيب بغيث الهدى والعلم، فيخرج نباته بإذن ربه : **﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾** ويسلك بنحل أفكاره سبل الإستقامة ، فيخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس .

وقد كان للصحابة (رضي الله عنهم) من هذا المشرب أصفاه وأعذبه ، ومن العلم بالكتاب والسنة أزكاه وأطيبه ، وكيف لا يكونون كذلك وقد تليت عليهم آيات الله وفيهم رسوله ، ولهم من الاعتصام بالله ما ضمنت لهم به الهداية والاستقامة : **﴿ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾** يعلمون الناسخ والمنسوخ بالمعاصرة ، وأسباب النزول بالوقائع ، ويفهمون ما أودع في مواقع التركيب وأساليب البيان بالطباع ، يردون ما أختلفوا فيه إلى الله والرسول ، فيعلمه الذين يستنبطونه منهم ، وهم الراسخون في العلم وأولو الأمر ، يتدبرون القرآن ويردون المتشابه إلى معنىٰ المحكم ، **﴿يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾** فلا اختلاف فيه **﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾** ولأجل ذلك لم ينقل عنهم اعتناء بإيضاح آيات الأسماء والصفات ، ولا أكثروا السؤال عنها بعدم أشكالها بحسب لغتهم ، ولاتساع مجال افهامهم في معانيها الصحيحة ، وكان من أدبهم (رضي الله عنهم) أن لا يثق أحد بفهمه في استيعاب المراد منها ، فسكتوا عنها مفوضين إلى كل فهم صحيح ما منحه الله تعالىٰ من الاتساع الموافق للغة

والآيات المحكمة ، كما في صحيح البخاري(١) وغيره عن أبي جحيفة قال : «قلت لعلي (رضي الله عنه) هل عندكم كتاب ؟ قال : لا ، إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة» .

وفي بعض الروايات «إلا ما يعطيه الله عبده فهماً في القرآن» فلما انقطع بموته (ص) عن ظواهر الأسماع مدد روح الوحي ، وعفت عهود الوقائع بانقراض علماء الصحابة (رضي الله عنهم) ، وضعف استنباط المتشابه من المحكم بمخالطة النبط وانعجم المعنى الواضح بملابسة العجم ، وحصل التمريج(٢) في القلوب فزاغت وحجبت عن هواتف الغيب ، وكثر الكلام فيما لا يعني ، فقل أبناء الحكمة ، فهنالك ظهرت أرباب البدع ، وأشكل معنى المتشابه ، فاتبعه من في قلبه زيغ ، وكاد الأمر يلتبس لولا ما أيد الله به هذه الأمة من العلماء الوارثين ، والسلف الصالح ، فنهضوا لمناظرة أرباب البدع ، وتخطئتهم ، وحل شبههم ، ونهوا الناس عن اتباعهم وعن الاصغاء إليهم ، وعن التعرض بالآراء للمتشابه ، وحسموا مادة الجدال فيه والسؤال عنه ، سداً للذريعة واستغناء عنه بالمحكم ، وأمروا بالإيمان به وبامراره كما جاء من غير تعطيل ولا تشبيه(٣) وكان هذا في عصرهم مغنياً ، لولا أن المبتدعة دونوا بدعهم ونصبوا عليها أشراك الشبه والأهواء المضلة ، فوفق الله الراسخين من علماء السنة فدونوا في الرد عليهم الكتب الكلاميّة ، وأيدوها بالحجج العقلية والبراهيم المنيرة من الكتاب والسنة ، إلى أن أظهر الله الحق على ألسنتهم ، وقمع أهل الباطل والزيغ ، وأطفأ نار البدع والأهواء ، فجزاهم الله عن نصيحة هذه الأمة أفضل الجزاء .

ولنشرع في بيان ما سألته على سبيل الإجمال ، ثم على سبيل التفصيل :

فاعلم ـ هداني الله وإيّاك لما اختلف فيه من الحق بإذنه ـ ان ربنا سبحانه وتعالى : حي ، متكلم ، عالم ، مريد ، قدير ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ أحدي فلا أين ، ولا تركيب لذاته أزلي فلا كيف ولا ترتيب لصفاته ، أبدي فلا تناهي لجلاله وإكرامه ، تنزه في سمعه وبصره وادراكه وبطشه عن

---

(١) في كتاب العلم ، اهـ مخيون .

(٢) النسخة الشامية «التمرج» اهـ مخيون .

(٣) لقوله تعالى : ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾ سورة آل عمران ؛ الآية : ٧ .

الجوارح ، وعز في قدرته عن الشريك والمعين ، وجل في إرادته عن الأغراض ، وتفرد في كلامه عن الحروف والأصوات ، وتعالى في استوائه عن التشبيه والكون ، وتقدس في علوه وفوقيته عن الجهات ، ينزل بلا نقلة ، ويجيء ويأتي بلا حركة ، وتراه أبصار المؤمنين بلا ادراك ولا إحاطة ، لا حد لقربه ، ولا ميل لحبه ، ولا سورة لغضبه ، ولا كيف له في رضاه وضحكه ، ولا شفعية إلاّ لمعيته ، ولا وترية إلاّ بظهور قهره وأحديته ، ولا بقاء إلاّ لأهل عنديته .

نفسه تعالىٰ : ذاته وأم كتابه[1] .

ووجهه : نور توحيده عند إقباله .

وصورته : مظاهر تعرفاته .

وظلل غمامه ، ويده ، ويداه ، وأيديه : أسماء حقائق ، يتصرف بها في مخلوقاته .

وعينه ، وأعينه : آياته المبصرة القائمة بالحفظ والرعاية للمخصوصين من عباده .

وقدمه : قدم الصدق الذي بشر به عباده المؤمنين .

وجنبه : صحبته وكلاءته للذاكرين من أتباع النبيين .

وهو الأو والأخر : فما من عرض ولا جوهر إلاّ هو مبدوء بأوليته ، مختوم بأخريته .

وهو الظاهر : بحكمه في محكمه ، الباطن بعلمه في متشابه آياته وحكمه .

ظهر بمعيته في باطن وتريته[2] فنشأت أعداد مصنوعاته ، وبطن بقدم أحديته

(١) في النسخة الشامية : «أو أم كتابه» ، وفي تعريفات السيد ، أم الكتاب : العقل الأول ، وفي «الإنسان الكامل» : ما هية كنه الذات . ا هـ مخبون .

(٢) الحديثان «الأول» : «ان الله وتر يحب الوتر» متفق عليه بين البخاري ومسلم ، في الصحيحين .

«والثاني» روى الإمام مسلم في صحيحه في باب «ما يقول عند النوم» من حديث جاء فيه : «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء» وقوله ظهر بمعيته الخ انظر ثاني التنبيهات ، وسيأتي مزيد بيان . ا هـ مخبون .

في أسماء الحوادث ، فرجعت بحقائق هوياتها إليه ﴿ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه﴾ .

لا شريك له في ملكه ، وهو يؤتي الملك من يشاء ، ولا مثل له في كنهه «وله المثل الأعلىٰ» تقدس عن النظير في الدنيا والآخرة ، ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾(١) وتنزه عن الجهات ﴿وهو الله في السموات﴾ وتعالىٰ عن التشبيه ، وله الآيات المتشابهات ، يجتني معانيها أهل قربه في رياض جنات ذكره ، ﴿كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾ .

هذا ما فتح الله به : على سبيل الإجمال .

وأما التفصيل : فلنقدم عليه مقدمة تكون بمثابة القاعدة والتمهيد له : وهو : انه ليس في الوجود فاعل إلّا الله ، وأفعال العباد بجملتها ـ عند أهل السنة والجماعة ـ منسوبة الوجود والاختراع إلى الله تعالىٰ ، بلا شريك ولا معين ، فهي على الحقيقة فعله ، وله بها عليهم الحجة ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾(٢) .

ومن المعلوم أن أفعال العباد لا بد فيها من توسط الألات والجوارح ، مع أنها منسوبة إليه وبذلك يعلم أن لصفاته في تجلياتها لعباده مظهرين : مظهر عادي سفلي ، منسوب لعباده ، وهو الصور والجوارح الجسمانية(٣) ومظهر حقيقي علوي منسوب إليه ، وقد أجرى عليه أسماء المظاهر السفلية المنسوبة لعباده على سبيل التقريب لأفهامهم ، والتأنيس لقلوبهم ، ونبه تعالىٰ في كتابه على القسمين ، وانه سبحانه منزه عن الجوارح في الحالين ، فنبه على الأول بقوله تعالىٰ : ﴿قاتلوهم

---

(١) سورة القيامة ؛ الآيتان : ٢٢ و ٢٣ .

(٢) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٢٣ .

(٣) قوله : مظهرين الخ نسبة الجوارح هنا له تعالىٰ بغير الخلق والملك : كلام ليس محققاً مطلقاً ، أو ليس مقصوداً به ظاهره ، لأنه لو كان حقيقة لكانت يد أي مخلوق مثلاً في منتهىٰ القوة والبطش ، وقس على ذلك بقية الجوارح ونسبتها إليه تعالىٰ كما في قوله تعالىٰ : ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ نسبة خليقة لخالق ، لا صفة لموصوف ، لذلك قال الشيخ : «مع القطع الضروري» الخ ، وربما كان هذا من قبيل ما تضيق عنه العبارة ، مما أشار له الغزالي بقوله في المقدمة : ولا يحاول معبر أن يعبر عنها إلّا اشتمل لفظه على خطأ صريح . اهـ مخبون .

يعذبهم الله بأيديكم﴾[1] وذلك يفهم أن كل ما ظهر على أيدي العباد ، فهو منسوب إليه ، وفعل له ، وأن جوارحنا مظهر له ، وواسطة فيه ، فهو على الحقية الفاعل ، بجوارحنا ، مع القطع الضروي لكل عاقل ، ان جوارح العبد ليست جوارح لربنا تعالىٰ ، ولا صفات له .

ونبه على الثاني بقوله فيما أخبر به نبيه (ص) في صحيح البخاري : «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها» الحديث .

وقد حقق الله لنبينا (ص) ذلك بقوله تعالىٰ : ﴿أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات﴾[2] بعد قوله : ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾[3] وبقوله عزّ من قائل : ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾[4] فنزل يد نبيه منزلة يده في المبايعة وأخذ الصدقات والرمي في قوله : ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾[5] وذلك كله يفهم أن العبد إذا صار محبوباً صارت أفعاله ناشئة عن أنوار علوية روحانية من عند ربه ، تكون له بمثابة الجوارح ، وأن الله سبحانه يكون له بواسطتها سمعاً وبصراً ويداً ورجلاً ، مع القطع الضروري أن الله سبحانه لا يكون جارحة لعبده ، ولكن سر الأمر في تحقيق ذلك : ان الله جلت حكمته ضرب لنفسه في دوائر ملكه مثلاً بالقلب في دائرة بدنه[6] ومن المعلوم لكل أحد : أن المتصرف في دائرة بدنه هو قلبه ، ونور شامل لجميع أجزائه ، وروح الحياة منه شائعة في سائر أقطاره ، وأن الجوارح مظاهر لأنوار القلب وتصرفاته ، فبنوره تبصر العين ، وتسمع الأذن ، ويشم الأنف ، ويذوق اللسان وينطق ، وتلمس الجوارح وتبطش ، مع العلم الضروري بأن الجوارح صفات للبدن ، وليست صفات للقلب ، ولا تعلق لها به ، ولا تنسب إليه إلّا نسبة الاتباع والعبيد للملك المطاع .

---

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ١٤ . (٢ ، ٣) سورة التوبة ؛ الآيتان : ١٠٣ و١٠٤ .

(٤) سورة الفتح ؛ الآية : ١٠ .

(٥) سورة الأنفال ؛ الآية : ١٧ .

(٦) قوله ضرب لنفسه الخ : لعل تفسيره ما بعده ، وهو أن القلب هو المتصرف في دائرة البدن ، وعلى كل حال، فالعبارة ليست دقيقة ، لأن الشيخ لم يبيّن من أين مضرب المثل ، إذ ظاهر انه استنبطه اجتهاداً ، والله أعلم . مخيون .

ثم أن القلب إن غلب عليه التوجه إلى عالم الشهادة تصرف بالجوارح ، فصار يرى بالعين ، ويسمع بالأذن ، ويبطش باليد ، وهو مثل قوله تعالى : ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾[1] وإن غلب على القلب التوجه إلى عالم الغيب استتبع الجوارح ، فصارت هي متصرفة به ، فتصير العين تبصر بالقلب ، وكذلك باقي الحواس والجوارح، وهو مثل قوله : ـ كنت سمعه الذي يسمع به ـ الى آخره فافهمه ، فإنه بديع ، وسيأتي إن شاء الله في التفصيل ما يؤيده ويزيده وضوحاً ، وبهذا يتسع لك فهم ما جاء من الجوارح منسوباً إلى أفعاله تعالىٰ وصفاته ، فلا تشتبه بعد هذا عليك ، ولا تفهم من نسبتها إليه تشبيهاً ولا تجسيماً ، بل تفهم ان مثل النسبة إليه فيها كمثل نسبة الجوارح للقلب ، وان ذاته المقدسة متعالية عن الاتصاف بها لأن الجوارح يلزمها الحدوث ، وذاته تعالىٰ واجبة القدم ، وكل ما كان واجب القدم : استحال عليه العدم .

وإنما الروح الأصلي الذي هو منشأ عالم الأمر هو مصباح نور التوحيد ، قال تعالىٰ : ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلاّ أنا﴾[2] وبهذا الروح يتجلىٰ سبحانه لعباده بأسمائه وصفاته المحكمة والمشابهة .

ومن المعلوم أنه قد ثبت قوة التطور في الصور المختلفة للملائكة ، وهم من رقائق هذه الروح ، فلأن يكون له قوة التجلي بأي صورة شاء أولى ، وتصح نسبة تلك الصورة إلى الله لتجليه فيها ، كما سيأتي تحقيقه في صفة المجيء والصورة وغيرها .

وها أنا إن شاء الله تعالىٰ أشرع في تفصيل الصفات المتشابهة ، وليس المقصود ذكر البراهين التي هي مدونة في الكتب الكلاميّة ، وإنما المقصود «رد المتشابه إلى المحكم» على القواعد اللغوية ، وعلى مواضعات العرب ، وما كان يفهمه الصحابة والتابعون من الكتاب والسنة ، وتلويحات وتصريحات من الكتاب والسنة .

هذا تمام المقدمة ، ولنشرع في التفصيل ، مع بسط يد الفاقة والإفتقار ، عسىٰ أن يهديني ربي سواء السبيل .

---

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ١٤ .

(٢) سورة النحل ؛ الآية : ٢ .

فصـل الصورة

من المتشابه في الآيات[1] التي يذكر فيها الصـورة ، والأولى تقديمهـا ، لأنها اسم جامع لبـاقي الحقائق في غيـرها ، فمـا يصح في ذلـك ما رواه البخـاري وغيره من حديث الرؤية[*] عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ، وفيـه «فيأتيهم ربهم في غيـر الصورة التي يعرفونها ، فيقول : أنا ربكم ، فيقـولون نعـوذ بالله منـك ، هذا مكـاننا حتى يأتينا ربنـا ، فإذا أتى ربنـا عرفنـاه ، فيأتيهم في الصـورة التي يعرفـون ، فيقول أنـا ربكم ، فيقـولـون : نعم ، أنت ربنـا فيتبعـونـه»[2] وقـد ثبت ذكـر الصـورة في

(١) لعله يريد : «في الأحاديث» . مخيون .

(*) ليس المقصـود أن الحديث غيـر صحيح ، وإنمـا المقصود : أن المعنى الـذي يفهمه كثيـر من الناس من هذه الأحاديث غير صحيح .

(٢) في صحيح مسلم في كتاب الإيمان باب الرؤية (فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون ، فيقـول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، فيتبعونـه) الخ ، وفي البخـاري في باب فضـل السجود (فيـأتيهم الله فيقولـون : أنا ربكم فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، فيدعوهم) .

وفيه ، في صفة الجنـة (فيأتيهم الله في غيـر الصـورة التي يعـرفـون ، فيقـول : أنـا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا أتانا ربنـا عرفنـاه ، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولـون : أنت ربنا ، فيتبعـونه) . قـال العيني في شرحه : (أما ذكر الصورة ، فإنها تقتضي الكيفية ، والله منزه عن ذلك ، فيقـول : أما بـأن تكون الصورة بمعنى الصفة ، كقولك صورة هذا الأمر كذا ، تريد صفتـه ، وأما بـأنه خـرج على نوع من المطابقة ، لأن سائر المعبودات المذكورة لها صورة ، كالشمس وغيره) ، ا هـ مخيون .

حديث أبي سعيد أيضاً ، وهو من الأحاديث المتشابهة ، ومرجعها إلى الأيات والأحاديث المحكمة ، وكل من له من الله نور ، له في مرجعها إلى المحكم فهم على حسب نوره .

ونحن إن شاء الله نذكر مبلغ علمنا وفهمنا فيه ، ونسأل الله أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق باذنه .

فاعلم : ان للصور التي يأتي فيها ربنا يوم القيامة حقيقة ومظهراً ، فالحقيقة هي الظلة في قوله تعالى : ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾[1] فعلم بذلك : ان مظاهر تجليه لعباده هي ظلل غمامه ، وحقائق هذه الظلل آياته التي تعرف لخلقه فيها بواسطة أنبيائه .

وقد ثبت في الصحيح تشخص حقائق آياته ، كالظل ، ففي مسلم وغيره من حديث أبي أمامة ، وحديث النواس بن سمعان ان القرآن يوم القيامة يأتي تقدمه البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوتان[2] .

ومن المعلوم أن كلامه صفته ، وصفته لا تفارقه[3] .

فإذا ثبت أتيانهما في صورة ظل الغمام ، ثبت أتيانه .

وفي مسلم وغيره : «أن أسيد بن حضير (رضي الله عنه) قرأ سورة الكهف ليلة ، فجالت فرسه فإذا مثل الظلة فوق رأسه ، فيها أمثال السرج ، فسأل النبي (ص) فقال : ان السكينة تنزلت للقرآن» .

وفي رواية الترمذي «مع القرآن» . وفي رواية «تلك الملائكة كانت تسمع

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١٠ .

(٢) ولفظ الحديث ـ من الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير جـ ٣ ص ٤٠٦ :
«يأتي القرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران : يأتيان كأنهما غيابتان ، وبينهما سرف [أو كأنهما غمامتان سوداوان] أو [كأنهما ظلتان من طير صواف] : يجادلان عن صاحبهما» رواه الإمام مسلم ، وأحمد ، والترمذي .

(٣) قوله «وصفته لا تفارقه» قال الإمام الدردير في الخريدة :

وكلها قديمة بالذات ... لأنها ليست بغير الذات

قال في شرحه : «لأنها ليست بغير الذات» العلية ، بمعنى أنها لا تنفك عنها ، فلا يعقل قيام الذات بدونها ، ولا وجودها في غير الذات المقدس» الخ ، مخيون .

لك» وذلك كله موافق لآية البقرة[1] ، ونفرة الفرس دليل على أنها ظلة محسوسة ، وقد ثبت رؤيا النبي (ص) للظلة ، وتأويل أبي بكر (رضي الله عنه) لها بالإسلام ، وذلك كله يحقق أن حقائق الظلل هي : آيات الله وشرائعه ، وهي من الروح ، كما قدمته لك ، قال تعالى : ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾[2] الآية .

والظلة قسمان : ظلة عذاب ، وظلة رحمة .

وظلة العذاب : كظلة قوم شعيب في قوله تعالى : **﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾**[3] وقد ضرب الله سبحانه المثل بذلك في القرآن ، في قوله تعالى : **﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق﴾**[4] الآية .

وأما ظلة الرحمة : فهي آياته المقتضية للرحمة ، النازل غيثها على قلوب المؤمنين . كما صح في البخاري ومسلم وغيرهما ، وقوله (ص) : «إن مثلي ومثل ما بعثت به من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب أرضاً» الحديث ، فهذا هو مظهر الحقيقة .

وأما مظهر الصورة فهو العمل .

وقد ثبت تشخيص الأعمال بصور شتى ، كما في حديث البراء (رضي الله عنه) باسناد صحيح ، أخرجه المسانيد كالإمام أحمد وغيره : (إن الميت المؤمن يفسح له في قبره مد بصره ، ويمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه ، طيب الريح ، حسن الثياب ، فيقول له : من أنت ؟ فيقول له : أنا عملك الصالح ، وإن الفاجر يمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه ، منتن الريح ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا عملك) الحديث ، وقد صح تمثيل الموت بصورة الكبش ، وتمثيل المال بصورة الشجاع[5] الأقرع ، وتمثيل الملائكة (صلوات الله وسلامه عليهم) بصورة الآدميين ، والسنة مشحونة بنحو ذلك ، ومن المعلوم ان الأعمال أعراض ، فإذا ثبت ظهورها وتمثلها بصورة الجواهر والأجسام ، مع القطع بأنها

---

(١) سورة البقرة؛ الآية : ٢١٠ .
(٢) سورة الشورى ؛ الآية : ٥٢ .
(٣) سورة الشعراء ؛ الآية : ١٨٩
(٤) سورة البقرة ؛ الآية : ١٩ .
(٥) الشجاع [بضم الشين وكسرها] الحية الذكر ، وقيل الحية مطلقاً ، ا هـ نهاية ، ا هـ مخبون .

ليست جسماً ولا جوهراً ، وان الملائكة ليسوا بآدميين ، فعلىٰ مثل ذلك قس اتيان ربنا سبحانه في صورة الأعمال ، فالمقصود من ذلك كله تقريب المراد إلى الافهام ، وهو شائع في اللغة معروف في مواضعات العرب واستعمالاتهم ، وانه لا يلزم من اتيانه في صورة الأعمال أن يكون له تعالىٰ صورة ، ولا يلزم من نسبتها واضافتها إليه أن تكون ذاتية له ، كما قد ثبت نسبة اليدين والركبتين إلى جبريل (ع) ، في حديث عمر (رضي الله عنه) ، عند مسلم وغيره ، في قوله (طلع علينا رجل شديد بياض الثياب) إلى قوله (فأسند ركبتيه) الحديث[1] .

ومن المعلوم : أن الركبتين واليدين التي جاء بها جبريل جسمانيات وليست ذاتية له .

وبهذا يعلم : ان رؤية العباد لربهم يوم القيامة مختلفة النعيم .

فكل يراه في صورة عمله ، على حسب مراقبته واخلاص توجهه إليه وصدقه في إقباله عليه .

تنبيه : إذا علمت أن حقيقة الصورة آياته التي تعرف بها إلى خلقه ، فنزل على ذلك ما صح من أن الله خلق آدم على صورته[2] فإن الإنسان قد جمع الله

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ مختلفة ، اهـ مخيون .

(٢) في البخاري «أول حديث في كتاب الاستئذان» وفي مسلم كتاب الجنة صفة نعيمها وأهلها ، والإمام أحمد في مسنده : خلق الله آدم على صورته ، وطوله ستون ذراعاً ، ثم قال : اذهب فسلم على أولئك النفر ، [وهم نفر من الملائكة جلوس] فاستمع ما يحيونك ، فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، فذهب فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه «ورحمة الله» فكل من يدخل الجنة على صورة أدم في طوله : ستون ذراعاً ، فلم يزل الخلق تنقص بعده حتى الآن .

أما الرواية الأخرىٰ : «ان الله خلق آدم على صورة الرحمن» أخرجها الطبراني ، وابن عاصم ، من قاتل فليجتنب الوجه ، فإن صورة الإنسان على صورة وجه الرحمن ، وباسناده ثقات ، فتعين إجراؤه على ما تقرر بين أهل السنة من أمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه أو تأويل على ما يليق بالرحمن جل جلاله ، فتكون اضافتها على سبيل الملك تشريفاً ، أو يكن المراد بالصورة الصفة ، والمعنىٰ : ان الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك ، وإن كانت صفات الله لا يشبهها شيء . اهـ باختصار عن استحالة المعية بالذات ، مخيون .

وللحديث سبب ، هو : أن النبي (ص) رأى رجلاً يضرب عبداً على وجهه ، فنهاه عن ذلك . وكلام الصوفية فيه لا يؤخذ على ظاهره .

فيه كل حقائق الكائنات ، فكان مظهراً لأياته الكبرىٰ ، الجامعة لجميع حقائق الآيات ، المتجلية لخلقه بجميع أنواع الأسماء والصفات ، فلذلك قبل تعليم الأسماء ، وسجدت له ملائكة الأرض والسماء ، أي أن الله خلقه على المثالية القابلة لتجلي صورة آيته الكبرىٰ ، وهي التي أريها سيدنا محمد (ص) ليلة الإسراء ، وحققها «روح لا إله إلاّ الله» .

تنبيه : قد جاء في الجامع لأبي عيسىٰ الترمذي : أن النبي (ص) قال : (ان في الجنة سوقاً لا فيها بيع ولا شراء ، إلاّ الصور من الرجال والنساء ، فإذا أراد الرجل صورة دخل فيها)[1] قال الترمذي : حديث غريب .

وإذا نزلته على ما قرّرناه ، علمت أن تلك الصورة : حقائق آيات من آيات أسمائه وصفاته تعالىٰ وأخلاقه ، فما من آية منها تخلق بها العبد في الدنيا ، إلاّ وقد تعرف الله إليه بها ، فإذا دخل الجنة ورآها في سوق المعرفة عرفها ، فدخل فيها ، فكانت زيادة في معرفته بربه ، وتجليه له فيها بنعيم رؤيته .

فإن قلت : فما معنىٰ قوله : «إلاّ الصور من الرجال والنساء» وما مناسبة الرجال والنساء لصور آيات الصفات والأسماء ؟ .

قلت : ما من آية يتخلق بها العبد إلاّ وقد أشتقها الله من اسمه الرحمن ، للرحمة الإيمانية ، وانتقلت إليه ارثاً من أب إيماني أو أم إيمانية ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ وهو أب لهم[2] فلعل هذا معنى قوله «من الرجال والنساء» .

---

(١) رواه الترمذي عن علي ، وصححه : «ان في الجنة لسوقاً : ما فيها شراء ولا بيع إلاّ الصور ، من الرجال والنساء ، فإذا اشتهىٰ الرجل صورة دخل فيها» اهـ مخيون .

(٢) قوله «وهو أب لهم» من المنسوخ ، سورة الأحزاب ؛ الآية : ٦ .

فصـل الوجـه[1]

ومنهـا صفة الـوجه ، وقـد جاء ذكـره في آيات كثيـرة ، فـإذا أردت أن تعـرف حقيقـة مـظهـره من الصـورة ، فـاعلم أن حقيقتـه من غمـام الشـريعـة : بـارق نـور التوحيد ، ومظهره من العمـل وجه الإخـلاص ﴿فأقم وجهك للدين﴾[2] ويدل على أن وجـه الاخلاص مـظهره قـولـه تعـالىٰ : ﴿يـريـدون وجهـه﴾[3] وقـولـه : ﴿إنمـا نطعمكـم لوجه الله﴾[4] وقوله : ﴿إلاّ ابتغاء وجه ربه الأعلىٰ﴾[5] والمراد من ذلك كله الثناء بالاخلاص على أهله تعبيراً بإرادة الوجـه عن اخلاص النيـة ، وتنبيهاً على أنه : مظهر وجهه ، سبحانه ، ويدل على أن حقيقة الـوجه هـو بارق نـور التوحيـد ، قـوله تعـالىٰ : ﴿ولا تدع مـع الله إلهاً آخـر لا إله إلاّ هـو كـل شيء هـالـك إلاّ وجهه﴾[6] أي إلاّ نور توحيده ، وهو نور السمـوات والأرض ، بدليـل قولـه (ص) :

(١) جاء في كتاب «استحالة المعية بالذات» للشيخ محمد الخضر بن مايابي الشنقيطي : وقيل المراد بالوجه القصد ، أي يبقىٰ ما أريد به وجه الله ، وهذا مروى عن الثوري .

وقال الكرماني : قيل المراد بالوجه في الآية والحديث : الذات ، أو الوجود ، أو لفظه زائد ، والوجه الذي لا كالوجوه لاستحالة حمله على العضو المعروف ، فتعين التأويل أو التفويض ، ولو حمل الوجه على ما قاله بعض المشبهة من أنه صفة تختص باسم زائد على الذات : كان المعنىٰ أن ذاته تهلك إلاّ وجهه ، ا هـ مخيون .

(٢) سورة الروم ؛ الآية : ٣٠ .

(٣) سورة الكهف ؛ الآية : ٢٨ .

(٤) سورة الإنسان ؛ الآية : ٩ .

(٥) سورة الليل ؛ الآية : ٢٠ .

(٦) سورة القصص ؛ الآية : ٨٨ .

(أعوذ بوجهك الذي أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة﴾[1] وبهذا يفهم سر قوله ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾[2] .

تنبيه : قوله (ص) في حديث الرؤية (فيأتيهم ربهم في غير الصورة التي يعرفون : أي في ظلمة آيات العذاب ، ومظهر الأعمال السيئات ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، فيستعيذون بالله من تلك الصورة ، كما كانوا في الدنيا ينكرونها ويستعيذون منها .

وقوله : «فيأتيهم في الصورة التي يعرفون» أي في مظهر أعمال البر ، وظلة صفة الرحمة والنبوة التي كانت تحيي قلوبهم بغيث الهدى والعلم ، فيقولون «أنت ربنا» يعرفونه بواسطة تعرفه لهم في الدنيا ، تحقيقاً لقوله (ص) : (أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة)[3] .

---

(١) الدعاء المذكور ضمن دعاء الطائف المشهور (أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك او يحل بي سخطك الخ) أورده ابن إسحاق في السيرة ، ورواه الطبراني في كتاب الدعاء ، ا هـ مخيون .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١١٥ .

(٣) رواه الطبراني ، وأبو نعيم عن أبي هريرة ، ا هـ مخيون .

فصـل الرؤيـة

ومنهـا صفة الـرؤيـة ، وقـد جـاء في غيـر مـ آيـة ، وفي أحـاديث منهـا هـذا الحـديث : قولـه (ص) : (هل تضـارون في رؤية القمـر)[1] وفي روايـة (في رؤيـة الشمس) .

فإذا ثبت تجليه تعـالى في صورة روح الشـريعة ، لم يبق في رؤيتـه أشكال ، وإنما عبر بالقمر والشمس عن حقيقة الوجه ، وهو نور التوحيد .

واختـلاف الروايتين يجـوز أن يكون تنبيهـاً على اختلاف درجـات الـرائين في نعيم الـرؤية ، والمقصـود : ان آيات الله : تتضـح لعباده ، فـلا يكون بينهم وبينهـا حجب تمنعهم عن استكنـاه كنههـا ، والـوقـوف عى بـدائعهـا ، ويجـوز أن يكـون باعتبار الرؤية في البرزخ في وجوده كـالليل ، وآيتـه القمر ، والآخـر كالنهـار ، وآيته الشمس .

قوله : «ليس دونها سحاب» فيه ترقية لأهل المـراقبة ، وذلـك لأن غالب أهـل المـراقبـة لا يشهـدون بقلوبهم عنـد العبـادة والمراقبـة إلاّ ظلل آيـات الشـريعـة ، ويحجبـون بسحـابهـا عن شهـود وجـه ربهـم ، وهـو نـور تـوحيـده ، فـإذا كـان يـوم القيـامـة : كشـف الغـطاء واحتـد البصـر ، فيـرون وجـه ربهم كشمس ليس دونهـا سحاب الأعمال ، ولا ظلل غمام الشرائع ، بل هو أقـرب إليهم من أعمالهم ﴿ولقـد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ الآية[2] .

(١) الحديث في الصحيحين (ق) ، ا هـ مخبون .

(٢) سورة ق ؛ الآية : ١٦ .

تنبيه : وقد أنكر القاضي أبو بكر بن العربي[1] في «الأحوذي» ثبوت نعيم الرؤية في الموقف ، وقال : ان نعيم الرؤية لا تكون إلاّ للمؤمنين في الجنة ، وان ما جاء من الرؤية في الموقف إنما هو على سبيل الامتحان والاختبار .

والذي نعتقده : ثبوت الرؤية ونعيمها للمؤمنين في الموقف ـ على ما صح في الحديث ـ وذلك صريح في قوله تعالىٰ : ﴿**وجوه يومئذ ناضرة* إلى ربها ناظرة**﴾[2] .

تنبيه : لوجه ربنا سبحانه وتعالىٰ رداء ، وله حجب ، وله سبحات .

فأما رداؤه فقد نبه عليه (ص) في حديث عبد الله بن قيس ، عن أبيه[3] (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب : آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلاّ رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن) فالرداء ههنا ـ والله أعلم ـ هو ما يحجب القلوب عن رؤية الرب ، وهو أن يكون في قلبك كبرياء لغيره ، فأهل الجنة ليس لهم مانع من نعيم الرؤية وشهود نور التوحيد ، إلاّ رداء الكبرياء ، فمن كبر في قلبه غير الله ، من غرف أو تحف أو قصور ، أو حور أو مأكول أو مشروب ، أو شيء سواه حجب عن الله ، ومن عرف الله صغر عنده كل شيء ، فارتفع عن بصيرته رداء الكبرياء لكل شيء ، فشهد الله في كل شيء .

وبهذا يظهر لك سر افتتاح الصلاة بالتكبير ، لأن الصلاة حضرة التجلي والمناجاة ، والمراقبة لأنوار سبحات وجهه سبحانه وتعالىٰ .

إثبات : صح في الحديث الصحيح[4] أن غراس الجنة : سبحان الله ،

---

(١) المتوفى سنة ٥٤٣ ، ا هـ مخيون .

(٢) قال الخطابي في «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني ص ٨٤ جـ ٦ الرؤية التي هي ثواب الأولياء وكرامات لهم في الجنة غير هذه الرؤية ، وإنما تعريضهم هذه الرؤية امتحان من الله تعالىٰ ليقع التمييز بين من عبد الله وبين من عبد الشمس ، وغيرها فيتبع كل من الفريقين معبوده ، ا هـ مخيون .

(٣) جنتان من فضة الخ الحديث متفق عليه بين صاحبي الصحيحين ، ا هـ مخيون .

(٤) رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله (ص) : «لقيت إبراهيم (ع) ليلة أُسري بي ، فقال : يا محمد أقرىء أمتك مني السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وانها قيعان ، وأن غرسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلاّ الله ، والله أكبر» ، ا هـ مخيون .

والحمد لله .

وفي الحديث (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قيل : وما رياض الجنة ؟ قال حلق الذكر)[1] .

وفي ذلك اشارة إلى أن نعيم الرؤية يحصل لأرباب القلوب في رياض جنة الأذكار ، وعند المراقبة ، وارتفاع رداء الكبرياء عن وجه التوحيد .

وأما حجبه : فقد ثبت في الصحيح[2] ان «حجابه النور» وفي رواية «حجابه النار» وليس بين الروايتين تناف .

ولك في تأويله سبيلان : أحدهما أن وجهه سبحانه هو الباقي ذو الجلال والإكرام ، فله تجلي بجلاله في حجاب النار ، كما تجلى لموسى (ع) حين آنس من جانب الطور ناراً .

وله تجلي باركامه في حجاب النور ، كما تجلى لمحمد (ص) ليلة الإسراء ، في قوله (ص) «رأيت نوراً»[3] .

وهذان الحجابان لأرباب الخصوص .

التأويل الثاني : وهو لأرباب العموم ، يؤخذ مما قررناه أنه لا فاعل في الكون غيره ، ولا هادي ولا مضل سواه ، يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾[4] فوجه توحيده ، هو الذي ينعم ويهدي بإقباله ، ويعذب ويضل باعراضه ، وله في هدايته واضلاله حجابان ، فحجابه في هدايته النور ، وهو آياته المتجلية للقلوب بواسطة شرائع رسله ، قال تعالى : ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين* يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾

---

(١) رواه الترمذي ، ا هـ مخيون .

(٢) في صحيح مسلم : «حجاب النور» وفي رواية «النار» الحديث في كتاب الإيمان ، ا هـ مخيون .

(٣) الحديث في صحيح مسلم في كتاب الإيمان عن أبي ذر ، قال سألت رسول الله (ص) : هل رأيت ربك ؟ قال «نوراني أراه» وفيه أيضاً عن عبد الله بن شقيق ، قال : قلت لأبي ذر «لو رأيت رسول الله (ص) لسألته ؟ فقال : عن أي شيء كنت تسأله ؟ قال : كنت أسأله : هل رأيت ربك ؟ قال أبو ذر : قد سألت ، فقال : رأيت نوراً» ، ا هـ مخيون .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٣ .

وحجابه في اضلاله النار ، وهي اكتساب الحجب المغشية للقلوب ، الصادة عن سبل الهدى والرشاد من وساوس الشيطان المخلوق من النار : ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾(*).

فقد تبيّن بذلك أن وجه توحيد ، هو الهادي باقباله في حجاب نور الاتباع للمرسل ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾[1] وانه هو المضل باعراضه في حجاب الاتباع لوساوس الشيطان ، وأنه لا تنافي بين قوله : «حجاب النور» وبين قوله : «حجابه النار» ، وبذلك يفهم سر قوله (ص) «اللّهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي بصري نوراً ، إلى قوله : واجعلني نوراً»[2] أي اجعلني من جميع الوجوه نوراً ، دالاً عليك ، وحجاباً يتنعم برؤيتي من أراد التنعم بحسن النظر إليك .

تنبيه : جاء في الصحيح : «إن الله سبعين حجاباً من نور»[3] .

وذلك لا تنافي بينه وبين قوله : «حجابه النور» لأنه جنس يصح لشمول الأفراد وإن تعددت .

(*) سورة المطففين ؛ الايتان : ١٤ و ١٥ .

(١) سورة طه ؛ الآية : ١٢٣ .

(٢) حديث دعاء النور ضمن حديث رواه الترمذي ، وأخرجه البخاري ومسلم ، وابن جنبل والطبراني بألفاظ متقاربة ، اهـ مخيون .

(٣) ذكره الغزالي في «مشكاة الأنوار» : «ان لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره» .

وفي كتاب «التوحيد» لابن خزيمة عن عبيد الله بن مقسم ، أنه ذكر «ان دون الرب يوم القيامة سبعين ألف حجاب : حجاب من ظلمة لا ينفذها شيء ، وحجاب من نور لا ينفذها شيء ، وحجاب من ماء لا يسمع خشيش ذلك الماء شيء ، إلاّ خلع قلبه ، إلاّ من يربط الله على قلبه .

وفيه عن مجاهد قال : «بين الملائكة وبين العرش سبعون حجاباً ، حجاب من نور ، وحجاب من ظلمة ، وحجاب من نور ، وحجاب من ظلمة .

وفي النهاية : ان جبريل (ع) قال : لله دون العرش سبعون حجاباً ، لو دنونا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجه ربنا» وقال : هي في الأصل جمع سبحة : جلاله وعظمته ، وقيل أضواء وجهه ومحاسنه .

وأخرج البيهقي في كتاب «الصفات» عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله (ص) : «دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة ، ما يسمع من نفس شيء من حس تلك الحجب إلاّ زهقت نفسه» ، اهـ مخيون .

والحق ان حجب أنواره لا حصر لها ، لأن ما من شيء إلا وهو حجاب من حجب وجه ربنا ، وآية من آيات وحدانيته .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وبمثل ذلك يفهم قوله تعالى : ﴿الله نور السموات والأرض﴾[١] الآية ، وقوله : ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾[٢] .

وبذلك تعلم أن ذكر عدد السبعين في حجبه ، ليس للحصر .

قال الأزهري وغيره من علماء اللغة : «العرب تضع السبع موضع التضعيف ، وان جاوز السبع» .

وأصله قوله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل﴾[٣] الآية .

وأصل اعتبار هذا العدد في تضعيف حجبه : ان لله صفات ذاتية ، وهي : العلم، والحياة، والقدرة، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام . فهذه سبع صفات ذاتية[٤] يتجلى سبحانه في حجب أنوارها بوجه توحيده ، فكانت هي مبدأ التضعيف في حجب أنواره .

ثم لأعداد التضعيف ثلاث رتب : رتبة العشرة ، ورتبة المائة ، ورتبة الألف . وآيات صفاته في تجلياتها تتضاعف بكل رتبة في دائرة من دوائر ملكه ، فإن تضاعفت برتبة العشرة كانت سبعين ، وإن تضاعفت برتبة المائة كانت سبعمائة ، وإن تضاعفت برتبة الألف كانت نهاية الكثرة.

وقد نبه (ص) على الثلاثة بقوله : «من هم بحسنة فعملها كتبها الله عنده

---

(١) سورة النور ؛ الآية : ٣٥ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١١٥ .

(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٦١ .

(٤) قوله : «سبع صفات» في كتاب «القول السديد في علم التوحيد» للشيخ أبي دقيقة : اتفق أهل الحق على أن الواجب لذاته متصف بجميع صفات الكمال . واتفق علماء الكلام من أشاعرة ، وماتريدية ، ومعتزلة ، وحكماء ، على وجوب التصديق بكون الواجب لذاته : قادراً مريداً عالماً حياً سميعاً بصيراً متكلماً : لقيام الأدلة الخاصة بكل صفة من هذه الصفات ، وما لم يقم عليه دليل بخصوصه من الكمال : يجب التصديق به إجمالاً» ا هـ بتصرف مخبون .

عشر حسنات ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة»[1] .

ووراء ذلك أسرار كثيرة : يمنحها الله لمن يشاء من عباده .

تبصرة : وأما سبحات وجهه سبحانه ، فقد ثبت في الصحيح : (لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)[2] .

وقد أولها العلماء بجلاله ، وهو تأويل صحيح ، لكن وجه ربنا ذو الجلال والإكرام ، فله بجلاله سبحات ، وله بإكرامه سبحات .

وإذا أردت أن تجري في التأويل على وفق الاستعمال اللغوي ، والقواعد التي مهدناها : فاعلم ان السبحات جمع سبحة ، والسبحة في اللغة ما يتطوع به من ذكر ، وصلاة وتسبيح ونحوها ، مما لا يحصى أفراده .

وقد ثبت ان أنوار الطاعات حجب وجهه سبحانه ، ونور الذكر شامل لجميعها ، ومهيمن على سائر سبحات الإكرام والجلال ، وقد قال تعالى : ﴿**فاذكروني أذكركم**﴾[3] .

فذكر الله لنفسه ولعبده : سبحة وجهه الشاملة لأنواع سبحاته ، وذكر العبد له : نور حجابه .

فما دام العبد يشهد ذكره لربه ، فوجه ربه متجل عليه في حجابه بسبحة ذكره ، كما ثبت في الصحيح : «أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما : ان الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بيّن ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها : كتبها الله عنده عشر حسنات ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة» ، ا هـ مخيون .

(٢) في صحيح مسلم في «كتاب الإيمان» عن أبي موسى : قام فينا رسول الله (ص) بخمس كلمات ، فقال : «إن الله عزّ وجلّ لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور» وفي رواية أبي بكر «النار» لو كشفه لأحرقت سبحات وجه ما انتهى إليه بصره من خلقه» . قال النووي : سبحات وجهه ،أي نوره وجلاله وبهاؤه ، والسبحة : الدعاء ، وصلاة التطوع ، وسبحة الله : جلاله ، قاموس ا هـ مخيون .

(٣) روى الشيخان عن أبي هريرة : «أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه» ا هـ مخيون .

يذكرني»[1] .

ولا يزال العبد يذكر الله ، وذكره له يبعده من شهود نفسه ونسبتها ، ويقربه من شهود توحيد ربه ، حتى ينكشف حجاب ذكر الله له ، ويتجلى له سبحة ذكر الله له ، هنالك تحرق سبحته بسبب نسب الأفعال والأذكار للعبد ، وتظهر نسبتها للرب ، كما ثبتت في الصحيح : «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها»[2] .

تنبيه : قوله : «لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» اعلم أن بصره تعالى لا تتناهى مبصراته ، ولا يحجبه عن خلقه حجاب ، وإنما ينكشف لك معنى الحديث بمراجعة ما قررته لك ، وبقوله (ص) : «الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[3] فنبه ـ بالشرط ـ على أن العبد لا يشهد رؤية الله له حتى يغيب عن صفته ورؤيته ومراقبته لربه ، فكل عبادة تصحبها المراقبة ، فهي نور من حجب وجهه سبحانه ، ينظر العبد منه إلى ربه ، وينظر الله منه إلى عبده[4] فإذا كشف للعبد فيها حجاب المراقبة : شهد رؤية الله سبحانه له ، فانتهاء بصره عبارة عن انتهائه بحسب كشف العبد . وشهوده ، لا بحسبه في نفسه ، فإنه لا إنتهاء له ، وخلقه هو صفة العبد ، ورؤيته وإحراقه ، هو : محوه بثبوت صفة الرب ورؤيته للعبد ، وصفة الرب ورؤيته هي : سبحة **﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾** .

إشارة : أورد محمد بن علي الأصفهاني[5] عن مجنون ليلى في محاومة هذا المعنى ، ببيتين :

رأى ليلى : فأعرض عن سواها　　محب : لا يرى حسناً سواها[6]

---

(1) رواه البخاري ا هـ مخيون .

(2) رواه البخاري .

(3) قطعة من حديث في صحيح البخاري «كتاب الإيمان» ، ا هـ مخيون .

(4) لعل معناه حديث مسلم : «ان الله لا ينظر إلى أجسامكم ، ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم» ، ا هـ مخيون .

(5) أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي ، صاحب كتاب الأغاني المشهور بأبي الفرج الأصفهاني ، توفي سنة ٣٥٦ ، ا هـ مخيون .

(6) البيتان في الأغاني بآخر ترجمة المجنون ، ولكن الشطرة الأولى هكذا :

بكى فرحاً لليلى إذ رآها　　محب ... الخ ، ا هـ مخيون

لقد ظفرت يداه ، ونال ملكاً لئن كانت تراه كما يراها

فنبه على أن الملك والظفر ليسا في رؤيته هو لها ، وإنما هما في رؤيتها له .

وقوله : كما يراها ، فيه تنبيه على تجلي السبحة ، وذلك انه رأى ليلى على وجه الإفراد ، فلم ير معها غيرها ، ولهذا قال : «فأعرض عن سواها» حتى عن نفسه ، ولهذا قال : «أنا ليلى وليلى أنا» فنبه على أن الملك هو أن تراه كذلك ، فلا يراه غيرها ، وهذا فيما نحن فيه لا يتم إلاّ بتجلي السبحة المقدسة ، فإنها إذا تجلت أحرقت الحادث من صفة العبد ، وتبقى صفة الرب هي المرئية له ، كأنها[1] هي المرئية لعبده ، فهنالك تظفر يداه وينال ملك التصريف ، بقوله : «كنت سمعه الذي يسمع به» الحديث .

«إشارة» بهذا يفهم سر أمر الله لنبيه محمد (ص) أن يقرأ على أبي[2] (رضي الله عنه) ، لم يكن مع قوله (ص) : «أقرؤكم أبي»[3] مع العلم بأن أبيا لم يكن أحفظ الصحابة للقرآن[4] ، ولا أفصحهم في القراءة ، ولا أفقههم في أحكامه ، ولكن لعله كان عند قراءة القرآن أصفاهم مراقبة لتلاوة النبي (ص) كذلك الذي

---

(١) في الشامية «كما أنها » فتأمل . مخيون .

(٢) عن أنس قال : «قال رسول الله (ص) لأبي بن كعب : ان الله أمرني أن اقرأ عليك ﴿لم يكن الذين كفروا﴾ قال : وسماني ؟ قال : نعم ، فبكى» متفق عليه . مخيون .

(٣) روى البخاري في التفسير ، عن عمر (رضي الله عنه) : اقرؤنا أبي ، وأقضانا علي ، وانا لندع من قول أبي ، وذاك أن أبياً يقول لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله (ص) ، وقد قال الله تعالى : ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ .

قال العيني : هذا حديث موقوف ، وأخرجه الترمذي وغيره عن انس مرفوعاً به ، وذكره جماعة .

وأوله : «ارحم أُمتي أبو بكر» وفيه «وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب» الحديث ، وصححه الترمذي ، وقال غيره : والصواب ارساله» ، اهـ .

فلعل الشيخ أستند على رواية من رفع ، اهـ مخيون .

(٤) في الصحيحين ، في المناقب وفضائل القرآن ، عند عبد الله بن عمرو ، سمعت رسول الله (ص) يقول : «خذوا القرآن من أربعة : من ابن أُم عبد» فبدأ به «ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وسالم مولى أبي حذيفة» .

فلعل الشيخ استنتج من قول عبد الله بن عمرو «فبدأ به» عن ابن أُم عبد ، وهو عبد الله بن مسعود : أن أبياً لم يكن أحفظ الصحابة (رضوان الله عليهم) . اهـ مخيون .

يقرؤه ويغيب بذلك عن قراءة نفسه ، حتى كأنه يسمعه من النبي (ص) ، ومما يدل على ذلك ويوضحه لك ، أن السورة التي أمر بقراءتها هي : ﴿لم يكن الذين كفروا﴾وهي مشتملة على قوله : ﴿حتى تأتيهم البينة * رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة * فيها كتب قيمة﴾ فكان أبي إذا قرأها صغي بأذن قلبه إلى روح النبوة يتلوا عليه ذلك ، فأراد الله أن يحقق له في عالم الشهادة من تلاوة النبي (ص) ما كان يشهده في عالم الغيب .

(لطيفة) : حكمة استعارة الإحراق لمحو صفات الخلق : التنبيه على أن حقيقة الخلق تراب ، وباقي صفات الخلق إنما هي أثر تجليات الحق بصفاته ، فلو ظهرت صفاته رجع الخلق إلى أصله تراباً ، كما أن النار أي شيء أحرقته جعلته رماداً ، وأزالت جميع صفاته .

«تربية» : قد قدّمنا ان قوله : ﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ينبه على أن لوجهه الكريم تجليين : تجل بجلاله في حجاب النار ، وتجل باكرامه في حجاب النور ، فيحتاج أهل المراقبة إلى معرفة قبلة هذا التجلي وميقاته ومشرقه .

فاعلم يا عبد الله أن قبلة هذا التجلي القلب ، وميقاته: الصلاة .

ومشرق الجلال : سبحان الله .

ومشرق الإكرام : الحمد لله .

فمن أراد شهود وجه ربه الباقي ، فليجعل قبلته قلبه ، وميقاته صلاته ، ثم له حالان :

الحال الأول : أن يغلب على قلبه تنزيهه مما سوى الله ، فهذا مشرقه سبحان الله ، ووجه ربه يتجلى عليه بجلاله في حجاب النار ، كما تجلى لموسى (ع) ، ولهذا أمر الله أتباعه أن يقتدوا به في ذلك بقوله : ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة﴾(*) فهذه القبلة والميقات . وبه على تجليه عليه في مشرق «سبحان الله» في حجاب النار ، بقوله : ﴿فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين * يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾(**) .

(*) سورة يونس ؛ الآية : ٨٧ . (**) سورة النمل ؛ الآيتان : ٨ و ٩ .

والحال الثاني : أن يغلب على قلبه شهود النعم والفضل لله ، بلا شريك ، فهذا مشرقه : الحمد لله ، ووجه ربه يتجلى عليه بإكرامه في حجاب النور ، كما تجلىٰ لسيدنا إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) ، فكانت قبلته قلبه ﴿إذ جاء ربه بقلب سليم﴾ وكان ميقاته صلاته ومشرقه : الحمد لله ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين * شاكراً لأنعمه﴾[1]، وكان التجلي بالإكرام في حجاب النور ، وهي أنوار : الكوكب ، والقمر ، والشمس ، فقال :﴿هذا ربي﴾ .

إشارة : إذا أردت أن تعلم أن ربه تجلى له بالإكرام ، فتدبر قوله تعالىٰ : ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾[2] فإذا كان ضيفه بسببه مكرماً ، فما ظنك به ، وإذا أردت أن تعلم أن نظره كان لنور ربه ، لا للنجوم والكواكب ، فتدبر قوله : ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾[3] جعل النجوم ظرفاً للمرئي ، لا نفس المرئي ، وكيف لا ، وقد رأى ملكوت السموات والأرض و ﴿الله نور السموات والأرض﴾[4] ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾[5] ومن جمع بين مشرق : سبحان الله والحمد لله ، تجلىٰ له ربه بكماله الجامع بين التجليين ، وأراه آيته الكبرىٰ ، كما تجلىٰ لمحمد (ص) ليلة الإسراء ، ونبه عليه قوله : ﴿سبحان الذي أسرىٰ﴾ إلى قوله : ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً﴾ الآية ، ولما تحقق بـ «سبحان» أولاً ، وبـ «الحمد لله» آخراً تجلىٰ له وجه ربه بكماله الجامع للجلال والإكرام في مشرق «لا إله إلاّ الله» الجامع لسبحان الله والحمد لله ، وهي آية ربه الكبرىٰ ، ولهذا قال آخر السورة ﴿وكبره تكبيراً﴾ وسيأتي لذلك مزيد بيان في مسألة الإسراء إن شاء تعالىٰ .

---

(١) سورة النحل ؛ الآية : ١٢٠ و ١٢١ .

(٢) سورة الذاريات ؛ الآية : ٢٤ .

(٣) سورة الصافات ؛ الآية : ٨٨ .

(٤) سورة النور ؛ الآية : ٣٥ .

(٥) سورة البقرة ؛ الآية : ١١٥ .

فصـــل
السمع ، والبصر ، والعين ، والأعين(١)

من الآيات المتشابهة آيات السمع والبصر والعين والأعين ، وقد دل الكتاب والسنة على أنهما قسمان : عادي وحقيقي ، فالعادي : سمع القلب بالأذن وإبصاره بالعين ، وهو عام في المؤمن والكافر ، والحقيقي : بصر العين بالقلب ، وسمع الأذن به ، وقد نفاه الله عن الكافر في غير ما آية ، منها قوله تعالى : ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾(٢) وفي قوله : ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾(٣) فأثبت لهم السمع والبصر العاديين ونفى عنهم الحقيقي ، وبهذا يفهم قوله تعالى : ﴿ونحشره يوم القيامة اعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾(٤) مع العلم بأن الله يعيدهم بأبصارهم العادية ،

(١) نقل في فتح الباري عن ابن دقيق العيد ، قال : «نقول في الصفات المشكلة : انها حق وصدق على المعنى الذي أراده الله تعالى ، ومن تأولها نظرنا ، فإن كل تأويله قريباً على مقتضى لسان العرب لم ننكر عليه ، وإن كان بعيداً توقفنا عنه ورجعنا إلى التصديق مع التنزيه ، وما كان منها معناه ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب حملناه عليه ، كقوله : (على ما فرطت في جنب الله) فإن المراد به في استعمالهم الشائع : حق الله ، فلا يتوقف في حمله عليه ، وكذا قوله (ص) : «ان قلب ابن ادم بين أصبعين من اصابع الرحمن» فإن المراد به إرادة قلب ابن آدم مصرفة بقدرة الله ، وما يوقعه فيه . وكذا قوله تعالى : ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ معناه خرب الله بنيانهم ، وقوله : ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ معناه لأجل الله ، ا هـ مخيون .

(٢) سورة الأنفال ؛ الآية : ٢١ .

(٣) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٩٨ .

(٤) سورة طه ؛ الآيتان : ١٢٤ و ١٢٥ .

كحالهم في الدنيا تحقيقاً : لقوله تعالىٰ : ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ .

ولكن الحكم في تلك الدار للأبصار الحقيقة ، المستفادة من نور صفاته بواسطة استجابة القلب لآياته ، وتوجهها بنورها إلى عالم الغيب ، وقلب الكافر في الدنيا كان خالياً من نور التوحيد ، فكان بصره لا يرجع إلى قلبه ، لأنه لا مدد له إلاّ من نور حسه ، وهو أعمى عن نور آيات التوحيد ، لا جرم انه يحشر يوم القيامة أعمىٰ كما كان في الدنيا ﴿لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾ فلذلك إذا قال : ﴿لم حشرتني أعمىٰ وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها﴾ أي لا بصر في هذه الدار إلاّ من نور صفاتي المستفاد من الاستجابة لآياتي ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور﴾ فإذا صح لك أن السمع الحقيقي ، والبصر الحقيقي : عبارة عن سمع القلب وبصره ، وأن الجوارح ، وهي : العين والأذن ، تحتاج إليه ، وهو غني عنها ، أمكنك حينئذ أن تفهم إثبات السمع والبصر لله سبحانه ، وكذا بقية الإدراك ، مع استغنائه في ذلك عن الجوارح ، وتعاليه عنها .

وأما نسبة العين إليه : فهي اسم لآياته المبصرة ، التي بها ينظر سبحانه للمؤمين ، وبها ينظرون إليه ، قال تعالىٰ : ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾[*] فنسب البصر للآيات على سبيل المجاز تحقيقاً ، لأنها المرادة بالعين المنسوبة إليه ، وقال تعالىٰ : ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها﴾[١] وعلى هذا يتنزل قوله تعالىٰ : ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾[٢] أي بآياتنا تنظر بها إلينا، وننظر بها إليك ، ويؤيد أن المراد هنا بالأعين الآيات : كونه علل بها الصبر لحكم ربه ، وعلله بآيات القرآن صريحاً في قوله تعالىٰ : ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً * فاصبر لحكم ربك﴾[٣] .

قال تعالىٰ في سفينة نوح : ﴿تجري بأعيننا﴾ أي بآياتنا وعنايتنا ، بدليل قوله تعالىٰ : ﴿وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها﴾[٤] وقال تعالىٰ في موسىٰ (ع) : ﴿ولتصنع على عيني﴾ أي على حكم آيتي التي أوحيتها إلى أمك :﴿أن

(*) سورة النمل ؛ الآية : ١٣ .
(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٠٤ .
(٢) سورة الطور ؛ الآية : ٤٨ .
(٣) سورة الإنسان ؛ الآيتان : ٢٣ و ٢٤ .
(٤) سورة هود ؛ الآية : ٤١ .

أرضيمه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾[1] ويؤيد أن المراد ذلك كونه ظرف صنعه على عينه ﴿إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفساً فنجيناك من الغم﴾ فمن تدبر ذلك علم صحة ما قلناه ، وفتح له باب عظيم في تفسير كلام الله بعضه ببعض .

---

(١) نقل الشنقيطي عن ابن المنير في «استحالة المعية بالذات» : ولأهل الكلام في هذه الصفات كالعين والوجه واليد ، ثلاثة أقوال :

أحدها : انها صفة ذات ، أثبتها السمع ، ولا يهتدي إليها العقل .

والثاني : ان العين ، كناية عن صفة البصر ، واليد ، كناية عن صفة القدرة ، والوجه ، كناية عن صفة الوجود .

والثالث : أمرارها على ما جاءت ، مفوضاً معناها إلى الله تعالى .

ونقل : «أن الزمخشري لوح في الكشاف في سورة المؤمنين : ان فائدة الجمع في قوله (بأعيننا) للدلالة على المبالغة في الحفظ ، بعد ما نقل عن روح المعاني : أن معنى باعيننا أي في حفظنا وحراستنا ، فالعين مجاز عن الحفظ ، وتستعار العين لمعان كثيرة منها : العلم ، والبصر ، والحفظ» ، ا هـ مخبون .

فصل النفس

ومن المتشابه : صفة النفس ، في قوله تعالى : ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾[1] لأن النفس في اللغة تستعمل بمعان ، كلها تتعذر في الظاهر هٰهنا ، وقد أولها العلماء بتأويلات ، منها : ان النفس عبر بها عن الذات والهوية ، وهذا ـ وإن كان شائعاً في اللغة ـ ولكن تعدىٰ الفعل إليها بواسطة «في» المفيدة للظرفية محال ، لأن الظرفية يلزمها التركيب ، والتركيب في ذاته محال : يجل عنه تبارك وتعالىٰ .

وقد أولها بعضهم بالغيب ، أي ولا أعلم ما في غيبك [و] سرك ، وهذا أحسن لقوله آخر الآية : ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾ ولكن قانون اللغة يأباه ، ولا بد من تخريجه على ما مهدناه حتى تنتظم أشتات الصفات ، وذلك أن الصورة إذا كانت ظلة غمام آياته ، فنفسه هي أُم كتابه ، وهي الآيات المحكمات ، قال تعالىٰ : ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أُم الكتاب﴾[2] والآيات المحكمات هي الدالة على وحدانيته ، بدليل قوله تعالى في أول هود ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت﴾ الآية ، ثم فسر أحكامها بالتوحيد في قوله : ﴿ألا تعبدوا إلاَّ الله﴾ وفسر تفصيلها بالاستغفار والتوبة ، في قوله : ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ ونبه على أن آياته المحكمة يرجع أعدادها إلى آية واحدة ، محكمة ، وهي : ﴿لا إله إلاَّ الله﴾ فما من علم من العلوم في الغيب ولا

(١) سورة المائدة ، الآية : ١١٦ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٧ .

في الشهـادة ، إلاَّ وهـو منتـظم في سلك «لا إلـه إلاَّ الله» ، مستثمـر من ثـمـار أسـرارهـا ، ولهـذا اكتفىٰ بعلمهـا للنبي (ص) إجمـالاً وتفصيـلاً في قـولـه تعـالىٰ : ﴿فاعلم أنه لا إله إلاَّ الله واستغفر لذنبك﴾ الآية(*)

«تنبيـه» :

قـوله تعـالىٰ : ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم مـا في نفسك﴾ إذا خـرجته على هذا تطلع على أسرار بديعـة ، وذلك أن السيـاق اشتمل على سؤال عيسىٰ (ع) عمـا بلغه لبني إسرائيل ، هل أمرهم بتوحيد ربهم أم بأن يعبدوا له ولأمه .

ومن المعلوم أنـه لم يكن أمرهم إلاَّ بـالتـوحيـد ، فلمـا أراد أن يخبـر بـذلـك تلطف في الأخبار به إجمالاً وتفصيلاً .

أما تفصيلاً فبقوله : ﴿مـا قلت لهم إلاَّ ما أمـرتني به﴾ الآية .

وأمـا إجمالاً فبقـوله : ﴿تعلم مـا في نفسي ولا أعلم ما في نفسـك﴾ فقولـه : ﴿ولا أعلم مـا في نفسـك﴾ أي أم كتـابـك المشتمـل على سـر قـدرك ، وان القلم جرى فيه بكفرهم .

وقوله : ﴿تعلم مـا في نفسي﴾ أي أم كتابي ، وهـو ما كتبـه الله له من بينـات التوحيد ، وأيده به من روح القـدس ، قال تعـالىٰ : ﴿وآتينا عيسىٰ بن مـريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾(**) .

«تبصرة» : شأن المحجوبين عن الله من أرباب الـرئاسـة ، مواددة من عبـدهم ومن عبد أقاربهم لأجلهم .

وأهـل القلوب المؤمنة مبـرءون من ذلك ، بمقتضىٰ قـوله تعـالى : ﴿لا تجـد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يـوادون من حاد الله ورسـوله﴾ إلى قـوله : ﴿أولـئك كتب في قلوبهم الإيمـان وأيـدهم بـروح منه﴾(١) ومن المعلوم أن عيسىٰ (ع) كتب في قلبه الإيمان ، وأيـد بالـروح ، فلهذا قـال : ﴿تعلم ما في نفـسي﴾ أي مـا كتبته من الإيمـان في قلبي ، وأيـدتني بـه من الـروح ، وان ذلـك ثمـرة كـوني لم أوادد

(*) سورة محمد ؛ الآية : ١٩ .

(**) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٥٣ .

(١) سورة المجادلة ؛ الآية : ٢٢ .

هؤلاء الذين عبدوني وعبدوا أمي من دونك ﴿وأنت علام الغيوب﴾ .

«تنبيه» : قوله : ﴿أمرتني به﴾ ولم يقل أمرت به ، مع أن الأمر بالتوحيد ، ولم يختص به ، بل أمر به جميع الأنبياء ، ولكنه نبه بذلك على سر القدر ، وأن الأمر أمران : أمر حقيقة ، وأمر شريعة .

فأمر الحقيقة : هو المشار إليه بقوله تعالىٰ : ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾[1] وهو متوجه إلى جميع الكائنات ،فما من كفر ولا إيمان إلاّ وهو مأمور به ـ بهذا الاعتبار[*] ـ لأنه لا يكون إلاّ بأمره .

وأما أمر الشريعة : فهو الذي ربط به الثواب والعقاب ، وقامت به الحجة ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾[2] فمن هذا يفهم السر في قول عيسىٰ ﴿أمرتني به﴾ خصصه بالإضافة إليه ، تنبيهاً على أمر الشريعة ، ولم يقل أمرت : تنبيهاً على أمر الحقيقة .

«إشارة» : بما كان في هذا اشتباه على المحجوبين ـ من المعتزلة وغيرهم ـ الذين يقولون : إن كفر العبد منسوب إلى اختراعه، غير مستند إلى إرادة ربه ، وإلاّ لما جاز له أن يعاقبه عليه ، لا جرم بين الله جوابهم على لسان نبيه عيسىٰ (ع) ، في قوله تعالىٰ : ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾[3] علل تعذيبه لهم بأنهم عباده ، تنبيهاً على أن التعذيب لا يحتاج في جوازه عقلاً إلى معصية ولا كفر ، ولهذا لم يقل فانهم عصوك ، وإنما مجرد كونهم عباداً يجوز للمالك أن يفعل بهم ما يشاء .

له حق وليس عليه حق ومهما قال فالحسن الجميل

«مناجاة» : إلهي جلت عظمتك أن يعصيك[4] عاص أو ينساك ناس ، ولكن أوجبت أوامرك في أسرار الكائنات ، فذكرك الناسي بنسيانه ، واطاعك العاصي

(١) سورة النحل ؛ الآية : ٤٠ .

(*) قوله : بهذا الاعتبار موضع لما يقصد الشيخ (رحمه الله تعالىٰ) إذ الموضوع : يتعلق بالخلق ، والايجاد ، والتقدير وما إلى ذلك ، والله أعلم .

(٢) حسب حكم الشريعة .

(٣) المعبود يفعل في عبده ما يشاء ، لأنه مالكه .

(٤)، وهذا مفسر لكل ما قاله (رضي الله عنه) .

بعصيانه ، وان من شيء إلا يسبح بحمدك ان عصى داعي إيمانه ، فقد أطاع داعي سلطانك[1] ولكن قامت عليه حجتك ﴿ولله الحجة البالغة﴾ ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ .

«اعتبار» قوله : ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ أي ويحذركم أم كتابه ، بدليل قوله أول الآية : ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء﴾[2] . . . الآية ، مع قوله : ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾[3] مع ما ثبت في صحيح مسلم وغيره من قوله (ص) : «فوالذي لا إله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع واحد ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع واحد ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[4] الحديث .

فهذا تحذير من أم الكتاب ، الذي يكون خاتمة العبد على وفق ما سبق له فيه ، وبهذا يفهم السر في ذكر النفس ، وأم الكتاب متقاربين في أول السورة[5] .

«إشارة» في الحديث : أن خشية سوء الخاتمة مخصوصة بأهل أعمال الجنة ، وأما أهل الاخلاص لأعمال التوحيد فلا يخشى عليهم سوء الخاتمة ، ولهذا قال : «ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع واحد» فافهم بذلك ان المتقرب متقربان : متقرب إلى الجنة بأعمالها ، ومتقرب إلى الله

---

(١) وهذا مفسر ـ أيضاً ـ لما قال آنفاً .

(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ٣٠ .

(٣) سورة الكهف ؛ الآية : ٤٩ .

(٤) رواه البخاري في التوحيد ، ومسلم في القدر بمغايرة طفيفة : «ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي وسعيد ، فوالذي لا إله غيره أن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» .

(٥) يقصد ـ والله تعالى أعلم ـ قوله تعالى : ﴿هن أم الكتاب﴾ الآية : ٧ ، وقوله : ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ من سورة آل عمران ؛ الآية : ٣٠ .

بذكره ، كما ثبت في الصحيح : «أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني» إلى قوله : «وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً»[1] وذلك يفهمك ان المتقرب إلى الله ، لا يمكن أن يبقى بينه وبينه ذراع ، لأن ذلك الذراع إن كان التقرب به مطلوباً من العبد ، لم يبق بعده مقدار يتقرب الله به إليه ، وحينئذ فيستلزم الخلف في وعده ، وهو محال ، وإن كان موعوداً به من الله : لزم تنجيز وعده ، وتحقيق القرب للعبد ، فلا يبقى بعد ولا دخول إلى النار .

فعلم أن ذلك الذراع مخصوص بأهل التقرب إلى الجنة ، التي لا يلزم أن تقرب ممن تقرب إليها ، فافهمه فإنه بديع .

«تتمة» قوله في الحديث: «فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي».

إذا أردت تخرجه على ما تقدم ، فمعناه أن العبد إذا ذكر الله في سره فذكره له من آيات توحيده المتشابهة ، فلا يزال يذكر ويشهد ذكر نفسه ، حتى ينكشف حجابه كما قدّمناه في حجب الوجه وسبحاته ، فهناك يحترق ذكر العبد المخلوق ، ويتجلى ذكر الله لعبده بسبحاته ، فيصير العبد مذكوراً والله ذاكراً ، وذلك من آيات التوحيد المحكمة ، وهي أُم الكتاب ، فلهذا عبر عنها بالنفس ، ونسبت إليه سبحانه في قوله : «ذكرته في نفسي» .

قوله : «وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه» ، هذا من باب الترقي من حال الجمع والفناء إلى حال الفرق والبقاء[2] وذلك لأن العبد إذا جمعه الله عليه بذكره له في نفسه وحده ، أفناه ، فإذا أراد أن يجعله هادياً بعثه لذكر الله في الملأ ، فذلك ابقاؤه ، فإذا ذكره : ذكره الله في ملأ خير منه .

---

(١) في صحيح البخار «كتاب التوحيد» يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» ا هـ مخيون .

(٢) قال العارف الكامل : «شيخنا أحمد الصاوي في شرح منظومة الأسماء الحسنى لشيخه الدردير : «الفناء هو استغراق العبد في الله حتى لا يشهد سوى ذات الله ، ويُقال لصاحبه : غريق في بحار الأحدية .

والبقاء: هو الرجوع بعد الفناء الى ثبوت الاثار بشهود ذات وصفات المؤثر فيها، ويقال لصاحبه: غريق في عين بحر الوحدة.

فصـل القـرب

ومنهـا صفـة القــرب في قـولـه تعـالىٰ : ﴿وإذا سـألـك عبـادي عني فـإني قـريب﴾[1] وقولـه : ﴿ونحن أقـرب إليـه من حبـل الـوريـد﴾[2] ونحوه يفهمـك أن

---

(١) قال الشعراني في اليواقيت جـ ١ ص ٦٧ .

«قال الشيخ محيي الـدين في «باب حضـرات الأسماء» من الفتـوحات في الكـلام على اسمه «الرقيب» : «إعلم أنه ليس في حضرات الأسماء الإلهيـة ما يعـطي التنبيه على أن الحق تعـالىٰ معنا بذاته إلّا الاسم «الرقيب» لأنه نبه على أن الذات لا تنفك عن الصفات لمن تأمـل ، ويؤيد ذلك قول الأعرابي للنبي (ص) : «لا نعدم خيراً من رب يضحك» فإنه اتبع الضحك تـوابعه . ا هـ .

قلت : وهـذه المسئلة من المعضلات ، لاختـلاف السلف فيها قـديمـاً وحـديثـاً ، ولكن من يقول : أن المعية راجعة للصفات لا للذات أكمـل في الأدب ممن يقول انـه تعالىٰ معنـا بذاتـه وصفاته ، وإن كانت الصفة الإلهية لا تفارق الموصوف» .

ثم ذكـر الشعراني المجلس الـذي عقد بـالأزهر سنـة خمس وتـسعمـائـة بين الشيـخ إبـراهيم المواهبي الشـاذلي ، والشيخ بدر الدين العلائي الحنفي ، وصنف الشيخ إبراهيم فيهـا رسالـة ، وأيده الشيخ العارف بالله محمد المغربي الشاذلي ، شيخ الجلال السيوطي في المجلس ، وقد نسب الشيخ إبراهيم كلاماً لابن اللبان ، ككلام هـذه الرسـالة ، ممـا يبيّن أن الشك في نسبتهـا قديم .

وقد أنكر الشيخ محمد الخضر بن مايـابي الشنقيطي شقيق الشيـخ «حبيب الله» في رسالتـه : «استحالة المعية بالذات» ص ٩٠ وما بعدها هذه المسألة ، ورد عليها بكلام طويـل ، فليراجـع مع اليواقيت ، ولم نذكره .

ولحكاية الشيخ الشعراني : الخلاف فيها قديماً وحديثاً» ا هـ .

(٢) سورة ق ؛ الآية : ١٦ .

قوله : «وان تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً» ليس على ظاهره ، لأن قربه سبحانه من العبد بنوره لا يزال ولا تتفاوت درجاته ، وإنما البعد صفة العبد ، وبعده عن الله هو حجابه عن شهود قرب الله منه ، وشهود قربه على حسب نور الإيمان والاستجابة ، وبهذا يكون تقرب العبد إلى ربه .

وأما تقرب الرب إلى العبد فارشاده بنوره لنور ، وقد جمع الله ذلك كله في قوله : ﴿فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ .

تنبيه قوله : ﴿ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ [1] يدل على أن قربه من عبده سبحانه قرب حقيقي [2] مع تعاليه عن المكان لأنه لو كان القرب يراد به قربه بعلمه أو قدرته وصفاته ، لقال : «ولكن لا تعلمون» ونحوه ، فقوله : ﴿ولكن لا تبصرون﴾ يدل على القرب الحقيقي المدرك بالبصر ، والبصر لا تعلق لادراكه بالصفات المعنوية ، وإنما يتعلق بالحقائق المرئية ، وكذلك قوله : ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ يدل على ذلك ، لأن (أفعل من) تدل على الاشتراك في القرب ، ولا اشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد ، وعلى هذا فالقرب قرب حقيقي روحاني [3] ، بدليل قوله تعالى : ﴿فأما إن كان من المقربين﴾ [4] أي من الذين يكشف لهم عن نعيم القرب الرباني ﴿فروح وريحان وجنة نعيم﴾ [5] فجعل قربهم : وجدانهم للروح والريحان ، وقد قريء بضم الراء وفتحها ، وقد تقدم في حقيقة الرؤية ما يكشف عن معنى الإدراك للقرب بالبصر .

تبصرة : حكمة مجيء التفضيل لقربه على حبل الوريد : انه تقدم ذكر الوسواس ، ووسواس النفس : من إلقاء الشيطان ، ومجراه الأوردة ، بدليل قوله (ص) : «ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» [6] ومجرى الدم هو عروق الأوردة ونحوها ، فنبه بقوله : ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ على أنه أقرب إليه من مجرى الوسواس ، وقلت في ذلك :

---

(١) سورة الواقعة ؛ الآية : ٨٥ .

(٢) وقال ابن كثير في تفسيره : يعني ملائكته أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه .

(٣) قوله «روحاني» فسر به ما يقصد فيما سبق (رحمه الله تعالى) :

وبيّن أنه : ليس المقصود به إلتصاق جسم بجسم ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ وأوضحه أكثر فيما بعد عند قوله : ﴿فأما إن كان من المقربين﴾ فالمقربون هنا تقريبهم روحاني .

(٤ ، ٥) سورة الواقعة ؛ الآيتان : ٨٨ و ٨٩ .

(٦) متفق عليه في الصحيحين ، اهـ مخيون .

تشاغل عنا بوسواسه   وكان قديماً لنا يطلب
محب تناسى عهود الهوى   وأصبح في غيرنا يرغب
ونحن نراه ونملي له   ويحسبنا اننا غيب
ونحن إلى العبد من نفسه   ووسواس شيطانه : أقرب

فصـل البطش

من صفاته «بطشه» سبحانه ، قال تعالىٰ : ﴿إن بـطش ربك لشـديد * إنـه هو يبـدىء ويعيد﴾ ولا تشـابه فيـه ، لأن الآية الثـانية تفسيـر للاولىٰ ، ولـذلك جـاء بها على وجـه البدل ، من غيـر عطف تنبيهـاً على أن بطشـه عبارة عن تصـرفه في بـدئه وإعادته .

وما من شيء من الكائنـات [جواهـرها وأعـراضها] إلاَّ وهي مفتقـرة إلى بدئـه وإعـادته ، فبـطشه سبحـانه : اسـم شـامل لجميـع تصرفـاتـه في مخلوقـاتـه : بـدءاً وإعادة .

فصـل الأيدي واليدين

نسبـة الأيـدي إليـه : استعـارة لحقـائق أنـوار علويـة ، يـظهـر عنهـا تصـرفـه وبـطشـه : بـدءاً وإعـادة ، وتلك الأنـوار متفـاوتـة في روح القـرب ، وعلى حسب تفاوتها وسعـة دوائرهـا يكون رتب التخصيص لمـا ظهر عنهـا ، ألا ترىٰ قـوله تعـالىٰ في حق آدم : ﴿لمـا خلقت بيدي﴾[1] كيف يستفـاد منه تنـويه بـه وتشريف وتكـريم وتخصيص ، ولا يستفـاد مثـل ذلـك من قـولـه : ﴿أو لم يـروا أنـا خلقنـا لهم ممـا عملت أيـدينا أنعـاماً﴾[2] ومـا ذلك إلاّ لأن حقـائق أنوار الأيـدي الخـالقـة لـلأنعـام، ليست في روح القرب ، كحقائق اليدين اللتين خلق بهما آدم .

فـإن قلت : فمـا حقيقـة اليـدين في خلق آدم . قلت ـ والله أعلم بمـا أراد ـ ولكن الذي استثمرته ما تدبر كتـابه ـ ان اليـدين : استعارة لنـور قدرتـه القائم بصفـة فضله ، ولنورها القائم بصفة عدله .

ويؤيـد ذلـك قــولـه (ص)[3] «يمين ربي مـلأى سحـاء ، لا يغيضهـا الليـل

---

(١) سورة ص ؛ الآية : ٧٥ .

(٢) سورة يس ؛ الآية : ٧١ .

(٣) روى البخـاري ومسلم عن رسول الله (ص) : «يمين الله مـلأى لا يغيضها نفقـة سحاء بـالليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض مـا في يمينه ، قـال وعرشـه على الماء وبيمينه الأخرىٰ القسط يرفع ويخفض» .

كلاهما عن عبد الرزاق ، وأخرجه البخاري في التوحيد . عن أبي هريـرة (رضي الله عنه) ان رسول الله (ص) قال : «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، وقال : أرأيتم مـا=

والنهار ، ارايتم ما انفق منذ خلق السموات ، فإنه لم يغض ما في يمينه ، وعرشه على الماء ، وبيده الأخرىٰ الميزان : يرفع ويخفض» . فنبه على نور الفضل بيمينه السحاء المنفقة ، وعلى نور العدل باليد الأخرىٰ صاحبة الميزان .

ونبه تعالىٰ بقوله في آدم : ﴿لما خلقت بيدي﴾ على تخصيصه له ، وتكريمه إياه بأن جمع له في خلقه بين : فضله وعدله ، بمقتضىٰ قوله تعالىٰ : ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾ فتسويته من عدله ، ونفخ روحه من فضله ، على أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء .

ومما يحقق لك أن اسم اليد استعارة لنوره سبحانه قوله تعالىٰ :﴿وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾[1] فاستعار اليدين للقرآن ، ثم نبه على أنه استعارهما لما اشتمل عليه من نور الفضل ونور العدل ، بقوله : ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾[2] فالحكيم : صاحب نرر العدل . والحميد : صاحب نور الفضل .

ونبه بجمع الأيدي في خلق الأنعام على أن اليد المنسوبة إليه ليست جارحة ، وإلا لم يزد علي يدين[3] لأن أفضل المخلوقات في الشاهد «محمد (ص)» وهو لا يزيد علي يدين .

وفي الحديث : «الحجر الأسود يمين الله في الأرض»[4] وذلك يفهم أن له يميناً سماوية نسبتها لأهل السماء كنسبة الحجر الأسود لأهل الأرض .

تنبيه : في الصحيح للبخاري[5] وغيره ، في ذلك أحاديث منها حديث

= أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يده ، وقال عرشه على الماء وبيده الأخرىٰ الميزان يخفض ويرفع» .

(١ ، ٢) سورة فصلت ؛ الآيتان : ٤١ ، ٤٢ .

(٣) المعنىٰ لم يوضحه الشيخ ، والله ليس كمثله شيء .

(٤) أخرج الطبراني في معجمه ، وأبو عبيد الله القاسم بن سلام من حديث ابن عباس ، رفعه به . وقد روى موقوفاً على ابن عباس : «الحجر الأسود يمين الله في أرضه» .

(٥) في البخاري في التفسير «عن عبد الله ، قال جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله (ص) فقال : يا محمد انا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والشجر على أصبع ، والماء والثرىٰ على أصبع ، وسائر الخلائق على أصبع ، فيقول أنا الملك ، فضحك النبي (ص) حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله (ص) : ﴿وما قدروا =

عبيدة عن عبد الله (رضي الله عنه) ، قال : «جاء حبر من اليهود إلى رسول الله (ص) ، فقال : يا محمد ، انا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والشجر على أصبع ، والماء على أصبع ، وسائر الخلائق ، ويقول : أنا الملك ، فضحك النبي (ص) حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ، ثم قرأ : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية .

قلت : هذا الحديث شديد الاشتباه عند أهل الظاهر ، وهو محمول عند بعضهم : على أن اليهود مشبهة ، ويزعمون فيما أنزل إليهم ألفاظاً تدخل في التشبيه ، ليس القول بها من مذاهب المسلمين ، وبهذا قال الخطابي[1] .

وقال : انه روى هذا الحديث غير واحد عن عبد الله من طريق عبيدة ، فلم يذكروا قوله «تصديقاً لقول الحبر»، ولعله من الراوي ظن وحسبان وسهو .

وضحكه (ص) : يحتمل أنه لتعجبه من كذب اليهود ، ويحتمل أنه لتعجبه من صدقهم .

وقد روى البخاري في أثر هذا الحديث ، حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : «سمعت رسول الله (ص) يقول : يقبض الله الأرض ، ويطوي السموات بيمينه ثم يقول : «أنا الملك : أين ملوك الأرض» .

قال الخطابي : فهذا قول النبي (ص) ولفظه ، وهو على وفق قوله تعالىٰ : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية ، وليس فيه ذكر الأصابع ولا تقسيم الخليفة .

وقد رواه الترمذي[2] عن ابن عباس (رضي الله عنهما) ، قال : مر يهودي

= الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالىٰ عما يشركون﴾ وأخرجه مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وغيرهم بألفاظ متقاربة ، قال النووي : هذا من أحاديث الصفات . وقد سبق فيها المذهبان : التأويل والإمساك عنه ، مع الإيمان بها ، مع اعتقاد أن الظاهر منها غير مراد ، فعلىٰ قول المتأولين يتأولون الأصابع هنا على الاقتدار ، أي خلقها مع عظمها بلا تعب ولا ملل» ا هـ مخيون .

(١) أبو سليمان : «أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي ، صاحب كتاب «غريب الحديث» وشارح البخاري ، وسنن أبي داود ، توفي سنة ٣٨٨» ا هـ مخيون .

(٢) أخرج أحمد ، والترمذي وصححه ، والبيهقي حديث ابن عباس قال : «مر يهودي بالنبي (ص) ، فقال : يا يهودي حدثنا ، فقال : كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السموات على ذه ، والأرضين على ذه ، والماء على ذه ، والجبال على ذه ، وسائر الخلق على ذه» وأشار أبو جعفر ـ أحد رواته ـ بخنصره ، أولاً ، ثم تابع حتى بلغ الإبهام» ا هـ مخيون .

وقال : كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السموات على ذه ، والأرضين على ذه ، والماء على ذه ، والجبال على ذه ، وسائر الخلق على ذه ، وأشار محمد بن الصلت بخنصره أولاً ، ثم بلغ إلى الإبهام ، فأنزل الله قوله تعالىٰ : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ بهذا يدلك على أن ذكر الأصابع وإبهام التشبيه إنما جاء من لفظ اليهودي ، وزاد في هذه الرواية الإشارة إلى أصابع الجارحة ، وان الله تعالىٰ أنزل تشبيه قوله : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ وظاهره انه أنزلها للرد عليه ، وان الله تعالىٰ منزه عن ذلك .

وعلى الجملة ، فقد جاء ذكر الأنامل في حديث آخر[1] عن ابن عباس

---

(١) أخرج الإمام أحمد من حديث معاذ بن جبل ، قال : «احتبس عن رسول الله (ص) ذات غداة في صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس ، فخرج رسول الله (ص) يثوب بالصلاة ، وصلّى وتجوز في صلاته ، فلما سلّم قال : كما أنتم على مصافكم ، ثم أقبل إلينا ، فقال اني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة ، اني قمت من الليل فصليت ما قدر لي ، فنعست في صلاتي حتى استثقلت ، فإذا أنا بربي عزّ وجلّ في أحسن صورة ، فقال يا محمد : أتدري فيم يختصم الملأ الأعلىٰ ؟ قلت : لا أدري رب .

قال : يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلىٰ .

قلت : لا أدري رب .

فرأيته وضع كفه بين كتفي ، حتى وجدت برد أنامله بين صدري ، فتجلىٰ لي كل شيء وعرفت .

فقال : يا محمد ، فيم يختصم الملأ الأعلىٰ ؟ .

قلت : في الكفارات والدرجات .

قال : وما الكفارات ؟ .

قلت : نقل الأقدام إلى الجماعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ، واسباغ الوضوء عند الكريهات .

قال : وما الدرجات ؟ .

قلت : اطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة والناس نيام .

قال : سل .

قلت : «اللّهم اني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون ، وأسألك حبك ، وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك .

قال رسول الله (ص) : انها حق فادرسوها وتعلموها» .

وخرجه الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح .

قال : وسألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا ، فقال هذا حديث حسن صحيح . =

(رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله (ص) : «أتاني الليلة ربي في أحسن صورة ـ قال احسبه في المنام ـ قال : يا محمد ، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى .

قال : قلت لا ، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي ، فتجلى لي كل شيء وعرفت» .

وفي رواية معاذ (رضي الله عنه) : «فرأيته وضع كفه بين كتفي ، فوجدت برد أنامله بين ثديي» .

وأنت إذا جمعت بين الأحاديث تحققت عدم إرادة الجارحة ، لأنه يستحيل أن يكون كل أصبع من يد واحدة جسمانية تسع السموات والأرضين والجبال ، ونحو ذلك ، وهي : مع هذا العظم تجتمع أناملها بين كتفيه (ص) حتى يجد بردها بين ثدييه .

وإنما المعول عليه في ذلك أن نخرجه على ما نبهنا عليه ، وهو أن اليد : لحقيقة نور قدرته القائم بالعدل في إمساك مخلوقاته وتدبير ملكه ، وهي من عالم الأمر الموصوف بصفة القيومية ، ويدل على كونها من عالم الأمر قوله تعالى : ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾[1] وعلى أنها من نور قدرته الموصوفة بالقيومية : مناسبة الاشتقاق ، وكونها قرن حصول العلم بوضعها بين كتفيه (ص) ، حتى علم علم ما في السموات والأرض ، وعلم كل شيء ، وهذا العلم هو علم التوحيد ، الذي هو أصل العلوم كلها .

= قال ابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧١٥ شارحه في رسالة لطيفة شيخ محدثي عصره : في أسناده اختلاف ، وله طرق متعددة ، وفي بعضها زيادة ، وفي بعضها نقصان .

قال : وأما وصف النبي (ص) لربه عزّ وجلّ بما وصفه به ، فكل ما وصف النبي (ص) ربه عزّ وجلّ فهو حق وصدق ، يجب الإيمان والتصديق به كما وصف الله عزّ وجلّ به نفسه ، مع نفي التمثيل عنه .

ومن أشكل عليه فهم شيء من ذلك واشتبه عليه فليقل كما مدح الله تعالى به الراسخين في العلم وأخبر عنهم أنهم يقولون عند المتشابه ﴿آمنا به كل من عند ربنا﴾ وكما قال النبي (ص) في القرآن :

«وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه» أخرجه الإمام أحمد ، والنسائي وغيرهما .

ولا يتكلّف ما لا علم له به ، فإنه يخشى عليه من ذلك الهكة . ا هـ مخبون .

(١) سورة الروم ؛ الآية : ٢٥ .

وقد جعل الله شهوده لأهله مقيداً بحال شهود قيوميته ، قال تعالىٰ : **﴿شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط﴾** فنصب قائماً على الحال ، والعامل فيه شهد ، والحال ظرف العامل . فلا يصدق كونهم أولىٰ العلم بشهود التوحيد إلاّ في حال شهود قيوميته .

فإذا أولنا بنور القيومية : علمت أن الحديث في معناه جاء موافقاً للقرآن ، وهو يرجع إلى ما ذكرناه في تأويل اليد صاحبة الميزان التي تقدم ذكرها في الحديث ، ويؤيد كونها صاحبة العدل : أن السياق الذي ذكر فيه **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾** إلى آخره سياق قيامه تعالىٰ يوم القيامة بفصل القضاء والعدل .

فإن قيل : قد سماها باليمين في قوله : **﴿والسموات مطويات بيمينه﴾** واليمين هي صاحبة الفضل المنفقة كما تقدم .

قلت : لا تنافي في ذلك ، لأن كلتا يديه يمين .

تنبيه : قوله تعالىٰ : **﴿مطويات بيمينه﴾** أشبه شيء ذكره المفسرون في معنىٰ الطي : أنه بمعنىٰ الاخفاء : أي والسموات قد خفيت حقائقها في يمينه ، في نور تجليها ، فليس لأهل الموقف سماء نورها ، ويؤيده قوله تعالىٰ : **﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾** لأهل الموقف إلاّ حجاب نوره ، ولا ظل إلاّ ظل عرشه ، والطي على هذا موافق لمعنىٰ الكشط في قوله تعالىٰ : **﴿وإذا السماء كشطت﴾**[1] كشفت وخفيت تحت أشعة أنوار يمينه .

وأما استعارة الأنامل والأصابع لها ، فاعلم أن حقيقة ذلك ترجع إلى أنه ما من نور من أنواره تعالىٰ ، إلاّ وله حجاب صوري ، يتعرف إلى عباده بواسطته ، بدليل قوله تعالىٰ : **﴿الله نور السموات والأرض﴾** الآية ، فضرب المشكاة والزجاجة والشجرة أمثلة لحجب أنواره الصورية ، وقد قدمنا عند ذكر الصورة ما يفهم به معنىٰ قوله (ص) : «فأتاني ربي في أحسن صورة» وأن الصورة التي تجلى لنبيه (ص) فيها ، وتجلىٰ فيها بنور يده العليا ، هي صاحبة الأنامل ، وهي ظلة شريعته السمحة ، التي هي أحسن الشرائع ، وحقائق صفاتها كلها متنوعة من روح : «لا إله إلاّ الله» .

فيده العليا هي صاحبة الخير في قوله : **﴿بيدك الخير﴾** وفي قوله :

---

(١) سورة التكوير ، الآية : ١١ .

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾ وأناملها الخمس هي : الخمس التي بني الإسلام عليها ، ومنها أنملة الشهادة ، وبهذا يفهم السر في وضعها بين كتفيه ، وهو موضع خاتم النبوة ، وفي أثمارها : العلم بكل شيء ، لأن جميع العلوم فروع لعلم «لا إله إلاّ الله» ويفهم السر في وجوده لبردها بين ثدييه ، وهو صدره لانشراحه للإسلام ، فهو ﴿على نور من ربه﴾ على برد الرضى والتسليم للقضاء ، ولا امتناع في تجسدها وتشكلها على هيئة الصورة ، كما بيناه ، وفي صورة هذه اليد الإسلامية ، ظهرت قيوميته بالسموات والأرض ، في قوله تعالى : ﴿وله أسلم من في السموات والأرض﴾ وفيها ظهر سر العهد والمبايعة في قوله تعالى : ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾ وفيها ظهر سر إجارته وعصمته بقوله : ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير﴾ لأن من قال «لا إله إلاّ الله» عصم ماله ودمه(١) .

(١) روى الشيخان ، عن ابن عمر : «أن رسول الله (ص) قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم ، إلاّ بحقها وحسابهم على الله عزّ وجلّ» ا هـ مخيون .

فصـل القـدم

ومن المتشابه صفة «القدم» فإنه ثبت في الصحيح من حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه)، عند مسلم[1] وغيره، قال: قال رسول الله (ص): «لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول: قط قط وعزتك».

وهذا أيضاً يرجع إلى المحكم، قال تعالىٰ: ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾(*) وقد مهدنا أن الصورة المنسوبة إلى الله، هي ظلة غمام الشريعة، وأن وجهه منها بارق نور التوحيد، ومظهره الاخلاص، وعلى هذا فالقدم منها، هو: نور الإيمان، ومظهره: الصدق، وهذا هو القدم الذي تستغيث النار من نوره، كما جاء في حديث أبي سمية، قال: «سألت جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) عن الورود، قال سمعت رسول الله (ص) يقول: «الورود: الدخول، لا يبقىٰ بر ولا فاجر إلاّ دخلها، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم، حتى أن للنار ضجيجاً من بردهم».

(١) في صحيح البخاري في «كتاب التفسير» عن أنس عن النبي (ص) قال: «يلقى في النار، وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه، فتقول قط قط».

وفي رواية: «فيضع الرب تبارك وتعالىٰ قدمه عليها».

وفي صحيح مسلم في «كتاب صفة القيامة والجنة والنار»: حدّثنا أنس بن مالك أن نبي الله (ص) قال: «لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالىٰ قدمه فتقول: قط قط وعزتك، ويزوي بعضها إلى بعض» · هـ مخيون.

(*) سورة يونس؛ الآية: ٢.

وفي حديث يعلىٰ : «قال قال رسول الله (ص) ان النار لتنادي : جز يا مؤمن ، فقد أطفأ نورك لهبي» أخرجهما أبو عبد الله محمد الترمذي الحكيم(١) ، وذكر القرطبي حديث يعلىٰ عن أبي بكر النجاد .

تحقيق : مما يحقق أن القدم ما ذكرناه أمران :

أحدهما : أن نور الإيمان يكفر جميع أسباب الكفر ، والمعاصي ، وهي أسباب النار .

فكما يطفي أسبابها في الدنيا ، فكذلك حقيقته تطفيء حقيقتها في الآخرة .

الثاني : نسبته إلى رب العزة ، وهو صاحب العزة ومالكها ، والعزة وإن كانت جميعها لله ، بمقتضىٰ قوله : ﴿فللّه العزة جميعاً﴾ لكنه قد نسبها لرسوله وللمؤمنين بقوله : ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ فما من مؤمن إلاّ وهو صاحب العزة ، فإذا وضع قدمه حق للنار أن تضج منه ، وتنزوي عنه ، وتنطفئ نارها بما له من نور العزة .

فائدة : في الشفا للقاضي عياض(٢) ان من أسمائه (ص) «قدم صدق» ، وهو يقتضي : أنه الأصل الجامع لكل نور من أنوار صفاته وأسمائه تعالىٰ .

تنبيه : جاء في حديث أبي هريرة(٣) (رضي الله عنه) ، عند مسلم : «فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله تبارك وتعالىٰ فيها رجله ، فتقول : قط قط ، فهنالك تمتلىء وينزوي بعضها إلى بعض، فلا يظلم الله من خلقه أحداً» وذكر

---

(١) صاحب «نوادر الأصول» وهو أحد الكتب الضعيفة ، المشار إليها بقول العلوي صاحب «طلعة الأنوار» مختصر ألفية العراقي :

وما نمي لعق ، وعد ، وخط ، وكر ومسند الفردوس : ضعفه شهر
كذا نوادر الأصول ، وزد للحاكم التاريخ ولتجتهد

(٢) القاضي عياض صاحب الشفا توفي سنة ٥٤٤ هـ (رحمه الله تعالى) ، ا هـ مخيون .

(٣) في الصحيحين عن أبي هريرة ، قال رسول الله (ص) : «تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : فمالي لا يدخلني إلاّ ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم ، قال الله للجنة : إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار : إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدة منكما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله تبارك وتعالىٰ رجله ، تقول : قط قط قط ، فهناك تمتلىء ويزوي بعضها إلى بعض ، ولا يظلم الله من خلقه أحداً .

وأما الجنة فإن الله ينشىء لها خلقاً» ا هـ مخيون .

الحديث ، وهو غير مناف لما ذكرناه ، ومرجعه للحديث الصحيح الذي قدّمناه «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه» إلى قوله «ورجله التي يمشي بها» فإنه يقتضي تحقق رجل المؤمن بنور التوحيد ، حتى تكون منسوبة إلى الله ، وحينئذ فهو موافق لما تقدم في القدم .

وقوله : «فهنالك تمتلىء» أي بأهلها من المتكبرين ، وقوله : «وينزوي بعضها إلى بعض» فيه حكمتان :

أحدهما : أنها عندما تضج بسبب نور العزة من أقدام المؤمنين ، فيخرجون منها : تخلو مواضعهم ، فلو بقيت كذلك لما كانت مملوءة ، وهو مناف لقوله تعالى : **﴿لأملأن جهنم﴾** الآية ، وأيضاً فربما كان في ذلك تخفيفاً على أهلها ، فاقتضت الحكمة أنها حينئذ تنضم وتجتمع على أهلها ، وتمتلىء بهم تحقيقا للوعيد وزيادة في العذاب .

الحكمة الثانية : انها لو بقيت مواضع المؤمنين خالية من النار : لم يتم لهم سرورهم بالأمن منها ، لعلمهم أن الله وعدها أنه يملؤها ، فربما توقعوا الإعادة ، فكان في إنزوائها ، وإنضمامها على أهلها ، وإمتلائها بهم تأمين للمؤمنين ، كما ذبح الموت[1] بين الفريقين : تحقيقاً للخلود .

قوله : «فلا يظلم الله من خلقه أحداً» أي لا يملؤها بغير أهلها ، تحقيقاً لقوله تعالى : **﴿ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد *يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾**[*] .

تبصرة : بهذا القدم يفهم السر في قوله تعالى : **﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه﴾** إلى قوله : **﴿وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾** وفي قول الربانيين : **﴿ ربنا أغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدمنا﴾** فنبه أن تثبيت الأقدام بالماء

---

(١) صحيح البخاري «كتاب التفسير» عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ص) : يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ، فينادي مناد : يا أهل الجنة ، فيشرئبون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ : فيقولون : نعم ، هذا الموت ، وكلهم قد رآه ، ثم ينادي يا أهل النار ، فيشرئبون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت ، وكلهم قد رآه ، فيذبح ، ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ : **﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة﴾** وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا **﴿وهم لا يؤمنون﴾** اهـ مخيون .

(*) سورة ق ؛ الآيتان : ٢٩ ، ٣٠ .

المطهر ، المتنزل على القلب بروح التوحيد ، بدليل قوله تعالىٰ : ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت**﴾ وذلك الماء المطهر هو القرآن ، بدليل قوله : ﴿**قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين**﴾ فانظر كيف أضيف الروح للقدس ، وهو الطهارة ، وجعلها المثبتة بالقرآن لأقدام الذين آمنوا ، وبشرى لهم : أي بقدم الصدق ، بدليل تصريحه به في يونس كما قدمناه .

تنبيه : بهذا القدم الصدق الذي تستغيث النار من نوره ، يفهم السر في تخصيص إبراهيم (ع) ببرد النار وسلامها ، لايمانه في قوله تعالىٰ : ﴿**فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون * الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾ الآية(**) ، وكذلك يفهم السر في أنس موسىٰ بالنار ، وقوله تعالىٰ : ﴿**فاخلع نعليك**﴾ الآية ، لأنه كان له قدم الصدق الإيماني بمقتضىٰ قوله : ﴿**وأنا أول المؤمنين**﴾ .

إشارة : قوله تعالىٰ : ﴿**اخلع نعليك**﴾ له ظاهر وباطن .

فأما الظاهر ، فالحكمة في الأمر بخلع النعل الظاهر : ان سير الأنبياء في الأرض كان سير اعتبار وادكار ونظر لما أودع فيها من سر البدء والإعادة بمقتضىٰ قوله تعالىٰ : ﴿**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة**﴾(*) وكان المراد التعرف لموسىٰ بسر الإعادة وقيام الساعة ، ولهذا كانت مناجاته في جانب الغربي ، لأن من أكبر آيات الساعة طلوع الشمس من مغربها .

وقيل له في أول مناجاته ﴿**إنني أنا الله لا إله إلاّ أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري**﴾(*) ﴿**إن الساعة آتية**﴾(**) ومن المعلوم أن بعث الخلائق وحشرهم يكون من الأرض المقدسة ، وقد فسر قوله تعالىٰ : ﴿**يوم ينادي المناد من مكان قريب**﴾(1) أي من صخرة بيت المقدس ، فمن هنا قيل لموسىٰ عندما سار بأهله

(**) سورة الأنعام ؛ الآية : ٨١ ـ ٨٢.

(*) سورة العنكبوت ؛ الآية : ٢٠ .

(*) (**) سورة طه ؛ الآيتان: ١٤ ـ ١٥ .

(1) سورة ق ؛ الآية : ٤١ .

وبلغ بيت المقدس[1] وكشف له من سر ما أودع فيه من قيام الساعة ﴿اخلع نعليك﴾ تنبيهاً على أنه انتهىٰ سفرك ، وبلغ ما كان المراد بك من التقرب ، ولهذا قيل له : ﴿إنك بالواد المقدس﴾ أي هذا هو الوادي الذي أودع فيه سر قيام الساعة ، ورجوع الخلائق إلى الله ، فاخلع نعليك ، وألق عصاك ، فإن النعل وأخذ العصا من توابع السفر ، وخلع النعل وإلقاء العصا من أعلام الإقامة ، قال الشاعر :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالأياب المسافر

وأما الباطن : فإن حقيقة النعل : ما يكون وقاية لقدم الصدق من عوائق طريق القلب إلى الله ، وما فيه من وعر وشوك ، كما نبه عليه (ص)[2] : «تعس عبد الدينار ، وتعس عبد الدرهم ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش» فنبه بهذا على أن أفتتان القلب بزينة الدنيا يعوق قدم الصدق عن السير إلى الله ، فإن عظم في عينه منها تعس به ، وأن احتقره واستهان به ، كان بمثابة الشوكة تدخل في قدم السائر ، فإن انتقش أي أخرجه بمنقاش الاستغفار ، وألقاه بالزهد فيه : سلم وسارع بقدم صدقه إلى الله ، وأن أهمله كان بمثابة الشوكة التي يهملها صاحبها حتى تتمكن ، ويفسد بها الدم ، ويحصل المرض والوقوف عن السير ، وربما تمكنت فكانت سبباً للموت ، أو زمانه[3] القدم ، والنعلان يقيان من ذلك ، وهما الرجاء فيه ، والخوف منه .

فموسىٰ لما خرج خائفاً يترقب ، وقال عند التوجه : ﴿عسىٰ ربي أن يهديني

---

(١) قوله : وبلغ بيت المقدس ، لعله يريد الوادي المقدس ، وهي سقطة من الناسخ ، وكم بين الطور وبين بيت المقدس . قال تعالىٰ في القصص ﴿آنس من جانب الطور ناراً﴾ وقال سبحانه في طه: ﴿فلما أتاها نودي يا موسىٰ * إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾ اهـ مخيون .

(٢) روى البخاري في صحيحه في الجهاد ، عن أبي هريرة : «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة : ان أعطى رضى وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ، طوبىٰ لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله : أشعث رأسه ، مغبرة قدماه : إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، وإن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع» اهـ مخيون .

ورواه ابن ماجـة .

(٣) زمن زمنا وزمانة ، من باب تعب : مرض مرضاً يدوم طويلاً ، والزمانة الآفة ، اهـ مخيون .

سواء السبيل﴾ اعلم انه انتعل الخوف والرجاء ، وركبهما في سيره ، لأن من انتعل فقد ركب ، لحديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) في صحيح مسلم[١] .

قال : كنا مع رسول الله (ص) في سفر ، فقال «أكثروا من النعال ، فإن الرجل لا يزال راكباً ما انتعل» .

فلما بلغ حضرة المناجاة والتأنيس ، وحل في وادي التقديس ، قيل له ﴿اخلع نعليك﴾ لأن الرجاء والخوف لأرباب السلوك ، لا لمن وصل وخص بمجالسة الملوك .

ومما يحقق لك أن الزجاء والخوف هما نعلا قدم الصدق ، حديثان :

أحدهما : رواه البخاري[٢] عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ، انه (ص) قال لبلال (رضي الله عنه) : «أخبرني بأرجى عمل عملته في الإسلام ، فاني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة» . وذكر الحديث .

فافهم بقوله : «أخبرني بأرجىٰ عمل» ان الرجاء هو نعل قدم الصدق ، ولهذا قال : «فاني سمعت دف نعليك» فأتى بالباء والفاء ، وهما يفيدان سببية الوصف للحكم ، أي أن سبب سماعه دف نعليه ، هو رجاؤه الله بعمله .

الحديث الثاني : ما رواه مسلم[٣] عن العباس (رضي الله عنه) ، قال : قال

---

(١) في صحيح مسلم ، كتاب اللباس ، عن جابر ، قال سمعت النبي (ص) يقول في غزوة غزوناها : «استكثروا من النعال ، فإن الرجل لا يزال راكباً ما انتعل» اهـ مخبون .

قلت : وكذلك هو في سنن أبي داود .

(٢) عن أبي هريرة «أن النبي (ص) قال لبلال عند صلاة الفجر : يا بلال حدّثني بأرجي عمل عملته في الإسلام ، فاني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة ؟ قال ما عملت عملاً أرجى عندي ، اني لم أتطهر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار إلّا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلّي» (دف) يعني تحريك .

في مسلم في «الفضائل» وفي البخاري في «باب فضل الطهور» بالليل والنهار ، وفضل الصلاة بعد الوضوء بالليل والنهار ، اهـ مخبون .

(٣) في صحيح مسلم في باب «أهون أهل النار عذاباً» عن أبي سعيد الخدري : «أن رسول الله (ص) ذكر عنده عمه أبو طالب ، فقال : لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في صحضاح من نار ، يبلغ كعبيه ، يغلي منهما دماغه» .

وفي أثره عن ابن عباس : «أن رسول الله (ص) قال : أهون أهل النار عذاباً أبو طالب ، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه» اهـ مخبون .

رسول الله (ص) : «أهون أهل النار عذاباً ، أبو طالب ، وأن في قدميه لنعلين يغلي منهما دماغه» .

وإنما خص بالنعلين ، لأنه كان له قدم في تصديق محمد (ص) ومحبته ونصرته والذب عنه ، ولكن كان لا يدين بدينه خوفاً من سية العرب .

ولهذا قال لقريش عند الموت في وصيته[1] : «أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين في قريش ، والصديق في العرب ، وقد جاء بأمر قبله الجنان ، وأنكره اللسان ، مخافة الشنآن» .

ثم قال في آخر كلامه : «والله أن من سلك سبيله رشد ، ومن أخذ بهديه سعد» .

فانظر كيف كان له قدم صدق في محبته وقبول أمره ، ولكنه انتعل فيه الخوف من الخلق والرجاء لهم ، فظهرت حقيقته له بعد الموت ، بنعلين من النار .

وأما الحكمة في كونهما «يغلي منهما دماغه» فلأن في الصحيح[2] «ألا

---

(١) وصيته في الروض الأنف للسهيلي جـ ١ عند وفاة أبي طالب باختلاف يسير ، ا هـ مخيون .

قلت : كتب أستاذنا العلامة الشيخ محمد أبو زهرة (رحمه الله) في كتابه : «خاتم النبيين» بحثاً طيباً ، القسم الأول ، من المطبوع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمدان آل ثاني ، من ص ٥٣٠ ـ ص ٥٣٥ ، قال في نهايته :

« . . ونحن نقول فيما استنبطنا ـ أنه ليس بمشرك قط ، لأن المشرك من يعبد الأصنام ويشركها مع الله تعالىٰ وأفعاله وأقواله .

ومواقفه : تدل على أنه يرى عبادة ، ويراها أمراً باطلاً .

ولذلك أميل إلى أن أستغفر له إن كنت من أهل هذا لمقام ، وأرى أنه ليس بكافر أصلاً ، والله سبحانه وتعالىٰ هو العليم بذات الصدور وما تخفي الأنفس» ا هـ منه .

(٢) عن معاذ بن جبل قال : «قلت يا رسول الله : أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار .

قال : «لقد سألت عن عظيم ، وأنه ليسير على من يسره الله تعالىٰ عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت» .

ثم قال : «ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل .

ثم تلا : ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع ـ حتى بلغ ـ يعملون﴾ . =

أخبركم برأس الأمر وعموده وذروة سنامة : الجهاد في سبيل الله» .

ومن المعلوم : أن أبا طالب كان أشد الناس جهاداً عن رسول الله (ص) ، ولكنه لم يتدين بدينه ، خشية من السبة ، فكان خوفه لغير الله سبباً لاحباط جهاده وإفساده ، وهكذا تكون حقيقة خوفه لغير الله ـ وهي نعله في النار ـ سبباً لاذابة دماغه ، وهو لهب رأسه ، وإحباطه بالاذابة والإفساد .

= ثم قال : «ألا أخبركم برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ .

قلت بلى يا رسول الله .

قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد» .

ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ .

قلت : بلى يا رسول الله ؟ فأخذ بلسانه ، وقال : « كف عليك هذا» .

قلت : يا نبي الله ، وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ .

فقال ثكلتك أمك ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم [أو قال على مناخرهم] إلا حصائد ألسنتهم» . رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح في «الإيمان» وابن ماجه في «الفتن» ، وغيرهما بألفاظ متقاربة .

فصـل الكـلام

ومنهـا صفة الكـلام ، والمتشابـه منها نسبـة الصوت والحـروف إلى كـلام الله سبحانه وتعالىٰ .

وقد وردت آيات وأحاديث ، توهم ذلـك ، فمنها قـوله تعـالىٰ : ﴿حتى يسمع كلام الله﴾(*) والمسموع إنما هو الحرف والصوت .

ومنها سماع موسىٰ (ع) كلام الله .

ومـا روي(١) من أن الله ينادي بصـوت يسمعه من بعدكما يسمعـه من قـرب :

(*) سورة التوبة ؛ الآية : ٦ .

(١) في صحيح البخاري في كتاب «التوحيـد» تعليقاً عن جـابر ، عن عبـد الله بن أنيـس قال سمعت النبي (ص) يقول : «يحضر الله العباد فيناديهم بصـوت يسمعه من بعـد كما يسمعـه من قرب : أنـا الملك ، أنا الـديان» هـذا الحديث عن جـابر بن عبـد الله الصحابي الخـزرجي المكثر في الحديث ، وهو مع كثرة روايته وعلو مرتبتـه رحل إلى الشـام وأخذ يسمعـه من عبد الله بن أنيس الجهني الأنصاري .

قال الكرماني بصوت : أي مخلوق غير قائم بـه ، قال الكـرماني : مـا السر في كـونه خـارقاً للعادة إذ في سائر الأصوات التفاوت ظاهراً بين القريب والبعيد ؟ قلت : ليعلم أن المسموع منه كلام الله تعالىٰ ، كما أن موسىٰ (ع) كان يسمع من جميع الجهات ، كذلك قوله : «أنـا الملك أنا الديان» أي لا ملك إلاّ أنا ولا يجازي إلاّ أنا ، إذ تعريف الخبر دليـل الحصر ، واختـار هذا اللفظ لأن فيـه الإشـارة إلى الصفـات السبـع الحيـاة والعلم والإرادة والقـدرة والسـمع والبصـر والكـلام ، ليمكن المجازاة على الكليـات والجزئيـات قولاً وفعـلاً . ا هـ من شرح العيني على البخاري ، ا هـ مخيون .

أنا الملك الديان .

ومنها قوله (ص)[1] : «من قرأ حرفاً من كتاب الله ، فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، بل ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف» وغير ذلك من الأحاديث الثابتة ، وهي مسألة مهمة ، بعيدة الغور ، تزلزلت فيها أقدام المتكلمين .

ومذهب أهل الحق : أن الله كلاماً قديماً قائماً بذاته ، واحداً في حقيقته ، مخالفاً لصفة علمه وإرادته ، منزهاً عن الحروف المرتبة والأصوات المحدثة ، منزلاً على نبيه ، مقروءاً بالألسنة ، مكتوباً في المصاحف ، مسموعاً لموسىٰ (ع) حقيقة ، ولمن يريد الله أسماعه ، غير مخلوق في الشجرة[2] ولا قائم بالحوادث .

وموضع البراهين العقلية والسمعية على كل مقام من ذلك : الكتب الكلامية .

والمقصود ههنا رد ما وقع من المتشابه في الكتاب والسنة ، من إيهام نسبة الصوت والحرف إلى الله سبحانه وتعالىٰ ، ولا بد - في ردها للمحكم - من مراجعة مقدمة هذا الكتاب[3] وهو : أن كلام الله سبحانه وتعالىٰ صفته ، وصفة القديم قديمة ، تتقدس عن الحدوث ، والحروف في إفادة الكلام : يلزمها

---

(١) عن ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) : «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وقد روى موقوفاً وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه ، اهـ مخبون .

(٢) التي سمع موسىٰ الكلام عندها .

(٣) في صحيح البخاري باب «كيف كان بدء الوحي» عن عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) «أن الحارث بن هشام ، سأل رسول الله (ص) ، فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله (ص) : أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علي ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول» ا هـ مخبون .

قلت : ورواه كذلك الإمام مالك وأحمد ، والترمذي والنسائي عن أم المؤمنين السيدة عائشة ، ورواه الطبراني ، وزاد في آخره «وهو أهونه علي» .

قالت عائشة (رضي الله عنها) : «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقاً» (يفصد : يفارق ليعود ، يتفصد : يسيل ، من التفصد ، وهو السيلان) ورواه مسلم في الفضائل ، ا هـ مخبون .

الترتيب ، وتقدم بعضها على بعض ، وذلك مستحيل على القديم .

ولكنا قدمنا أن لصفاته مظهرين ، وبه يعلم : أن لكلامه مظهر ، جسماني منسوب للعباد ، وهي الألسنة والأيدي والأقدام . ومظهر علوي روحاني ، وهو : روح القدس .

وقلمه العلي ، والحروف والأصوات : من لوازم المظهرين .

وكلامه منزه عنهما ، كتنزه القلب في كلامه عن الحروف اللسانية ، والأصوات الهوائية ، وإن كانت مظاهر له ، وبهذا يتضح لك جميع المتشابه .

وأنا أفصله لك :

فمنه قوله عزّ وجلّ : ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ أي بواسطة مظاهر الجسمانيات ، وهي أصوات العباد وحروفهم ، وإطلاق كونه سامعاً لكلام الله بذلك : مجاز ، لما قدّمناه : أن المظاهر الجسمانية ليست منسوبة إلى الله تعالى : لا لغة ولا شرعاً .

ومنه : عن عائشة (رضي الله عنها) في صحيح البخاري[1] ومسلم وغيرهما : «أن الحارث بن هشام ، سأل رسول الله (ص) : كيف يأتيك الوحي ؟ .

قال : أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علي ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال .

وأحياناً يأتيني ، يتمثل لي الملك رجلاً ، فيكلمني فأوعي ما يقول» .

وهذا كله يحقق أن لكلام الله في الروحانات مظهرين :

مظهر جلي : يتشكل بالمظاهر الجسمانية وأصواتها وحروفها .

ومظهر آخر له حروف وصوت خفي روحاني ، لأن الجرس في أصله هو : الصوت الخفي ، والصلصلة : صوت اليابس الصلب إذا حرك .

ويصح نسبة المسموع حينئذ إلى الله بالتأويل الذي ذكرته لك .

---

(١) المقدمة التي كتبها هو (رحمه الله) ، والتي تبتدأ بقوله (رضي الله عنه) : «وأما التفصيل فلنقدم عليه مقدمة . . .» الخ .

وههنا سـؤالان :

أحدهما : ما السر في مناسبة الصوت المسموع بالصلصلة ؟ .

الثاني : ما وجه اشتداده عليه ؟ .

والجواب عن الأول: أن المتنزل بالوحي، هو الروح، وهذا الصوت ليس صوت الروح .

وإنما الروح إذا تجلت للرؤية : أفادت لمن تجلت عليه الرؤية في مظهر يناسب قابليته واستعداده ـ كما قدمناه ـ في اختلاف الرائين على حسب صور أخلاقهم وأعمالهم .

وكذلك إذا تجلت للأسماع : أفادت السمع بواسطة مظهر يناسب قابلية السمع .

ومن المعلوم : أن الإنسان قبل نفخ الروح فيه ، كان أصله من صلصال ، وهي صورة طين يابس ، إذا نقر وداخلته الريح صل وصوت . فافهم بذلك : أن الصوت والحرف المسموع عند تنزل روح الوحي ، إنما هو حادث متناسب لصفة الإنسان ، ظهر لتنزل روح الوحي عليه وانفصامه عنه ، ليس معناه انقطاعه ، فإن كلام الله قديم لا يقبل الانقطاع ، وإنما انفصامه : غيبة القلب عن تجليه لحجاب الحس ، فهنالك يجد نفسه قد وعى ، أي جمع له الوحي بكتابه روحانية في لوح قلبه ، تحقيقاً لقوله : **﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾** .

وأما الجواب عن الثاني : فإنما كان ذلك أشد الوحي ، لأن روح الإنسان لها تعلق بالحس ، وإرتباط به إرتباطاً جسمانياً ، فإذا جاء الوحي بواسطة الملك ، وهو على مثال الإنسان ، فقد تطور الملك ، وبرز بالوحي إلى الدائرة الإنسانية ، فسهل على الروح تلقيه ، لمناسبته العالم الحسي .

وإذا جاء الوحي روحاً مجرداً : اقتضى تجرد القابل له من علاقة الحس ، فاشتد ثقله كما يشتد عليه التجرد من الجسد عند الموت ، ومن هذا يفهم السر في قوله (ص)[1] لعائشة (رضي الله عنها) عقب الوحي : «حدثيني» يريد الرجوع

---

(١) هذا الحديث لم أقف عليه ، والشيخ ابن عربي معدود من الحفاظ ، وانظر قول أم المؤمنين في الحديث السابق في وصف ما يعاني من شدة (ص) ، اهـ مخيون .

إلى عالم الحس ، ليخف على أمته تلقي ما يلقيه إليهم عند التبليغ .

ومنه في البخاري[1] [والترمذي واللفظ له] عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال : «إذا قضى الله في السماء أمر ضربت الملائكة أجنحتها خضعاناً لقوله ، كأنها سلسلة على صفوان ، فإذا فزع عن قلوبهم . قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير»[2] وهذا يقتضي : ان هذا الصوت المسموع : صوت أجنحة الملائكة .

ولكن في بعض الروايات ما يقتضي نسبته إلى الوحي ، وهو يتخرج على ما قررناه ، لأنه كما أن الوحي سمعه محمد (ص) كصلصلة الجرس ، باعتبار قابليته ، فكذلك تسمعه الملائكة كجر السلسلة على الصفوان ، باعتبار قابليتهم ، لا باعتبار نفسه ، وفيه تحقيق : أن أجنحة الملائكة ليست كأجنحة الطير ، وإنما هي صفات روحانية ، كما قاله السهيلي[3] وهي قوى تسترسل بها فيما يأذن الله تعالى لها من التصريف ، ولهذا جاء ذكر الأجنحة في سياق جعلها رسلاً ، قال تعالى : ﴿جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ وضربها بها : أعدادها لقبول ما يلقى عليها من روح الأمر ، واسترسالها في تنفيذه ، وكأنه من : ضرب في الأرض إذا سار .

والغرض من ذلك كله : التمثيل والتقريب للأفهام .

---

(١) في صحيح البخاري في «التوحيد» و «التفسير» عن أبي هريرة يبلغ به النبي (ص) قال : «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله : كأنه سلسلة على صفوان ، ينفذهم ذلك ، فإذا فزع عن قلوبهم ، قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحق وهو العلي الكبير» .

هذه روايته في التوحيد ، وأكملها في التفسير بقوله : «فيسمعها مسترقو السمع ، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر ، ووصف سفيان بيده ، وفرج بين أصابع يده اليمنى ، نصبها بعضها فوق بعض ، فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه ، وربما لم يدركه حتى يرى بها إلى الذي يليه ، إلى الذي هو أسفل منه ، حتى يلقوها إلى الأرض .

وربما قال سفيان حتى تنتهي إلى الأرض ، فتلقي على فم الساحر ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيصدق ، فيقولون ألم يخبرنا يوم كذا وكذا فوجدناه حقاً : للكلمة التي سمعت من السماء» اهـ مخيون .

(٢) ورواه كذلك ابن ماجة .

(٣) السهيلي صاحب «الروض الأنف» شرح السيرة النبوية وغيرها ، توفي سنة ٥٨١ ، اهـ مخيون .

تنبيه : من تشبيه ما يسمع الملائكة عند الوحي بالسلسلة ، تفهم المناسبة في رؤيا عبد المطلب[1] قبل مولد نبينا محمد (ص) : «انه خرج من ظهره سلسلة لها طرف بالمشرق ، وطرف بالمغرب ، وطرف في السماء وطرف في الأرض ، ثم صارت شجرة لها ورق من نور ، تعلق بها أهل المشرق والمغرب ، فأولها المعبرون بولد» .

فانظر مناسبة هذه الرؤيا للوحي .

أما مناسبة السلسلة ، فقد علمته .

وأما مناسبة مصيرها شجرة ، فخذه من كلامه سبحانه لموسى (ع) ، وسماعه إياه من الشجرة ، وحقيقة تلك الشجرة ، هي الروح المحمدية القائمة بسر «لا إله إلّا الله » المرادة بقوله : ﴿يوقد من شجرة مباركة زيتونة﴾ الآية ، وهي الشجرة في قوله تعالى : ﴿مثلاً كلمة طيبة كشجرة﴾ الآية ، وفي قوله تعالى : ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين﴾ فالدهن هو حقيقة : الزيت الذي يكاد يضيء ولو لم تمسسه النار التي آنستها موسى (ع) ، والصبغ هو حقيقة : الصبغة ، في قوله تعالى : ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾ .

تنبيه : افادة الشجرة لاستماع كلام الله ، كإفادة ألسنة القراء ، وكلاهما في ذلك بمثابة القلم في إفادة المكتوب، وإلى هذا السر أشار بقوله تعالى : ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾(*) وإنما ينكشف لك ذلك بمعرفة سبب نزول هذه الآية ، فإن سبب نزولها : أن اليهود قالوا : انا أوتينا التوراة ، فيها موعظة وتفصيل لكل شيء ، فلا حاجة لنا إلى ما جاء به محمد (ص) ، فأنزل الله تعالى : ﴿ولوأنما في الأرض من شجرة أقلام﴾ الآية ، أي لو أن كل ما في الأرض من الأشجار :

---

(١) ذكر في «الروض الأنف» للسهيلي : رؤيا عبد المطلب جد النبي (ص) ، ذكر حديثها على القيرواني العابر في كتاب «البستان» قال : كان عبد المطلب قد رأى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره ، لها طرف في السماء ، وطرف في الأرض ، وطرف في المشرق ، وطرف في المغرب ، ثم عادت كأنها شجرة ، على كل ورقة منها نور ، وإذا أهل المشرق كأنهم يتعلقون بها ، فقصها ، فعبرت له بمولود ، يكون من صلبه ، يتبعه أهل المشرق والمغرب ، ويحمده أهل السماء والأرض ، فلذلك سماه محمداً ا هـ مخيون .

(*) سورة لقمان ؛ الآية : ٢٧ .

أقلام تفيد من كلام الله تعالىٰ ما أفادته شجرة موسىٰ لموسىٰ (ع) ، ما نفدت كلمات الله ، ولا حصل الاستغناء عنها ، فانظر كيف أشار لشجرة الكلمات الموسوية ، وجعلها بمثابة القلم في افادة كلمات الربوبية ، فكما أن المكتوب : لا يحل بالقلم ، ولا يكون صفة له ، ولا ينتقل به عمن هو صفته ، كذلك الكلام المسموع ، لا يحل بالألسنة ، ولا بالمصاحف ، ولا بالأقلام ، ولا يكون صفة للقارىء ، ولا ينتقل بالقراءة والكتابة عن موصوفه تبارك وتعالىٰ .

فإن قيل : فما معنى كونه منزلاً ؟ .

قلت : قد أجاب المتكلمون بأن الإنزال : الكتاب والعبارة الدالين عليه ، وفيه نظر، لأن المعتزلة وصفوه بأنه مخلوق ، ففر أهل السنة من ذلك إلى وصفه بأنه منزل ، فإذا كان الإنزال يرجع إلى الكتاب والعبارة الدالين عليه ، فالكتابة والعبارة مخلوقة أيضاً ، فلا فرق بين وصفها بالخلق أو الإنزال ، إلاّ أن رددت ذلك إلى أمر تعبدي ، أو توقيف سماعي .

والتحقيق : أن وصفه بالإنزال كوصفه تعالىٰ بالنزول ، وانه نزول بروح أمره ، وكذلك إنزال القرآن : إنزال للروح المحمدية ، قال تعالىٰ : **﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً * رسولاً﴾**(*) فأبدل الرسول من الذكر ، والمقصود بالعامل البدل ، وذلك نص في أن إنزال الذكر هو إنزال الرسول بالذكر .

وقال تعالىٰ : **﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾**(**) .

وقال تعالىٰ : **﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلاّ أنا فاتقون﴾**(*) .

فجعل الإنزال للملائكة بالروح ، وفسر الروح بكلامه ، وهو قوله تعالىٰ : **﴿أن أنذروا أنه لا اله إلاّ أنا﴾** .

ولهذا جاء بأن المفسرة .

وسيأتي مزيد بيان في صفة الإنزال إن شاء الله تعالىٰ .

(*) سورة الطلاق ؛ الآيتان : ١٠ ، ١١ .

(**) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٥٧ .

(*) سورة النحل ؛ الآية : ٢ .

فصـل الجنب

ومن المتشابه : «الجنب» في قوله تعالىٰ : ﴿أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله﴾ وهو أيضاً يتخرج على ما مهدناه ، وذلك أن الصورة : إذا كانت ظلة غمام الشريعة ، فرأسها كتاب الله ، وجنبها سنة رسول الله (ص) ، ومظهرها متابعته ، ومتابعة خلفائه الراشدين ، وعلماء الأمة المتقين ومما يدل على ذلك ، قوله تعالىٰ : ﴿واتبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربكم﴾ مع قوله في أثناء السورة : ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً﴾ فعلم أنه كتاب الله ، وكذا سنة رسوله (ص) لأنه لا ينطق عن الهوىٰ ﴿إن هو إلاّ وحي يوحىٰ﴾ فلما مهد الأمر بالمتابعة لكتابه وسنة رسوله ، حذر من إتيان عذابه قبل ذلك ، ومن قول النفس : ﴿يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله﴾ وذلك كالصريح في أن الجنب هو : سنة رسوله وعلماء الأمة المتقين ، لأنهم كانوا يسخرون من الذين آمنوا في اتباعهم لرسوله (ص) ، فلهذا أردفت حسرتها ، بقولها : ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾وبقولها ﴿لو أن الله هداني لكنت من المتقين﴾ فرد الله عليها بقوله : ﴿بلىٰ قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين﴾ .

تنبيه: قد سبق في أثناء السورة[1] قوله تعالىٰ : ﴿فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله﴾[2] ثم بيّن أنهم الذين أتقوا بقوله تعالىٰ : ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية

---

(١) سورة الزمر ؛ الأيات : ٥٥ ـ ٥٩ .

(٢) سورة الزمر ؛ الأيتان : ١٧ و ١٨ .

تجري من تحتها الأنهار﴾ ثم بيّن بقوله : ﴿وعد الله لا يخلف الله الميعاد﴾[١] .

إن ذلك هو الذي وعدهم به ، في قوله تعالى : ﴿زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة﴾[٢] لأنهم يكونون في الدرك الأسفل[٣] ، والذين اتقوا في الغرف ، ولذلك حق لهم أن يتحسروا على ما فرطوا في جنب الله ، وهو صحبة رسوله (ص) ، ومتابعته ، حتى يسعدوا به ، وبصحبته كما سعد به المتقون من اتباعه ، واهتدوا باتباعه ، وفي ذلك اليوم تظهر لهم حقيقة سخريتهم في قوله تعالى : ﴿ومنهم من يستمع إليك . حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً﴾ إلى قوله : ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾[٤] .

تبصرة : إذا تقرر لك بهذا أن الجنب جنبان : جنب حسي ، وجنب معنوي حقيقي ، فكذلك الصاحب بالجنب ، صاحبان : صاحب في السفر الحسي الجنبي ، وصاحب في السفر الغيبي القلبي .

وبذلك فافهم السر في قوله تعالى : ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ إلى قوله : ﴿والصاحب بالجنب وابن السبيل﴾[٥] فإن تنزلت ، فاعتبر قوله : ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾[٦] الآية .

وإن ترقيت فاعتبر قوله تعالى عن رسوله : ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾[٧] ثم اعتبر قول الرسول (ص) في سفره[٨] : «اللهم أنت الصاحب في السفر ،

---

(١) سورة الزمر ؛ الآية : ٢٠ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢١٢ .

(٣) يعني من النار ، نعوذ بالله منها .

(٤) سورة محمد ؛ الآية : ١٦ .

(٥) سورة النساء ؛ الآية : ٣٦ .

(٦) سورة النساء ؛ الآية : ٦٩ .

(٧) سورة النجم ؛ الآية : ٢ .

(٨) روى مسلم في صحيحه في باب «ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره» عن ابن عمر (رضي الله عنهما) : «أن رسول الله (ص) ، كان إذا أستوى على بعيره ، خارجاً إلى سفر : كبر ثلاثاً ، ثم قال : ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ .
اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى .
اللهم هون علينا سفرنا هذا ، وأطو عنا بعده . =

والخليفة في الأهل» .

بيـان : قد روى أبـو عبـد الله [الحكيم التـرمـذي][1] بسنـده إلى عبـد الله بن سـلام (رضي الله عنه) : «أن النبي (ص) يجلسـه الله معه على العـرش»[2] وذلـك يتخرج على ما مهدناه، لأننـا بينا أن الصـورة التي يتجلى الله فيها هي ظلة غمـامة،

= اللّهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل .
اللّهم اني أعوذ بك من وعثاء السـفر وكآبة المنـظر وسوء المنقلب في المـال والأهل والـولد .
وإذا رجع قالهن ، وزاد فيهن : آيبون ، تائبون ، عابدون ، لربنا حامدون» ا هـ مخيون .

(١) الحيكم الترمذي [محمـد بن علي] أبو عبـد الله ، صاحب «نـوادر الأصـول» تـوفي سنـة ٣٢٠ بشـارك في الاسم واللقب والنسبة الحكيم الترمذي أبي بكـر محمد بن عمـر ، العالم الـرباني المتوفى سنة ٢٨٠ ويخالفه في الكنية ، واسم الأب ، وهما متعاصران ، والأخير صاحب كتاب «العالم والمتعلم» ويلقب بالوراق ، ا هـ مخيون .

(٢) روى الحـافظ الـذهبي في «العلو للعلي الغفـار» ص ١١٩ عن سلمـة الأحمـر ، عن أشعث بن طليق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : «بينا أنـا عند رسـول الله (ص) أقرأ عليـه ، حتى بلغت ﴿عسىٰ أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال : يجلسني على العرش» .
قال الذهبي : هذا حديث منكر ، لا يفرح بـه ، وسلمة متروك الحديث ، وأشعث لم يلحق ابن مسعود .
وروي عن سعيد الجريري ، عن سيف السدوسي ، عن عبد الله بن سلام ، قال : «إذا كان يـوم القيامـة جيء بنبيكم (ص) ، فأقعـد بين يدي الله على كـرسيه» فقلت للجـريري : يـا أبـا مسعود إذا كان على كرسيه : أليس هو معه ؟ .
قال : ويلكم ، هذا أقر حديث في الدنيا لعيني .
هذا موقوف ولا يثبت أسناده .
حديث جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عبـاس في ذلك سيـأتي ، وليس بصحيح ، ويـروي مرفوعاً ، وإنما هذا شيء قاله مجاهد ، كما سيأتي ، فالله أعلم .
وفي ص ١٥٦ عن ليث ، عن مجـاهـد : ﴿عسىٰ أن يبعثك ربـك مقـامـاً محمـوداً﴾ قـال : يجلسه ، أو يقعده على العرش .
لهذا القول طرق خمسة ، وأخـرجه ابن جـرير في تفسيـره ، وعمل فيـه المروزي مصنفـاً ، وسـيأتي إيضاح ذلك بعد .
وفي ص ١٦٦ حـدثـنا عمر بن مدرك الرازي ، ، حدثنا مكي بن إبراهيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله تعالى : ﴿عسىٰ أن يبعثك ربـك مقاماً محموداً﴾ قـال : يقعده على العرش . اسناده ساقط .
وعمر هذا الرازي متروك ، وفيه جويبر .
قال متكلم : اللام في العرش ليست للمعهود ، بل للجنس .

وهي أنوار آياته، وفي تلك الصورة يتجلى على العرش، ونبينا (ص) يتجلى لأمته في ظلة سنته، وكتاب الله وسنة رسوله: لا يفترقان، كما لا تفارق «لا إله إلا الله

= قلت : (أي الذهبي) هذا مشهور من قول مجاهد ، ويروي مرفوعاً ، وهو باطل .

وفي ص ٢١١ قال المروزي : سمعت أبا عبد الله الخفاف ، سمعت ابن مصعب ، وتلا : ﴿عسىٰ أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال : نعم يقعده على العرش .

ذكر الإمام أحمد : محمد بن مصعب ، فقال : قد كتبت عنه ، وأي رجل هو ، فأما قضية قعود نبينا على العرش ، فلم يثبت في ذلك نص ، بل في الباب حديث أوه . وما فسر به مجاهد الآية كما ذكرناه ، فقد أنكره بعض أهل الكلام ، فقام المروزي وقعد ، وبالغ في الانتصار لذلك ، وجمع فيه كتاباً ، وطرق قول مجاهد من رواية ليث بن أبي سليم وعطاء بن السائب ، وأبي يحيى القتات ، وجابر بن يزيد .

فمن أفتىٰ في ذلك العصر بأن هذا الأثر يسلم ، ولا يعارض أبو داود السجستاني ، صاحب السنن وإبراهيم الحربي وخلق ، بحيث أن ابن الإمام أحمد قال عقيب قول مجاهد : أنا منكر على كل من رد هذا الحديث ، وهو رجل سوء ، سمعته من جماعة ، وما رأيت محدثاً ينكره ، وعندنا إنما تنكره الجهمية ، وقد حدّثنا هارون بن معروف ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله : ﴿عسىٰ أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال : يعقده على العرش ، فحدثت به أبي (رحمه الله) ، فقال : لم يقدر لي أن أسمعه من ابن فضيل ، بحيث أن المروزي روى حكاية ، بنزول عن إبراهيم بن عرفة ، سمعت ابن عمير ، يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول : هذا تلقته العلماء بالقبول .

وقال المروزي : قال أبو داود السجستاني : حدثنا ابن صفوان الثقفي ، حدثنا يحيى بن أبي كثير ، حدثنا سلم بن جعفر ، وكان ثقة ، حدثنا الجريري ، حدثنا سيف السدوسي ، عن عبد الله بن سلام ، قال : إذا كان يوم القيامة جيء بنبيكم (ص) ، حتى يجلس بين يدي الله عزّ وجلّ ، على كرسيه» الحديث .

وقد رواه ابن جرير في تفسيره [أعني قول مجاهد] ثم قال ابن جرير : ليس في فرق الإسلام من ينكر هذا ، لا من يقر أن الله فوق العرش ، ولا من ينكره .

كذلك أخرجه النقاش في تفسيره .

وكذلك رد شيخ الشافعية ابن سريج على من أنكره ، إلى أن قال : ان الفقيه أبا بكر أحمد بن سليمان النجاد المحدث ، قال فيما نقله عنه القاضي أبو يعلى الفراء ، (المتوفى سنة ٤٥٨ ، والنجاد ـ وهو مذكور في «صفة القدم» من هذه الرسالة ـ متوفي في سنة ٣٤٨ أنظر المقدمة) : لو أن حالفا حلف بالطلاق ثلاثاً ان الله يقعد محمداً (ص) على العرش ، واستفتاني ، لقلت له : صدقت وبررت .

قال الذهبي : فابصر حفظك الله من الهوىٰ ، كيف آل الغلو بهذا المحدث إلى وجوب الأخذ بأثر منكر.

لمحمد رسول الله» فمن ههنا صحت المجالسة له مع ربه على عرشه، ووضح بهذا حسرة النفس التي شقيت بمخالفته على تفريطها في جنب الله، لأنها تشهد

أقول : هو حافظ ، وليس محدثاً فقط ، وله كتاب في «السنن» كبير . اهـ .

وفي ص ٢٤٦ وقد ذكرنا احتفال الإمام أبي بكر المروزي في هذا العصر لقول مجاهد : ان الله تعالىٰ يقعد محمداً (ص) على العرش . وغضب العلماء لإنكار هذه المنقبة العظيمة ، التي انفرد بها سيد البشر ، ويبعد أن يقول مجاهد ذلك إلاّ بتوقيف ، فإنه قال : قرأت القرآن من أوله إلى آخره ثلاث مرّات على ابن عباس (رضي الله عنهما) أقفه عند كل آية أسأله .

فمجاهد : أجل المفسرين في زمانه ، وأجل المقرئين ، تلا عليه ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن محيصن فممن قال : أن خبر مجاهد يسلم له ولا يعارض : عباس بن محمد الدوري الحافظ ، ويحيى بن أبي طالب المحدث ، ومحمد بن إسماعيل السلمي الترمذي الحافظ ، وأبو جعفر محمد بن عبد الملك الدقيقي ، وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني [صاحب السنن] وإمام وقته إبراهيم بن إسحاق الحربي ، والحافظ أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي ، وحمدان بن علي الوراق الحافظ ، وخلق سواهم من علماء السنة ، ممن أعرفهم وممن لا أعرفهم .

ولكن : ثبت في الصحاح أن المقام المحمود في الشفاعة العامة ، الخاصة بنبينا (ص) .

وفي ص ٢٧٣ عن الإمام أبي محمد بن يحيى بن محمد بن صاعد ، حافظ بغداد : أنه قال في هذه الفضيلة في قعود النبي (ص) على العرش : «لا تدفعها ولا تماري فيها ، ولا تتكلم في حديث فيه فضيلة للنبي (ص) بشيء» .

انتهى كلام الذهبي وما نقله ، أثبتناه بطوله ، والمنمعن في الآثار والأحاديث ، يرىٰ أن المتكلم الذي قال اللام في العرش ليست للمعهود ، بل للجنس : لم يعد الصواب ، فليس فيها نص جازم ، يؤكد جلوسه على العرش العظيم ، الذي استوىٰ عليه الرحمن .

أما قول الذهبي : ثبت في الصحاح أن المقام المحمود في الشفاعة العامة : الخاصة بنبينا (ص) فهذا لا ينكر .

ولكن ليس فيه نفي اجلاس المصطفى (ص) على عرش مخصوص ، بهذا المقام المحمود ، فهو مقام تكريم ، من صورة أجلاس رسول الله (ص) على عرش ، أو على كرسي بين يدي الله ، كما في الأثر .

وللإبهام الذي(*) أتىٰ من الضمير الذي يوضح رجوعه إلى النبي (ص) قرائن ، منها قوله : «بين يدي الله» وهي جملة توهم المقابلة ، والله تعالىٰ منزه عن الجهات والشبه ، ولكنها قرينة على أن عرش المصطفىٰ المكرم به ، غير عرش الرحمن العظيم ، وعلى هذا ينفض الأشكال ، وإلاّ احتيج للتأويل ، لأن قوله تعالىٰ : ﴿الله لا إله إلاّ هو رب العرش العظيم﴾ يتعارض مع هذا الأثر . والله أعلم .

(*) في الأصل الذي راجعنا عليه «والإبهام أتىٰ» الخ ، ولا يفهم المعنىٰ .

هنالك حقيقة معية ربه له، ومجالسته.

اعتبار: ذكر أبو عبد الله الترمذي في «نوادر الأصول» له: حديث رؤيا رسول الله (ص) لأهوال القيامة(١) وفيه: «ورأيت رجلاً من أمتي، والنبيون حلق حلق، كلما دنا إلى حضرة طرد، فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده، فأقعده إلى جنبي».

وهو أيضاً: يخرج على ما مهدناه، لأن اتباع السنة، تارة يكون فيما يقتضي التنزيه، وتارة يكون فيما يقتضي الحمد، وبهما يكمل الميزان، كما ثبت

---

(١) روى الحكيم، والطبراني عن عبد الرحمن بن سمرة «اني رأيت البارحة عجباً.
رأيت رجلاً من أمتي قد أحتوشته، ملائكة العذاب فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك.
ورأيت رجلاً من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءته صلاته فاستنقذته من ذلك.
ورأيت رجلاً من أمتي قد أحتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله فخلصه منهم.
ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشاً فجاءه صيام رمضان سقاه.
ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن شماله ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة، فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة.
ورأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه فرده عنه.
ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه، فجاءته صلة الرحم فقالت: إن هذا كان واصلاً لرحمه، فكلمهم وكلموه، وصار معهم.
ورأيت رجلاً من أمتي يأتي النبيين وهم حلق حلق، كما مر على حلقة طرد، فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأجلسه إلى جنبي.
ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار بيديه عن وجهه، فجاءته صدقته فصارت ظلاً على رأسه، وستراً عن وجهه.
ورأيته رجلاً من أمتي جاءته زبانية العذاب، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فاستنقذه من ذلك.
ورأيت رجلاً من أمتي هوى في النار، فجاءته دموعه التي بكى بها في الدنيا من خشية الله فأخرجته من النار.
ورأيت رجلاً من أمتي قد هوت صحيفته إلى شماله، فجاءه خوفه من الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه.
ورأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه، فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه.
ورأيت رجلاً من أمتي على شفير جهنم، فجاءه وجله من الله تعالى فاستنقذه من ذلك.
ورأيت رجلاً من أمتي يرعد كما ترعد السعفة، فجاءه حسن ظنه بالله تعالى فسكن رعدته. =

في الصحيح «الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان»[1] .

وصاحب غسل الجنابة : إذا شهد نور المتابعة المحمدية في الغسل ، حصل له شطر الإيمان ، فلذلك فاز بصحبته للجنب المحمدي ومجالسته .

= ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط مرة ويحبو مرة ، فجاءته صلاته عليه فأخذت بيده فأقامته على الصراط حتى جاز .

ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة ، فغلقت الأبواب دونه ، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله فأخذت بيده ، فأدخلته الجنة» .

ورواه في «الوابل الصيب» بمغايرة ، وقال : رواه الحافظ أبو موسى المديني ، في كتاب «الترغيب في الخصال المنجية ، والترهيب من الخلال المردية» وبني كتابه عليه ، وجعله شرحاً له ، وقال : هذا حديث حسن جداً .

(١) في صحيح مسلم ، عن أبي مالك الأشعري(رضي الله عنه) ، قال : قال رسول الله (ص) : «الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ، [أو تملأ] ما بين السموات والأرض» .

فصل صفة الفوقية

وأما صفة الفوقية ، فقد جاء بها الكتاب والسنة ، كقوله تعالى : ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ وقوله تعالى : ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ وآيات كثيرة ، وأحاديث ، وهو معدود من المتشابه ، وذلك أن «فوق» كلمة موضوعة لافادة جهة العلو ، والله تعالى منزه عن الجهات ، وإنما المراد منها حيث أطلقت في حق ربنا سبحانه : إفادة العلو الحقيقي[1] .

ومما يدل على عدم اختصاصه بجهة «فوق» قوله تعالى : ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ وقوله : ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ وقوله تعالى : ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ وقوله : ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ وقوله : ﴿ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلاّ هو معهم﴾ وآيات كثيرة يطول ذكرها ، ولو كان في جهة العلو : لتعارضت هذه الآيات ، واختلفت ، وهو مناف لقوله تعالى : ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً﴾ .

وفي مسلم[2] عن أبي هريرة (رضي الله عنه) : أنه (ص) قال :

---

(١) في نسخة : العلو الرتبي .

(٢) في صحيح مسلم ، باب ما يقول في الركوع والسجود ، عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا من الدعاء» .

«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»(١) فنفي تقييده بجهة فوق ، وهو : ﴿وما ينطق عن الهوىٰ * إن هو إلاَّ وحي يوحىٰ﴾ .

والذي يجمع بين الآيات والأحاديث : أن يعلم أن العلو له اعتباران : اعتبار إضافي ، واعتبار حقيقي ، فعلو المخلوقات بعضها على بعض ، إنما هو علو إضافي ، لأن ما من مخلوق له جهة علو ، إلاَّ وهو مستقل بالنسبة إلى مخلوق آخر هو فوقه ، إلى ما يشاء الله .

وهذا العلو الإضافي قسمان :

قسم حسي : وهو المفهوم بالنسبة إلى الجهات المكانية ، المخصوص بالجواهر المفتقرة للحين .

وقسم معنوي : وهو المفهوم بالنسبة إلى درجات الكمال العرفاني ، لأرباب القلوب ، أو الكمال الوهمي لأرباب التقوىٰ(٢) قال تعالىٰ : ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ وقال تعالىٰ : ﴿أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ هذا كله في العلو الإضافي .

وأما العلو الحقيقي ، فإنما هو لله سبحانه ﴿وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ وعلوه هذا محقق قبل الجهات والأماكن ، مفهوم بدون اعتبار النسب والاضافات ، عام في جميع تجلياته على مخلوقاته بأسمائه وصفاته .

وإنما يعرفه ويشهده أرباب البصائر والقلوب ، ولتجلي نور توحيده بعلو فوقيته سبحة ، وله حجاب ، فسبحته(*) صفة القهر ، وحجابه خلوص العبودية ، قال تعالىٰ : ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ .

تنبيه : إذا أردت أن تتحقق أن فوقيته ليست فوقية مكانية ، وإنما هي الفوقية الحقيقية ، بقهر الربوبية للعبودية ، فتفكر في حديث(٣) «كان الله ولا شيء معه»

---

(١) ورواه داود ، والنسائي ، والبزار ، عن عبد الله بن مسعود ، وبقيته «فأكثروا الدعاء» .

(٢) في نسخة لأرباب النفوس .

(*) بضم السين وسكون الباء ، وفي القاموس وسبحات وجه الله : أنواره .

(٣) روى البخاري في صحيحه ، في «بدء الخلق» عن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله (ص) : «كان الله ، ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض ، فنادىٰ مناد ذهبت ناقتك يا ابن الحصين ، فانطلقت ، فإذا =

ولم يتجدد له بخلقه للسموات علو ، ولا بخلقه الأرض نزول ، ولا بخلقه للعرش استواء .

وإنما عن تجلي أسمائه وصفاته نشأت أعداد مخلوقاته ، غير مماسة له[1] ولا منتسبة إليه بفوق ولا تحت ، ولا شيء من الجهات ، قال تعالىٰ : ﴿سبح اسم ربك الأعلىٰ * الذي خلق فسوى﴾ فوصفه بالأعلىٰ حال إتصافه بالخلق ، فدل على أن علوه محقق قبل الخلق ، ولذا قال تعالىٰ : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية ، وصف نفسه آخر الآية بالعلو والتنزيه ، في قوله تعالىٰ بعد ذكره قبضه للأرض وطيه للسماء[2] ، فدل على أن علوه علو حقيقي : لا مكاني .

وتأمل قوله تعالىٰ : ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾[3] مع قول فرعون على بني

= هي يقطع دونها السراب ، فوالله لوددت أني كنت تركتها» .

قال الشرقاوي في «شرحه» على «الزبيدي» كان الله في الأزل ، أي أنفرد وتوحد ، فكان تامة وجملة «ولم يكن شيء غيره» حالية ، ويحتمل أنها خبر كان على مذهب الأخفش ، المجوز دخول الواو في خبر كان وأخواتها ، نحو كان زيد وأبوه قائم .

وأما ما وقع في بعض الكتب في هذا الحديث «كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان» قال ابن قتيبة هذه زيادة ليست في شيء من كتب الحديث ، ا هـ مخبون .

(١) روى ابن تيمية في «تفسير سورة الاخلاص» عن الضحاك عن ابن عباس ، أن وفد نجران قدموا على النبي (ص) بسبعة أساقفة ، من بني الحرث بن كعب ، منهم : السيد ، والعاقب ، فقالوا للنبي (ص) : صف لنا ربك ، من أي شيء هو ؟ .

قال النبي (ص) : «ان ربي ليس من شيء ، وهو بائن من الأشياء» فانزل الله تعالىٰ : ﴿قل هو الله أحد﴾ .

قال الإمام الدردير في شرحه على خريدته في التوحيد ، عند قوله (مخالف للغير) : أي مخالفته تعالىٰ لغيره من الحوادث ، فليس تعالىٰ بجوهر ، ولا جسم ، ولا عرض ، ولا متحرك ، ولا ساكن ، ولا يوصف تعالىٰ بالكبر ، ولا بالصغر ، ولا بالفوقية ، ولا بالتحتية ، ولا بالحلول في الأمكنة ، ولا بالاتحاد ، ولا بانصال ، ولا بالانفصال ، ولا باليمين ، ولا بالشمال ، ولا بالخلف ، ولا بالأمام ، ولا بغير ذلك من صفات الحوادث ، إذ لو كان مماثلاً لها لوجب له تعالىٰ ما وجب لها من الحوادث ، والافتقار ، وذلك محال ، لما مر .

واعلم : ان العالم وان عظم في نفسه ، فهو بالنسبة نعظم قدرته تعالىٰ ليس بشيء ، فكيف يكون العلي الكبير ، القديم ، القدير : حالاً أو متصلاً او منفصلاً ، او مستقراً ، أو على جهة لهذا الشيء الحقير الحادث الفقير ، ا هـ مخبون .

(٢) الآية بتمامها ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالىٰ عما يشركون﴾ سورة الزمر ؛ الآية : ٦٧ .

(٣) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٨ .

إسرائيل ﴿سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾[1] فهل يفهم أحد أن فرعون ادّعىٰ أنه فوق بني إسرائيل : نسبة بالمكان أو بالجهة .

وإنما لما أدّعىٰ الربوبية بقوله : ﴿أنا ربكم الأعلىٰ﴾ كان من لازم دعواه ادعاؤه الفوقية اللائقة بالربوبية ، وهي الفوقية الحقيقية ، بالقهر ، فلذلك قال : ﴿وانا فوقهم قاهرون﴾ .

لا جرم كذبه الله في الأمرين :

فكذبة في قوله : ﴿أنا ربكم الأعلىٰ﴾ بقوله لموسىٰ : ﴿لا تخف إنك أنت الأعلىٰ﴾ .

وكذبه في قهره بقوله : ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم * وأضل فرعون قومه وما هدىٰ﴾ .

تنبيه : قوله تعالىٰ : ﴿رفيع الدرجات﴾ يرجع إلى العلو والفوقية الحقيقية ، وليس المراد : أن العلو الحقيقي له درجات وتفاوت .

وإنما المراد : أن للعباد في ترقيهم إلى معرفته وخلوص التحقيق به : درجات :

الأولىٰ : درجة الإيمان .

والثانية : درجة التقوىٰ .

والثالثة : الاتباع .

والرابعة : درجة العلم .

قال تعالىٰ : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ .

تنبيه : قوله تعالىٰ : ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾ وقد

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٢٧ .

فسرت بالمساجد ، وفسرت بالقلوب ، وكيفما كان . فرفعها : تحققها واشتمالها على ما ذكره من الدرجات المذكورة ، وتمام الآية يحققه .

تنبيه : لما أدّعىٰ فرعون الربوبية ، واعتقد الجهة لله تعالىٰ قال : ﴿يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطلع إلى إله موسىٰ﴾ فرد الله عليه وسخف سوء رأيه بقوله تعالىٰ : ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل﴾ أي عدل عن سبيل القرب والدنو من إله موسىٰ ، فإنه تنزه عن علو المكان ، وإنما يصعد إليه بالكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه[1] .

أين هو من قول موسىٰ ﴿وعجلت إليك رب لترضىٰ﴾ مع أنه لم يبن له صرح ، ولا احتاج في الدنو والقرب إلى صعود السماء .

وكذلك إبراهيم حين جاء ربه بقلب سليم ، ووهب له لسان صدق علي ، فكان مجيئه إليه ، ووصوله إليه ، وعلوه : بسلامة القلب وصدق اللسان ، لا بالتسور والصعود للمكان ، وقد ثبت إيواء الله للمؤمنين في قوله تعالىٰ : ﴿واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم﴾ .

وفي صحيح البخاري[2] عن أبي واقد الليثي، أن ثلاثة حضروا حلقة ذكر ، فدخل أحدهم الحلقة ، والثاني جلس خلفهم ، والثالث أدبر ذاهباً ، فقال (عليه الصلاة والسلام) : «أما أحدهم فأوىٰ إلى الله فآواه الله ، والآخر استحيا فاستحيا الله منه ، والآخر أعرض ، فأعرض الله عنه» .

فنبه (ص) ، على أن الداخل أوىٰ إلى الله ، فآواه الله ، مع العلم بأنه ليس الإيواء في الآية والحديث باعتبار مكان .

وفي صحيح[3] مسلم وغيره عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ، أن النبي (ص)

---

(١) يشير لقوله تعالىٰ : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ اهـ مخيون .

(٢) في «كتاب العلم» من صحيح البخاري ، عن أبي واقد الليثي أن رسول الله (ص) بينما هو جالس في المسجد ، والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله (ص) ، وذهب واحد ، قال : فوقفا على رسول الله (ص) ، فأما أحدهما ، فرأى فرجة في الحلقة ، فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث ، فأدبر ذاهباً ، فلما فرغ رسول الله (ص) قال : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة : أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله ، وأما الآخر فاستحيا ، فاستحيا الله منه ، وأما الآخر ، فأعرض ، فأعرض الله عنه» اهـ مخيون .

(٣) في صحيح مسلم في باب «النهي عن البصاق في المسجد» ، عن أبي هريرة : أن رسول الله =

رأى نخامة في المسجد [في القبلة] فقال : «ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخع أمامه ، أيحب أحدكم أن يستقبل فيتنخع في وجهه» .

فدل على أنه ليس مخصوصاً بجهة فوق ، وإلاّ لما كانت قبلة المصلي ، وأمامه .

وبالجملة ، فالأحاديث الدالة على عموم إحاطة ربنا لجميع الجهات ، وعدم اختصاصه : كثيرة .

والقصد : قد حصل بما ذكرناه .

= (ص) رأى نخامة في قبلة المسجد ، فأقبل على الناس ، فقال : «ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه ، فيتنخع أمامه ، أيحب أحدكم أن يستقبل فيتنخع في وجهه ، فإذا تنخع أحدكم فليتنخع عن يساره ، تحت قدمه ، فإن لم يجد فليقل هكذا [ووصف القاسم أحد رواته] فتفل في ثوبه ، ثم مسح بعضه على بعض .

«والنخامة من الحلق ، أو الخيشوم ، ويُقال لها : النخاعة ، وتنخع ، بمعنىٰ : تنخم» .

فليقل هكذا ، أي فليفعل .

وإطلاق القول على الفعل : مجاز مرسل ، علاقته السببية ، فإن القول يصير سبباً للفعل ، اهـ نووي» اهـ مخيون .

فصـل الاسراء

قصـة الإسـراء : وإن كـانت مشتملة على الترقي بالنبي (ص) إلى السموات ، فليست منافية لما ذكرناه ، ولا مستلزمة لإثبات الجهة ، ويدل عليه أمور ، منها افتتاح السورة بـ «سبحان» المقضي للتنزيه تنبيهاً على تعاليه عن التحيز بالجهات ، وعلى عدم اختصاصه بجهة .

الثاني : قوله تعالى : ﴿أسري بعبده﴾ فأتى بباء الإلصاق ، المفيدة للمصاحبة ، في تعدية الفعل : تنبيهاً على مصاحبته له في إسرائه ، وانه ليس نائياً ولا بعيداً عنه ، فيحتاج في قربه إلى قطع مسافة مكانية ، وتحقيقاً لقوله (ص) : «اللّهم أنت الصاحب في السفر» .

الثالث : قوله تعالىٰ : ﴿بعبده﴾ تنبيهاً على إنه على حسب التحقق بخضوع العبودية ، يكون الترقي إلى حضرة الربوبية .

الرابع : قوله : ﴿ليلاً﴾ وإن كان لفظ الإسراء مفيداً لذلك ، تنبيهاً على أن كل ما تضمنه الإسراء ، كان خارجاً عن العادة في مثله ، فإنه جعل العلة فيه : أن يريه من آياته ، والإراءة العادية سلطانها النهار ، فقال : ﴿ليلاً﴾ ليعلم أن الرؤية المقصورة ليست عادية ، بل هي رؤية : بنور رباني ، سلطانه الليل ، دون النهار .

الخامس : قوله تعالىٰ : ﴿من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصىٰ﴾ نبه به على أن الإسراء لو كان لضرورة رؤية ربه لكونه مخصوصاً بجهة العلو : لم تكن

حاجة بالذهاب إلى المسجد الأقصى ، ولأمكن الترقي من مكة إلى السماء .

فدل على أن الإسراء والترقي ، من مكان لمكان : لحكمة وراء زعم مثبت الجهة ، والسر فيه ، وفي كونه ذكره الله تعالى في كتابه : تنبيهاً على أن العبد لا يصل إلى الله إلاّ فرداً ، تحقيقاً ، لقوله تعالى : ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ ولا تتحقق له الفردية إلاّ بعد مفارقة الحوادث وتجرده عنها .

فهنالك يصل إلى حضرة عنديته .

وقد جاء الكتاب العزيز بالتنبيه على أن حضرة عنديته ، وراء دوائر السموات والأرض ، قال تعالى : ﴿وله من في السموات والأرض ومن عنده﴾[1] فعطف (من عنده) على ﴿من في السموات والأرض﴾ والعطف يقتضي المغايرة . فدل على أن حضرة العندية وراء السموات والأرض ، وهي مع ذلك محيطة بحضرات السموات والأرض ، كإحاطة ربنا بذلك كله ، مباينة له كمباينته ، فمن أرادها فعليه بتفرقة الحوادث ومباينته لها .

ثم اعلم ان الفرقة فرقتان : فرقة قلبية غيبية ، وفرقة حسية : فإن فارقها بقلبه وصل إلى الله بقلبه ، وإن فارقها بحسه تبعاً لقلبه ، وصل إلى الله بحسه وقلبه ، فلذلك كان الإسراء ، مرتين : مرة بالروح ، ومرة بالجسد ، تنبيهاً على أنه (ص) شرع لأمته فراق الحوادث مرتين : مرة بالروح ، وهو الإسراء الأول ، ومرة بالجسد حساً ، وهو الإسراء الثاني ، ومن المعلوم أنه لا يتحقق لفرقة الحوادث حساً إلاّ بمجاوزة دوائر الأفلاك كلها ، كما ثبت ليلة الإسراء . وأما ترتيب نعليه ، وترقيه في توجهه : ففيه أسرار بديعة : أظهرها وأجلاها : ان فرض الصلاة كان ليلة الإسراء ، والصلاة حضرة القرب والمناجاة والمراقبة المثمرة لنعيم الرؤية .

ومن المعلوم أن التوجه توجهان : روحاني ، وحسي . فقبلة التوجه الروحاني : وجه الله ، ولا اختصاص له بمكان ، وأما التوجه الحسي فله قبلتان : بيت المقدس والكعبة ، فبيت المقدس : هو قبلة الأنبياء ، والكعبة . هي قبلة إبراهيم (ع) ، فجاء الإسراء الروحاني أولاً تأسيساً للشريعة في قوله تعالى : ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ وجاء الإسراء الحسي مبدوءاً بالتوجه

(١) هذا رأي ، ورأي آخر أن الواو : واو الابتداء ، وجملة ﴿من عنده﴾ مبتدأ ، خبره ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ والواو في كلا الحالين تفيد المغايرة .

لبيت المقدس ، ثم إلى السماء ، ثم بالرجوع إلى الكعبة تأسيساً للشريعة في التوجه الحسي في الصلاة أولاً لبيت المقدس ، ثم للسماء في قوله تعالىٰ : ﴿قد نرىٰ تقلب وجهك في السماء﴾ ثم بالرجوع إلى قبلة مكة في قوله تعالىٰ : ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ .

إشارة : لما كان توجه الإسراء إلى مكة بعد خروجه من حضرة القرب في التلقي إلى حضرة القرب في التبليغ ، جاء التشريع في التوجه إلى الكعبة على وفق المناسبة ، فقال فيه : ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ ومن هذا يفهم السر في قوله تعالىٰ : ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ إلى قوله : ﴿وأخرجني مخرج صدق﴾ وهذا المخرج للدعوة والتبليغ ، هو المخرج الذي ورثه عنه أمته في قوله تعالىٰ : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ الآية .

تنبيه : قوله تعالىٰ : ﴿ثم دنا فتدلىٰ * فكان قاب قوسين أو أدنىٰ﴾ إيّاك أن تفهم أن ذلك يشعر بتحديد في القرب ، أو تخصيص في جهة ، وإنما هو دنو تجل وكشف ، لأنه ذكره في قصة الإسراء بالروح ، ألا ترىٰ قوله تعالىٰ بعده : ﴿ما كذب الفؤاد ما رأىٰ﴾ ثم ذكر بعده الإسراء الحسي فقال تعالىٰ : ﴿ولقد رآه نزلة أخرىٰ﴾ إلى قوله : ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرىٰ﴾ فإذا علم أنه دنو تجل روحاني ، وكشف عرفاني ، فهمت سر قوله : ﴿وهو بالأفق الأعلىٰ﴾ من قوله : ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾ فكان أفقه في الرؤية، وفي بيان الحق فكان ﴿قاب قوسين﴾ أي قدر قوسين ، والقوس في اللغة يستعمل للذراع ، وما يقدر ويقاس به ، وهو المراد هنا ، وهو من قوله تعالىٰ في الصحيح : «أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني» الحديث ، وفيه : «فإن تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً» . وليس المراد فيهما ذراع حسي محدود ، إنما المراد تمثيل التقريب لدنو الذاكر من المذكور في مجالس النجوىٰ والذكر ، وتجلي سر المعية للقلب ، وأوفى الرتب في ذلك تحقق القلب بسر ﴿سبحان الله﴾ وسر ﴿الحمد لله﴾ وكذلك كان (ص) ليلة الإسراء . وإذا أردت التحقق لذلك فخذه من افتتاح سورة الإسراء بـ : ﴿سبحان﴾ واختتامها بقوله : ﴿وقل الحمد لله﴾ ثم نبه على انتفاء التقدير من دنوه بقوله : ﴿أو أدنىٰ﴾ وهو التحقق بالتوحيد في نعيم الرؤية للآية الكبرىٰ ، وهي : ﴿لا إله إلّا الله﴾ ولذلك وصفه بقوله آخر سورة الإسراء : ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً﴾ إلى

قوله : ﴿وكبره تكبيراً﴾ تحقيقاً لقوله : «وما بينهم وبين النظر إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[1] كما قدّمناه .

إيضاح : إذا أردت أن تفهم سر التدلي في قوله : ﴿فتدلىٰ﴾ فتأمل ما رواه أبو عيسىٰ الترمذي من حديث العنان ، وفيه ذكر الأرضين السبع ، وان ما بين كل أرض وأرض كما بين السماء والأرض ، ثم قال (عليه الصلاة والسلام) : «والذي نفسي بيده لو دلى أحدكم بحبل لوقع على الله» فنبه (ص) على عدم تحيزه تعالىٰ في السماء ، وأنه ليس مختصاً بجهة ، كما نبه على ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ثم دنا فتدلى﴾ فإن الإسراء كان للعلو ، فربما توهم المحجوب أن الدنو في قوله تعالىٰ : ﴿دنا﴾ زيادة العلو ، فنبه بقوله : ﴿فتدلىٰ﴾ على أن قربه ﴿قاب قوسين﴾ كان ثمرة التدلي المشعر بالتنزل ، وأنه تعالىٰ لا يختص قربه بجهة العلو ، بل التدلي إليه بالخضوع أقرب تحقيقاً ، لقوله : ﴿فاسجد واقترب﴾ وفي الصحيح «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[2] .

تبصرة : قوله (ص) : «لو دلى أحدكم بحبل لوقع على الله»[3] له تأويلان :

---

(١) روى مسلم في صحيحه «باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى» من كتاب الإيمان ، عن عبد الله بن قيس عن النبي (ص) قال : «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» اهـ مخيون .

(٢) رواه البزار عن عبد الله بن مسعود .

(٣) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : «بينما رسول الله (ص) جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب ، فقال رسول الله (ص) : «أتدرون ما هذا ؟ .

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : هذه العنان ، هذه زوايا الأرض ، يسوقها الله تعالىٰ إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه .

ثم قال : هل تدرون ما فوقكم ؟ .

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : فإنها الرقيع : سقف محفوظ وموج مكفوف .

ثم قال : هل تدرون كم بينكم وبينها ؟ .

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : بينكم وبينها خمسمائة سنة .

ثم قال : هل تدرون ما فوق ذلك ؟ .

قالوا : الله ورسوله أعلم .

ظاهر وباطن ، فالظاهر التنبيه على إحاطته سبحانه بكل شيء ، وعلى إحاطة حضرته كما قدمناه في الإسراء .

وأما الباطن فالحبل حبلان : حادث ، وقديم . فالحادث : حبل الوريد ، وهو الحديث النفساني والنور العقلي ، فلو دلى المتفكر حبل شعاع عقله إلى منتهى المخلوقات السفلية ، لوقع في كل حضرة من حضرات مدركاته على الله ، لأنه أقرب إليه من كل شيء **﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾** .

وأما الباطن القديم : فهو حبل الله المتين ، وكتابه المبين ، فمن تمسك به : شهد سر تنزله على أراضي القلوب ، ووقوع حبل أشعته على الله فيها ، لأن القلب بيت الرب **﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾** إلى قوله : **﴿ولكن لا تبصرون﴾** .

تبصرة : إذا أردت زيادة التبصر بأن الإسراء ، وعروج الملائكة ، ورفع

= قال : سماءان ، بعدما بينهما خمسمائة سنة ، حتى عد سبع سموات ، ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض .

ثم قال : هل تدرون ما فوق ذلك ؟ .

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : فإن فوق ذلك العرش ، وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين .

ثم قال : هل تدرون ما الذي تحتكم ؟ .

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : فإنها الأرض .

ثم قال : هل تدرون ما الذي تحت ذلك ؟ .

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : فإن تحتها أرضاً أخرى بينهما خمسمائة سنة ، حتى عد سبع أرضين ، بين كل أرضين خمسمائة سنة .

ثم قال : والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السابعة السفلى لهبط على الله ، ثم قرأ : **﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾** أخرجه الترمذي ، وقال حديث غريب .

وقال : قال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث : انما أراد «لهبط على علم الله ، وقدرته وسلطانه» وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان ، وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه والعنان : اسم للسحاب، ومعنى زوايا الأرض : الحوامل ، والرقيع : اسم للسماء ، وقيل : هو اسم لسماء الدنيا ، ا هـ مخبون .

عيسىٰ ، وإدريس (ع) ، لا يـدل على أن الله تعالىٰ مخصوص بجهة السماء ، فاعتبر فرض الحج على العباد إلى البيت الحرام ، وأمر الله تعالىٰ الناس بالتوجه إليه من جميع الجهات ، وجعلٰ سكانه جيران الله[1] وحجاجه وفدة وضيفانه ، والحجر الأسود يمينه ، مع أن نسبة البيت وغيره إلى الله سبحانه باعتبار المسافة واحدة ، فعلم أن القصد بالسير إلى البيت : ليس مقصوداً ، لأن السير يقتضي القرب والوصول إليه بالمكان ، وإنما لله سبحانه تعبدات وأسرار في ضمن مشروعات يقتضيها من عباده ، لحكم ظاهرة وخفية ، ألا تراه كيف ناجىٰ موسىٰ بالوادي المقدس ، وأسمعه كلامه من الشجرة[2] ووصفه بالقرب إلى مجلس حضرته ونجواه ، مع الاتفاق على أنه تعالىٰ لا يختص بجهة الوادي المقدس ، ولا يحل كلامه ـ وهو صفته ـ بالشجرة ، وان موسىٰ قرب إليه مع كونه بالأرض ، وسمع نداء ربه من جانب الطور ، ولم يكن ربه بجانب الطور ، وإنما لتجلياته مظاهر وحجب روحانية وجسمانية ، لا يشهدها إلاّ من فتق الله رتق قلبه ، وفلق أصباح ليله ، ونور مصباح مشكاته ، بزيت شجرة توحيده ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور﴾ .

تشكيك : قد يورد على ذلك نحو قوله تعالىٰ : ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ وقوله : ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ وأمثال ذلك :

وقوله (ص)[3] للجارية «أين الله ؟ .

---

(١) روى النسائي وغيره عن أبي هريرة : «وفد الله ثلاثة الغازي ، والحاج ، والمعتمر» أما «سكان الحرم جيران الله» فلم أطلع عليه في كتب الحديث ، وظاهر استنباطه من القرآن العظيم قوله تعالىٰ : ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم﴾ . وأما «الحجر الأسود يمين الله» فقد سبق ذكره ، اهـ مخيون .

(٢) روى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود ، قال : «رأيت الشجرة التي نودي منها موسىٰ (ع) سمرة خضراء ترف» يعني من شجر السمر .

(٣) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم عن معاوية بن الحكم السلمي ، قال : «كانت لي غنم بين أُحد والجوانية ، فيها جارية لي ، فأطلعتها ذات يوم ، فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة ، وأنا رجل من بني آدم ، فأسفت فصككتها ، فأتيت النبي (ص) ، فذكرت ذلك له ، فعظم ذلك علي ، فقلت : يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال : أدعها . فدعوتها ، فقال لها : أين الله ؟ قالت : في السماء . قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله (ص) ، قال : اعتقها فإنها =

فقالت : في السمـــاء .

قال : أعتقها فإنها مؤمنة» .

والجواب : أنه قـد قررنـا أن تجلياتـه تعالىٰ بـأسمائـه وصفاتـه محيطة بـدوائر السمـوات والأرض ، وأن لها في تصـرفها وسـائط سفلية منسـوبة للعبـاد ، ووسـائط علويـة منسوبة له ، فـأطلق على نفسه سبحـانه انـه في السماء بـاعتبار الـوسـائط ، ومـظاهر تجليـاته العلويـة ، وانه في الأرض بـاعتبار المـظاهر ، والـوسائط السفليـة ﴿وهـو الـذي في السمـاء إلـه وفي الأرض إلـه﴾ وقـال تعـالىٰ : ﴿لا تتخـذوا إلهين إثنيـن إنمـا هو إلـه واحد﴾ فـإذا كـان المقصـود بـالسيـاق تحـذيـر أهـل الأرض ، وتفخيم الأمـر : جاء التعبيـر بمن في السماء ، فـإن مظاهـره السماويـة هي القائمـة بالتصرفات الغيبية المنسوبة إليه ، كما قررناه .

وأما تنزل التـدبير وعـر وجه ، فهـو عروج روحـاني ، وسر رحمـاني ، وكشف عرفاني ، وسيأتي له مزيد بيان بعد ذكر مسألة الاستواء .

وأما تقرير الجاريـة على أن الله في السماء ووصفهـا بأنهـا مؤمنة ، فـالحق أن النبي (ص) : لم يعتمد في إيمانها وتقريرها ظـاهر لفـظها ، فـإن لفظهـا ليس مفيداً لتوحيد الله ، لا على المذهب القائل بالجهة ولا غيرهم .

أمـا عنـد من لا يثبت الجهـة فـواضـح ، وأمـا عنـد مثبت الجهـة ، فـلأنهم مـوافقون على أنـه قد عبـدت المـلائكـة والشمس والكـواكب ، وهي في السمـاء ، وعبـد عيسىٰ وهو حين الأخبـار في السماء ، وليس في لفـظها مـا يخـرج هؤلاء عن الآلهة ، ولا ما يقتضي وصفها بالإيمان .

وأقرب احتمال في ذلك أن الجاريـة أشرق لبصيـرتها نـور التوحيـد في الآفاق السمـاوية ، تحقيقـاً لقولـه تعالىٰ : ﴿سنـريهم آياتنـا في الآفاق﴾ الآيـة . فلما قـال لها : أين الله ؟ قالت في السماء .

أي ظهر نور توحيده في السماء ، فقال : «اعتقها فإنها مؤمنة» .

= مؤمنة» اهـ مخيون .

وأقول : هذه المرأة كانت خرساء ، ومعنىٰ قالت : أشارت .

أنظر في ذلك «استحالة المعية بالذات» ففيه تفصيل طيب يجب أن تقرأه .

ويحقق ذلك كونه لم يقل : انها مسلمة ، لأن الإسلام تتعلق أحكامه باللسان والجوارح الظاهرة ، ولم يكن ظهر منها شيء من ذلك يعتمد عليه ، وقال : «انها مؤمنة» والإيمان من لوازم القلوب ، فدل على أن اعتماد النبي (ص) في تقريرها ، كان أمراً [ما] شهده منها يرجع إلى قلبها ، لا إلى لفظها ، مع احتمال لفظها له ، فلذلك أقرها عليه ، والله أعلم .

فصل الاستواء

ومن الآيات المتشابهة ، آيات الإستواء ، والأحاديث الواردة فيه ، ومرجعها عند المحققين إلى الآيات المحكمات ، وأول ما ينبغي تقديمه معنىٰ الاستواء لغة ، وأصله : أفتعال ، من السواء ، والسواء في اللغة : العدل ، والوسط ، وله وجوه في الاستعمال ترجع إلى ذلك ، منها إستوىٰ : بمعنى أقبل ، نقله الهروي(١) عن الفراء(٢) قال :

العرب يقولون : استوىٰ إلي يخاصمني ، أي أقبل علي .

الثاني : بمعنىٰ : قصد ، قاله الهروي .

الثالث : بمعنىٰ استولى .

الرابع : بمعنىٰ اعتدل .

الخامس : بمعنىٰ استقام .

السادس : بمعنىٰ علا ، قال الشاعر :

ولما علونا واستوينا عليهم ... تركناهم صرعىٰ لنسر وكاسر

---

(١) هو العلامة محمد بن محمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح الأزهري : اللغوي الأديب الهروي الشافعي [أبو منصور] صاحب «تهذيب اللغة» أدرك ابن أبي دريد ، ولم يأخذ عنه ، توفي سنة ٣٧٠ هـ ، ا هـ مخيون .

(٢) الفراء : «يحيى بن زياد» وفاته سنة ٢٠٧ ، ا هـ مخيون .

قاله الحسن بن سهل[1] :

إذا علم أصل الوضع وتصريف الاستعمال فنزل على ذلك الإستواء المنسوب إلى ربنا سبحانه وتعالىٰ ، وقد فسره الهروي بالقصد ، وفسره ابن عرفة[2] بالإقبال ، كما نقله عن الفراء : وفسره بعضهم بالإستيلاء ، وأنكره ابن الأعرابي[3] قال : العرب لا تقول أستولىٰ إلاّ لمن له مضاد ، وفيما قاله نظر ، لأن الإستيلاء من الولي ، وهو القرب ، أو من الولاية ، وكلاهما لا يفتقر إطلاقه لمضاد .

ونقل الحسن بن سهل عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه فسر قوله تعالىٰ : ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ قال : علا أمره ، وهذه التفاسير كلها محتملة ، وهي على وفق اللغة والمعاني اللائقة بربنا سبحانه[4] .

وأما استوىٰ بمعنىٰ أستقر ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿واستوت على الجودي﴾ وقوله تعالىٰ : ﴿لتستووا على ظهوره﴾ الآية ، فلا يليق نسبة مثله إلى إستواء ربنا تعالىٰ على العرش .

مع أنا نقول : قد علمت أصل اشتقاق الإستواء ، ولا مدخل فيه لمعنىٰ الإستقرار ، وإنما الحق : أن معنىٰ أستوىٰ على الدابة جاء على الأصل ، ويكون معناه : أعتدل ، أو علا عليها ، والإستقرار من لازم ذلك بحسب خصوصية المحل ، لا أن للإستقرار مدخلاً في معنىٰ اللفظ مطلقاً ، وحينئذ فلا يصح نسبة مثله إليه تعالىٰ ، لاستحالته في حقه وعدم وضع اللفظ له .

---

(١) الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران [أبو هلال] اللغوي العسكري صاحب التفسير وغيره ، المتوفىٰ سنة ٣٩٥ على ما ذكره صاحب «كشف الظنون» في جملة مواضع ، اهـ عن الرسالة المستطرفة للكتاني ، اهـ مخيون .

(٢) الإمام (أبو عبد الله) إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي نفطوية صنف كتاباً في الرد على الجهمية ، توفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، اهـ مخيون .

(٣) وهناك تفسير آخر : استوىٰ بمعنىٰ : تم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ولما بلغ أشده واستوىٰ﴾ في سورة القصص ـ يعني ثم شبابه ورجولته . والمعنىٰ أنه تمّ الخلق بالعرش ، فلا خلق بعد العرش ، انظر في ذلك شرح الشيراوي على حزب البر .

(٤) ابن الأعرابي : العلامة اللغوي المشهور توفي سنة ٢٣١ واسمه محمد بن زياد ، ترجمته في الوفيات ، اهـ مخيون .

وقد ثبت عن الإمام مالك[1] (رحمه الله) أنه سئل : كيف استوىٰ ؟ فقال : «كيف غير معقول ، والإستواء غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة» .

فقوله : «كيف ، غير معقول» أي كيف من صفات الحوادث ، وكل ما كان من صفات الحوادث فإثباته في صفات الله تعالىٰ ينافي ما يقتضيه العقل ، فيجزم بنفيه عن الله سبحانه .

قوله : «والإستواء غير مجهول» أي : أنه معلوم المعنىٰ عند أهل اللغة ، والإيمان به على الوجه اللائق به تعالىٰ واجب، لأنه من الإيمان بالله وبكتبه ، «والسؤال عنه بدعة» أي حادث ، لأن الصحابة (رضي الله عنهم) كانوا عالمين بمعناه اللائق بحسب اللغة ، فلم يحتاجوا للسؤال عنه ، فلما جاء من لم يحط بأوضاع لغتهم ، ولا له نور كنورهم يهديه لصفات ربه ، شرع يسأل عن ذلك ، فكان سؤاله سبباً في اشتباهه على الناس ، وزيغهم عن المراد ، وتعين على العلماء حينئذ ألا يهملوا البيان .

قال تعالىٰ : ﴿وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ ولا بد في إيضاح البيان من زيادة ، فنقول : قد قررنا أن الإستواء مشتق من السواء ، وأصله : العدل ، وحينئذ فالإستواء المنسوب إلى ربنا تعالىٰ في كتابه بمعنىٰ : أعتدل ، أي قام بالعدل ، وأصله من قوله تعالىٰ : ﴿شهد الله أنه لا إله إلاَّ هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط﴾ فقيامه بالقسط والعدل هو استواؤه ، ويرجع معناه إلى أنه أعطىٰ بعزته كل شيء خلقه موزوناً بحكمته البالغة ، للتعرف لخلقته بوحدانيته ، ولذلك قرنه بقوله : ﴿لا إله إلاَّ هو العزيز الحكيم﴾ والإستواء المذكور في كتابه : إستواءان إستواء سماوي ، وإستواء عرشي : فالأول معدي بالي ، قال تعالىٰ : ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوىٰ إلى السماء فسواهن سبع سموات﴾ وقال : ﴿ثم أستوىٰ إلى السماء وهي دخان﴾ ومعناه ـ والله أعلم ـ : أعتدل ، أي قام بقسطه وتسويته إلى السماء ، فسواهن سبع سموات ، ونبه على أن إستواءه هذا هو قيامه بميزان الحكمة ، وتسويته بقوله أولا

(١) إمام دار الهجرة [أبو عبد الله] مالك بن أنس الأصبحي ، جده أبو عامر ، صحابي جليل ، شهد المغازي كلها خلا بدراً ، وابنه مالك جد مالك ، من كبار التابعين ، وأما الإمام فولد سنة ثلاث وتسعين ، ومات سنة تسع وستين ومائة ، ا هـ مخبون .

عن الأرض : ﴿وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين﴾ وبقوله آخراً : ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ وأما الإستواء العرشي ، فهو أنه تعالىٰ قام بالقسط متعرفاً بوحدانيته في عالمين : عالم الخلق ، وعالم الأمر ، وهو عالم التدبير ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ فكان استواؤه على العرش للتدبير بعد انتهاء عالم الخلق ، لقول الله تعالىٰ : ﴿الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوىٰ على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلاّ من بعد أذنه﴾ وبهذا يفهم سر تعدية الإستواء العرشي بـ «على» ، لأن التدبير للأمر لا بد فيه من إستعلاء واستيلاء .

اعتبار : اعتبر ـ بعد فهم هذا ـ قوله تعالىٰ في خطابة لنبينا (ص) : ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك﴾ واعتبر ما أثمرته هذه التسوية والتعديل ، بقوله تعالى عند ليلة الإسراء : ﴿ذو مرة فاستوىٰ * وهو بالأفق الأعلىٰ﴾ مع قوله (ص) [١] :

«بلغت إلى مستوىٰ أسمع فيه صريف الأقلام»[٢] .

ومن المعلوم أن القلم إنما يجري بالقدر ، كما ثبت في حديث عُبادة بن الصامت[١] (رضي الله عنه) :

---

(١) من حديث طويل رواه البخاري عن أبي ذر ، انظر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٩ .

(٢) روى البخاري في أول «كتاب الصلاة» من صحيحة حديث المعراج وفيه : قال النبي (ص) : «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوىٰ أسمع فيه صريف الأقلام» ظهرت أي علوت وارتفعت لمستوى ـ بفتح الواو ـ قال الخطابي : المراد به المصعد وقال عن صريف الأقلام هو صوت ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالىٰ ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ أو ما شاء الله تعالىٰ من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراده الله من أمره وتدبيره في خلقه سبحانه وتعالى لا يعلم الغيب إلاّ هو ، الغني عن الاستذكار بتدوين الكتب والاستثبات بالصحف ، أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً ، ا هـ عن عمدة القاريء للعيني ، ا هـ مخيون .

(٣) رواه الترمذي في القدر ، وفي التفسير ، وأبو داود في السنن «واللفظ له» قال عبادة بن الصامت لابنه : يا بني انك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما اصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطاك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله (ص) يقول : ان أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب .

قال : رب وماذا أكتب ؟ .

قال : أكتب مقادير كل شيء ، حتى تقوم الساعة .

يا بني اني سمعت رسول الله (ص) يقول : «من مات على غير هذا فليس مني» ا هـ مخيون .

ان أول ما خلق الله القلم ، فقال له : أكتب .

فقال : وما أكتب ؟.

فقال أكتب القدر ! ما كان وما هو كائن إلى الأبد .

وبهذا الاعتبار يعلم أن الإستواء ، عبارة عما قررناه لك من أن إستواءه قيامه بالقسط ، وتقدير المقادير في عالم خلقه وعالم أمره .

فصـل النزول

ومن الأحـاديث المتشـابهـة أحـاديث[1] نـزولـه سبحـانـه كـل ليلة إلى سمـاء الـدنيا ، وهـو لا ينافي مـا ذكرنـاه ، ولا يستلزم إثبات الجهـة ، ولا إتصـافـه تعـالىٰ بـالحركـة والنقلة ، فإنهـا عـرض ، والأعـراض يلزمهـا الحـدوث ، والحـدوث على القيم محـال على ما هـو مقرر في الكتب الكـلامية ولسنـا لـه الآن ، وإنمـا القصـد تخريج صفة النزول على مـا يوافق القـواعد التي مهـدناهـا في صفاتـه تعالىٰ . وقـد أول بعضهم نزول بنزول علمـه أو قدرتـه ونحوه وهـو غير منـج ، فإن علمـه وقدرتـه وصفاته إن أريـد نزولهـا نفسها فهـو محال ، لأن الصفـة قائمـة بالمـوصوف فـإذا لم يجز على موصـوفها النـزول فصفته أولىٰ وأحـرىٰ ، وأن أريد بنـزولها تعلقهـا بما في السماء الدنيا فتعلق علمه وقـدرته بـالموجـودات كلها لم يـزل ولا يزال فكيف يخص بجزء من الليل أو غيـره ، هذا مـع القطع بـأنه تعـالىٰ يمسك السمـوات والأرض أن تـزولا . فمن قبضته لا تـزال محيـطة بـالسمـوات والأرضين كلهـا كيف يحتـاج إلى النـزول إليها أو يختص تعلق علمـه وقدرتـه بها بـزمـان دون غيـره . وإنمـا الجـاري على القواعد والآيات المحكمة قـد بينه الله في كتـابه بمثلين مثـل فيك ومثـل خارج عنك .

الأول : قـوله تعـالى : ﴿الله نور السمـوات والأرض﴾ الآيـة ومن المعلوم أن

---

(١) روى البخـاري في صحيحه في «كتـاب التوحيـد» عن أبي هـريـرة أن رسـول الله (ص) قـال : «يتنـزل» وفي رواية «ينـزل ربنا تبـارك وتعالىٰ كـل ليلة إلى السماء الـدنيا حين يبقىٰ ثلث الليـل الآخر ، فيقول : من يدعوني فاستجب له ، من يسألني فأعطيه . من يستغفرني فأغفـر له» ا هـ مخيون .

النور إذا جعل محيطاً بدوائر شفافة سبعة وثمانية بعضها محيط ببعض ، فأول ما يظهر أثره في أدناها إليه وأوسعها دائرة فيراه أهلها ، ثم ينفذ شعاعه إلى الثانية فيظهر فيه على حسب صفاته ثم هكذا إلى ثالثة ورابعة إلى السابعة وكل من كان في دائرة منها يرى النور قد نزل إلى دائرته وهو نزول ظهور وتجل لا نزول حركة ونقلة فعلى مثل هذا خرج صفة نزوله سبحانه مع تنزيهه عن تفاوت نسب دوائر الأفلاك إليه ، وعن بعده عن بعض وقربه من بعض ، بل هو أقرب إلى كل من نفسه ، ولا بد لك حينئذ من مراجعة ما تقدم في الإستواء على العرش ، فتعلم أن صفة النزول من لوازم صفة الاستواء ، وقد تقدم أن صفة الإستواء هو قيامه في عالم الأمر بسر التدبير ، فنزوله حينئذ هو نزول روح الأمر بسر التدبير من حضرة الإستواء ﴿وهو العرش﴾ إلى سائر دوائر الكائنات لحكمة التعرف ، قال تعالى : ﴿ثم استوى على العرش﴾ ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ وقال تعالى : ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن﴾ ثم بيّن أن ذلك التنزل لحكمة التعرف بقوله : ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾ .

تنبيه : إنما نسب النزول إليه سبحانه ، لأن روح الأمر هي مظهر نور التوحيد ، قال تعالى ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلاّ أنا﴾ وقد بيّنا أن نور توحيده هو وجهه سبحانه، فلهذا جعل نزول أمره بمثابة نزوله ، ومعرفتها بمثابة معرفته ، تحقيقاً لأن «من عرف نفسه فقد عرف ربه»(١) .

---

(١) جاء في ص ٢٦٢ جـ ٢ من «كشف الخفاء» للعجلوني : قال ابن تيمية موضوع . وقال النووي قبله : «ليس بثابت» وقال أبو المظفر السمعاني في القواطع : «انه لا يعرف مرفوعاً ، وإنما يحكي عن يحيى بن معاذ الرازي» يعني من قوله» .

وقال ابن الغرس بعد أن نقل عن النووي «أنه ليس بثابت» قال لكن كتب الصوفية مشحونة به ، يسوقونه مساق الحديث ، كالشيخ محيي الدين بن عربي وغيره .

قال : وذكر لنا شيخنا الشيخ حجازي الواعظ ، شارح الجامع الصغير للسيوطي ، بأن الشيخ محيي الدين بن عربي : معدود من الحفاظ .

وذكر بعض الأصحاب : أن الشيخ محيي الدين قال : «هذا الحديث وإن لم يصح من طريق الرواية ، فقد صح عندنا من طريق الكشف» .

وللحافظ السيوطي فيه تأليف لطيف سماه «القول الأشبه في حديث : «من عرف نفسه فقد

تبصرة : إذا علمت معنىٰ نزوله في العالم الأكبر ، فاعتبر بذلك استواءه ونزوله في عالم الإنسان ، وهو : العالم الأصغر ، كما سيأتي بيانه .

المثل الثاني : قوله تعالىٰ : ﴿**تبارك الذي بيده الملك**﴾ إلى قوله : ﴿**حسير**﴾ فلا تعتقد أن المراد منك أن يرجع بصرك في طباق السماء ، فإن الله يعلم انك لا تدرك ببصرك ذلك ، لضعفه وشدة البعد ، وتأمل قوله : ﴿**ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت**﴾ أي أن الرحمن خلقك وخلق السموات ، قال تعالىٰ : ﴿**الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان**﴾ الآيات فكما خلق السموات ، خلق فيك أمثلة لها ، لا تفاوت بين تلك الأمثلة وبينك ، فارجع بصرك في تلك الأمثلة : تعلم أنه سبحانه ضرب قلبك لنفسه مثلاً ، وذلك أن قلبك هو صاحب دوائر أطوارك ، وله تعالىٰ في استوائه عالمان : عالم خلق ، وهو عالم حسك ، وعالم أمر ، وهو عالم غيبك ، فإذا أراد تدبير عالم الحس تنزل بروح أمره ، وهو نور البصر .

ومن المعلوم عند علماء التشريح : ان للروح الباصر سبع طباق ، تتنزل منها إلى أن تصل إلى عالم الحس ، وأنت إذا أعتبرت ذلك حكمت بسببه أن نزوله سبحانه منزه ، عن النقلة والحركة ، ألا ترىٰ أن القلب يدرك بالبصر ، ويدرك به البصر الشيء البعيد حساً في آن واحد ، من غير تنقل ولا خطور في طباقه ، ينفذ من بعضها لبعض ، ولا مهلة في تنزله ورجوعه إليه ، ولا تفاوت في نسبته إليها .

وقد قال المحققون من أهل النظر : ان العين مرآة القلب ، أي من نظر إلى عين رجل رأى منها حقيقة قلبه ، ولتحقق الروح الباصر بالقلب اشتبه على كثير من العقلاء ، فاعتقدوا أن البصر ليس حساً مغايراً للقلب .

وكذا باقي الحواس ، بل هي بمثابة الشبابيك ، والقلب هو المدرك منها لما في عالم الحس .

وهذا كله : يكشف لك سر نسبة النزول إلى ربنا سبحانه ، بنزول روح

= عرف ربه» وهو من الكتب الموجودة في الحاوي للفتاوى للسيوطي .

وقال النجم : قلت وقع في أدب الدنيا والدين للماوردي عن عائشة : «سئل النبي (ص) : من أعرف الناس بربه ؟ قال : أعرفهم : بنفسه» اهـ مخيون .

أمره ، وكونه من أكبر آيات توحيده .

تذكرة : في الحديث[1] : «ما من مسلم يسلم علي إلاّ رد الله علي روحي لأرد عليه سلامه» .

---

(١) روى البيهقي في «حياة الأنبياء» عن أبي هريرة : أن رسول الله (ص) قال : «ما من أحد يسلم علي إلاّ رد الله إلي روحي حتى أرد عليه السلام» .

قال البيهقي : وإنما أراد ـ والله أعلم ـ إلاّ وقد رد الله إلي روحي حتى أرد عليه السلام .

قال الأستاذ البوسنوي معلقاً : حديث أبي هريرة أخرجه أيضاً أحمد ، وأبو داود ، والمصنف [أي البيهقي] في كتابه «شعب الإيمان» وكتابه «الدعوات الكبير» .

قال النووي في الأذكار ورياض الصالحين : أسناده صحيح ، وصححه أيضاً ابن القيم .

وفي الحديث إشكال ، وهو أن ظاهره مفارقة روح النبي (ص) لبدنه الشريف في بعض الأوقات ، وهو مخالف للأحاديث الدالة على حياة الأنبياء ، وقد أجاب العلماء عن هذا بأجوبة كثيرة ، فأجاب السيوطي في كتابه «أنباه الأذكياء» بخمسة عشر جواباً : يراجعها من شاء .

ومال البيهقي (رحمه الله تعالى) إلى أن قوله (ص) : «رد الله إلي روحي» جملة حالية يقدر فيها «قد» وقاعدة العربية : أن جملة الحال إذا وقعت فعلاً ماضياً قدرت فيها «قد» كقوله تعالى : ﴿إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم﴾ أي «وقد حصرت» ويبقى الأشكال في «حتى» لأن الظاهر انها للتعليل .

فأجاب الحافظ السيوطي : انها لمجرد العطف ، فصدر تقدير الحديث : ما من أحد يسلم علي إلاّ وقد رد الله علي روحي قبل ذلك وارد عليه .

وأجاب الشهاب الخفاجي : بأن الأنبياء والشهداء أحياء ، وحياة الأنبياء أقوى ، وإذا لم يسلط عليهم الأرض ، فهم كالنائمين ، والنائم لا يسمع ولا ينطق حتى ينتبه .

فمعنى الحديث ، أنه (ص) إذا صلّى عليه يستقيظ من النوم ، فالمراد برد الروح : الإرسال الذي في قوله تعالى : ﴿ويرسل الأخرى﴾ الآية ، لا أن روحه (ص) تقبض قبض الممات ، ثم تنفخ وتعاد كموت الدنيا وحياتها ا هـ .

أقول : أن الأشكال مندفع بأن رد الروح هنا القصد منه : إرجاعها من حال الفناء في المشاهدة وقرة العين بصلاتهاوقربها إلى حال كحال الحس والشهادة ، حتى ترد السلام ، فقد روى البيهقي وغيره عن النبي (ص) : «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» .

وذكر السيوطي وغيره أن هذا متواتر ، وثبت في حديث النسائي وغير «قرة عيني في الصلاة» وجاء في حديث المزيد الذي رواه ابن أبي الدنيا باسناد ثابت من رواية حذيفة في كتاب «صفة الجنة» قول الله تعالى لأهل طاعته :

«فسلوني فهذا يوم المزيد ، فيجتمعون على كلمة واحدة : ربنا أرنا وجهك ننظر إليه فيكشف عن تلك الحجب ، ويتجلى لهم عزّ وجلّ ، فيغشاهم من نوره شيء لولا أنه قضي أن لا يحرقوا لاحترقوا ، لما يغشاهم من نوره ، ثم يُقال لهم : ارجعوا إلى منازلكم ، فيرجعون إلى منازلهم وقد أعطى كل واحد منهم الضعف على ما كانوا فيه ، فيرجعون إلى أزواجهم وقد =

وقد نبهت على الأشكال المتعلق بهذا ، وجوابه في «الأمالي» والقصد بذكره هنا : مناسبة لما نحن فيه ، فإنه للعبد مع الله حالين : حالاً يجمع روحه عليه ،

= خفوا عليهم وخفين عليهم ، بما غشيهم من نوره ، فإذا رجعوا تراد النور حتى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها . . . » الخ الحديث ص ٣٩ سفر السعادة للفيروز آبادي .

فحضرة المصطفىٰ (ص) في حالة غشيان من نور الله تعالىٰ ، فيخفي لذلك كل شيء غيره ، لغيبوبة الروح في هذا النور ، حتى إذا سلّم مسلم تراد النور ، ورد الله تعالىٰ إليه روحه حتىٰ يرد السلام ، كحالة المضعفين في حديث المزيد مع أهلهم حين لا يرونهم ، وأول ما يرد لهم من الحواس السمع والكلام ، ثم الرؤية .

وأعجب لإثبات الخفاجي حياة الأنبياء في أول كلمته ، ثم جعلها نوماً ، حتى قال : «انه (ص) إذا صلّى عليه يستيقظ من النوم» وحضرة المصطفىٰ (ص) هو صاحب الوسيلة ، وهي أعلىٰ درجة .

وقول المؤلف : «ولا يلزم من رد روحه إليه لرد السلام» إلى آخره ، يبيّن شيئاً من أحوال الآخرة التي لا تقاس على الدنيا ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم» ا هـ مخيون .

أقول: وقد نقلت لك نص ما أورده الفيروز آبادي (رحمه الله تعالىٰ) تبركاً بالحديث الشريف، سائلاً الله تعالىٰ : بكرمه وجوده وفضله : أن يجعلنا مع أهل هذه الحضرة المباركة :

وأما شرفه وفضله [أي يوم الجمعة] في الآخرة واسمه : فإن الله تبارك وتعالىٰ : إذا صير أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار : جرت عليهم ، هذه الأيام وهذه الليالي : ليس فيها ليل ولا نهار ، فاعلم الله عزّ وجلّ مقدار ذلك وساعاته .

فإذا كان يوم الجمعة ـ حين يخرج أهل الجمعة إلى جمعتهم ـ نادى أهل الجنة مناد : يا أهل الجنة اخرجوا إلى واد المزيد [ووادي المزيد لا يعلم سعته وطوله وعرضه إلاّ الله] فيه كثبان المسك رؤوسها في السماء .

قال : فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور ، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت ، فإذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم : بعث الله تعالىٰ عليهم ريحاً تدعىٰ «المثيرة» تنثر ذلك المسك ، وتدخله من تحت ثيابهم وتخرجه في وجوههم وأشعارهم .

وتلك الرياح أعلم كيف يصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو رفع إليها كل طيب على وجه الأرض .

قال : ثم يوحي الله تبارك وتعالىٰ إلى حملة عرشه : ضعوه بين أظهرهم ، فيكون أقل ما يسمعون منه : أن يا عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني ، وصدقوا برسلي واتبعوا أمري : سلوا : فهذا يوم المزيد . فيجتمعون على كلمة واحدة ـ ربنا أرنا وجهك ننظر إليه ـ فيكشف عن تلك الحجب ، ويتجلىٰ لهم عز وجلّ ، فيغشاهم من نوره شيء لولا انه قضىٰ أن لا يحرقوا لاحترقوا ، لما يغشاهم من نوره .

ثم يُقال لهم : ارجعوا إلى منازلكم ، فيرجعون إلى منازلهم ، وقد أعطىٰ كل واحد منهم الضعف على ما كانوا فيه ، فيرجعون إلى أزواجهم وقد خفوا عليهم وخفين عليهم ، بما =

تحقيقاً لتوحيده ، وتكميلاً لشهوده ، وحالاً يـرد روحه عليـه : هدايـة لخلقه وتـوفية لحقـه ، وهـذا الجمـع والـرد من الأسـرار الإلهيـة ، نبـه بـه النبي (ص) على أن - حاله في مماته كحاله في حياته - لا يزال بروحه عند الله .

وإذا سلّم عليه مسلم ، أو جاءه زائـر : ردّ الله إليه روحـه كما كـان يردهـا في حياته .

وفيمـا ذكرنـاه من الروح البـاصر كشف لحقيقـة ذلك ، فـإنـه مـا من نفس إلاّ ويتجمع فيه الروح الباصر إلى القلب : مؤدّياً إليه ما يـراه في عالم الحس ، ثم يـرد للعين من غير شعور بنقلة ولا كيفية ولا زمان .

فلو حلف الحالف : أن روحه البـاصر مـا زايل قلبـه : لم يحنث ، ولو حلف حـالف أنه مـازايل عينـه : لم يحنث كذلـك ، ولا يلزم من رد روحه إليـه لرد سـلام المؤمن المسلم عليه ، أن لا تكون بـاقية عنـد ربها ، ولا من بقـائها عنـده إلاّ تكون مردودة إلى نبيه ، والله أعلم.

تبصره: إذا سمعت بنزول ربنا كل ليلة [الحديث[1]] فلا يكن حظك منه النزول في

= غشيهم من نوره ، فإذا رجعوا تراد النور حتى رجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها .
فتقول لهم أزواجهم : لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها ؟ .
فيقولون : ذلك أن الله عزّ وجلّ تجلى لنا فنظرنا منه .
قال : انه والله ما أحاطه خلق ، ولكنه قد أراهم الله عزّ وجـلّ من عظمتـه وجلالـه ما شـاء ان يريهم .
قال : فذلك قوله - فنظرنا منه - .
قال : فهم يتقلبون في مسك الجنة ونعيمها في كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه .
قال رسول الله (ص) : فذلك قوله تعالى : ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ .

(١) قـال الحـافظ في الفتـح : استـدل بـه من أثبت الجهـة ، وقـال هي جهـة العلو ، وأنكـر ذلـك الجمهور ، لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .
وقـد اختلف في معنى النـزول على أقـوال ، فمنهم من حمله على ظاهـره وحقيقتـه ، وهم المشبهة - تعالى الله عن قولهم - ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الـواردة في ذلك جملة ، وهم الخوارج والمعتزلة ، وهو مكابرة ، والعجب أنهم أولوا ما في القرآن من نحو ذلك ، وأنكروا ما في الحديث : اما جهلاً ، واما عناداً .
ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمنـاً به على طـريق الإجمال ، منـزهاً الله تعـالى عن الكيفيـة والتشبيـه ، وهم جمهـور السلف ، ونقله البيهقي وغيـره عن الأئمـة الأربعـة ، والسفيـانين ، =

عالم الحس ، واعتبر بذلك نزوله سبحانه بروح ذكره إلى سماء قلبك ، ألا تراه كيف نبهك على هذا بقوله تعالى : ﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد

= والحمادين ، والأوزاعي والليث وغيرهم .

ومنهم من أوله على وجه يليق : مستعمل في كلام العرب .

ومنهم من أفرط في التأويل ، حتى كاد يخرج إلى نوع من التحريف .

ومنهم من فصل بين ما يكون تأويله قريباً مستعملاً في كلام العرب ، وبين ما يكون بعيداً مهجوراً ، فأول في بعض ، وفوض في بعض ، وهو منقول عن الإمام مالك ، وجزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد .

قال البيهقي : وأسلمها الإيمان بلا كيف ، والسكوت عن المراد ، إلا أن يرد ذلك عن الصادق فيصار إليه .

ومن الدليل على ذلك اتفاقهم على أن التأويل المعين غير واجب ، فحينئذ التفويض أسلم .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في العارضة : «حكي عن المبتدعة رد هذه الأحاديث ، وعن السلف أمرارها ، وعن قوم تأويلها ، وبه أقول» .

فأما قوله «ينزل» فهو راجع إلى أفعاله ، لا إلى ذاته ، بل ذلك عبارة عن ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه ، والنزول كما يكون في الأجسام يكون في المعاني ، فإن حملته في الحديث على الحسي ، فتلك صفة الملك المبعوث بذلك ، وان حملته على المعنوي ، بمعنى أنه : لم يفعل ثم فعل فيسمى ذلك نزولاً عن مرتبة إلى مرتبة ، فهي عربية صحيحة ، انتهى .

والحاصل أنه تأوله بوجهين :

اما بأن المعنى : ينزل أمره ، أو الملك بأمره .

وأما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين ، والإجابة لهم ، ونحوه .

وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله ، على حذف المفعول: أي ينزل ملكاً ، ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر ، عن أبي هريرة وأبي سعيد بلفظ .

«ان الله يمهل حتى يمضي شطر الليل ، ثم يأمر منادياً يقول : هل من داع فيستجاب له» الحديث .

وفي حديث عثمان بن أبي العاص :

«ينادي مناد : هل من داع يستجاب له» الحديث .

قال القرطبي : وبهذا يرتفع الأشكال» .

وذكر العيني في «عمدة القاري» شرحه لصحيح البخاري ، فيمن خرجه غير صاحبي الصحيحين : أصحاب السنن الأربعة : والدار قطني ، وأحمد ، والبزار ، والطبراني ، وابن حبان ، وغيرهم وعد رواته من الصحابة واحداً وعشرين صحابياً ، وأم المؤمنين : عائشة وأم سلمة ، والروايات فيها اختلاف في وقت النزول ، فذكرت : «حين يبقى ثلث الليل الآخر» وعند مسلم «ثلث الليل الأول» . وفي لفظ «شطر الليل» أو «ثلث الليل الأخير» قال النووي .

يحتمل أن يكون النبي (ص) : أعلم بأحد الأمرين في وقت ، فأخبر به ، ثم أعلم بالآخر في =

أنزل الله إليكم ذكراً﴾ ﴿رسولاً﴾ الآية ،ثم قال بعدها ﴿الله الذي خلق سبع سموات﴾ الآية ، فبدأ بآية نزول ذكره قبل اية نزول أمره ، تنبيهاً على الإهتمام

= وقت آخر ، فاعلم به .

وسمع أبو هريرة الخبرين فنقلهما جميعاً ، وسمع أبو سعيد الخدري خبر الثلث الأول فقط ، فأخبر به مع أبي هريرة .

وفي ألفاظه «ينزل الله» ، و «يهبط الله ، ثم يعلو إلى السماء العليا على كرسيه» وفي رواية «ارتفع» وعند ابن خزيمة «فإذا طلع الفجر صعد إلى العرش» .

ثم قال العيني : قال إسحاق بن راهوية : جمعني وهذا المبتدع - يعني إبراهيم بن صالح - مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ، فسألني الأمير عن أخبار النزول فسردتها ، فقال إبراهيم : كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء ، فقلت آمنت برب يفعل ما يشاء ، قال فرضي عبد الله كلامي ، وأنكر علي إبراهيم ، وقد أخذ إسحاق كلامه هذا من الفضيل بن عياض (رحمه الله) ، فإنه قال : إذا قال الجهمي : أنا أكفر برب ينزل ويصعد ، فقد آمنت برب يفعل ما يشاء ، ذكره أبو الشيخ ابن حبان في كتاب «السنة» وذكر فيه عن أبي زرعة ، قال : هذه الأحاديث المتواترة عن رسول الله (ص) : «ان الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا» قد رواها عدة من أصحاب رسول الله (ص) ، وهي عندنا صحاح قوية ، قال رسول الله (ص) : «ينزل» ولم يقل كيف ينزل ، فلا نقول : كيف ينزل ، نقول كما قال رسول الله (ص) .

وروى البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» عن المزني : حديث النزول قد ثبت عن رسول الله (ص) من وجوه صحيحة ، وورد في التنزيل ما يصدقه ، وهو قوله ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ .

قال العيني : قلت : لا شك أن النزول إنتقال الجسم من فوق إلى تحت ، والله منزه عن ذلك ، فهو من المتشابهات ، فالعلماء فيه على قسمين :

الأول المفوضة : يؤمنون بها ويفوضون تأويلها إلى الله عزّ وجلّ ، مع الجزم بتنزيهه عن صفات النقصان .

والثاني المؤولة : يؤولون بها على ما يليق به ، بحسب المواطن ، فأولوا بأن معنى «ينزل الله» ينزل أمره ، أو ملائكته ، وبأنه استعارة ، ومعناه التلطف بالداعين والإجابة لهم ، ونحو ذلك ، وليس في هذا الباب وأمثاله إلاّ التسليم والتفويض إلى ما أراد الله من ذلك ، فإن الأخذ بظاهره يؤدّي إلى التجسيم ، وتأويله يؤدّي إلى التعطيل ، والسلامة في السكوت والتفويض .

وأقول : ظاهر أن التجسيم والتشبيه ، وكل ما يخالف التنزيه غير مقصود ، لقوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء﴾ ولأنه تعالى منزه عن قيد المكان ، وهو المادة ، فإذا لم توجد ، فلا مكان ، ومنزه عن قيد الزمان ، وهو حركة المادة ، فإذا لم تتحرك فلا زمان ، فإذا وصف بما يتعلق بهما الحق تعالى تيسيراً علينا : كانا من القرائن المانعة لإرادة المعنى الأصلي ، وصرف معناهما لنوع من المجاز للتقريب ، لأنها منا ، أو فوض الأمر إليه تعالى ، لأنه قال ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ وقوله (ص) «ثلث الليل» و «شطره» خاص بالزمان ، وقوله «ينزل» و «يهبط»=

بالأول ، وقال في الأول : ﴿ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور﴾ وقال في الثاني : ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير﴾ وذلك يقتضي أن نزوله بروح الذكر يثمر النور والهداية ، وأن الله يتولى إخراج العبد من ظلمته ، ولا يكله إلى نفسه ، وأن نزوله بروح الأمر : يثمر الدلالة والتكليف بالعلم ، وكم بين من دل ، وبين من نور وبين من حمل وأخرج ، وبين من حمل وكلّف .

تنبيه : اختصاص نزوله بالثلث الأخير من الليل ، له ظاهر وباطن :

فأما الظاهر : فلأن الليل محل النوم ، وتوفي الأنفس ، ورقيها إلى الله .

وقد ذكر أرباب العلم الطبيعي : أن النوم المعتبر في صلاح البدن ثمان ساعات ، وهي ثلثا الليل ، فاقتضت حكمة الربوبية تخصيص النزول بالثلث الأخير رحمة للعباد ، وتلطفاً بهم ، حتى يكونوا قد تيقظوا ، وتأهبوا لقبول ما ينزل على قلوبهم من بركات نزوله سبحانه .

وأما الباطن : فلأن الحجاب هو ليل القلوب ، وهو ناشيء عن نوم القلب ، وفي الحديث[1] : «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا نام ثلاث عقد ، فإذا قام فذكر الله انحلت عقدة ، فإذا توضأ انحلت عقدتان ، فإذا صلّى انحلت ثلاث عقد» .

فالقلب إذا نام بليله عقد الشيطان ، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فذهب ثلث ليله ، فإذا توضأ انحلت عقدتان ، فذهب ثلثا ليله ، ووضوؤه استغفاره ، قال تعالى في قصة نوح : ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾

= و «يصعد» و «ارتفع» بخص المكان .

قال العلامة اللقاني :

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ، ورم تنزيها

ا هـ المخيون .

(١) في صحيح البخاري «بدء الخلق» عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة كلها ، فأصبح نشيط طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» ا هـ مخيون .

قلت : والحديث متفق عليه من البخاري ومسلم ، ورواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه .

يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ فإذا صلّىٰ فصلاته في ثلث الليل الحجاب الأخر ، وهي العقدة الثالثة ، وهناك يكون نزول روح الذكر عليه ، فتنحل عقدة كلها ، ويكشف له عن حقيقة : «أن الصلاة صلة بين العبد وبين ربه» وعلامة الوصلة : كشف ليل الحجاب ، والتلذذ بروح الخطاب .

فصـل المجيء والاتيان

ومن المتشابه : صفة مجيئه سبحانه وتعالىٰ وإتيانـه ، في نحو قـوله تعـالىٰ : ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربـك﴾ الآية ، وقـوله : ﴿وجـاء ربك والملك صفـاً صفاً﴾ وهـو أيضـاً يـرجـع إلى معنىٰ المحكم ، ولا ينـافيـه ، لأن من المحكم قوله تعالىٰ : ﴿يوم يقـوم الروح والمـلائكة صفـاً﴾ فإذا رددت إليـه قولـه : ﴿وجـاء ربك والملك صفـاً صفاً﴾ علمت أنـه يتجلىٰ بوحـدانيتـه في الـروح ، وأن المجيء للروح ، ونسب إليه تعالىٰ ، كما نسب نزول الروح إليه لتجليه فيه .

وتحقيقه: أن الروح هو من عالم الأمر، وقد قال تعالىٰ: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكـة أو يأتي ربـك﴾ وقد تقـدم ذكر إتيـانه في ظلل الغمـام ، فلا حـاجة لاعادته .

تحقيق : أعلم أن الروح الأصلي ، الجامـع لحقائق الصفـات في عالم الأمـر في قـولـه تعـالىٰ : ﴿يـوم يقـوم الـروح﴾ هـــو روح القـدس المحمـــدي ، استـواء ونزولاً ، ومجيئاً وإتياناً ، وهو صاحب التجلي بنـور التوحيـد ، في مظاهـر السموات والأرض ، وفي ظلل غمـام الشرائـع ، وصور الأعمـال كمـا تقـدم ، وهـو صـاحب الرحم الإيمانية ، والنسب المحمدي ، بدليل قولـه تعالىٰ للرحم[1] : «ألا تـرضين أن من وصلك وصـلتــه، وإن من قــطعــك بتتــه» مــع قــولــه (عـليــه الصـــلاة

(١) روى البخاري في التفسير ، عن أبي هـريرة ، عن النبي (ص) قـال : «خلق الله الخلق ، فلما فرغ منه ، قامت الرحم ، فأخذت بحقو الرحمن ، فقال له : مه ؟ قالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال ألا ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ، قالت بلى يا رب» . =

والسلام)[1] : «كل نسب يوم القيامة منقطع إلاّ نسبي» وإلى رحمه المتعلقة بالعرش : تعرج الأرواح كل ليلة عند النوم ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ الآية ، فما كان منها طاهراً سجد تحت العرش كما في الحديث[2] فسجوده وصلته لها ، وبسيماها يعرف بدليل ، قوله تعالى في المتصلين بالمعية المحمدية

= قال : «فذاك» .

قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ .

ورواه في «التوحيد» وليس فيه «فأخذت بحقو الرحمن» ، وفيه «فذلك لك» .

وأخرجه مسلم وغيره . قال العيني : فلما فرغ منه : أي فلما قضاه وأتمه . والرحم أي القرابة ، مشتقة من الرحمة ، وهي عرض ، جعلت في جسم ، فذلك قامت وتكلمت ، فأخذت بحقو الرحمن .

وفي رواية الطبري «بحقوي الرحمن» بالتثنية ، قال الطيبي : التثنية فيه للتأكيد ، لأن الأخذ باليدين آكد في الإستجارة من الأخذ بيد واحدة .

والحقو : بفتح الحاء المهملة وسكون القاف والواو : الأزار والخصر ومشد الأزار .

وقال عياض : الحقو : معقد الأزار ، وهو الموضع الذي يستجار به ، ويتحرم به على عادة العرب ، لأنه من أحق ما يحامي عنه ويدفع ، كما قالو : «نمنعه مما نمنع منه أزرنا» فاستعير ذلك مجازاً للرحم في استعاذتها بالله من القطيعة .

وقال الطيبي : هذا القول مبني على الإستعارة التمثيلية ، كأنه شبه حالة الرحم ، وما هي عليه من الإفتقار إلى الصلة والذب عنها بحال مستجير يأخذ بحقو المستجار به ، ثم أسند على سبيل الإستعارة التخييلية : ما هو لازم المشبه به من القيام ، فيكون قرينة مانعة من إرادة الحقيقة ، ثم رشحت الإستعارة بالقول والأخذ ، وبلفظ الحقو ، فهو إستعارة أخرى .

و «مه» اسم فعل ، معناه الزجر : أم : أكفف .

وقال ابن مالك : هي هنا «ما» الاستفهامية ، حذفت ألفها ، ووقف عليها بهاء السكت .

قوله (أصل) حقيقة الصلة «العطف والرحمة» اهـ باختصار ، اهـ مخيون .

(١) «كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلاّ نسبي وصهري» في الجامع الصغير عن ابن عساكر ، عن ابن عمر ، وجعل أمامه علامة الصحيح ، اهـ مخيون .

قلت : وزواج سيدنا عمر (رضي الله عنه) من السيدة أم كلثوم بنت الإمام علي بسبب هذا الحديث . وفيه قصة لطيفة راجعها في كتاب البيان والتعريف في «أسباب ورود الحديث الشريف» وفي كتب المناقب .

(٢) جاء في تفسير النسفي عند هذه الآية من «سورة الزمر» قوله : وروى «أن أرواح المؤمنين تعرج عند النوم في السماء ، فمن كان منهم طاهراً أذن له في السجود ، ومن لم يكن منهم طاهراً لم يؤذن له فيه» ولم يعزه لأحد ، اهـ مخيون .

وذكر ابن القيم كتابه «طريق الهجرتين» قال أبو الدرداء : «إذا نام العبد المؤمن عرج بروحه =

﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ وما كان منها غير طاهر بسبب التمريج الذي حصل له من الشيطان المخلوق من مارج من نار ، لم يؤذن له ، لأنه قطعها باتباع العدو ، فيسجد قاصياً ، فبعده عنها : ثمرة قطعه لها ، وعدم الأذن له هو : قطع الله له .

تنبيه : هذه هي «الرحم» التي أشتق لها اسم من اسمه «الرحمن» صاحب أسماء الله الحسنىٰ ، في قوله تعالىٰ : ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنىٰ﴾ فما من اسم حسن للعبد ، إلاّ وهو مشتق من أسمائه تعالىٰ الحسنىٰ ، وإليها مرجعه ، واشتقاقه منها على حسب صلته للرحم الإيمانية المحمدية ، وعلامة صلته بها : صدق مودته لأخوانه المؤمنين ، وقوة ألفته بهم ، وانجماعه عليهم ، وعلامة قطعه لها : مفارقته لهم .

وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ : ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا﴾ الآية ، مع قوله : ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾ فانظر بسبب التفريق : كيف قطع عنهم نسبة المحمدي ، بقوله تعالىٰ : ﴿لست منهم﴾[1] ونبه على أنهم قد قطعوا عن الله بقوله : ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾ فتحقق بذلك قوله : «من قطعك بتته» .

إشارة : وصلة الروح للروح المحمدية ، والرحم الإيمانية ، وسجودها على حسب ما فطرت عليه في أصل نشأتها ، من سر «لا إله إلاّ الله» ورثته من نورها ، وأرثها من نورها : تارة يكون بسبب ، وهو القيام بحقها ، وتارة يكون بنسب ، وهو امتزاجها بالروح الإيمانية ، في قوله تعالىٰ : ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾ .

فمن قام بحق «لا إله إلاّ الله» فهو أحق بها ، وهو صاحب سبب .

ومن أيد بروحها ، فهو صاحب نسب ، وقد ذكرها الله تعالىٰ في قوله : ﴿وألزمهم كلمة التقوىٰ وكانوا أحق بها وأهلها﴾ .

= حتى تسجد تحت العرش ، فإن كان طاهراً أذن لها في السجود ، وإن كان جنباً لم يؤذن لها بالسجود» وهذا والله أعلم هو السر الذي لأجله أمر النبي (ص) الجنب إذا أراد النوم أن يتوضأ . وهو : إما واجب على أحد القولين ، أو مؤكد الاستحباب على القول الآخر ، اهـ المراد ، ولم يعزه لأحد ، اهـ مخيون .

(١) في قوله : ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾ سورة الأنعام ؛ الآية : ١٥٩

فصـل المعيـة

في الحـديث[1] : «كـان الله ولـم يكن معـه شيء غيـره ، وكـان عـرشـه على الماء وكتب في الذكر كل شيء» أخرجه البخاري من حديث عمران بن حصين .

وقـد كثـر ذكـر معيـة الله لعبـده في مـواضـع من الكتـاب والسنـة ، وهـو من المتشـابه ، ورجـوعه إلى المحكم بـأن يعلم بأن الله سبحـانـه في المـوجـودات قـد ضرب لنفسه مثلاً بالواحد في الأعداء .

ومن المعلوم : ان مـا من عـدد إلاَّ وهـو في الحقيقـة يـرجـع إلى الـواحـد ، فـالاثنان من شهـود الواحـد مرة مـرة ، والثلاثـة من شهوده مـرة ومرة ومـرة ، وهكذا جميـع الأعـداد ، فلو طلبت لعـدد من الأعـداد حقيقـة مجـردة عن الـواحـد ، لم تجدها ، ولسبب ذلـك كانت الأعـداد لا تتناهىٰ ، لأن تجليـات الواحـد لا تتناهىٰ ، ولـولا معية الـواحد للواحـد مـا ثبتت الشفعيـة ، ولـولا إحـاطتـه بـالشفعيـة مـا ثبتت الـوتريـة ، وهو الأول والآخـر ﴿ما يكـون من نجوىٰ ثـلاثة إلاَّ هـو رابعهم﴾ الآية ، فمن أشهده الله آخريـة معيته لـه فقد شفعـه ، فإن أشهـده مع ذلـك أولية معيتـه فقد أوتـره ، «وأن الله وتر يحب الـوتر»[2] ومن أشهـده سـر وحـدانيتـه في نفسـه ورجـوع الأعداد إليه ، فقد وحده «ما وحد الـواحد إلاَّ الـواحد» وبهـذا يفهم السر في قـوله : «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[3] .

---

(١) تقـدم ذكـره .

(٢) متفق عليـه .

(٣) سبق ذكره ، وأنه ليس بحديث .

تنبيه : اعلم أنه تعالىٰ ، كما أنه واحد في ذاته ، فهو واحد في صفاته ، وذاته سبحانه منزهة عن المعية ، فليست مع شيء ، ولا معها شيء ، ولكنه مع كل شيء بصفاته[١] .

وكذلك العبد الذي وحده ، وأشهده سر الوحدانية في ذاته ، بتجلي ذاته المقدسة على سره .

فقد ظهر لك بهذا : أن المعية من أحكام الصفات ، فرب عبد يشهده الله معيته له بصفة وصفتين ، كقوله تعالىٰ : ﴿إنني معكما أسمع وأرىٰ﴾ ورب عبد يشهده معيته له مطلقاً كقوله (ص) لأبي بكر (رضي الله عنه) : «لا تحزن إن الله معنا» .

ومعية الصفات عامة لجميع المخلوقات ، وإنما اختصاص الأنبياء والأولياء بالشهود ، والتأييد بالروح منها ، كما حكي عن أحد أصحاب الشيخ أبي النجا[٢] (رحمه الله) ، أنه كان يقول : قال لي وقلت له ، ويكثر من ذلك .

فقيل له : من هو الذي يقول لك وتقول له ؟ .

قال : لله .

قالوا : الله يقول لك ؟ .

قال : نعم . ويأخذ بيدي كلما قمت وقعدت .

قالوا : لك هذا خاصة ؟ .

قال : لا ، بل للناس عامة ، ولكني أنا أشهد ، وهم لا يشهدون .

تبصرة : رب عبد يخص بشهود المعية ، ولا يتعدىٰ ذلك منه إلى اتباعه ، كقول موسىٰ (ع) لبني إسرائيل : ﴿إن معي ربي سيهدين﴾ ورب عبد يتعدىٰ منه نوره إلى أتباعه ، فيشهدون به سر المعية ، كقول سيدنا محمد (ص) : «إن الله معنا» ولم يقل : معي ، لأنه أمد أبا بكر بنوره ، فشهد سر المعية .

---

(١) انظر «فصل القرب» من هذه الرسالة .

(٢) هو أبو مدين الغوث ، المتوفى سنة ٥٩٠ أو سنة ٥٩٤ ، انظر المقدمة ، وهذه كنيته المفضلة عند ابن عربي ، ا هـ مخيون .

ومن هنا : يفهم سر إنزال السكينة على أبي بكر (رضي الله عنه) ، وإلاَّ لم يثبت تحت أعباء هذا التجلي والشهود ، وأين معية الربوبية في قصة موسىٰ (ع) من معية الإلهية في قصة نبينا (ص)[1] .

تربية : إذا أردت شهود نور المعية ، فعليك بتزكية النفس ، قال تعالىٰ : ﴿قد أفلح من زكاها﴾ وفي حديث رواه أبو عبد الله الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» بسنده إلى عبد الله بن معاوية الغاضري[2] (رضي الله عنهم) ، قال قال رسول الله (ص) : «ثلاث من فعلهن طعم طعم الإيمان ، من عبد الله وحده بأنه لا إله إلاَّ هو ، وأعطىٰ زكاة ماله طيبة بها نفسه ، ولم يعط الهرمة ولا الدرنة ، ولا المريضة ، ولكن من أوسط أموالكم ، وزكا نفسه» .

فقال رجل : وما تزكية نفسه ، قال : أن يعلم ان الله معه حيث ما كان» .

فانظر كيف نبه على أن تزكية النفس : تثمر العلم بمعية الله .

فإن قلت : بماذا تكون تزكية النفس ؟ .

---

(١) وهو قول ابن عباس وغيره ، قالوا : لأن الرسول لم تزل معه سكينة . وهو أحد قولين : أنظر تفسير ابن كثير (رحمه الله) .

في قول موسىٰ (ع) : ﴿كلا إن معي ربي سيهدين﴾ التجلي بكلمة الرب ، وهي كلمة فيها معنىٰ التربية والعطف والحنان الذي احتاجه سيدنا موسى الذي معه قومه بالألاف .

وفي قول رسول الله (ص) ـ إن الله معنا ـ الجلال والقهر والعظمة ، ورسول الله (ص) هو وأبو بكر في صحراء قاحلة ، لا أحد فيها ، فالتجلي هنا بالحفظ والصون في المخاوف . ففرق بين التجلين ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) قال أبو داود في سننه في كتاب «الزكاة» قرأت في كتاب عبد الله بن سالم بحمص ـ عند آل عمرو بن الحارث الحمصي ـ عن الزبيدي ، قال : وأخبرني يحيى بن جابر ، عن جبير بن نفير ، عن عبد الله بن معاوية الغاضري ، [من غاضرة قيس] قال : قال النبي (ص) : «ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان ،من عبد الله وحده وأنه لا إله إلاَّ الله،وأعطىٰ زكاة ماله طيبة بها نفسه ، وافدة عليه كل علم ، ولا يعطي الهرمة ، ولا الدرنة ، ولا المريضة ، ولا الشرط ـ اللئيمة ـ ولكن من أوسط أموالكم ، فإن الله تعالىٰ لم يسألكم خيره ، ولم يأمركم بشره» .

ورواه الطبراني أيضاً .

في النهاية : «الشرط اللئيمة» بفتح الشين والراء ، أي رذال المال ، وقيل : صغاره وشراره ، ا هـ مخيون .

قلت: بلزوم الذكر، قال الله تعالىٰ في الحديث:

«أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معين حين يذكرني»(*) .

فعلى حسب الذكر: يكون تطهير النفس وتزكيتها.

وقال تعالى: ﴿قد أفلح من تزكىٰ﴾ ﴿وذكر اسم ربه فصلّىٰ﴾ وعلى حسب التزكية يكون شهود المعية .

(*) رواه الإمام أحمد ، والبيهقي ، والترمذي ، وابن ماجه ، عن أبي هريرة ، ورواه الإمام مسلم عنه أيضاً وعن سيدنا أنس (رضي الله عنهما وأرضاهما) ، مع اختلاف في بعض اللفظ .

فصـل الحب

ومن الصفات المتشابهة : صفة الحب ، وقد نسب في الكتاب إلى الله تعالى بقوله: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ وبقوله : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ وكذا في السنة ، في أحاديث ، وقد اختلف علماء الظاهر والباطن في تأويله ، والمعول عليه عندهم : انه يرجع إلى التعبير بالشيء عن ثمراته ، فحب العبد لله : محبة إدامته لذكره ، وإقامته لطاعته ، وحب الله لعبده : إقباله بوجه[1] إحسانه ورحمته إليه ، وإفاضة سوابغ نعمه وجوده عليه ، وهذا فيه تعطيل لحقيقة الوصف ، والذي حملهم على ذلك : ان الحب في الشاهد : عبارة عن ميل القلب ، وهو مستحيل على الله سبحانه ، لتعاليه عن الحوادث .

والتحقيق : أن الحب ترجع حقيقته مطلقاً إلى سر روحاني ، يجمع الله به المتفرق ، ويوحد المتعدد ، وذلك ان ﴿الله نور السموات والأرض﴾ فما من شيء من الكائنات ، إلاّ وفيه سر من الواحد ، قائم به ، كما تقدم تحقيق ذلك في «فصل المعية» ، ومن المعلوم : ان المخلوقات مختلفة من حيث الأسماء والصور ، ومراد الله منها إئتلافها في الرجوع إلى الواحد ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ وإنما تأتلف الصور والأسماء المختلفة من حيث ذلك السر القائم بها من تجلي الواحد ، وليست كلها متساوية ، بل هي متفاوتة على حسب قابليتها لتجليه .

وقد جعل الله الحب سراً يكشف حجاب الاختلاف بالصورة والاسم ، عما

---

(١) في نسخة وتوجه ، اهـ مخبون .

قام بهما من السر المتقف ، فيأتلف السر مع السر بواسطة التعارف .

وفي الحديث(١) : «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» فإن حصل الكشف من الجانبين : حصل التحابب من الجانبين ﴿يحبهم ويحبونه﴾ وإن حصل من أحد الجانبين اختص بالمحبة ، ولهذا تجد بعض الناس يحب من لا يظهر عليه أنه يحبه ، لأن المحب كشف له عن سر التوحيد المناسب له القائم بمحبوبه ، فألفه ولم يكشف لمحبوبه عن السر القائم بمحبه .

وجملة الأمر : أن لا محبوب في الوجود إلاّ الله .

ولقد أحسن بعضهم في التنبيه على ذلك إجمالاً فقال في محبوبه شعراً :

شيء بـه تسبىٰ القلوب سوى الـذي يدعي الجمال ، ولست أدري ما هو !!؟

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في «كتاب أحاديث الأنبياء» (عليهم الصلاة والسلام) عن عائشة (رضي الله عنها) ، قالت : سمعت النبي (ص) يقول : «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها إئتلف ، وما تناكر منها اختلف» .

ورواه مسلم من حديث أبي هريرة . قال العيني في عمدة القاري : الأرواح : جمع روح ، وهو الذي يقوم به الجسد ، ويكون به الحياة (جنود مجندة) أي جموع مجتمعة ، وأنواع مختلفة ، وقيل : أجناس مجنسة ، وفي هذا دليل على أن الأرواح ليست بأعراض ، فإنها كانت موجودة قبل الأجساد ، وانها تبقى بعد فناء الأجساد ، ويؤيده «أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر» .

وتعارفها : موافقة صفاتها التي خلقها الله عليها ، وتناسبها في أخلاقها ، وقال : لأنها خلقت مجتمعة ، ثم فرقت في أجسادها ، فمن وافق قسيمه ألفه ، ومن باعده نافرة .

وقال الخطابي فيه وجهان :

أحدهما: أن يكون إشارة إلى معنىٰ التشاكل في الخير والشر ، وأن الخير من الناس يحن إلى شكله ، والشر يميل إلى نظيره ، والأرواح إنما تتعارف بضرائب طباعها ، التي جبلت عليها من الخير والشر ، فإذا اتفقت الأشكال تعارفت ، وتآلفت ، وإذا اختلفت تنافرت وتناكرت .

والآخر : انه روى أن الله تعالىٰ خلق الأرواح قبل الأجساد ، وكانت تلتقي ، فلما التبست بالأجساد ، تعارفت بالذكر الأول ، فصار كل واحد منها إنما يعرف وينكر على ما سبق له من العهد المتقدم .

وقال القرطبي : إذا وجد أحد من نفسه نفرة ممن له فضيلة ، أو صلاح يفتش عن الموجب لها ، فإنه ينكشف له ، فيتعين عليه أن يسعىٰ في إزالة ذلك ، حتى يتخلص من ذلك الوصف المذموم ، وكذلك القول إذا وجد في نفسه ميلاً إلى من فيه شر وشبهة ، اهـ المراد ، اهـ مخيون .

وقال بعضهم دوبيت :

البلبل يا صاح يشدو بفنن والورق تنوح : يا ترى العشق لمن ؟
والكون جميعه غرام وشجن يشا باشك[1] يا من الكل فتن

فقد ظهر أن الحب سر يكشف حجاب الحوادث عن أسرار التوحيد فيجتمع متفرقها ويتحد متعددها ومن توهم أنه الميل أو الإرادة ، أو بعض الآثار الحادثة التي يجدها المحب ، فليس على حقيقة من أمره ، وإنما التبس عليه الأعراض المنفعلة عن الحب بالحب .

واعلم : أنه لا يطلق على العبد انه يحب الله إلاّ إذا كشف له عن سر التوحيد مجرداً عن الحوادث فأحبه ، فأما إذا أحب السر متوهماً انه أحب مظهره من الحوادث فلا ، وبهذا حصل الإلتباس في حقيقة الحب وفي أطلاقه على غير الله وفي صحة إطلاقه عليه .

تنبيه : قولنا : «لا يصدق حب الله إلاّ بالكشف عن سر التوحيد ، مجرداً عن الحوادث» مجمل له تفصيل ، وهو : ان كشف تجريده : تارة يكون عياناً ، وتارة يكون إيماناً .

فالعيان كحال إبراهيم (ع) حيث توجه إليه في الكواكب ، ثم في القمر ، ثم في الشمس ، ثم توجه إليه مجرداً ، فقال : **﴿وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض﴾** الآية .

ونبه على تجريد حبه عن الحادث ، بقوله : **﴿لا أحب الآفلين﴾** والإيمان ، كحال من أخبره الصادق «ان السر في هذا المظهر»[2] . فنشأ له بنور التصديق

---

(١) «يشا» بالتركية يعني «عاش» و «باش» أي الرئيس عن فضيلة الأستاذ محمد زاهد الكوثري ، اهـ مخيون .

(٢) يبدو لي : أن الشيخ يقصد ذلك الرجل الذي قال له رسول الله (ص) : «أنت مع من أحببت» .

وذلك أن النبي (ص) رأى رجلاً محزوناً ، فقال له (ص) : ما لي أراك محزوناً ؟ .

فقال : يا نبي الله شيء فكرت فيه .

فقال : ما هو ؟ .

قال : نحن نغدوا ونروح ننظر إلى وجهك ونجالسك ، وغداً ترفع مع النبيين ، فلا نصل إليك ؟ .

=

والإيمـان حب كشف له عن ذلك السر : كشفاً إيمانياً .

ومنه قوله تعالى : ﴿قـل إن كنتم تحبون الله فـاتبعوني يحببكم الله﴾ فنبـه على أن سـر التوحيـد ، المأذون في محبتـه : له مـظهـر ، وهـو ظلل غمـام الشـريعـة ، واتباعه فيها يستلزم إتصافه بها ، وهو بمثابـة تعرض المحب للمـواطن التي يظهـر له فيها محبوبه ، ومن شأن المتعـرض لمواطن الحبيب ، أن يـراقب وجه محبـوبه عنـد تجليه فيها ، فلهـذا أمر العبـد بالمـراقبة ، في قـوله (ص) : «الاحسـان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1] .

تبصـرة : ومن هذا قـوله تعـالى : ﴿من يطع الـرسـول فقـد أطـاع الله﴾ ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعـون الله﴾ ونحوه من الآيـات : يتضمن الأخبار للعبـاد : ان سر التوحيد الجامع : مظهره : «محمد (ص)» فمن أحبه فقد أحب الله .

فمن الاتباع من كشـف له عن تجرد ذلك السر عيانـاً كحال ، أبي بكـر (رضي الله عنه) في قوله[2] بعد موته : «من كـان يعبد محمـداً فإن محمـداً قد مـات ، ومن كان يعبد الله ، فإن الله حي لا يموت» .

فلم يرد عليه النبي (ص) شيئاً ـ فأتاه جبريل ، بهذه الآية : ﴿ومن يطع الله والرسول فـأولئك مع الذين أنعم عليهم من النبيين﴾ الآية .

(١) تقدم الكلام عليه ، ا هـ مخيون .

(٢) في صحيح البخاري في «باب مرض النبي (ص)» عن ابن شهاب قال : اخبرني أبو سلمة ، أن عـائشة (رضي الله عنهـا) أخبرتـه ، أن أبا بكـر (رضي الله عنه) ، أقبـل على فرس من مسكنـه بـالسنح ، حتى نـزل ، فدخـل المسجد ، فلم يكلم النـاس ، حتى دخل على عـائشة ، فتيمم رسول الله (ص) وهو مغشي بثوب حبرة ، فكشف عن وجهـه ، ثم أكب عليه فقبله وبكى ، ثم قـال : «بأبي أنت وأمي ، والله لا يجمـع الله عليك مـوتتين : اما المـوتـة التي كتبت عليـك ، فقدمتها» .

قال الزهري : وحدّثني أبو سلمة عن عبد الله بن عباس ، أن أبا بكر خرج وعمر بن الخـطاب يكلم الناس ، فقال اجلس يا عمر ، فـأبى عمر أن يجلس ، فـأقبل النـاس إليه وتـركوا عمـر ، فقال أبو بكر :

أما بعد من كان منكم يعبد محمداً (ص) ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان منكم يعبـد الله ، فإن الله حي لا يموت .

قـال الله سبحانـه وتعالى : ﴿ومـا محمـد إلاّ رسـول قد خلت من قبله الـرسـل﴾ إلى قـوله : ﴿الشاكرين﴾ وقال : والله لكأن الناس لم يعلموا ان الله أنزل هذه الآية ، حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها منه الناس كلهم ، فما أسمع بشراً من الناس إلاّ يتلوها ، فأخبـرني سعيد بن المسيب ، =

ولشهود ذلك السر ، كان يسجد له : الحجر ، والبعير ، ويسعى إليه الشجر[١] .

ومن الانباع من حجب عن تجرده ، حتى أخبر به في قوله تعالىٰ : ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك﴾ إلى قوله : ﴿لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ .

ويحكى : عن بعض الشيوخ : أنه رآه (ص) في نومه ، فقال له : اعذرني يا رسول الله ، فإن محبة الله شغلتني عن محبتك ، فقال له : ويحك يا مبارك ، من أحبني فقد أحب الله ، ومن أحب الله فقد أحبني .

تحقيق : قوله تعالىٰ[٢] «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته» الحديث ، فيه أسرار ، منها :

= أن عمر قال : والله ما هو إلاّ أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعقرت حتى ما تقلني رجلاي ، وحتى أهويت إلى الأرض ، حين سمعته تلاها ، علمت أن النبي (ص) قد مات ، ا هـ مخيون .

(١) روى أبو الحسن : علي بن محمد الماوردي ، المتوفى سنة ٤٥٠ صاحب «أدب الدنيا والدين» في كتابه «أعلام النبوة» ص ٨٢ : ومن آياته (ص) ما رواه عبد الله بن أبي أوفى ، قال : بينما نحن قعود عند رسول الله (ص) ، إذ أتاه آت ، فقال : يا رسول الله : ناضح بني فلان قد دبر عليهم .

قال : فنهض ونهضنا معه ، فقلنا : يا رسول الله : لا تقربه ، فانا نخافه عليك ، فدنا من البعير ، فلما رآه البعير سجد له ، فوضع يده على رأس البعير ، وقال : هات السكان ، فوضعه في رأسه ، وأوصىٰ به خيراً .

وفي ص ٨٤ : ومن آياته (ص) ما رواه عبد الله بن بريدة عن أبيه قال جاء أعرابي إلى رسول الله (ص) فقال : يا محمد ، هل من آية فيما تدعو إليه ؟ قال : نعم ائت تلك الشجرة ، فقل لها رسول الله (ص) يدعوك ، فمالت عن يمينها ويسارها ، وبين يديها ، فتقطعت عروقها ، ثم جاءت تخد الأرض ، حتى وقفت بين يديه ، فقال الأعرابي ، مرها لترجع إلى منبتها ، فأمرها فرجعت إلى منبتها ، فقال الأعرابي ائذن لي أسجد لك ، فقال لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرة المرأة أن تسجد لزوجها ، قال : فائذن لي أن أقبل يديك ورجليك ، فأذن له» .

وفي ص ٨٥ : ومن آياته (ص) ، ما رواه جابر بن عبد الله ، قال : كان في رسول الله (ص) خصال : لم يكن يمر في طريق فيتبعه أحد إلاّ عرف أنه قد سلكه ، من طيب عرقه ، ولم يكن يمر بحجر ولا شجر إلاّ سجد له .

وروى الحافظ بن سيد الناس سجود الحجر والشجر له (ص) ، عن بحيرا الراهب ، ا هـ مخيون .

(١) الحديث القدسي سبق ذكره .

التنبيه على أن الحب سر يجمع المتفرق ، ويوحد المتعدد ، كما ذكرناه .

ومن كلام المحققين : «الحبيب أنت ، الا أنك غيره» .

ومنها : التنبيه على أن العبد تارة يكون محباً متقرباً وتارة يكون محبوباً ، وترجع حقيقة التقسيم : إلى شهود العبد ، وحظه من تجلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ .

فإن شهد : ما منه إلى الله ، فقد شهد رجوع الأمر بسر التوحيد منه إلى الله ، فهو محب ، وعلامته : دوام ذكره ، وتوجهه بالتقرب بالنوافل ، وغلبة الشوق ، والقلق ، والهيمان ، ونحوه .

وإن شهد ما من الله إليه ، فقد شهد بدء الأمر من الله ، وتنزله بروح التوحيد إليه ، فهو محبوب ، وعلامته : السكون ، والإستسلام ، ودوام المراقبة .

ومنها : التنبيه على أن المحبوب قسمان : قسم يفنى بمحبوبه ، وقسم يبقىٰ به .

فنبه على حال الأول بقوله : «كنت سمعه» ونبه على حال الثاني بقوله : «الذي يسمع به» ونبه بهما ، على أنه : لا بقاء إلاّ بعد فناء ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمىٰ﴾ فنبه على الفناء بقوله : ﴿وما رميت﴾ وعلى البقاء بقوله : ﴿إذ رميت﴾ وعلى تحقق المحب بالحبيب ، بقوله تعالىٰ : ﴿ولكن الله رمىٰ﴾ .

دقيقة : ومن ذلك قوله تعالىٰ : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ إلى قوله : ﴿انه هو السميع البصير﴾ الضمير لمحمد (ص) ، والسميع البصير هو الحبيب . شعر :

رأت قمر السماء ، فأذكرتني ليالي وصلنا بالرقمتين[1]
كلانا ناظر قمراً ، ولكن رأيت بعينها ، ورأت بعيني

وإنما يتضح قصد الشاعر بتخريجه على ما نحن فيه ، وهو :

انه يشير على أن قمر السماء : من عشاق محبوبته ، وأن محبوبته رأته ذات

(١) اسم مكان مشهور عند العرب .

ليلة ، فكسته برويتها له نور جمالها ، ومحاسن صفاتها ، وألقت عليه شبهها ، وأعارته اسمها ، فأذكرت هذا العاشق بتلك الليالي التي وصلته بالرقمتين ، فانها بوصلها له أفنته عن صفاته ، وغلبت عليه بصفاتها ، حتى صارت معه كالقمر الواحد ، وكلاهما ينظره .

ولهذا قال : «كلانا ناظر قمراً» أي قمراً واحداً ، تعدد مظهره ، لكونها تنظر بعينه ، وهي عين المحبة ، لأن المحب صار محبوباً ، وهو ينظر بعينها ، لأنها أعارته عينها : رآها بها ، فكان البصير لها : نفسها .

فصل لفظة عند

ومن المتشابه لفظة «عند» وقد جاءت منسوبة إلى الله ، في الكتاب والسنة كثيراً ، وهي في اللغة كلمة تستعمل لافادة الملك ، ولافادة الحضور ، ولا اشتباه في استعمالها لله تعالىٰ ، لافادة الملك .

وإنما الاشتباه في افادتها للحضور .

وأعلم ان حضرة الله سبحانه : ليست حضرة مكانية ، لتعاليه عن المكان تقدس ، بل حضرته وراء حضرات السموات والأرض ، قال تعالىٰ : ﴿وله من في السموات والأرض ومن عنده﴾ فعطف ﴿من عنده﴾ على ، ﴿من في السموات والأرض﴾ والعطف يقتضي المغايرة ، وهي مع كونها وراء السموات والأرض ، فهي ميمنة على حضرات السموات والأرض ، ومحيطة بها ، فما من حضرة مكانية إلاّ وحضرة الله محيطة بها ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ .

وإذا تقرر ذلك ، فعنديته سبحانه : متعددة بحسب الاضافة ، متحدة بحسب الحقيقة .

فأما تعددها ، فلأنه ما من اسم من أسمائه تعالىٰ ، إلاّ وله في تجليه «عندية» تخصه : يشهدها أرباب القلوب الذاكرة له ، وفيها مجالس المناجاة لهم .

ويخلع عليهم فيها خلع الرضا منه .

ومن سلطان ذلك الاسم : تخرج الربوبية لأهله ، وتظهر تواقيع الولاية بذكره .

وأما اتحادها بحسب الحقيقة ، فعند الله ، هو موطن استقرار عباده ، قال تعالىٰ : ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع﴾ ومعنىٰ ذلك أن عندية الله ، ما زالت ولا تزال محيطة بعبده ، كما قال تعالىٰ : ﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾ ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ ولكن رب عبد دام له هذا الشهود ، فهو لا يزال مستقراً عند الله في محياه ومماته ومبدئه وعوده ، وإن اختلفت عليه الأحوال .

ومعنى : «توفى هذا العبد بالموت إلى الله» ترقيه في مراتب التجلي ، وحقائق الكشف ، وتعاقب مظاهر «العندية» على روحه : مظهراً بعد مظهر .

ورب عبد شهد في البدء «عندية» الله له ، ثم حجب عنه مكانه من الله ، بسبب كثرة تخليطه ، وظلمة إكتسابه ، فذلك مستودع استودعه الله لرسل أسبابه وملائكته الموكلين به ، فلا يزال محجوباً إلى الأجل المقدر له ، فيرد إلى الله ، كما قيل :

وما المال والأهون إلاّ وديعة ولا بد يوماً أن ترد أودائع

وترجع حقيقة الرد : إلى كشف الحجاب ، وتجلي إحاطة الله به ، كما قال تعالىٰ : ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ إلى قوله : ﴿وجاءت كل نفسٍ معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة﴾ الأية ، هنالك يشهد أنه لا مستقر إلاّ عند الله ، وقد نظمت في ذلك :

قد كنت أحسب أني عن فنائكم ناء، وأن بأرض الله متسعا
فلم يزل لطفكم بي، تحت حجبكم حتى رفعتم حجاب الفرق[1] فارتفعا
فلاح اني مقيم : ما برحت على الـ أبواب عبداً ، وان اللطف ما انقطعا

إشارة : قوله تعالىٰ : ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ تنبه على العباد المخصوصين من أهل «العندية» والاستقرار .

(١) في نسختين حجاب العز ، ا هـ مخيون .

وقوله : ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾ خطاب للمحجوبين من المستودعين للحفظة .

ولهذا قال : ﴿حتىٰ إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلىٰ الله مولاهم الحق﴾ ثم حذر المكذب بذلك ، بقوله تعالىٰ : ﴿وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل * لكل نبإ مستقر﴾ ونبه على أن مستقر الأنباء عنده ، وأنه يظهر بزوال حجاب البصيرة ، بقوله : ﴿فإذا برق البصر * وخسف القمر﴾ إلى قوله : ﴿إلى ربك يومئذ المستقر * ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ .

تنبيه : قوله تعالىٰ : ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ له ظاهر وحقيقة ، فظاهره : ان ما عند العبد من المال والولد وزينة الدنيا : بصدد الزوال والنفاد ، وما عند الله من الجزاء ـ على تقدير انفاقه : باق لا ينفد .

وأما حقيقته : فكل شيء له نسبتان : نسبة عارضة ، وهي نسبته للعبد ، ونسبة أصلية : وهي نسبته لله .

فمعنىٰ كونه «عند العبد» هو : نسبته إليه ، وهو فائت زائل .

ومعنىٰ كونه «عند الله» هو نسبته إليه ، وهو باق لا يزول .

والمراد : ان العبد يخرج الأشياء كلها عنه ، ويمحو نسبتها إليه ، بنسبتها إلى الله ، وقد بقيت له .

ومتى نسبها إلى نفسه وقدرته ، فقدت ، قال تعالىٰ : ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وأزينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا﴾ الآية ، فعند ظن القدرة عليها : أخذت وزالت .

وقال تعالىٰ في ضده : ﴿فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك﴾ فأرشدها عند الخوف : أن تلقيه من يدها ، وتخرجه عن حفظها ، فإن الله حينئذ يتولاه بحفظه ، ويبقيه برحمته .

تربية : قوله تعالىٰ : ﴿فابتغوا عند الله الرزق﴾ فيه تلطف بعبده في استدعائه للإقبال عليه ، بالاعراض عن سواه ، لأن العبد مجبول على الافتقار للرزق . وإيثاره بالطلب ، فلو جعل الرزق : لا يكتسب إلاّ بالإقبال على

الأسباب : شغله ذلك عن الله ، فكان من لطف الله بعبده : انه جعل ابتغاء الرزق بالإقبال عليه ، إقبالاً يشهد به العبد قرب الله منه ، وإحاطته به ، فيكون العبد بذلك في حضرته وعنده .

ومتى بلغ العبد إلى هذا : جاءه الرزق من حيث لا يحتسب .

ألا ترى مريم لما تركت الأسباب ، وأقبلت على الله بلزوم المحراب ، كان زكريا (ع) ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله﴾ الآية .

فصـل لفظة : أين

ومن المتشابه لفظة : «أين» وهي كلمة يستفهم بها عن الحيز المكاني .

وقد ورد بها الكتـاب في قولـه تعالىٰ : ﴿وهـو معكم أينما كنتم﴾ والسنـة في قوله (ص) للجارية[1] : «أين الله ؟ فقالت : في السماء» .

ومن المعلوم : أن التحيز على الله محال .

فـأما «أين» في الآيـة : فـإنهـا أطلقت لافـادة معيـة الله للمخـاطبين في الأين اللازم لهم ، لا له سبحانه ، فهو مع كل صاحب أين بلا أين .

وأما إطلاقه في حديث الجارية ، فقد تقدم الكـلام عليه ، في فصـل «الكلام على الجهة» و «الإسراء» .

---

(١) أخرجه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وغيرهم ، اهـ مخيون .

فصــل
الضحك ، والرضا ، والغضب

ومن المتشابه : بصفة الضحك والرضا والغضب .

وقد ورد الرضا والغضب في الكتاب والسنة .

وورد الضحك في السنة في أحاديث .

وقد أختلف أهل الحقائق في معنى الرضى في الشاهد ، وهل هو حال أو مقام ، وأياً ما كان فهو : من مقولة «الكيف» الحادثة ، وهو مستحيل على الله ، فالضحك في الشاهد معروف ، وامتناعه على الله بالنسبة لذاته ضروري ، فلذلك كان من المتشابه ، ورجوعه للمحكم بما قدّمناه في الصورة ، فيكون ظهور الضحك في الصورة ، التي يتجلىٰ فيها ربنا على عبده ، ولا اشتباه في ذلك ، فإن أصل الضحك عند الحكماء ينشأ من إقبال القلب إلى وجهة الصدر ، فينفعل لإقباله البدن بالكيفية التي تسمىٰ ضحكاً ، والفاعل في الحقيقة لذلك كله هو : الله .

فلا إشكال : انه إذا أقبل بروح توحيده ، على عبده في الصورة المتشكلة ، من عمله : انه يظهر على تلك الصورة بإقباله هيئة الضحك المناسبة للضحك المعتاد ، بإقبال القلب .

وينسب ذلك الضحك إليه ، كنسبة الصورة والوجه إليه ، بالمعنىٰ الذي قدّمناه ، ويتضاعف بذلك نعيم الرؤية للمؤمن ، وافاضه جوائز وخلعة الكرم عليه .

وقد ثبت[١] أنه «يلقى المؤمن إذا مات بروح وريحان ورب غير غضبان.

فانظر كيف جعل مظهر لقائه الروح[٢]، وفي الروح[٣] يظهر لذلك العبد رضاه وضحكه وعدم غضبه، وحقق بقوله: - ورب غير غضبان - أن الروح[٣] مظهر الربوبية وأن العبد بلقائه الروح[٥] يلاقي ربه، ولولا ذلك لأشكل - على قواعد العربية - لأنه عطف الرب على الروح، وأشرك بينهما في تعدي الفعل إليه بالباء، على وجه تعديه للمفعول، وذلك ينافي كون الرب فاعلاً ليلقى.

وإذا أنت أخرجته على المعنى الذي ذكرناه، لم يبق فيه اشكال.

والله تعالى أعلم

تمت الرسالة المباركة، بحمد الله وتوفيقه، ومنه وكرمه
وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً
والحمد لله رب العالمين

---

(١) روى ابن ماجه في سننه في «باب ذكر الموت» عن أبي هريرة، عن النبي (ص)، قال: «الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحاً قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، أخرجي حميدة، وابشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها حتى تخرج، ثم يعرج بها الى السماء، فيفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان، فيقال: مرحباً بالنفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة، وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها الى السماء التي فيها الله عز وجل.

وإذا كان الرجل السوء، قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وابشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها الى السماء، فلا يفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنها لا تفتح لك أبواب السماء، فيرسل بها من السماء، ثم تصير الى القبر».

قال السندي في حاشيته: «فيها الله» أي فيها يظهر ويلقى حكمه. وآخر: اي بآخر، وازواج: بدل منه، أي وبأوصافه ومن شكله: جار ومجرور وقع حالا من أزواج، وبأصناف كائنة من جنس المذكور من الحميم والغساق، والله أعلم.

ثم قال:

وفي الزوائد، اسناده صحيح: رجاله ثقات اهـ.

ورواه أحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه، اهـ مخيون.

(٢ و٣ و٤ و٥) بالضم: مابه حياة الأنفس، والقرآن، والوحي، وجبرائيل، والنفخ، وأمر النبوة وحكم الله تعالى وأمره.

وبالفتح، الراحة، والرحمة، ونسيم الريح.

ومكان روحاني: طيب الريح.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع

الموضوع	الصفحة